مِن روائع التفاسير

النُّكَتُ والعُيُون
تفسِير المَاوَرْدِي

تصنيف

أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري
٣٦٤ - ٤٥٠ هـ

الجزء السادس

راجعه وعلّق عليه
السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم

مؤسسة الكتب الثقافية
بيروت - لبنان

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

ملتزم الطبع والنشر والتوزيع

دار الكتب العلمية

مؤسسة الكتب الثقافية



مؤسسة الكتب الثقافية

الصنائع - بناية الإتحاد الوطني - الطابق السابع شقة ٧٨
هاتف المكتب :
ص ب ٥١١٥ - ١١٤ - برقياً : الكتبكو -
بيروت - لبنان

يطلب من : دار الكتب العلمية بيروت - لبنان
ص ب : ١١/٩٤٢٤ تلكس : Nasher 41245 Le
هاتف : ٣٦٦١٣٥ - ٨١٥٥٧٣

النكت والعيون
تفسير الماوردي

بسم الله الرحمن الرحيم



بسم الله الرحمن الرحيم

يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾ هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُواْ بِهِمْ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣﴾ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤﴾

﴿يسبح لله ما في السموات وما في الأرض الملك القدوس العزيز الحكيم﴾

﴿هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم يتلوا عليهم ءاياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين﴾ .

﴿بعث في الأميين رسولاً منهم﴾ يعني في العرب، وفي تسميتهم أميين قولان:

أحدهما : لأنه لم ينزل عليهم كتاب، قاله ابن زيد.

الثاني : لأنهم لم يكونوا يكتبون ولا كان فيهم كاتب، قاله قتادة.

ثم فيهم قولان:

أحدهما: أنهم قريش خاصة لأنها لم تكن تكتب حتى تعلم بعضها في آخر الجاهلية من أهل الحيرة.

الثاني: أنهم جميع العرب لأنه لم يكن لهم كتاب ولا كتب منهم إلا قليل، قاله المفضل.

فلو قيل: فما وجه الامتنان بأن[1] بعث نبياً أمياً؟

فالجواب عنه ثلاثة أوجه:

أحدها: لموافقته ما تقدمت بشارة الأنبياء به.

الثاني: لمشاكلة حاله لأحوالهم، فيكون أقرب إلى موافقتهم.

الثالث: لينتفي عنه سوء الظن في تعلمه ما دعا إليه من الكتب التي قرأها والحكم التي تلاها.

﴿يتلوا عليهم ءاياته﴾ يعني القرآن.

﴿ويزكيهم﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: يجعلهم أزكياء القلوب بالإيمان، وهو معنى قول ابن عباس.

الثاني: يطهرهم من الكفر والذنوب، قاله ابن جريج ومقاتل.

الثالث: يأخذ زكاة أعمالهم، قاله السدي.

﴿ويعلمهم الكتاب﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: أنه القرآن، قاله الحسن.

الثاني: أنه الخط بالقلم، قاله ابن عباس، لأن الخط إنما فشا في العرب بالشرع لما أمروا بتقييده بالخط.

الثالث: معرفة الخير والشر كما يعرفونه بالكتاب ليفعلوا الخير ويكفوا عن الشر، وهذا معنى قول محمد بن إسحق.

﴿والحكمة﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: أن الحكمة السنة، قاله الحسن.

---

(١) قال الحافظ ابن كثير (٤/) وتخصيص الأميين بالذكر لا ينفي من عداهم ولكن المنة عليهم أبلغ وأكثر كما قال تعالى في قوله **﴿وإنه لذكر لك ولقومك﴾** وهو ذكر لغيرهم يتذكرون به وكذا قال تعالى **﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾** وهذا وأمثاله لا ينافي قوله تعالى **﴿قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً﴾** وقوله **﴿لأنذركم به ومن بلغ﴾** وقوله إخباراً عن القرآن **﴿ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده﴾** إلى غير ذلك من الآيات الدالة على عموم بعثته صلوات الله وسلامه عليه إلى جميع الخلق أحمرهم وأسودهم.

الثاني: أنه الفقه في الدين، وهو قول مالك بن أنس.

الثالث: أنه الفهم والاتعاظ، قاله الأعمش.

﴿وءاخرين منهم لما يلحقوا بهم﴾ أي ويعلم آخرين ويزكيهم، وفيه أربعة أقاويل:

أحدها: أنهم المسلمون بعد الصحابة، قاله ابن زيد.

الثاني: أنهم العجم بعد العرب، قاله الضحاك وقد روي عن[2] النبي ﷺ أنه قال: «رأيت في منامي غنماً سوداً تتبعها غنم عفر» فقال أبو بكر: يا رسول الله تلك العرب يتبعها العجم، فقال: «كذلك عبرها لي الملك».

الثالث: أنهم الملوك أبناء الأعاجم، قاله مجاهد.

الرابع: أنهم الأطفال بعد الرجال.

ويحتمل خامساً: أنهم النساء بعد الرجال [3].

﴿ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء﴾ فيها ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنها النبوة التي خص الله بها رسوله هي فضل الله يؤتيه من يشاء، قاله مقاتل.

الثاني: الإسلام الذي آتاه الله من شاء من عباده، قاله الكلبي.

الثالث: ما روي أنه قيل يا رسول الله[4] ذهب أهل الدثور بالأجور، فأمر

---

(٢) أفاد القرطبي (١٨/٩٣) أنه رواه ابن ابي ليلى عن رجل من أصحاب رسول الله ﷺ وهو علي بن أبي طالب.
ولم اعثر على من خرج الحديث.

(٣) قال الإمام الطبري (٢٨/٩٦) «وأولى القولين في ذلك بالصواب عندي قول من قال عنى بذلك كل لاحق لحق بالذين كانوا صحبوا النبي ﷺ في إسلامهم من أي الأجناس لأن الله عز وجل تمم بقوله «وآخرين منهم لما يلحقوا بهم» وكل لاحق بهم من آخرين ولم يخصص منهم نوعاً دون نوع فكل لاحق بهم فهو من الآخرين الذين لم يكونوا في عداد الأولين الذين كان رسول الله ﷺ يتلو عليهم آيات الله أ هـ.

(٤) وذلك من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: جاء الفقراء إلى رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله إن الأغنياء يصلون كما نصلي ويصومون كما نصوم ولهم أموال يعتقون ويتصدقون قال: فإذا صليتم فقولوا: سبحان الله ثلاثاً وثلاثين مرة والحمد لله ثلاثاً وثلاثين مرة والله أكبر أربعاً وثلاثين مرة ولا إله إلا الله عشر مرات فإنكم تدركون به من سبقكم ولا يسبقكم من بعدكم» رواه الترمذي (٤١٠) وحسنه والنسائي (٣/٧٨) وفي الباب عن كعب بن عجرة وأنس وغيرهما.

ذوي الفاقة بالتسبيح والتحميد والتكبير بدلاً من التصدق بالأموال، ففعل الأغنياء مثل ذلك، فقيل لرسول الله ﷺ فقال: «ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ» قاله أبو صالح.

ويحتمل خامساً: أنه انقياد الناس إلى تصديقه ﷺ ودخولهم في دينه ونصرته.

مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٥﴾ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓا۟ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٦﴾ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٧﴾ قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَـٰقِيكُمْ ۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَـٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾

﴿قل إن الموت الذي تفرون منه فإنه ملاقيكم﴾ يحتمل أربعة أوجه:

أحدها: معناه تفرون من الداء بالدواء فإنه ملاقيكم بانقضاء الأجل.

الثاني: تفرون من الجهاد بالقعود فإنه ملاقيكم بالوعيد.

الثالث: تفرون منه بالطيرة من ذكره حذراً من حلوله فإنه ملاقيكم بالكره والرضا.

الرابع: أنه الموت الذي تفرون أن تتمنوه حين قال تعالى: **﴿فتمنوا الموت﴾**.

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْا۟ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُوا۟ ٱلْبَيْعَ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾

﴿يأيها الذين ءامنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله﴾ في السعي إليها أربعة أقاويل:

أحدها: النية بالقلوب، قاله الحسن.

الثاني : أنه العمل لها ، كما قال تعالى : ﴿إن سعيكم لشتى﴾ قاله ابن زيد .

الثالث : أنه إجابة الداعي ، قاله السدي .

الرابع : المشي على القدم من غير إسراع ، وذكر أن عمر وابن مسعود كانا يقرآن ﴿فامضوا إلى ذكر الله﴾ .

وفي ذكر الله ها هنا ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنها موعظة الإمام في الخطبة ، قاله سعيد بن المسيب .

الثاني : أنها الوقت ، حكاه السدي .

الثالث : أنه الصلاة ، وهو قول الجمهور .

وكان اسم يوم الجمعة في الجاهلية العروبة ، لأن أسماء الأيام في الجاهلية كانت غير هذه الأسماء ، فكانوا يسمون يوم الأحد أوّل ، والأثنين أهون ، والثلاثاء جبار ، والأربعاء دبار ، والخميس مؤنس ، والجمعة عروبة ، والسبت شيار ، وأنشدني بعض أهل الأدب :

أؤمل أن أعيش وإن يومي ... بأوّل أو أهون أو جبار
أو التالي دبار أو فيومي ... يمؤنس أو عروبة أو شيار

وأول من سماه يوم الجمعة كعب بن لؤي (٥) بن غالب لاجتماع قريش فيه إلى كعب ، وقيل بل سمي في الإسلام لاجتماع الناس فيه للصلاة .

﴿وذروا البيع﴾ منع الله منه عند صلاة الجمعة وحرمه في وقتها على من كان مخاطباً بفرضها . وفي وقت التحريم قولان :

أحدهما : أنه بعد الزوال[إلى ما] بعد الفراغ منها ، قاله الضحاك .

الثاني : من وقت أذان الخطبة إلى الفراغ من الصلاة ، قاله الشافعي رحمه الله فأما الأذان الأول فمحدث (٦) ، فعله عثمان بن عفان ليتأهب الناس به لحضور

---

(٥) قال الحافظ ابن حجر (٢/٢٩٤) روى عبد الرزاق بإسناد صحيح عن محمد بن سيرين قال : جمع أهل المدينة قبل أن يقدمها رسول الله ﷺ وقبل أن تنزل الجمعة [أي سورة الجمعة] فقال الأنصار : إن لليهود يوماً يجتمعون فيه كل سبعة ايام وللنصارى كذلك فهلم فلنجعل يوماً نجتمع فيه فنذكر الله تعالى ونصلي ونشكر فجعلوه يوم العروبة أ هـ فظهر من الأثر أن أول من سمى الجمعة الأنصار .

(٦) وليس المقصود أنه بدعة بل هو من سنن الخلفاء الراشدين التي أمرنا رسول الله ﷺ بالتمسك به في قوله وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي » ولكن عثمان رضي الله عنه فعل ذلك لعلة فإذا وجدت هذه

الخطبة عند اتساع المدينة وكثرة أهلها، وقد كان عمر أمر أن يؤذن في السوق قبل المسجد ليقوم الناس عن بيوعهم، فإذا اجتمعوا أذن في المسجد، فجعله [عثمان] آذانين في المسجد (٧)، وليس يحرم البيع بعده وقبل الخطبة، فإن عقد في هذا الوقت المحرم بيع لم يبطل البيع وإن كان قد عصى الله، لأن النهي مختص بسبب يعود إلى العاقدين دون العقد، وأبطله ابن حنبل تمسكاً بظاهر النهي (٨).

﴿ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون﴾ يعني أن الصلاة خير لكم من البيع والشراء لأن الصلاة تفوت بخروج وقتها، والبيع لا يفوت.

﴿فإذا قضيت الصلاة﴾ يعني أُدِّيتْ.

﴿فانتشروا في الأرض﴾ حكي عن عراك(*) بن مالك أنه كان إذا صلى الجمعة انصرف فوقف على باب المسجد فقال: اللهم إني أجبت دعوتك وصليت فرضيتك وانتشرت كما أمرتني فارزقني من فضلك وأنت خير الرازقين.

﴿وابتغوا من فضل الله﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: الرزق من البيع والشراء، قاله مقاتل والضحاك.

الثاني: العمل في يوم السبت، قاله جعفر بن محمد.

الثالث: ما رواه أبو خلف عن أنس قال (٩): قال رسول الله ﷺ: فإذا قضيت

العلة في عصرنا نفعل كما فعل عثمان وإن لم توجد رجعنا إلى الأصل والعمل الذي كان عليه رسول الله ﷺ ولعل مكبرات الصوت عندنا اليوم قد رفعت العلة التي من أجلها فعل عثمان الأذان الثاني.
راجع خبر الأذان الثاني كاملاً في البخاري (٢/٣٢٦).

(٧) بل الوارد أن الأذان الأول كان على الزوراء في السوق والثاني خارج المسجد وليس بداخله.

(٨) قال الحافظ ابن كثير (٤/٣٦٧) واتفق العلماء على تحريم البيع بعد النداء الثاني واختلفوا هل يصح إذا تعاطاه متعاط أم لا على قولين قال: وظاهر الآية عدم الصحة كما هو مقرر في موضعه والله أعلم وقال القرطبي (١٨/١٠٨): والصحيح فساده وفسخه لقوله عليه الصلاة والسلام «كل عمل ليس عليه أمرنا فهو رد» أي مردود والله أعلم.

(*) هو عراك بن مالك الغفاري الكناني المدني من خيار التابعين قيل مات في المدينة وغير ذلك له ترجمة في تهذيب التهذيب (٧/١٥٦ ـ ١٥٧) والثقات لابن حبان (٥/٢٨٣).

(٩) ولم يصح هذا الأثر فقد رواه ابن جرير (٢٨/١٠٣) وفي سنده أبو خلف الراوي عن أنس وقيل اسمه حازم كذبه يحيى بن معين وقال أبو حاتم: منكر الحديث. راجع ترجمته في الميزان (٤/٥٢١).
والراوي عن أبي خلف هو أبو عامر الصائغ وكان وضّاعاً كما قال الأزدي. راجع ترجمته في الميزان (٤/٥٤٣).

الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله، قال: ليس بطلب الدنيا لكن من عيادة مريض وحضور جنازة وزيارة أخ في الله.

﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿١١﴾﴾

﴿وإذا رأوا تجارة أو لهواً انفضُّوا إليها وتركوك قائماً﴾ روى سالم عن جابر قال[١٠]: أقبلت عير ونحن مع رسول الله ﷺ يعني في الخطبة فانفتل الناس إليها وما بقي غير اثني عشر رجلاً، فنزلت هذه الآية.

وذكر الكلبي أن الذي قدم بها دحية بن خليفة الكلبي من الشام عند مجاعة وغلاء سعر، وكان معه جميع ما يحتاج إليه من بُر ودقيق وغيره فنزل عند أحجار الزيت[*] وضرب الطبل ليؤذن الناس بقدومه، وكانوا في خطبة الجمعة، فانفضوا إليها، وبقي مع رسول الله ﷺ ثمانية رجال، فقال تعالى: **﴿وإذا رأوا تجارة أو لهواً انفضوا إليها﴾**

والتجارة من أموال التجارات.

وفي اللهو ها هنا أربعة أوجه:

أحدها: يعني لعباً، قاله ابن عباس.

الثاني: أنه الطبل، قاله مجاهد.

الثالث: أنه المزمار، قاله جابر.

الرابع: الغناء.

﴿وتركوك قائماً﴾ يعني في خطبته، وروي عن النبي ﷺ[١١] أنه قال: والذي

وقد ورد نحو هذا الحديث موقوفاً عن ابن عباس رواه ابن مردويه.

كما في الدر (٨/١٦٥).

(١٠) رواه البخاري (٨/٤٩٣) ومسلم (٢/٥٩٠) والترمذي (٣٣١١) وابن جرير (٢٨/١٠٤) وزاد في الدر (٨/١٦٥) نسبته لسعيد بن منصور وابن سعد وابن أبي شيبة وأحمد وعبد بن حميد وابن المنذر وابن مردويه والبيهقي في سننه من طرق عن جابر.

(*) وهو مكان في سوق المدينة.

(١١) رواه أبو يعلى من حديث جابر وساقه ابن كثير في التفسير (٤/٣٦٧) وجاء الأثر مرسلاً بنحوه عن قتادة.

نفسي بيده لو ابتدرتموها حتى لا يبقى معي أحد لسال الوادي بكم ناراً، وإنما قال تعالى: ﴿انفضوا إليها﴾ ولم يقل إليهما، لأن غالب انفضاضهم كان للتجارة دون اللهو.

وقال الأخفش: في الكلام تقديم وتأخير، وتقديره وإذا رأوا تجارة انفضوا إليها أو لهواً، وكذلك قرأ ابن مسعود.

وفي ﴿انفضوا﴾ وجهان:

أحدهما: ذهبوا.

الثاني: تفرقوا.

فمن جعل معناه ذهبوا أراد التجارة، ومن جعل معناه تفرقوا أراد عن الخطبة وهذا أفصح الوجهين، قاله قطرب، ومنه قول الشاعر:

انفض جمعهم عن كل نائرة تبقى وتدنس عرض الواجم الشبم

﴿قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: ما عند الله من ثواب صلاتكم خير من لذة لهوكم وفائدة تجارتكم.

الثاني: ما عند الله من رزقكم الذي قسمت لكم خير مما أصبتموه بانفضاضكم من لهوكم وتجارتكم.

﴿والله خير الرازقين﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: أن الله سبحانه خير من رَزَق وأعطى.

الثاني: ورزق الله خير الأرزاق.

ونسبه لعبد بن حميد السيوطي في الدر (١٠٦٧/٨) وورد من مرسل الحسن أيضاً ونسبه السيوطي في الدر (١١٦/٨) لعبد بن حميد.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴿١﴾ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾ ۞ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾

قوله تعالى: **﴿إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله﴾** سئل حذيفة ابن اليمان عن المنافق فقال: الذي يصف الإسلام ولا يعمل به، وهم اليوم شر منهم على عهد رسول الله ﷺ ، لأنهم كانوا يكتمونه وهم اليوم يظهرونه.

﴿قالوا نشهد إنك لرسول الله﴾ يعني نحلف، فعبر عن الحلف بالشهادة لأن كل واحد من الحلف والشهادة إثبات لأمر مغيب، ومنه قول قيس بن ذريح:

وأشهد عند الله أني أحبها   فهذا لها عندي فما عندها ليا

ويحتمل ثانياً: أن يكون ذلك محمولاً على ظاهره أنهم يشهدون أن محمداً رسول الله اعترافاً بالإيمان ونفياً للنفاق عن أنفسهم، وهو الأشبه.

وسبب نزول هذه الأية ما روى أسباط عن السدي أن عبد الله[١٢] بن أبي بن سلول كان مع رسول الله ﷺ في غزاة وفيها أعراب يتبعون الناس، وكان ابن أبي يصنع لرسول اللّه ﷺ في كل يوم طعاماً، فاستقى أعرابي ماء في حوض عمله من أحجار، فجاء رجل من أصحاب ابن أبي بناقة ليسقيها من ذلك الماء فمنعه الأعرابي واقتتلا فشجه الأعرابي، فأتى الرجل إلى عبد الله [بن أبي]ودمه يسيل على وجهه، فحزنه، فنافق عبد الله وقال: ما لهم رد الله أمرهم إلى تبال، وقال لأصحابه: لا تأتوا محمداً بالطعام حتى يتفرق عنه الأعراب، فسمع ذلك زيد بن أرقم وكان حدثاً، فأخبر عمه، فأتى عمه رسول الله ﷺ فحدثه، فبعث إلى ابن أبيّ وكان من أوسم الناس وأحسنهم منطقاً، فأتى رسول الله ﷺ فحلف: والذي بعثك بالحق ما قلت من هذا شيئاً، فصدقه فأنزل الله هذه الآية.

﴿**والله يعلم إنك لرسوله**﴾ أي إن نافق من نافقك مع علم الله بأنك رسوله فلا يضرك.

ثم قال: ﴿**والله يشهد إن المنافقين لكاذبون**﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: والله يقسم إن المنافقين لكاذبون في أيمانهم.

الثاني: معناه والله يعلم أن المنافقين لكاذبون فيها.

﴿**اتخذوا أيمانهم جنة**﴾ والجنة: الغطاء المانع من الأذى، ومنه قول الأعشى ميمون.

إذا أنت لم تجعل لعرضك جنة   من المال سار الذم كل مسير

وفيه وجهان:

أحدهما: من السبي والقتل ليعصموا بها دماءهم وأموالهم، قاله قتادة.

الثاني: من الموت ألاَّ يُصلَّى عليهم، فيظهر على جميع المسلمين نفاقهم، وهذا معنى قول السدي.

ويحتمل ثالثاً: جنة تدفع عنهم فضيحة النفاق.

---

(١٢) هذا الأثر عن السدي ورد مرفوعاً من حديث زيد بن أرقم رواه البخاري (٨/٤٩٤) مسلم (٢٧٧٢) والترمذي (٣٣٠٩، ٣٣١٠) وابن جرير (٢٨/١٠٩) وزاد السيوطي نسبته في الدر (٨/١٧١) لعبد بن حميد والنسائي وابن المنذر والطبراني وإبن مردويه.

﴿**فصدوا عن سبيل الله**﴾ فيه وجهان:

أحدهما: عن الإسلام بتنفير المسلمين عنه.

الثاني: عن الجهاد بتثبيطهم المسلمين وإرجافهم به وتميزهم عنهم، قال عمر ابن الخطاب: ما أخاف عليكم رجلين: مؤمناً قد استبان إيمانه وكافر قد استبان كفره، ولكن أخاف عليكم منافقاً يتعوذ بالإيمان ويعمل بغيره.

﴿**وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم**﴾ يعني حسن منظرهم وتمام خلقهم.

﴿**وإن يقولوا تسمع لقولهم**﴾ يعني لحسن منطقهم وفصاحة كلامهم.

ويحتمل ثانياً: لإظهار الإسلام وذكر موافقتهم.

﴿**كأنهم خشب مسندة**﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنه شبههم بالنخل القيام لحسن منظرهم.

الثاني: [شبههم] بالخشب النخرة لسوء مخبرهم.

الثالث: أنه شبههم بالخشب المسندة لأنهم لا يسمعون الهدى ولا يقبلونه، كما لا تسمعه الخشب المسندة، قاله الكلبي، وقوله: ﴿**مسندة**﴾ لأنهم يستندون إلى الإيمان لحقن دمائهم.

﴿**يحسبون كل صيحة عليهم**﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أنهم لِوَجَلهم وخبثهم يحسبون كل صيحة يسمعونها ـ حتى لو دعا رجل صاحبه أو صاح بناقته ـ أن العدو قد اصطلم وأن القتل قد حَلَّ بهم، قاله السدي.

الثاني: ﴿**يحسبون كل صيحة عليهم**﴾ كلام ضميره فيه ولا يفتقر إلى ما بعده، وتقديره: يحسبون كل صيحة عليهم أنهم قد فطن بهم وعلم فقال: ﴿**هم العدو فاحذرهم**﴾ وهذا معنى قول الضحاك.

الثالث: يحسبون كل صيحة يسمعونها في المسجد أنها عليهم، وأن النبي ﷺ قد أمر فيها بقتلهم، فهم أبداً وجلون ثم وصفهم الله بأن قال: ﴿**هم العدو فاحذرهم**﴾ حكاه عبد الرحمن بن أبي حاتم.

وفي قوله: ﴿**فاحذرهم**﴾ وجهان:

أحدهما: فاحذر أن تثق بقولهم وتميل إلى كلامهم.

الثاني: فاحذر ممايلتهم لأعدائك وتخذيلهم لأصحابك.

﴿قاتلهم الله﴾ فيه وجهان:

أحدهما: معناه لعنهم الله، قاله ابن عباس وأبو مالك.

الثاني: أي أحلهم الله محل من قاتله عدو قاهر، لأن الله تعالى قاهر لكل معاند، حكاه ابن عيسى.

وفي قوله: ﴿أنى يؤفكون﴾ أربعة أوجه:

أحدها: معناه يكذبون، قاله ابن عباس.

الثاني: معناه يعدلون عن الحق، قاله قتادة.

الثالث: معناه يصرفون عن الرشد، قاله الحسن.

الرابع: معناه كيف يضل عقولهم عن هذا، قاله السدي.

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٥﴾ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٦﴾ هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾

﴿وإذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله﴾ الآية.

روى سعيد بن جبير[١٣] أن النبي ﷺ كان إذا نزل منزلاً لم يرتحل منه حتى يصلي فيه، فلما كانت غزوة تبوك بلغه أن ابن أُبَيّ قال: لئن رجعنا إلى المدينة لِيُخْرِجَنَّ الأعزُّ منها الأذلَّ، فارتحل قبل أن ينزل آخرُ الناس، وقيل[١٤] لعبد الله بن

(١٣) أخرجه ابن أبي حاتم وعبد بن حميد كما في الدر (٨/١٧٤).

(١٤) رواه ابن جرير (٢٨/١١٠) عن قتادة وزاد السيوطي في الدر (٨/١٧٢) نسبته لعبد بن حميد وابن المنذر.

أُبيّ: ائت النبي ﷺ حتى يستغفر لك، فلوى رأسه، وهذا معنى قوله: ﴿لَوَّوْا رؤوسَهم﴾ إشارة إليه وإلى أصحابه، أي حركوها وأعرضوا يمنة ويسرة إلى غير جهة المخاطب ينظرون شزراً.

ويحتمل قولاً ثانياً: أن معنى قوله ﴿يستغفر لكم رسول الله﴾ يستتيبكم من النفاق لأن التوبة استغفار.

وفيما فعله عبدالله بن أبيّ حين لوى رأسه وجهان:

أحدهما: أنه فعل ذلك استهزاء وامتناعاً من فعل ما دعي إليه من إتيان الرسول للاستغفار له، قاله قتادة.

الثاني: أنه لوى رأسه بمعنى ماذا قلت، قاله مجاهد.

﴿وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: يمتنعون، قال الشاعر(١٥):

صدَدْتِ الكاسَ عنا أُمَّ عمرو   وكان الكأسُ مجراها اليمينا

الثاني: يعرضون، قال الأعشى(١٦):

صَدَّقَ هُرَيْرَةُ عنّا ما تُكَلِّمنا   جَهْلاً بأُمّ خُلَيْدٍ حبل من تصل

وفيما يصدون عنه وجهان:

أحدهما: عما دُعوا إليه من استغفار الرسول ﷺ.

الثاني: عن الإخلاص للإيمان.

﴿وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: متكبرون.

الثاني: ممتنعون.

﴿هم الذين يقولون لا تُنفِقوا على مَنْ عِنـدَ رسولِ الله﴾ الآية يعني عبد الله بن أُبيّ وأصحابه، وسببه أن النبي ﷺ بعد انكفائه من غزاة بني المصطلق في شعبان سنة ست نزل على ماء المريسيع، فتنازع عليه جهجاه، وكان مسلماً وهو رجل من غفار،

(١٥) هو عمرو بن كلثوم والبيت من معلقته راجع شرح القصائد السبع لأبي بكر الأنباري.

(١٦) ديوانه: ١٣١.

ورجل يقال له سنان، وكان من أصحاب عبد الله بن أُبي، فلطمه جهجاه، فغضب له عبد الله بن أُبّي وقال: يا معاشر الأوس والخزرج ما مثلنا ومثل محمد إلا كما قال القائل: سمّن كلبك يأكلك، أوطأنا هذا الرجلَ ديارنا وقاسمْناهم أموالَنا ولولانا لانفضوا عنه، ما لهم، رد الله أمرهم إلى جهجاه، لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعزّ منها الأذل، فسمعه زيد بن أرقم وكان غلاماً، فأعاده على رسول الله ﷺ فاعتذر له قومه، فأنزل الله هذه الآية والتي بعدها(١٧)

﴿ولله خزائن السموات والأرض﴾ فيه وجهان:

أحدهما: خزائن السموات: المطر، وخزائن الأرضين: النبات

الثاني: خزائن السموات: ما قضاه، وخزائن الأرضين: ما أعطاه.

وفيه لأصحاب الخواطر (ثالث): أن خزائن السموات: الغيوب، وخزائن الأرض القلوب.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (٩) وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ (١٠) وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا ۚ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١١)﴾

﴿يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لا تُلْهِكُمْ أَمْوالُكُمْ وَلاَ أَوْلاَدُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: أنه عنى بذكر الله [الصلاة] المكتوبة، قاله عطاء.

الثاني: أنه أراد فرائض اللّه التي فرضها من صلاة وغيرها، قاله الضحاك(١٨).

الثالث: أنه طاعة اللّه في الجهاد، قاله الكلبي.

(١٧) راجع سيرة ابن هشام (٣/٣٠٣).

(١٨) وقد رجحه الشوكاني (٥/٢٣٤) وذكره ابن الجوزي وجهاً في زاد المسير (٨/٢٢٧).

الرابع : أنه أراد الخوف من اللَّه عند ذكره .

﴿وَأَنفِقُوا مما رَزَقْناكُم﴾ فيه وجهان :

أحدهما : أنها الزكاة المفروضة من المال، قاله الضحاك .

الثاني : أنها صدقة التطوع ورفد المحتاج ومعونة المضطر .

﴿ولَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْساً إذا جاءَ أَجَلُها﴾ يحتمل وجهين :

أحدهما : لن يؤخرها عن الموت بعد انقضاء الأجل، وهو أظهرهما .

الثاني : لن يؤخرها بعد الموت وإنما يعجل لها في القبر(*) .

(*) أي يعجل لها الثواب أو العقاب في القبر على حسب العمل .



مدنية في قول الأكثرين، وقال الضحاك: مكية، وقال الكلبي: هي مكية ومدنية.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٣﴾ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٤﴾

قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ﴾ بأنه خلقه ﴿وَمِنْكُم مُّؤْمِنٌ﴾ بأنه خلقه، قاله الزجاج.

الثاني: فمنكم كافر به وإن أقرّ به[١٩]، ومنكم مؤمن به.

---

(١٩) قال القرطبي (١٨/١٣٣) وقال الزجاج: وهو أحسن الأقوال والذي عليه الأئمة والجمهور من الأمة أن الله خلق الكافر وكفره فعل له وكسب مع أن الله خالق الكفر وخلق المؤمن وإيمانه فعل له وكسب مع أن الله خـالق الكفر.

قال الحسن: وفي الكلام محذوف وتقديره: فمنكم كافر ومنكم مؤمن ومنكم فاسق، فحذفه لما في الكلام من الدليل عليه.

وقال غيره: لا حذف فيه لأن المقصود به ذكر الطرفين.

﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: أن يكون بالقول.

الثاني: بإحكام الصنعة وصحة التقدير.

وذكر الكلبي ثالثاً: أن معناه خلق السموات والأرض للحق.

﴿وَصَوَّرَكُمْ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: يعني آدم خلقه بيده كرامة له، قاله مقاتل.

الثاني: جميع الخلق لأنهم مخلوقون بأمره وقضائه.

﴿فأَحْسَنَ صُوَرَكم﴾ أي فأحكمها.

أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٥﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوا وَّاسْتَغْنَى اللَّهُ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٦﴾

﴿... فقالوا أَبَشَرٌ يَهْدونَنَا﴾ يعني أن الكفار قالوا ذلك استصغاراً للبشر أن يكونوا رسلاً من اللَّه إلى أمثالهم، والبشر والإنسان واحد في المعنى، وإنما يختلفان في اشتقاق الاسم، فالبشر مأخوذ من ظهور البشرة، وفي الإنسان وجهان:

أحدهما: مأخوذ من الإنس.

والثاني: من النسيان.

﴿فَكَفَرُوا﴾ يعني بالرسل، ﴿وَتَوَلَّواْ﴾ يعني عن البرهان.

﴿واستغنى اللَّه﴾ فيه وجهان:

أحدهما: بسلطانه عن طاعة عباده، قاله مقاتل.

الثاني: واستغنى اللَّه بما أظهره لهم من البرهان وأوضحه لهم من البيان من زيادة تدعو إلى الرشد وتقود إلى الهداية.

﴿وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ في قوله ﴿غَنِيٌّ﴾ وجهان:

أحدهما: غني عن صدقاتكم، قاله البراء بن عازب.

الثاني: عن عملكم، قاله مقاتل.

وفي ﴿حميد﴾ وجهان:

أحدهما: يعني مستحمداً إلى خلقه بما ينعم به عليهم، وهو معنى قول عليّ.

الثاني: إنه مستحق لحمدهم.

وحكي عن ابن عباس فيه ثالث: معناه يحب من عباده أن يحمدوه.

زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبْعَثُواْۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلْنَاۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٩﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٠﴾

﴿زَعَمَ الذين كَفَروا﴾ قال شريح زعموا كُنْيَةُ الكذب[٢٠].

﴿يومَ يَجْمَعُكم ليومِ الجمْعِ﴾ يعني يوم القيامة، ومن تسميته بذلك وجهان:

أحدهما: لأنه يجمع فيه بين كل نبي وأمته.

الثاني: لأنه يجمع فيه بين الظالمين والمظلومين.

ويحتمل ثالثاً: لأنه يجمع فيه بين ثواب أهل الطاعة وعقاب أهل المعاصي.

---

(٢٠) وفي الحديث «بئس مطية القوم زعموا» رواه أبو داود (٤٩٧٢) والبخاري في الأدب (٧٦٢) والطحاوي (١/٦٨) وفي هذا المجال قال بعضهم «وفي الحديث ذم استعمال هذه الكلمة زعموا وإن كانت في اللغة قد تأتي بمعنى قال كما هو معلوم ولذلك لم تأت في القرآن إلا في الإخبار عن المذمومين بأشياء مذمومة كانت منهم مثل قوله تعالى ﴿زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا﴾ ثم أتبع ذلك بقوله ﴿بلى وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم﴾ ونحو ذلك من الآيات أ هـ راجع أيضاً شرح السنة للبغوي (٣/٤١٣) ومشكل الآثار للطحاوي.

﴿ذلك يومُ التغابُنِ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أنه من أسماء يوم القيامة، ومنه قول الشاعر[٢١]:

وما أَرْتَجي بالعيش من دارِ فُرْقةٍ ... ألا إنما الراحــاتُ يوم التغابنِ

الثاني: لأنه غبن فيه أهل الجنة أهل النار، قال الشاعر:

لعمرك ما شيءٌ يفوتُــك نيلُه ... بغبْنٍ ولكنْ في العقول التغابنُ

الثالث: لأنه يوم غَبَنَ فيه المظلومُ الظالمَ، لأن المظلوم كان في الدنيا مغبوناً فصار في الآخرة غابناً.

ويحتمل رابعاً: لأنه اليوم الذي أخفاه اللّهُ عن خَلْقه، والغبن الإخفاء ومنه الغبن في البيع لاستخفائه، ولذلك قيل مَغابِن الجسد لما خفي منه.

﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٢﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾﴾

﴿ما أصابَ مِنْ مُّصيبةٍ﴾ من نفس أو مالٍ أو قول أو فعل يقتضي همًّا أو يوجب عقاباً عاجلاً أو آجلاً.

﴿إلا بإذْنِ اللّهِ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: إلا بأمر اللّه.

الثاني: إلا بحكم اللّه تسليماً لأمره وانقياداً لحكمه.

﴿ومَن يُؤْمِن باللّه يَهْدِ قلبَهُ﴾ فيه أربعة تأويلات:

أحدها: معناه يهدي قلبه اللّه تعالى.

الثاني: أنه يعلم أنه من عند اللّه ويرضى ويسلّم، قاله بشر.

الثالث: أن يسترجع فيقول: إنّا للّه وإنا إليه راجعون.

الرابع: هو إذا ابتلي صبر، وإذا أنعم عليه شكر وإذا ظُلم غفر، قاله الكلبي.

---

(٢١) القرطبي (١٨/١٣٦).

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ۚ وَإِن تَعْفُوا۟ وَتَصْفَحُوا۟ وَتَغْفِرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُوا۟ وَأَطِيعُوا۟ وَأَنفِقُوا۟ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ ۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾ إِن تُقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾

﴿يا أيها الذين آمنوا إنّ مِنْ أزْواجِكم وأوْلادِكم عَدوّاً لكم﴾.

فيه خمسة أقاويل:

أحدها: أنه أراد قوماً أسلموا بمكة فأرادوا الهجرة فمنعهم أزواجهم وأولادهم منها وثبطوهم عنها، فنزل ذلك فيهم؛ قاله ابن عباس(٢٢).

الثاني: من أزواجكم وأولادكم من لا يأمر بطاعة اللّه ولا ينهى عن معصيته، قاله قتادة.

الثالث: أن منهم من يأمر بقطيعة الرحم ومعصية الرب، ولا يستطيع مع حبه ألّا يطيعه، وهذا من العداوة؛ قاله مجاهد.

وقال مقاتل بن سليمان: نبئت أن عيسى عليه السلام قال: من اتخذ أهلاً ومالاً وولداً كان للدنيا عبداً(٢٣).

الرابع: أن منهم من(٢٤) هو مخالف للدين، فصار بمخالفة الدين عدواً، قاله ابن زيد.

(٢٢) رواه الترمذي (٣٣١٤) وصححه وزاد السيوطي في الدر (١٨٤/٨) نسبته لابن أبي حاتم وابن جرير (١٣٤/٢٨) والطبراني والحاكم وصححه (٤٩٠/٤) ووافقه الذهبي وابن مردويه وابن المنذر وعبد بن حميد والفريابي.

(٢٣) وعلى هذا القول إن لم يتق الله فيهم ويعلمهم ويحسن أدبهم ويربيهم على الكتاب والسنة أما إذا انشغل بهم عن طاعة الله كأن يقصر في فرائض الله تعالى أو يرتكب المحرمات من أجلهم فسيؤول به الأمر لما قال نبي الله عيسى على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام.

(٢٤) قال الإمام أبو بكر بن العربي هذا بيـن وجه العداوة فإن العدو لم يكن عدواً لذاته وإنما عدواً بفعله فإذا

الخامس: أن من حملك منهم على طلب الدنيا والاستكثار منها كان عدواً لك، قاله سهل.

وفي قوله ﴿فاحذروهم﴾ وجهان:

أحدهما: فاحذروهم على دينكم؛ قاله ابن زيد.

الثاني: على أنفسكم، وهو محتمل.

﴿وإن تعفُوا وتَصْفَحُوا وتَغْفِرُوا﴾ الآية. يريد بالعفو عن الظالم، وبالصفح عن الجاهل، وبالغفران للمسيء.

﴿فإنّ اللّه غفورٌ﴾ للذنب ﴿رحيم﴾ بالعباد، وذلك أن من أسلم بمكة ومنعه أهله من الهجرة فهاجر ولم يمتنع قال:

لئن رجعت لأفعلنّ بأهلي ولأفعلنّ، ومنهم من قال: لاينالون مني خيراً أبداً، فلما كان عام الفتح أُمِروا بالعفو والصفح عن أهاليهم، ونزلت هذه الآية فيهم.

﴿إنما أموالكم وأولادكم فتنة﴾ فيه وجهان:

أحدهما: بلاء، قاله قتادة.

الثاني: محنة، ومنه قول الشاعر[٢٥]:

لقد فتن الناس في دينهم وخلّى ابنُ عفان شرّاً طويلا

وفي سبب افتتانه بهما وجهان:

أحدهما: لأنه يلهو بهما عن آخرته ويتوفر لأجلهما على دنياه.

الثاني: لأنه يشح لأجل أولاده فيمنع حق اللّه من ماله، لذلك قال النبي ﷺ[٢٦]: «الولد مبخلة محزنة مجبنة».

فعل الزوج والولد فعل العدو كان عدواً ولا فعل أقبح من الحيلولة بين العبد وبين الطاعة. نقله القرطبي (١٨/١٤).

(٢٥) القرطبي (١٨/١٤٣).

(٢٦) رواه أبو يعلى والبزار كما في مجمع الزوائد (٨/١٥٥) وقال الإمام الهيثمي: فيه عطية العوفي وهو ضعيف.

قلت: وزاد الحافظ ابن حجر نسبته في المطالب العالية (٣/٣٩) لأبي بكر بن أبي شيبة والحديث ضعفه الألباني في ضعيف الجامع برقم: ٧١٦٠.

﴿واللّه عنده أجْرٌ عظيمٌ﴾قال أبو هريرة والحسن وقتادة وابن جبير: هي الجنة.

ويحتمل أن يكون المراد بذلك أن يكون أجرهم في الآخرة أعظم من منفعتهم بأموالهم وأولادهم في الدنيا، فلذلك كان أجره عظيماً.

﴿فاتّقوا اللّه ما اسْتطعتم﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: يعني جهدكم، قاله أبو العالية.

الثاني: أن يطاع فلا يعصى، قاله مجاهد.

الثالث: أنه مستعمل فيما يرجونه به من نافلة أو صدقة، فإنه لما نـزل قولـه تعالى: ﴿آتّقوا اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾اشتد على القوم فقاموا(*) حتى ورمت عراقيبهم وتقرحت جباههم، فأنزل اللّه تعالى ذلك تخفيفاً ﴿فاتقوا اللّه ما استطعتم﴾ فنسخت الأولى، قاله ابن جبير[٢٧].

ويحتمل إن لم يثبت هذا النقل أن المكْرَه على المعصية غير مؤاخذ بها لأنه لا يستطيع اتقاءها[٢٨].

﴿واسْمَعوا﴾ قال مقاتل: كتاب اللّه إذا نزل عليكم.

﴿وأطيعوا﴾ الرسول فيما أمركم أو نهاكم[٢٩]، قال قتادة: عليها بويع النبي ﷺ على السمع والطاعة.

﴿وأنفِقوا خيْراً لأنفُسِكم﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: هي نفقة المؤمن لنفسه، قاله الحسن.

الثاني: في الجهاد، قاله الضحاك.

الثالث: الصدقـة، قاله ابن عباس.

﴿ومَن يُوقَ شُحَّ نفسِهِ فأولئك هم المفلِحونَ﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: هوى نفسه، قاله ابن أبي طلحة.

(*) أي قاموا في الصلاة.

(٢٧) رواه ابن أبي حاتم كما في الدر (١٨٦/٨) ونقله ابن كثير (٣٧٧/٤)

(٢٨) أقول «ولكن يستدل من الآية التي في سورة النحل على أن المكره لا يؤاخذ إذ هي صريحة في ذلك «إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان».

(٢٩) قال الحافظ ابن كثير (٣٧٧/٤) قوله تعالى ﴿واسمعوا وأطيعوا﴾ أي كونوا منقادين لما يأمركم الله به ورسوله ولا تحيدوا عنه يمنة ولا يسره ولا تقدموا بين يدي الله ورسوله ولا تتخلفوا عما به أمرتم ولا تركبوا ما عنه زجرتم.

الثاني: الظلم، قاله ابن عيينة.

الثالث: هو منع الزكاة، قال ابن عباس: من أعطى زكاة ماله فقد وقاه الله شح نفسه.

﴿إن تُقْرِضوا اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: النفقة في سبيل اللَّه، قاله عمر رضي اللَّه عنه.

الثاني: النفقة على الأهل، قاله زيد بن أسلم.

الثالث: أنه قول سبحان اللَّه والحمد للَّه ولا إله إلا اللَّه واللَّه أكبر، رواه ابن حبان.

وفي قوله ﴿حَسَناً﴾ وجهان محتملان:

أحدهما: أن تطيب بها النفس(*).

الثاني: أن لا يكون بها ممتناً.

﴿يُضاعفْه لكم﴾ فيه وجهان:

أحدهما: بالحسنة عشر أمثالها، كما قال تعالى في التنزيل(٣٠).

الثاني: إلى ما لا يحد من تفضله، قاله السدي.

﴿ويَغْفِرْ لكم﴾ يعني ذنوبكم.

﴿واللَّهُ شكورٌ حليمٌ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن يشكر لنا القليل من أعمالنا وحليم لنا في عدم تعجيل المؤاخذة بذنوبنا.

الثاني: شكور على الصدقة حين يضاعفها، حليم في أن لا يعجل بالعقوبة من [تحريف(٣١)] الزكاة عن موضعها، قاله مقاتل.

﴿عالِمُ الغَيْبِ والشهَادةِ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: السر والعلانية.

الثاني: الدنيا والآخرة.

(*) يعني بالإنفاق.

(٣٠) كما في قوله ﴿من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها﴾ سورة الأنعام.

(٣١) ويكون ذلك بنقصانها أو إعطائها لمن لا يستحق وهو يعلم أو بالرياء أو بالمن أو بالأذى مما يعرض المزكي لفساد في دينه وثينته.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا (١)

قوله تعالى ﴿**يا أيها النبي إذا طَلَّقْتُمُ النّساءَ**﴾ الآية. هذا وإن كان خطاباً للنبي ﷺ [فهو شامل لأمته فروى قتادة عن أنس قال[٣٢]: «طلق رسول الله ﷺ حفصة رضي الله عنها فأتت أهلها فأنزل الله تعالى عليه: ﴿**يا أيها النبي إذا طلقتم النساءَ فطلِّقوهُنَّ لعدَّتهنَّ**﴾ وقيل له راجعها فإنها قوّامة صوّامة، وهي من أزواجك في الجنة».] ﴿**لعدتهن**﴾ يعني في طهر من غير جماع، وهو طلاق السنة.

وفي اعتبار العدد في طلاق السنة قولان:

أحدهما: أنه معتبر وأن من السنة أن يطلق في كل قرء واحدة، فإن طلقها ثلاثاً معاً في قرء كان طلاق بدعة، وهذا قول أبي حنيفة ومالك رحمهما الله.

---

(٣٢) رواه ابن أبي حاتم وساقه ابن كثير في التفسير (٤/٣٧٧) ورواه ابن جرير (٢٨/١٣٢) عن ابن بشار عن ابن عبد الأعلى عن سعيد عن قتادة فذكره مرسلاً قال الحافظ ابن كثير «وقد ورد من غير وجه أن الرسول ﷺ طلق حفصة ثم راجعها».

الثاني: أنه غير معتبر، وأن السنة في زمان الطلاق لا في عدده، فإن طلقها ثلاثاً في قرء كان غير بدعة، قاله الشافعي رحمه الله، وقد روي أن النبي[٣٣] ﷺ كان يقرأ: فطلّقوهن لقُبُلِ عدّتهن. وإن طلقها حائضاً أو في طهر جماع كان بدعة، وهو واقع، وزعم طائفة أنه غير[٣٤] واقع لخلاف المأذون فيه فأما طلاق الحامل وغير المدخول بها والصغيرة واليائسة(*) والمختلعة فلا سنة فيه ولا بدعة.

ثم قال تعالى: ﴿وأَحْصُوا العِدَّةَ﴾ يعني في المدخول بها، لأن غير المدخول بها لا عدة عليها وله أن يراجعها فيما دون الثلاث قبل انقضاء العدة، ويكون بعدها كأحد الخطاب، ولا تحل له في الثلاث إلا بعد زوج.

﴿واتَّقوا اللَّهَ ربَّكم﴾ يعني في نساءكم المطلقات.

﴿لا تُخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن﴾ يعني في زمان عدّتهن، لوجود السكنى لهن.

﴿إلَّا أَنْ يأتِينَ بفاحشَةٍ مُبَيِّنَةٍ﴾ فيه أربعة تأويلات:

أحدها: أن الفاحشة يعني الزنى، والإخراج هو إخراجها لإقامة الحد، قاله ابن عمر والحسن ومجاهد.

والثاني: أنه البذاء(*) على أحمائها، وهذا قول عبدالله بن عباس والشافعي.

الثالث: كل معصية للّه، وهذا مروي عن ابن عباس أيضاً.

الرابع: أن الفاحشة خروجهن، ويكون تقدير الآية: إلا أن يأتين بفاحشة مبينة بخروجهن من بيوتهن، قاله السدي.

﴿وتلك حُدودُ اللَّهِ﴾ يعني وهذه حدود اللّه، وفيها ثلاثة أوجه:

أحدها: يعني طاعة اللّه، قاله ابن عباس.

الثاني: سنّة اللّه وأمره، قاله ابن جبير.

---

(٣٣) رواه مالك (٢/٥٨٧) عن ابن عمر مرفوعاً. ورواه ابن الأنباري عن ابن عمر موقوفاً الدر (٨/١٩٠).

(٣٤) هذا الموضوع أشبعه العلماء بحثاً ودراية في كتب الفقه مكثرين من الاستدلالات الواضحة من السنة النبوية الشريفة وما ورد في البحث من الآثار النفيسة في أثر عن السلف الصالح.

(*) وهي التي بلغت سن اليأس لكبر سنها ولم تعد تحيض.

(*) هو أن يطول لسانها على أقارب زوجها كحماتها.

الثالث: شروط الله، قاله السدّي.

﴿ومَنْ يَتَعَدَّ حُدودَ اللَّهِ﴾ فيه تأويلان:

أحدهما: من لم يرض بها، قاله ابن عباس.

الثاني: من خالفها، قاله ابن جبير.

﴿فقدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: فقد ظلم نفسه في عدم الرضا، باكتساب المأثم.

الثاني: في وقوع الطلاق في غير الطهر للشهور لتطويل هذه العدة والإضرار بالزوجة.

﴿لا تدري لعلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْد ذلك أمْراً﴾ يعني رجعة، في قول جميع المفسرين إن طلق دون الثلاث.

﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا۟ ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا۟ ٱلشَّهَـٰدَةَ لِلَّهِ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ بَـٰلِغُ أَمْرِهِۦ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾﴾

﴿فإذا بَلَغْنَ أجَلَهُنَّ﴾ يعني قاربْن انقضاء عدتهن.

﴿فأمْسِكُوهُنَّ بمعروفٍ﴾ يعني بالإمساك الرجعة.

وفي قوله ﴿بمعروف﴾ وجهان:

أحدهما: بطاعة اللَّه في الشهادة، قاله مقاتل.

الثاني: أن لا يقصد الإضرار بها في المراجعة تطويلاً لعدتها. ﴿أو فارِقوهنَّ بمعروفٍ﴾ وهذا بأن لا يراجعها في العدة حتى تنقضي في منزلها.

﴿وأشْهِدوا ذَوَيْ عَدْلٍ منكم﴾ يعني على الرجعة في العدة، فإن راجع من غير شهادة ففي صحة الرجعة قولان للفقهاء[٣٥].

---

(٣٥) والإشهاد مشروع وقد روى أبو داود (٤١٨٦) وابن ماجه (٢٠٢٥) عن عمران بن حصين رضي الله عنه

﴿ومن يتّقِ اللّهَ يَجْعَل له مَخْرَجاً﴾ فيه سبعة أقاويل:

أحدها: أي ينجيه من كل كرب في الدنيا والآخرة، قاله ابن عباس.

الثاني: أن المخرج علمه بأنه من قبل اللّه، فإن اللّه هو الذي يعطي ويمنع، قاله مسروق.

الثالث: أن المخرج هو أن يقنعه اللّه بما رزقه، قاله عليّ بن صالح.

الرابع: مخرجاً من الباطل إلى الحق، ومن الضيق إلى السعة، قاله ابن جريج.

الخامس: ومن يتق اللّه بالطلاق يكن له مخرج في الرجعة في العدة، وأن يكون كأحد الخطاب بعد العدة، قاله الضحاك.

والسادس: ومن يتق اللّه بالصبر عند المصيبة يجعل له مخرجاً من النار إلى الجنة، قاله الكلبي.

السابع: أن عوف بن مالك الأشجعي أُسِر[٣٦] ابنُه عوف، فأتى رسول اللّه ﷺ فشكا إليه ذلك مع ضر أصابه، فأمره أن يكثر من قول لا حول ولا قوة إلا باللّه، فأفلت ابنه من الأسر وركب ناقة للقوم ومر في طريقه بسرح لهم فاستاقه، ثم قدم عوف فوقف على أبيه يناديه وقد ملأ الأقبال[*] إبلاً، فلما رآه أتى رسول اللّه ﷺ فأخبره وسأله عن الإبل فقال: اصنع بها ما أحببت وما كنت صانعاً بمالك، فنزلت هذه الآية ﴿وَمَن يتق اللّه يجعل له مخرجاً﴾ الآية، فروى الحسن عن عمران بن حصين قال: قال رسول اللّه ﷺ: «من انقطع إلى اللّه كفاه اللّه كل مؤونة ورزقه اللّه من حيث لا يحتسب، ومن انقطع إلى الدنيا وكله اللّه إليها».

﴿إنَّ اللّهَ بالِغُ أمْرِهِ﴾ قال مسروق: إن اللّه قاض أمره فيمن توكل عليه وفيمن

سئل عن رجل يطلق امرأته ثم يقع بها ولم يشهد على طلاقها ولا على رجعتها فقال: طلقت بغير سنة؛ وراجعت بغير سنة أشهد على طلاقها وعلى رجعتها ولا تعد وإسناده صحيح كما قال الحافظ ابن حجر في بلوغ المرام.

(٣٦) رواه الطبري (٢٨/١٣٨) عن السدي ورواه (٢٨/١٣٨) عن سالم بن أبي الجعد مرسلاً وذكره ابن هشام في السيرة وهو السياق الذي أورده المؤلف هنا وقد أورده ابن كثير (٤/٣٨٠).

(*) الأقبال جمع قبل وهو سفح الجبل.

لم يتوكل عليه، إلا أنَّ مَنْ توكّل يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجراً.

﴿قد جَعَل اللَّه لكل شيء قدْراً﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: ـ يعني وقتاً وأجلاً، قاله مسروق.

الثاني: منتهى وغاية، قاله قطرب والأخفش.

الثالث: مقداراً واحداً، فإن كان من أفعال العباد كان مقدراً بأوامر اللَّه، وإن كان من أفعال اللَّه ففيه وجهان:

أحدهما: بمشيئته.

الثاني: أنه مقدر بمصلحة عباده.

وَٱلَّٰٓـِٔي يَئِسۡنَ مِنَ ٱلۡمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمۡ إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشۡهُرٖ وَٱلَّٰٓـِٔي لَمۡ يَحِضۡنَۚ وَأُوْلَٰتُ ٱلۡأَحۡمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعۡنَ حَمۡلَهُنَّۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا ﴿٤﴾ ذَٰلِكَ أَمۡرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيۡكُمۡۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرۡ عَنۡهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعۡظِمۡ لَهُۥٓ أَجۡرًا ﴿٥﴾

﴿واللائي يَئِسْنَ مِن المحيْض مِن نِسائِكُمْ إن ارْتَبْتُم فعِدَّتُهُنَّ ثلاثةُ أشْهُرٍ﴾ في الريبة ها هنا قولان:

أحدهما: إن ارتبتم فيهن بالدم الذي يظهر منهن لكبرهن فلم تعرفوا أحيض هو أم استحاضة، فعدتهن ثلاثة أشهر، قاله مجاهد والزهري.

الثاني: إن ارتبتم بحكم عِددهن فلم تعلموا بماذا يعتددن، فعدتهن ثلاثة أشهر.

روى عمر بن سالم[٣٧] عن أبيّ بن كعب قال: قلت: يا رسول اللَّه إنّ ناساً من أهل المدينة لما نزلت الآيات التي في البقرة في عدة النساء قالوا: لقد بقي من عدة النساء عدد لم يذكرن في القرآن الصغار والكبار اللاتي قد انقطع عنهن الحيض وذوات

(٣٧) رواه الطبري (٢٨/١٤١) والحاكم (٢/٤٩٢) وصححه ووافقه الذهبي وزاد السيوطي في الدر (٨/٢٠١) نسبته لاسحاق راهويه وابن المنذر وابن ابي حاتم وابن مردويه والبيهقي في سننه.

الحمل، فأنزل اللَّه: ﴿**اللائي يئسن من المحيض من نسائكم إن ارتبتم فعدتهن ثلاثة أشهر**﴾.

﴿**واللائي لم يَحِضْنَ**﴾ يعني كذلك عدتهن ثلاثة أشهر، فجعل لكل قرء شهراً، لأنها تجمع في الأغلب حيضاً وطهراً.

﴿**وأُولاتُ الأحْمالِ أَجلُهنَّ أن يَضَعْنَ حَملَهُنَّ**﴾ فكانت عدة الحامل وضع حملها في الطلاق والوفاة.

﴿**ومَن يتّقِ اللَّهَ يَجْعَل له مِنْ أمْرِهِ يُسْراً**﴾ فيه وجهان:

أحدهما: من يتقه في طلاق السنة يجعل له من أمره يسراً في الرجعة، قاله الضحاك.

الثاني: من يتق اللَّه في اجتناب معاصيه يجعل له من أمره يسراً في توفيقه للطاعة، وهذا معنى قول مقاتل.

أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا۟ عَلَيْهِنَّ ۚ وَإِن كُنَّ أُو۟لَٰتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا۟ عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۖ وَأْتَمِرُوا۟ بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ ۖ وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ أُخْرَىٰ ﴿٦﴾ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ ۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا ۚ سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴿٧﴾

﴿**أسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِن وُجْدِكم**﴾ يعني سكن الزوجة مستحق على زوجها مدة نكاحها وفي عدة طلاقها بائناً كان أو رجعياً.

وفي قوله: ﴿**من وجدكم**﴾ أربعة أوجه:

أحدها: من قوتكم، قاله الأعمش.

الثاني: من سعيكم، قاله الأخفش.

الثالث: من طاقتكم، قاله قطرب.

الرابع: مما تجدون، قاله الفراء، ومعانيها متقاربة. ﴿**ولا تُضارُّوهُنّ لِتُضَيِّقُوا عليهنّ**﴾ فيه قولان:

أحدهما: في المساكن، قاله مجاهد.

الثاني: لتضيقوا عليهن في النفقة، قاله مقاتل. فعلى قول مجاهد أنه التضييق في المسكن فهو عام في حال الزوجية وفي كل عدة، لأن السكنى للمعتدة واجبة في كل عدة في طلاق يملك فيه الرجعة أو لا يملك.

وفي وجوبه في عدة الوفاة قولان[٣٨]؛

وعلى قول مقاتل أنه التضييق في النفقة فهو خاص في الزوجة وفي المعتدة من طلاق رجعي.

وفي استحقاقها للمطلقة البائن قولان:

أحدهما: لا نفقة للبائن في العدة، وهو مذهب مالك والشافعي رحمهما اللّٰه.

الثاني: لها النفقة، وهو مذهب أبي حنيفة رحمه اللّٰه.

﴿وإن كُنَّ أُولاتِ حَمْلٍ فأنفِقوا عليهنّ حتى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ وهذا في نفقة المطلقة الحامل لأنها واجبة لها مدة حملها في قول الجميع سواء كان طلاقاً بائناً أم رجعياً، وإنما اختلفوا في وجوب النفقة لها هل استحقته بنفسها إن كانت بائناً أو بحملها على قولين.

﴿فإن أَرْضَعْنَ لكم فآتوهُن أُجورَهُنّ﴾ وهذا في المطلقة إذا أرضعت فلها على المطلق أجرة رضيعها لأن نفقته ورضاعه واجب على أبيه دونها، ولا أجرة لها إن كانت على نكاحه.

﴿وائْتَمِروا بَيْنكم بمعْروف﴾ فيه وجهان:

أحدهما: قاله السدي[٣٩].

الثاني: تراضوا يعني أبوي الولد يتراضيان بينهما إذا وقعت الفرقة بينهما بمعروف في أجرتها على الأب ورضاعها للولد.

﴿وإن تعاسرتم﴾ فيه وجهان:

أحدهما: تضايقتم وتشاكستم، قاله ابن قتيبة.

---

(٣٨) اي قول بالوجوب وقول بعدمه.

(٣٩) كذا هنا وفي المطبوعة وقد أكملنا النقص من تفسير الطبري (١٤٨/٢٨) ولفظه «اصنعوا بالمعروف فيما بينكم» وفي المخطوطة كلام مضطرب في سطرين.

الثاني : اختلفتم .

﴿فسترضعُ له أخرى﴾ واختلافهما نوعان :

أحدهما : في الرضاع .

الثاني : في الأجر .

فإن اختلفا في الرضاع فإن دعت إلى إرضاعه فامتنع الأب مكِّنت منه جبراً ، وإن دعاها الأب إلى إرضاعه فامتنعت ، فإن كان يقبل ثدي غيرها لم تجبر على إرضاعه ويسترضع له غيرها ، وإن كان لا يقبل ثدي غيرها أجبرت على إرضاعه بأجر مثلها .

وإن اختلفا في الأجر فإن دعت إلى أجر مثلها وامتنع الأب إلا تبرعاً فالأم أَوْلى بأجر المثل إذا لم يجد الأب متبرعاً .

وإن دعا الأب إلى أجر المثل وامتنعت الأم شططاً فالأب أولى به ، فإذا أعسر الأب بأجرتها أخذت جبراً برضاع ولدها .

﴿ . . لا يُكلِّفُ اللَّه نفساً إلا ما آتاها﴾ فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : لا يكلف اللَّه الأب نفقة المرضع إلابحسب المكنة ، قاله ابن جبير .

الثاني : لا يكلفه اللَّه أن يتصدق ويزكي وليس عنده مال مصدق ولا مزكى ، قاله ابن زيد .

الثالث : أنه لا يكلفه فريضة إلا بحسب ما أعطاه اللَّه من قدرته ، وهذا معنى قول مقاتل .

﴿سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْراً﴾ يحتمل وجهين :

أحدهما : يعني بعد ضيق سعة .

الثاني : بعد عجز قدرة .

وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبْنَٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨﴾ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ﴿٩﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿١٠﴾ رَّسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى

﴿ٱلنُّورِۚ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۖ قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا ﴿١١﴾﴾

﴿قد أنزَلَ آللَّهُ إليكم ذِكْراً * رَسولاً﴾ الذكر القرآن، وفي الرسول قولان:

أحدهما: جبريل، فيكونان جميعاً منزلين، قاله الكلبي.

الثاني: أنه محمد ﷺ، فيكون تقدير الكلام: قد أنزل اللَّه إليكم ذكراً وبعث إليكم رسولاً.

﴿يتلوا عليكم آيات اللَّه﴾ يعني القرآن، قال الفراء: نزلت في مؤمني أهل الكتاب.

﴿مُبيِّناتٍ ليُخْرِجَ الذين آمَنوا وعَمِلوا الصالِحَاتِ مِن الظُّلُماتِ إلى النُّورِ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: من ظلمة الجهل إلى نور العلم.

الثاني: من ظلمة المنسوخ إلى ضياء الناسخ.

الثالث: من ظلمة الباطل إلى ضياء الحق.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾

﴿اللَّهُ الذي خَلَقَ سَبْعَ سَمواتٍ﴾ لا اختلاف بينهم في السموات السبع أنها سماء فوق سماء.

ثم قال **﴿ومِنَ الأَرْضِ مِثْلَهنّ﴾** يعني سبعاً(٤٠)، واختلف فيهن على قولين:

أحدهما: وهو قول الجمهور أنها سبع أرضين طباقاً بعضها فوق بعض، وجعل في كل أرض من خلقه من شاء، غير أنهم تقلّهم أرض وتظلهم أخرى، وليس تظل السماء إلا أهل الأرض العليا التي عليها عالمنا هذا، فعلى هذا تختص دعوة الإسلام

(٤٠) روى الطبري (١٥٣/٢٨) وعثمان بن سعيد الدارمي في الرد على الجهمية ص ٢٦ عن ابن مسعود موقوفاً وسنده حسن ولفظه «خلق الله سبع سموات غلظ كل واحدة مسيرة خمسمائة عام وبين كل واحدة منهن خمسمائة عام وفوق السموات الماء والله جل ثناؤه فوق الماء ولا يخفى عليه شيء من أعمال بني آدم والأرض سبع وبين كل أرضين خمسمائة عام وغلظ كل أرض خمسمائة عام.

بأهل الأرض العليا ولا تلزم من في غيرها من الأرضين وإن كان فيها من يعقل من خلق مميز.

وفي مشاهدتهم السماء واستمداد الضوء منها قولان:

أحدهما: أنهم يشاهدون السماء من كل جانب من أرضهم ويستمدون الضياء منها وهذا قول من جعل الأرض مبسوطة.

والقول الثاني: أنهم لا يشاهدون السماء وإن اللّه خلق لهم ضياء يستمدونه، وهذا قول من جعل الأرض كالكرة.

القول الثاني: حكاه الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس أنها سبع أرضين منبسطة ليس بعضها فوق بعض، تفرق بينهن البحار وتظل جميعهن السماء، فعلى هذا إن لم يكن لأحد من أهل هذه الأرض وصول للأخرى اختصت دعوة الإسلام بأهل هذه الأرض، وإن كان لقوم منهم وصول إلى أرض أخرى احتمل أن تلزمهم دعوة الإسلام عند إمكان الوصول إليهم لأن فصل البحار إذا أمكن سلوكها لا يمنع من لزوم ما عم حكمه، واحتمل ألا تلزمهم دعوة الإسلام لأنها لو لزمت لكان النص بها وارداً ولكان الرسول بها مأموراً، واللّه أعلم بصحة ما استأثر بعلمه وصواب ما اشتبه على خلقه.

ثم قال تعالى ﴿يَتَنَزَّلُ الأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: الوحي، قاله مقاتل، فعلى هذا يكون قوله ﴿بينهن﴾ إشارة إلى ما بين هذه الأرض العليا التي هي أدناها وبين السماء السابعة التي هي أعلاها.

الوجه الثاني: أن المراد بالأمر قضاء اللّه وقدره، وهو قول الأكثرين، فعلى هذا يكون المراد بقوله «بينهن» الإشارة إلى ما بين الأرض السفلى التي هي أقصاها وبين السماء السابعة التي هي أعلاها.

ثم قال ﴿لِيَعْلَموا أنَّ اللَّهَ على كل شيءٍ قديرٌ﴾ لأن من قدر على هذا الملك العظيم فهو على ما بينهما من خلقه أقدر، ومن العفو والانتقام أمكنْ، وإن استوى كل ذلك في مقدوره ومكنته.

﴿وأَنَّ اللّه قد أحاط بكل شيءٍ عِلْماً﴾ أوجب التسليم بما تفرد به من العلم كما أوجب التسليم بما تفرد به من القدرة، ونحن نستغفر اللّه من خوض فيما اشتبه وفيما التبس وهو حسب من استعانه ولجأ إليه.



مدنية في قول الجميع

بسم الله الرحمن الرحيم

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١) قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (٢) وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ (٣) إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ (٤) عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا (٥)

قوله تعالى: ﴿يا أيها النبيُّ لم تُحرِّمُ ما أحلَّ اللّهُ لَكَ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أنه أراد بذلك المرأة التي وهبت نفسها للنبي ﷺ فلم يقبلها، قاله ابن عباس(٤١).

والثاني: أنه عسل شربه النبي ﷺ عند بعض نسائه، واختلف فيها فروى عروة

(٤١) رواه ابن أبي حاتم وابن مردويه وضعفه السيوطي في الدر (٨/٢١٨).

عن[٤٢] عائشة أنه شربه عند حفصة وروى ابن أبي مليكة عن ابن عباس[٤٣] أنه شربه عند سودة. وروى أسباط عن السدي أنه شربه عند أم سلمة، فقال يعني نساؤه عدا من شرب ذلك عندها: إنا لنجد منك ريح المغافير(*)، وكان يكره أن يوجد منه الريح، وقلن له: جَرَسَتْ(*) نحله العُرفُط، فحرّم ذلك على نفسه، وهذا قول من ذكرنا.

الثالث: أنها مارية أم إبراهيم خلا بها رسول اللّه ﷺ في بيت حفصة بنت عمر وقد خرجت لزيارة أبيها، فلما عادت وعلمت عتبت على النبي ﷺ فحرمها على نفسه إرضاء لحفصة، وأمرها أن لا تخبر أحداً من نسائه، فأخبرت به عائشة المصافاة كانت بينهما وكانتا تتظاهران على نساء النبي ﷺ أي تتعاونان، فحرّم مارية وطلق حفصة واعتزل سائر نسائه تسعة وعشرين يوماً، وكان جعل على نفسه أن يُحرّمهن شهراً، فأنزل اللّه هذه الآية، فراجع حفصة واستحل مارية وعاد إلى سائر نسائه، قاله الحسن وقتادة والشعبي ومسروق والكلبي وهو ناقل السيرة.

واختلف من قال بهذا، هل حرّمها على نفسه بيمين آلى بها أم لا، على قولين:

أحدهما: أنه حلف يميناً حرّمها بها، فعوتب في التحريم وأُمر بالكفارة في اليمين، قاله الحسن وقتادة والشعبي.

الثاني: أنه حرّمها على نفسه من غير يمين، فكان التحريم موجباً لكفارة اليمين، قاله ابن عباس.

﴿قد فَرَضَ اللّهُ لكم تَحِلَّةَ أيْمانِكم﴾ فيه وجهان:

أحدهما: قد بيّن اللّه لكم المخرج من أيمانكم.

---

(٤٢) رواه البخاري (١١/٢٩٥ ـ ٢٩٧) ومسلم (٢/١١٠١).

(٤٣) رواه ابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه وابن المنذر بسند صححه السيوطي في الدر (٨/٢١٣) وقال الحافظ في الفتح (١١/٢٩٢) وأخرج ابن مردويه من طريق ابن أبي مليكة عن ابن عباس أن شرب العسل كان عند سودة......

والراجح أن صاحبة العسل زينب لا سودة لأنه طريق عبيد بن عمير أثبت من طرق ابن أبي مليكة بكثير ا هـ.

(*) المغافير: شي شبيه بالصمغ فيه حلاوة قاله ابو عبيد ونقله ابن الجوزي في زاد المسير (٨/٣٠٥).

(*) جرست نحله العرفط: اي رعت نحل هذا العسل الذي شربته يقال جرست النحل تجرس جرساً إذا أكلت لتعسل ويقال للنحل جراس، والعرفط هو شجر ينضج الصمغ المعروف بالمغافير.

الثاني: قد قدر الله لكم الكفارة في الحنث في أيمانكم.

﴿وإذْ أسَرَّ النبيُّ إلى بَعْضِ أزْواجِهِ حَديثاً﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنه أَسَرَّ إلى حفصة تحريم ما حرمه على نفسه، فلما ذكرته لعائشة وأطلع الله نبيه على ذلك عرّفها بعض ما ذكرت، وأعرض عن بعضه، قاله السدي.

الثاني: أسرّ إليها تحريم مارية، وقال لها: اكتميه عن عائشة وكان يومها منه، وأُسِرّك أن أبا بكر الخليفة من بعدي، وعمر الخليفة من بعده، فذكرتها لعائشة، فلما أطلع الله نبيه ﴿عرّف بعضه وأعرض عن بعض﴾ فكان الذي عرف ما ذكره من التحريم، وكان الذي أعرض عنه ما ذكره من الخلافة لئلا ينتشر، قاله الضحاك[٤٤].

وقرأ الحسن: «عَرَف بعضه» بالتخفيف[٤٥]، وقال الفراء: وتأويل قوله: عرف بعضه بالتخفيف أي غضب منه وجازى عليه، ﴿إن تَتوبا إلى اللهِ فَقدْ صَغَتْ قلوبُكما﴾ يعني بالتوبة اللتينِ تظاهرتا وتعاونتا من نساء النبي ﷺ على سائرهن وهما عائشة وحفصة.

وفي «صغت» ثلاثة أقاويل:

أحدها: يعني زاغت، قاله الضحاك.

الثاني: مالت، قاله قتادة، قال الشاعر:

تُصْغِي القلوبُ إلى أَغَرَّ مُبارَكٍ ... مِن نَسْلِ عباس بن عبد المطلب

والثالث: أثمت، حكاه ابن كامل.

وفيما أوخذتا بالتوبة منه وجهان:

أحدهما: من الإذاعة والمظاهرة.

الثاني: من سرورهما بما ذكره النبي ﷺ من التحريم، قاله ابن زيد.

﴿وإن تَظَاهَرا عليه﴾ يعني تعاونا على معصية رسول الله ﷺ.

﴿فإن الله هو مولاه﴾ يعني وليه ﴿وجبريل﴾ يعني وليه أيضاً.

---

(٤٤) رواه الضحاك عن ابن عباس وأخرجه ابن مردويه كما في الفتح (١١/ ٢٠٠) وقال الحافظ ابن حجر في سنده ضعف قلت وهو مخالف للأحاديث الصحيحة إذ ليس فيها التصريح بإمارة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما وإلا لما حصل نزاع بين الصحابة في ذلك ولكن الأحاديث تشير بمجموعها على أن أحق الناس بالخلافة بعد رسول الله أبو بكر رضي الله عنه راجع فتح القدير للشوكاني (٥/٢٥٣).

(٤٥) وهي قراءة الكسائي وحده زاد المسير (٨/٣٠٩) السبعة لابن مجاهد ٦٤.

﴿وصالحُ المؤمنين﴾ فيهم خمسة أقاويل:

أحدها: أنهم الأنبياء، قاله قتادة وسفيان.

الثاني: أبو بكر وعمر، قال الضحاك وعكرمة: لأنهما كانا أبوي عائشة وحفصة وقد كانا عوناً له عليهما.

الثالث: أنه عليّ[٤٦].

الرابع: أنهم أصحاب النبي ﷺ، قاله السدي.

الخامس: أنهم الملائكة، قاله ابن زيد.

ويحتمل سادساً: أن صالح المؤمنين من وقى دينه بدنياه.

﴿والملائكةُ بعْدَ ذلك ظهيرٌ﴾ يعني أعواناً للنبي ﷺ، ويحتمل تحقيق تأويله وجهاً ثانياً: أنهم المستظهر بهم عند الحاجة إليهم.

﴿عَسى ربُّه إن طَلّقكُنّ أن يُبدِلَه أزْواجاً خيراً مِنكُنَّ﴾ أما نساؤه فخير نساء الأمّة.

وفي قوله ﴿خَيْراً مِّنكُنَّ﴾ ثلاثة أوجه:

أحدها: يعني أطوع منكن.

والثاني: أحب إليه منكن.

والثالث: خيراً منكن في الدنيا، قاله السدي.

﴿مُسْلِماتٍ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: يعني مخلصات، قاله ابن جبير ونرى ألا يستبيح الرسول إلا مسلمة.

الثاني: يقمن الصلاة ويؤتين الزكاة كثيراً، قاله السدي.

الثالث: معناه مسلمات لأمر اللّه وأمر رسوله، حكاه ابن كامل.

﴿مؤمناتٍ﴾ يعني مصدقات بما أُمِرْن به ونُهين عنه.

﴿قانتاتٍ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: مطيعات.

الثاني: راجعات عما يكرهه اللّه إلى ما يحبه.

---

(٤٦) قال العلامة الألوسي (٢٨/١٥٤) وأنا أقول العموم أولى وهما [أبو بكر وعمر] وكذا علي كرم الله وجهه يدخلان دخولاً أدبياً.

﴿تائباتٍ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: من الذنوب، قاله السدي.

الثاني: راجعات لأمر الرسول تاركات لمحاب أنفسهن.

﴿عابداتٍ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: عابدات للَّه، قاله السدي.

الثاني: متذللات للرسول بالطاعة، ومنه أخذ اسم العبد لتذلله، قاله ابن بحر.

﴿سائحاتٍ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: صائمات، قاله ابن عباس والحسن وابن جبير.

قال ابن قتيبة: سمي الصائم سائحاً لأنه كالسائح في السفر بغير زاد.

وقال الزهري: قيل للصائم سائح لأن الذي كان يسيح في الأرض متعبداً لا زاد معه كان ممسكاً عن الأكل، والصائم يمسك عن الأكل، فلهذه المشابهة سمي الصائم سائحاً، وإن أصل السياحة الاستمرار على الذهاب في الأرض كالماء الذي يسيح، والصائم مستمر على فعل الطاعة وترك المشتهى، وهو الأكل والشرب والوقاع.

وعندي فيه وجه آخر وهو أن الإنسان إذا امتنع عن الأكل والشرب والوقاع وسد على نفسه أبواب الشهوات انفتحت عليه أبواب الحكم وتجلت له أنوار المتنقلين من مقام إلى مقام ومن درجة إلى درجة فتحصل له سياحة في عالم الروحانيات.

الثاني: مهاجرات لأنهن بسفر الهجرة سائحات، قاله زيد بن أسلم.

﴿ثيّباتٍ وأبْكاراً﴾ أما الثيب فإنما سميت بذلك لأنها راجعة إلى زوجها إن أقام معها، أو إلى غيره إن فارقها، وقيل لأنها ثابَتْ إلى بيت أبويها، وهذا أصح لأنه ليس كل ثيّب تعود إلى زوج.

وأما البكر فهي العذراء سميت بكراً لأنها على أول حالتها التي خلقت بها.

قال الكلبي: أراد بالثيب مثل آسية امرأة فرعون، والبكر مثل مريم بنت عمران.

روى خداش(٤٧) عن حميد عن أنس قال عمر بن الخطاب: وافقت ربي في

(٤٧) جاء مكان هذه العبارة كلمتان مطموستان في الأصل والعبارة منقولة من جامع الاصول.

ثلاث، قلت: يا رسول اللَّه لو اتخذت مقام إبراهيم مصلى، وقلت: يا رسول اللَّه إنك يدخل إليك البرُّ والفاجر فلو حجبت أمهات المؤمنين، فأنزل اللَّه آية الحجاب، وبلغني عن أمهات المؤمنين شيء [فدخلت عليهن فقلت]: لتَكُفُّنَّ عن رسول اللَّه أو ليبدلنه اللَّه أزواجاً خيراً منكن حتى دخلت على إحدى أمهات المؤمنين فقالت: يا عمر أما في رسول(٤٨) اللَّه ما يعظ نساءه حتى تعظهـن أنت، فأمسكت فأنزل اللَّه تعالى: ﴿عسى ربُّه إن طلّقكنّ﴾ الآية.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ﴿٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَعۡتَذِرُواْ ٱلۡيَوۡمَۖ إِنَّمَا تُجۡزَوۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيُدۡخِلَكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ يَوۡمَ لَا يُخۡزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥۖ نُورُهُمۡ يَسۡعَىٰ بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتۡمِمۡ لَنَا نُورَنَا وَٱغۡفِرۡ لَنَآۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٨﴾﴾

﴿يا أيها الذين آمنوا قُوا أنفُسَكم وأهْليكم ناراً﴾ قال خيثمة: كل شيء في القرآن يا أيها الذين آمنوا ففي التوراة يا أيها المساكين.

وقال ابن مسعود: إذا قال اللَّه يا أيها الذين آمنوا فارعها سمعك فإنه خير تؤمر به أو شر تنهى عنه.

وقال الزهري: إذا قال اللَّه تعالى: يا أيها الذين آمنوا افعلوا، فالنبي منهم.

ومعنى قوله: ﴿قوا أنفسكم وأهليكم ناراً﴾ أي اصرفوا عنها النار، ومنه قول الراجز:

ولو توقى لوقاه الواقي ... وكيف يوقى ما الموت لاقي

(٤٨) روى نحوه البخاري (٨/٤٢٣) ومسلم (٢٣٩٩).

وفيه ثلاثة أوجه:

أحدها: معناه قوا أنفسكم، وأهلوكم فليقوا أنفسهم ناراً، قاله الضحاك.

الثاني: قوا أنفسكم ومروا أهليكم بالذكر والدعاء حتى يقيكم اللّه بهم، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس.

الثالث: قوا أنفسكم بأفعالكم، وقوا أهليكم بوصيتكم، قاله علي وقتادة ومجاهد.

وفي الوصية التي تقيهم النار ثلاثة أقاويل:

أحدها: يأمرهم بطاعة اللّه وينهاهم عن معصيته، قاله قتادة.

الثاني: يعلمهم فروضهم ويؤدبهم في دنياهم، قاله علي.

الثالث: يعلمهم الخير ويأمرهم به، ويبين لهم الشر، وينهاهم عنه.

قال مقاتل: حق ذلك عليه في نفسه وولده وعبيده وإمائه.

﴿وَقودها النَّاسُ والحجارةُ﴾ في ذكر الحجارة مع الناس ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنها الحجارة التي عبدوها، حتى يشاهدوا ما أوجب مصيرهم إلى النار، وقد بين اللّه ذلك في قوله **﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾**.

الثاني: أنها حجارة من كبريت وهي تزيد في وقودها النار وكان ذكرها زيادة في الوعيد والعذاب، قاله ابن مسعود ومجاهد.

الثالث: أنه ذكر الحجارة ليعلموا أن ما أحرق الحجارة فهو أبلغ في إحراق الناس.

روى ابن أبي زائدة قال: بلغني أن رسول اللّه ﷺ تلا هذه الآية **﴿يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم﴾** الآية، وعنده بعض أصحابه، ومنهم شيخ، فقال الشيخ: يا رسول اللّه حجارة جهنم كحجارة الدنيا؟ فقال: والذي نفسي بيده لصخرة من جهنم أعظم من جبال الدنيا كلها، فوقع الشيخ مغشياً عليه، فوضع النبي ﷺ يده على فؤاده فإذا هو حي، فقال: يا شيخ قل لا إله إلا اللّه، فقال بها، فبشره بالجنة، فقال أصحابه: يا رسول اللّه أمِن بيننا؟ قال: نعم لقول اللّه تعالى: **﴿ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد﴾**.

﴿عليها ملائكة غِلاظٌ شدادٌ﴾ يعني غلاظ القلوب، شداد الأفعال وهم الزبانية.

﴿لا يعْصُون اللّه ما أمرهم﴾ أي لا يخالفونه في أمره من زيادة أو نقصان.

﴿ويَفْعلون ما يُؤْمَرونَ﴾ يعني في وقته فلا يؤخرونه ولا يقدمونه.

﴿يا أيها الذين آمنوا تُوبوا إلى اللّه تَوْبةً نَصوحاً﴾ فيه خمسة تأويلات:

أحدها: أن التوبة النصوح هي الصادقة الناصحة، قاله قتادة.

الثاني: أن النصوح أن يبغض الذنب الذي أحبه ويستغفر منه إذا ذكره، قاله الحسن.

الثالث: أن لا يثق بقبولها ويكون على وجل منها.

الرابع: أن النصوح هي التي لا يحتاج معها إلى توبة.

الخامس: أن يتوب من الذنب ولا يعود إليه أبداً، قاله عمر بن الخطاب(٩٦).

وهي على هذه التأويلات مأخوذة من النصاحة(*) وهي الخياطة.

وفي أخذها منها وجهان:

أحدهما: لأنها توبة قد أحكمت طاعته وأوثقتها كما يحكم الخياط الثوب بخياطته وتوثيقه.

الثاني: لأنها قد جمعت بينه وبين أولياء اللّه وألصقته بهم كما يجمع الخياط الثوب ويلصق بعضه ببعض.

ومنهم من قرأ نُصوحاً بضم(٥٠) النون، وتأويلها على هذه القراءة توبةَ نُصْح لأنفسكم، ويروي نعيم(٥١) عن أبي هريرة قال: قال رسول اللّه ﷺ: «إن اللّه تعالى أشد فرحاً بتوبة عبده من أحدكم بضالَّته يجدها بأرض فلاة عليها زاده وسقاؤه».

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَـٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ﴾

(٤٩) رواه أحمد بن منيع وصححه الحافظ ابن حجر في المطالب (٣/ ٣٩٠).

(*) ومنها النصيحة لأن الناصح يلم شعث أخيه المنصوح بنصيحته لأن النصيحة من الدين والدين النصيحة كما قال سيد المرسلين. رواه مسلم وغيره.

(٥٠) وهي قراءة ابو بكر عن عاصم وخارجة عن نافع زاد المسير (٨/ ٣١٣) والسبعة لابن مجاهد ص ٦٤١.

(٥١) رواه البخاري (١١/ ٨٨ و ٨٩ و ٩٠) ومسلم (٢٧٤٤) والترمذي (٢٤٩٩) جامع الأصول ٥٨١٢.

وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٩﴾ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾

﴿يا أيها النبيُّ جاهِدِ الكُفّارَ والمنافِقين واغْلُظْ عليهم﴾ أما جهاد الكفار فبالسيف، وأما جهاد المنافقين ففيه أربعة أوجه:

أحدها: أنه باللسان والقول، قاله ابن عباس والضحاك.

الثاني: بالغلظة عليهم كما ذكر اللّه، قاله الربيع بن أنس.

الثالث: بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه، وليقابلهم بوجه مكفهر، قاله ابن مسعود.

الرابع: بإقامة الحدود عليهم، قاله الحسن.

﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً للذين كَفَروا امرأةَ نُوحٍ وامرأةَ لُوطٍ كانتا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبادنا صالحيْنِ فخانتاهما﴾

في خيانتهما أربعة أوجه:

أحدها: أنهما كانتا كافرتين، فصارتا خائنتين بالكفر، قاله السدي.

الثاني: منافقتين تظهران الإيمان وتستران الكفر، وهذه خيانتهما قال ابن عباس: ما بغت امرأة نبي قط(٥٢)، إنما كانت خيانتهما في الدين.

الثالث: أن خيانتهما النميمة، إذا أوحى اللّه تعالى(*) إليهما [شيئاً] أفشتاه إلى المشركين، قاله الضحاك.

الرابع: أن خيانة امرأة نوح أنها كانت تخبر الناس أنه مجنون، وإذا آمن أحد به

---

(٥٢) رواه ابن جرير (٢٨/ ١٧٠) وزاد السيوطي في الدر (٨/ ٢٢٨) نسبته لعبد الرزاق والفريابي وسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن ابي الدنيا وابن المنذر وابن ابي حاتم من طرق عن ابن عباس قلت وزاد الحافظ في تخريج الكشاف ص ١٧٦ نسبته لابن مردويه، وقال الشوكاني (٥/ ٢٥٥) على قول ابن عباس وقع الإجماع.

(*) اي إلى نوح ولوط عليها السلام.

أخبرت الجبابرة به، وخيانة امرأة لوط أنه كان إذا نزل به ضيف دخّنت لِتُعْلِم قومها أنه قد نزل به ضيف، لما كانوا عليه من إتيان الرجال

قال مقاتل: وكان اسم امرأة نوح والهة، واسم امرأة لوط والعة (٥٣).

وقال الضحاك عن عائشة أن جبريل نزل (٥٤) على النبي ﷺ فأخبره أن اسم امرأة نوح واعلة، واسم امرأة لوط والهة.

﴿فلم يُغْنِيا عنهما مِنَ اللَّهِ شيئاً﴾ أي لم يدفع نوح ولوط مع كرامتهما على اللَّه عن زوجتيهما لما عصتا شيئاً من عذاب اللَّه، تنبيهاً بذلك على أن العذاب يُدفع بالطاعة دون الوسيلة.

قال يحيى بن سلام: وهذا مثل ضربة اللَّه ليحذر به حفصة وعائشة حين تظاهرتا على رسول الله ﷺ، ثم ضرب لهما مثلاً بامرأة فرعون ومريم ابنة عمران ترغيباً في التمسك بالطاعة فقال:

وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١١﴾ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴿١٢﴾

﴿وضَرَب اللَّهُ مَثَلاً للذينَ آمنوا امرأةَ فِرْعونَ﴾ قيل اسمها آسية بنت مزاحم.

﴿إذْ قالت رَبِّ ابْنِ لي عندك بيتاً في الجنة﴾ قال أبو العالية: اطّلع فرعون على إيمان امرأته فخرج على الملأ فقال لهم: ما تعلمون من آسية بنت مزاحم؟ فأثنوا عليها، فقال لهم: فإنها تعبد ربّاً غيري، فقالوا له: اقتلْها، فأوتد لها أوتاداً فشد يديها ورجليها (٥٥)، فدعت آسية ربها فقالت: «رب ابن لي عندك بيتاً في الجنة» الآية،

---

(٥٣) وفي زاد المسير (٨/٣١٥) والفه.

(٥٤) لم نعثر على تخريجه.

(٥٥) قال السيوطي رحمه الله في الدر (٨/٢٢٩) وأخرج ابو يعلى والبيهقي بسند صحيح عن أبي هريرة أن فرعون وتد لامرأته أربعة أوتاد في يديها ورجليها فكانوا إذا تفرقوا عنها أطلقتها الملائكة عليهم السلام

فكشف لها الغطاء فنظرت إلى بيتها في الجنة، فوافق ذلك حضور فرعون، فضحكت حين رأت بيتها في الجنة، فقال فرعون: ألا تعجبون من جنونها، فعذبها وهي تضحك وقُبض روحها.

وقولها: ﴿وَنَجِّني مِن فِرْعَوْنَ وَعَمِلِه﴾ فيه قولان:

أحدهما: الشرك.

الثاني: الجماع، قاله ابن عباس.

﴿ونجِّني من القوم الظالمين[٥٦]﴾ فيهم قولان:

أحدهما: أنهم أهل مصر، قاله الكلبي.

الثاني: القبط، قاله مقاتل.

﴿ومريمَ ابنةَ عِمرانَ التي أحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾ قال المفسرون:

إنه أراد بالفرج الجيب لأنه قال ﴿فنفخنا فيه مِن رُوحنا﴾ وجبريل إنما نفخ في جيبها، ويحتمل أن تكون أحصنت فرجها ونفخ الروح في جيبها.

﴿وصَدَّقَتْ بكلماتِ رَبِّها وكُتُبِهِ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أن «كلمات ربها» الإنجيل، و«كتبه» التوراة والزبور.

الثاني: أن «كلمات ربها» قول جبريل حين نزل عليها ﴿إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاماً زكياً﴾، ﴿وكتبه﴾ الإنجيل الذي أنزله من السماء، قاله الكلبي.

الثالث: أن «كلمات ربها» عيسى، و«كتبه» الإنجيل، قاله مقاتل.

﴿وكانت من القانتين﴾ أي من المطيعين في التصديق.

الثاني: من المطيعين في العبادة.

فقالب: «ربِّ ابن لي عندك بيتاً في الجنة فكشف لها عن بيتها في الجنة».

قلت وصححه الحافظ في المطالب (٣/ ٣٩٠) وبنحوه رواه ابن جرير (٢٨/ ٥٧١) سليمان.

(٥٦) قال العلامة الألوسي (٢٨/ ١٦٤) «وفي الآية دليل على أن الاستعاذة بالله تعالى والالتجاء إليه عز وجل ومسألة الخلاص منه تعالى عند المحن والنوازل من سير الصالحين وسنن الانبياء وهو في القرآن كثير. ا هـ.



مكية عند الكل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴿٢﴾ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ۖ مَا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ مِنْ تَفَاوُتٍ ۖ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِنْ فُطُورٍ ﴿٣﴾ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٤﴾ وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ ﴿٥﴾

قوله عز وجل: ﴿تَبارَكَ الذي بيدِهِ المُلْكُ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أن التبارُك تفاعُل من البركة، قاله ابن عباس. وهو أبلغ من المبارك لاختصاص اللَّه بالتبارك واشتراك المخلوقين في المبارك.

الثاني: أي تبارك في الخلق بما جعل فيهم من البركة، قاله ابن عطاء.

الثالث: معناه علا وارتفع، قاله يحيى بن سلام.

وفي قوله «الذي بيده الملك» وجهان:

أحدهما: ملك السموات والأرض في الدنيا والآخرة.

الثاني: ملك النبوة التي أعزّ بها من اتبعه وأذل بها من خالفه، قاله محمد بن إسحاق.

﴿وهو عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَديرٌ﴾ من إنعام وانتقام.

﴿الذي خَلَقَ الموتَ والحياةَ﴾ يعني الموت في الدنيا، والحياة في الآخرة.

قال قتادة[٥٧]: كان رسول اللَّه ﷺ يقول: [إن اللَّه أذل] بني آدم بالموت، وجعل الدنيا دار حياة ثم دار موت، وجعل الآخرة دار جزاء ثم دار بقاء.»

الثاني: أنه خلق الموت والحياة جسمين، فخلق الموت في صورة كبش أملح[٥٨]، وخلق الحياة في صورة فرس [أنثى بلقاء]، وهذا مأثور حكاه الكلبي ومقاتل.

﴿لِيَبْلُوكم أَيُّكم أَحْسَنُ عَمَلاً﴾ فيه خمسة تأويلات:

أحدها: أيكم أتم عقلاً، قاله قتادة.

الثاني: أيكم أزهد في الدنيا، قاله سفيان.

الثالث: أيكم أورع عن محارم اللَّه وأسرع إلى طاعة اللَّه، وهذا قول مأثور[٥٩].

الرابع: أيكم للموت أكثر ذِكْراً وله أحسن استعداداً ومنه أشد خوفاً وحذراً، قاله السدي.

الخامس: أيكم أعرف بعيوب نفسه.

ويحتمل سادساً: أيكم أرضى بقضائه وأصبر على بلائه.

﴿الذي خَلَقَ سَبْعَ سمواتٍ طِباقاً﴾ فيه وجهان:

(٥٧) وهو من مرسل قتادة رواه عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم كما في الدر (٨/٢٣٤) وقد رواه الطبري (١/٢٩) واقتصر على الجملة الأولى منه.

(٥٨) وهذا من الاسرائيليات ولم يثبت مرفوعاً. واما ذبح الموت يوم القيامة بين الجنة والنار على صورة كبش املح مقدور وذلك في الصحيحين وقد تقدمه تخريج الحديث في ذلك وقال العلامة الالوسي (٢٩/٤) «وأما ما روي عن ابن عباس من انه تعالى خلق الموت في صورة كبش أملح لا يمر بشيء إلا مات وخلق الحياة في صورة فرس بلقاء لا تمر بشيء ولا يجد رائحتها شيء إلا حيي فهو أشبه شيء بكلام الصوفية ولا يعقل ظاهره اهـ. وقول المؤلف هنا هو مأثور أي ورد عن ابن عباس وقال القرطبي (١٨/٢٠٧) «وما ذكر عن ابن عباس يحتاج الى خبر صحيح يقطع العذر اهـ.

(*) زيادة من تفسير القرطبي (١٨/٢٠٦).

(٥٩) وقد ورد مرفوعاً قال الحافظ في تخريج الكشاف ص ٨٦ رواه داود بن المحبر في كتاب العقل والحارث في مسنده والطبري وابن مردوية من طريقه عن عبد الواحد بن زيد عن كليب بن وائل عن ابن عمر وداود ساقط وأخرجه ابن مردويه ايضاً من طريق محمد بن أنس عن سليمان بن عيسى عن الثوري عن كليب كذلك وإسناده أسقط من الأول. اهـ.

ولفظه «ان النبي ﷺ تلا قوله تعالى «ليبلوكم أيكم أحسن عملاً قال أيكم أحسن عملاً وأورع عن محارم الله وأسرع في طاعة الله».

أحدهما: أي متفق متشابه، مأخوذ من قولهم هذا مطابق لهذا أي شبيه له، قاله ابن بحر.

الثاني: يعني بعضهن فوق بعض، قال الحسن: وسبع أرضين بعضهن فوق بعض، بين كل سماء وأرض خلق وأمر.

﴿ما تَرَى في خَلْق الرحمنِ من تفاوُتٍ﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: من اختلاف، قاله قتادة، ومنه قول الشاعر:

متفاوتات من الأعنة قطّباً حتى وفي عشية أثقالها.

الثاني: من عيب، قاله السدي.

الثالث: من تفرق، قاله ابن عباس.

الرابع: لا يفوت بعضه بعضاً، قاله عطاء بن أبي مسلم.

قال الشاعر(٦٠):

فلستُ بمُدْركٍ ما فاتَ مِنِّي بِلَهْفَ وَلاَ بِلَيْتَ ولا لَو آنِّي

﴿فارْجِع البَصَرَ﴾ قال قتادة: معناه فانظر إلى السماء.

﴿هل تَرَى من فُطور﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: من شقوق، قاله مجاهد والضحاك.

الثاني: من خلل، قاله قتادة.

الثالث: من خروق قاله السدي.

الرابع: من وهن، قاله ابن عباس.

﴿ثم ارْجع البَصَرَ كَرّتَيْنِ﴾ أي انظر إلى السماء مرة بعد أخرى.

ويحتمل أمره بالنظر مرتين وجهين:

أحدهما: لأنه في الثانية أقوى نظراً وأحدّ بصراً.

الثاني: لأنه يرى في الثانية من سير كواكبها واختلاف بروجها ما لا يراه من الأولى فيتحقق أنه لا فطور فيها.

وتأول قوم بوجه ثالث: أنه عنى بالمرتين قلباً وبصراً.

---

(٦٠) اللسان لهف، الخصائص لابن جني (٣/١٣٥) المقرب لابن عصفور (١/١٨١)(٢/٢٠٠) وشرح الأشموني (٢/٢٨٢) وفي هذه المصادر كلها ولست براجع.

﴿ينْقَلِبْ إليك البَصَرُ خَاسئاً وهو حَسيرٌ﴾ أي يرجع إليك البصر لأنه لا يرى فطوراً فيرتد.

وفي **«خاسئاً»** أربعة أوجه:

أحدها: ذليلاً، قاله ابن عباس.

الثاني: منقطعاً، قاله السدي.

الثالث: كليلاً، قاله يحيى بن سلام.

الرابع: مبعداً، قاله الأخفش مأخوذ من خسأت الكلب إذا أبعدته.

وفي **«حسير»** ثلاثة أوجه:

أحدها: أنه النادم، ومنه قول الشاعر(٦١):

ما أنا اليوم على شيء خلا يا ابنة القَيْنِ تَولّى بحَسيرْ.

الثاني: أنه الكليل الذي قد ضعف عن إدراك مرآه، قاله ابن عباس، ومنه قول الشاعر(٦٢):

مَنْ مدّ طرْفاً إلى ما فوق غايته ارتدَّ خَسْآنَ مِنه الطّرْفُ قد حَسِرا.

والثالث: أنه المنقطع من الإعياء، قاله السدي، ومنه قول الشاعر(٦٣):

والخيلُ شُعثٌ ما تزال جيادها حَسْرى تغادرُ بالطريق سخالها.

﴿وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٦﴾ إِذَآ أُلْقُوا۟ فِيهَا سَمِعُوا۟ لَهَا شَهِيقًا وَهِىَ تَفُورُ ﴿٧﴾ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۖ كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُوا۟ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ ﴿٩﴾ وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٠﴾ فَٱعْتَرَفُوا۟ بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١١﴾﴾

﴿إذا أُلقوا فيها﴾ يعني الكفار ألقوا في جهنم.

(٦١) هو المراد والبيت في اللسان حسر والقرطبي (١٨/ ٢١٠).

(٦٢) القرطبي (١٨/ ٢١٠).

(٦٣) القرطبي (١٨/ ٢١٠)

﴿سمعوا لها شهيقاً﴾ فيه قولان:

أحدهما: أن الشهيق من الكفار عند إلقائهم في النار.

الثاني: أن الشهيق لجهنم عند إلقاء الكفار فيها، قال ابن عباس: تشهق إليهم شهقة البغلة للشعير ثم تزفر زفرة لا يبقى أحد إلا خاف.

وفي الشهيق ثلاثة أوجه:

أحدها: أن الشهيق في الصدور، قاله الربيع بن أنس.

الثاني: أنه الصياح، قاله ابن جريج.

الثالث: أن الشهيق هو آخر نهيق الحمار، والزفير مثل أول نهيق الحمار، وقيل إن الزفير من الحلق، والشهيق من الصدر.

﴿وهي تفورُ﴾ أي تغلي، ومنه قول الشاعر(٦٤):

تركتم قِدْرَكم لا شيءَ فيها وقِدْرُ القوم حامية تفورُ

﴿تكادُ تَميّزُ مِنَ الغيْظِ...﴾ فيه وجهان:

أحدهما: تنقطع، قاله سعيد بن جبير.

الثاني: تتفرق، قاله ابن عباس والضحاك.

وقوله «من الغيظ» فيه ها هنا وجهان:

أحدهما: أنه الغليان، قال الشاعر:

فيا قلب مهلاً وهو غضبان قد غلا من الغيظ وسط القوم ألا يتّبكا.

الثاني: أنه الغضب، يعني غضباً على أهل المعاصي وانتقاماً للّه منهم.

﴿ألَمْ يأتِكم نَذيرٌ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن النذر من الجن، والرسل من الإنس، قاله مجاهد.

الثاني: أنهم الرسل والأنبياء، واحدهم نذير، قاله السدي.

﴿فسُحْقاً لأصحاب السّعيرِ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: فبعداً لأصحاب السعير يعني جهنم، قاله ابن عباس.

الثاني: أنه وادٍ من جهنم يسمى سحقاً، قاله ابن جبير وأبو صالح، وفي هذا الدعاء إثبات لاستحقاق الوعيد.

---

(٦٤) هو حسان بن ثابت والبيت في ديوانه: ١١٧ وفتح القدير (٥/٢٦٠)

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾ وَأَسِرُّوا۟ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُوا۟ بِهِۦٓ ۖ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾﴾

﴿إنَّ الذين يَخْشَوْنَ ربّهم بالغَيْبِ﴾ فيه ستة أوجه:

أحدها: أن الغيب اللَّه تعالى وملائكته، قاله أبو العالية.

الثاني: الجنة والنار، قاله السدي.

الثالث: أنه القرآن، قاله زر بن حبيش.

الرابع: أنه الإسلام لأنه يغيب، قاله إسماعيل بن أبي خالد.

الخامس: أنه القلب، قاله ابن بحر.

السادس: أنه الخلوة إذا خلا بنفسه فذكر ذنبه استغفر ربه، قاله يحيى بن سلام.

﴿لهم مغْفرةٌ﴾فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: بالتوبة والاستغفار.

الثاني: بخشية ربهم بالغيب.

الثالث: لأنهم حلّوا باجتناب الذنوب محل المغفور له.

﴿وأجرٌ كبيرٌ﴾ يعني الجنة.

ويحتمل وجهاً آخر: أنه العفو عن العقاب ومضاعفة الثواب.

﴿هو الذي جَعَلَ لكم الأرْضَ ذَلولاً﴾ يعني مذللة سهلة.

حكى قتادة عن أبي الجلد[٦٥]: أن الأرض أربعة وعشرون ألف فرسخ، فللسودان اثنا عشر [ألفاً]، وللروم [ثمانية آلاف]، وللفرس ثلاثة آلاف وللعرب ألف.

﴿فامْشُوا في مَناكِبِها﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: في جبالها، قاله ابن عباس وقتادة وبشير بن كعب.

الثاني: في أطرافها وفجاجها، قاله مجاهد والسدي.

---

(٦٥) وهذا القول أشبه بالاسرائيليات.

الثالث: في طرفها.

ويحتمل رابعاً: في منابت زرعها وأشجارها، قاله الحسن.

﴿وكُلوا مِن رِزْقِهِ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: مما أحله لكم، قاله الحسن.

الثاني: مما أنبته لكم، قاله ابن كامل.

﴿وإليه النشور﴾ أي البعث.

﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ١٦ أَمۡ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ حَاصِبٗاۖ فَسَتَعۡلَمُونَ كَيۡفَ نَذِيرِ ١٧ وَلَقَدۡ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ فَكَيۡفَ كَانَ نَكِيرِ ١٨ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَى ٱلطَّيۡرِ فَوۡقَهُمۡ صَٰٓفَّٰتٖ وَيَقۡبِضۡنَۚ مَا يُمۡسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحۡمَٰنُۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءِۭ بَصِيرٌ ١٩﴾

﴿أأمِنتُم مَنْ في السماءِ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أنهم الملائكة، قاله ابن بحر.

الثاني: يعني أنه اللّه تعالى[٦٦]، قاله ابن عباس.

﴿أنْ يَخْسِفَ بكم الأرضَ فإذا هي تمورُ﴾فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: تتحرك، قاله يحيى.

الثاني: تدور، قاله قطرب وابن شجرة.

الثالث: تسيل ويجري بعضها في بعض، قاله مجاهد، ومنه قول الشاعر[٦٧]:

رَمَيْن فأقصدْن القلوب ولن ترى ... دماً مائراً إلا جرى في الخيازم.

---

(٦٦) وهو القول الراجح والصواب وهو قول جمهور السلف ففي الآية إثبات علو الله وأنه ليس في كل مكان بذاته كما قالت الجهمية بل علمه في كل مكان أحاط بكل شيء علماً وأحصى كل شيء عدداً ولا يفهم إنسان من قوله «من في السماء» أن السماء تحويه وتحيط به تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، فقد ثبت عن الإمام جعفر الصادق رحمه الله تعالى أنه قال من زعم أن الله في شيء أو على شيء أو من شيء فقد أشرك إذ لو كان في شيء لكان محصوراً أو كان على شيء لكان محمولاً أو كان من شيء لكان محدثاً.

(٦٧) هو أبو حنة النميري والبيت في القرطبي (١٨/٢١٦).

أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنِ ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ ﴿٢٠﴾ أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥ بَل لَّجُّوا۟ فِى عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ﴿٢١﴾ أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾ قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ هُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلْ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٦﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقِيلَ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ ﴿٢٧﴾

﴿أفمن يَمْشي مُكِبّاً على وَجْهِه أهْدَى﴾ هذا مثل ضربه الله تعالى للهدى والضلالة، ومعناه ليس من يمشي مُكباً على وجهه ولا ينظر أمامه ولا يمينه ولا شماله، كمن يمشي سوياً معتدلاً ناظراً ما بين يديه وعن يمينه وعن شماله. وفيه وجهان:

أحدهما: أنه مثل ضربه الله للمؤمن والكافر، فالمكب على وجهه الكافر يهوي بكفره، والذي يمشي سوياً المؤمن يهتدي بإيمانه، ومعناه: أمَّن يمشي في الضلالة أهدى أم من يمشي مهتدياً، قاله ابن عباس.

الثاني: أن المكب على وجهه أبو جهل بن هشام، ومن يمشي سوياً عمار بن ياسر، قاله عكرمة.

﴿على صراطٍ مستقيم﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أنه الطريق الواضح الذي لا يضل سالكه، فيكون نعتاً للمثل المضروب.

الثاني: هو الحق المستقيم، قاله مجاهد، فيكون جزاء العاقبة الاستقامة وخاتمة الهداية.

﴿قلْ هو الذي ذرأكُمْ في الأرضِ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: خلقكم في الأرض، قاله ابن عباس.

الثاني: نشركم فيها وفرّقكم على ظهرها، قاله ابن شجرة.

ويحتمل ثالثاً: أنشأكم فيها إلى تكامل خلقكم وانقضاء أجلكم.

﴿وإليهِ تُحْشَرون﴾ أي تُبْعثون بعد الموت.

﴿فلما رأَوْه زُلْفَةً سِيئَتْ وُجوهُ الذين كَفَروا﴾ فيه وجهان:

أحدهما: ظهرت المساءة على وجوههم كراهة لما شاهدوا، وهو معنى قول مقاتل.

الثاني: ظهر السوء في وجوههم ليدل على كفرهم، كقوله تعالى: ﴿يوم تبيضُّ وجوه وتسْوَدُّ وجوه﴾ [آل عمران: ١٠٦].

﴿وقيل هذا الذي كُنْتُمْ به تَدَّعُونَ﴾ وهذا قول خزنة جهنم لهم، وفي قوله﴿كنتم به تدّعون﴾ أربعة أوجه:

أحدها: تمترون فيه وتختلفون، قاله مقاتل.

الثاني: تشكّون في الدنيا وتزعمون أنه لا يكون، قاله الكلبي.

الثالث: تستعجلون من العذاب(٦٨)، قاله زيد بن أسلم.

الرابع: أنه دعاؤهم بذلك على أنفسهم، وهو افتعال من الدعاء، قاله ابن قتيبة.

قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ ﴿٣٠﴾

﴿قُلْ أرأيْتم إنْ أصْبحَ ماؤكم غوْراً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: ذاهباً، قاله قتادة.

الثاني: لا تناله الدِّلاء، قاله ابن جبير، وكان ماؤهم من بئر زمزم وبئر ميمون.

﴿فمَنْ يأتيكم بماءٍ مَعِينٍ﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: أن معناه العذب، قاله ابن عباس.

الثاني: أنه الطاهر، قاله الحسن وابن جبير ومجاهد.

الثالث: أنه الذي تمده العيون فلا ينقطع.

---

(٦٨) وهو قوله فيما حكاه الله عنهم في سورة ص.. ﴿وقالوا ربنا عجل لنا قطّنا قبل يوم الحساب﴾.

الرابع: أنه الجاري، قاله قتادة، ومنه قول جرير:

إنّ الـذيـن غـدوا بُـلبِّـك غـادَروا وشَـلاً بـعـيْـنِـك لا يـزال مَـعِـيـنـاً

روى عاصم عن رُزين عن ابن مسعود[٦٩] قال: سورة الملك هي المانعة من عذاب القبر، وهي في التوراة تسمى المانعة، وفي الإنجيل تسمى الواقية، ومن قرأها من كل ليلة فقد أكثر وأطاب.

(٦٩) رواه ابن مردويه كما في الدر (٨/ ٢٣١) ولكن فيه سورة تبارك هي المانعة من عذاب القبر.

ورواه الطبراني وابن مردويه بسند جيد كما في الدر (٨/ ٢٣٢) عنه رضي الله عنه قال كنا نسميها في عهد رسول الله ﷺ المانعة وأنها لفي كتاب الله سورة الملك من قرأها في ليلة فقد اكثر وأطيب وقال الهيثمي في المجمع (٧/ ١٢٧): رواه الطبراني في الكبير والأوسط ورجاله ثقات. وقد صحت أحاديث غير هذه راجعها في الدر (٨/ ٢٣٠، ٢٣٣).



مكية في قول الحسن وعكرمة وعطاء وجابر، وقال ابن عباس: من أولها إلى قوله سبحانه «سَنَسِمُهُ على الخرطوم» مكي، ومن بعد ذلك إلى قوله تعالى: «لو كانوا يعلمون» مدني، ومن بعد ذلك إلى قوله «يكتبون» مكي، ومن بعد ذلك إلى قوله: «من الصالحين» مدني، وباقي السورة مكي.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

نٓ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾ مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴿٢﴾ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴿٣﴾ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ﴿٥﴾ بِأَييِّكُمُ الْمَفْتُونُ ﴿٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٧﴾

قوله تعالى: ﴿ن﴾ فيه ثمانية أقوال:

أحدها: أن النون الحوت الذي عليه الأرض، قاله ابن عباس من رواية أبي الضحى عنه، وقد رفعه(٧٠).

---

(٧٠) وقد رواه الطبراني وابن مردويه كما في الدر (٨/٢٤١) ورواه ابن جرير موقوفاً من طريق أبي الضحى عن ابن عباس (٢٩/١٥).

وأما صنيع السيوطي في الدر فيوهم ان الحديث رواه ابن جرير مرفوعاً وليس كذلك. وقد ساق سند المرفوع ابن كثير (٤/٤٠٠) من رواية الطبراني وقال الهيثمي في المجمع (١٢٧/٧) لم يرفعه عن حماد بن زيد الا مؤمل بن إسماعيل قلت [القائل الهيثمي] ومؤمل نفسه كثير الخطأ وقد وثقه ابن معين وغيره وضعفه البخاري وغيره وبقية رجاله ثقات.

الثاني : أن النون الدواة، رواه أبو هريرة عن النبي[٧١] ﷺ .

الثالث: أنه حرف من حروف الرحمن، قاله ابن عباس في رواية الضحاك عنه.

الرابع : هو لوح من نور، رواه معاوية بن قرة[٧٢] عن أبيه عن النبي ﷺ .

الخامس: أنه اسم من أسماء السورة، وهو مأثور.

السادس: أنه قسم أقسم اللّه به، وللّه تعالى أن يقسم بما يشاء، قاله قتادة.

السابع : أنه حرف من حروف المعجم.

الثامن : أن نون بالفارسية ايذون كن، قاله الضحاك.

ويحتمل تاسعاً: إن لم يثبت به نقل أن يكون معناه: تكوين الأفعال والقلم وما يسطرون، فنزل الأقوال جميعاً في قسمه بين أفعاله وأقواله، وهذا أعم قسمة.

ويحتمل عاشراً[٧٣]: أن يريد بالنون النفْس لأن الخطاب متوجه إليها بغير عينها بأول حروفها، والمراد بالقلم ما قدره اللّه لها وعليها من سعادة وشقاء، لأنه مكتوب في اللوح المحفوظ.

أما ﴿والقلم﴾ ففيه وجهان:

أحدهما: أنه القلم الذي يكتبون[٧٤] به لأنه نعمة عليهم ومنفعة لهم، فأقسم بما أنعم، قاله ابن بحر.

الثاني : أنه القلم الذي يكتب به الذكر على اللوح المحفوظ، قال ابن جريج : هو من نور، طوله كما بين السماء والأرض.

وفي قوله ﴿وما يَسْطُرون﴾ ثلاثة أقاويل:

أحدها: وما يعلمون، قاله ابن عباس.

الثاني : وما يكتبون، يعني من الذكر، قاله مجاهد والسدي.

---

(٧١) رواه الحكم الترمذي مطولاً كما في الدر (٨/٢٤١) واورده ابن كثير (٤/٤٠١) من رواية ابن أبي حاتم وهي مختصرة وقال حديث مرفوع غريب جداً.

(٧٢) رواه ابن جرير (٢٩/١٥، ١٦) وقال ابن كثير (٤/٤٠١) مرسل غريب من أجل فرات ا هـ.

قلت وفرات قال فيه ابن معين ليس بشيء وقال ابن عدي الضعف بين على رواياته راجع ترجمته في الميزان للذهبي (٣/٣٤٣).

(٧٣) والأولى رد علم ذلك إلى الله تعالى.

(٧٤) واستظهره ابن كثير (٤/٤٠١).

الثالث: أنهم الملائكة الكاتبون يكتبون أعمال الناس من خير وشر.

﴿ما أنت بنعمةِ ربّك بمجنونٍ﴾كان المشركون يقولون للنبي ﷺ أنه مجنون به شيطان، وهو قولهم: «يا أيها الذي نزل عليه الذكر إنك لمجنون» [الحجر: ٦] فأنزل اللَّه تعالى رداً عليهم وتكذيباً لقولهم: ﴿ما أنت بنعمة ربك بمجنون﴾ أي برحمة ربك، والنعمة ها هنا الرحمة.

ويحتمل ثانياً: أن النعمة ها هنا قسم، وتقديره: ما أنت ونعمة ربك بمجنون، لأن الواو والباء من حروف القسم.

وتأوله الكلبي على غير ظاهره، فقال: معناه ما أنت بنعمة ربك بمخفق.

﴿وإنّ لك لأجْراً غيرَ مَمْنُونٍ﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: غير محسوب، قاله مجاهد.

الثاني: أجراً بغير عمل(٧٥)، قاله الضحاك.

الثالث: غير ممنون عليك من الأذى، قاله الحسن.

الرابع: غير منقطع، ومنه قول الشاعر:

ألا تكون كإسماعيلَ إنّ له ... رأياً أصيلاً وأجْراً غيرَ ممنون

ويحتمل خامساً: غير مقدّر وهو الفضل، لأن الجزاء مقدر، والفضل غير مقدر.

﴿وإنك لعلى خُلُقٍ عظيمٍ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أدب القرآن، قاله عطية.

الثاني: دين الإسلام، قاله ابن عباس وأبو مالك.

الثالث: على طبع كريم، وهو الظاهر.

وحقيقة الخلُق في اللغة هو ما يأخذ به الإنسان نفسه من الآداب سمي خلقاً لأنه يصير كالخلقة فيه، فأما ما طبع عليه من الآداب فهو الخيم(*) فيكون الخلق الطبع المتكلف، والخيم هو الطبع الغريزي، وقد أوضح ذلك الأعشى(٧٦) في شعره فقال:

(٧٥) اي بغير عمل زائد على ما كلف به إذ لم يقل أحد أن الأنبياء يسقط عنهم التكليف وقد قال الله تعالى لنبيه ﷺ «واعبد ربك حتى يأتيك اليقين» يعني الموت.

(*) وهي الطباع.

(٧٦) ديوانه: ١٢٥ وفيه وصارت بدلاً من وعادت. القرطبي (١٨/ ٢٢٨).

وإذا ذو الفضـول ضنّ على المـو لى وعـادت لِـخيمـهـا الأخـلاقُ.

أي رجعت الأخلاق إلى طبائعها.

﴿فَسَتُبْصِرُ ويُبْصِرُونَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: فسترى ويرون يوم القيامة حين يتبين الحق والباطل.

الثاني: قاله ابن عباس معناه فستعلم ويعلمون يوم القيامة.

﴿بأيِّكم المْفتونُ﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: يعني المجنون، قاله الضحاك.

الثاني: الضال، قاله الحسن.

الثالث: الشيطان، قاله مجاهد.

الرابع: المعذب من قول العرب فتنت الذهب بالنار إذا أحميته، ومنه قوله تعالى: ﴿يوم هم على النار يُفْتنون﴾ [الذاريات: ١٣] أي يعذبون.

فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٨﴾ وَدُّواْ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴿٩﴾ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ عُتُلٍّۭ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾ أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴿١٤﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾ سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ ﴿١٦﴾

﴿وَدُّوا لو تُدْهِنُ فَيُدْهِنـونَ﴾ فيه ستة تأويلات:

أحدها: معناه ودوا لو تكفر فيكفرون، قاله السدي والضحاك.

الثاني: ودوا لو تضعُف فيضعُفون، قاله أبو جعفر.

الثالث: لو تلين فيلينون، قاله الفراء.

الرابع: لو تكذب فيكذبون، قاله الربيع بن أنس.

الخامس: لو ترخص لهم فيرخصون لك، قاله ابن عباس.

السادس: أن تذهب عن هذا الأمر فيذهبون معك، قاله قتادة.

وفي أصل المداهنة وجهان:

أحدهما: مجاملة العدو وممايلتـه، قال الشاعر[٧٧]:

لَبَعْضُ الغَشْـم أحـزْم في أمـورٍ   تَنـوبُـك مِن مـداهـنـةِ العـدُوِّ.

الثاني: أنها النفاق وترك المناصحة، قـاله المفضـل، فهي على هذا الـوجه مذمومة، وعلى الوجه الأول غير مذمومة.

﴿ولا تُطِعْ كلَّ حَلاَّفٍ مَهينٍ﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: أنه الكذاب، قاله ابن عباس.

الثاني: الضعيف القلب، قاله مجاهد.

الثالث: أنه المكثار من الشر، قاله قتادة.

الرابع: أنه الذليل بالباطل، قاله ابن شجرة.

ويحتمل خامساً: أنه الذي يهون عليه الحنث.

وفي من نزل ذلك فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنها نزلت في الأخنس بن شريق، قاله السدي.

الثاني: الأسود بن عبد يغوث، قاله مجاهد.

الثالث: الوليد بن المغيرة، عرض على النبي ﷺ مالاً وحلف أن يعطيه إن رجع عن دينه، قاله مقاتل.

﴿هَمَّازٍ مَشّاءٍ بنميمٍ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أنه الفتّان الطعان، قاله ابن عباس وقتادة.

الثاني: أنه الذي يلوي شدقيـه من وراء الناس، قاله الحسن.

الثالث: أنه الذي يهمزهم بيده ويضربهم دون لسانه، قاله ابن زيد، والأول أشبه لقول الشاعر[٧٨]:

تُـدْلـي بِـوُدٍّ إذا لاقيـتـنـي كـذبـاً   وإن أغيبُ فـأنت الهـامـز اللُّمَـزة.

﴿مشّاءٍ بنميم﴾ فيه وجهان:

أحدهما: الذي ينقل الأحاديث من بعض الناس إلى بعض، قاله قتادة.

---

(٧٧) القرطبي (١٨/ ٢٣١) وفيه احزم وقد تقدم البيت في سورة الواقعة ولم نـره هنا فتنبه.

(٧٨) هو زياد الأعجم والبيت في القرطبي (١٨/ ٢٣٢) واللسان لمز وفيه

إذا لـقيـتـك عـن سخط تـكـاشـرني   وإن تـغيبت كـنـت الـهـامـز اللـمـزة

الثاني : هو الذي يسعى بالكذب، ومنه قول الشاعر[٧٩] :

ومَولى كبيْتِ النمل لا خير عنده لمولاه إلا سعية بنميم.

وفي النميم والنميمة وجهان :

أحدهما : أنهما لغتان، قاله الفراء.

الثاني : أن النميم جمع نميمة.

﴿منّاعٍ للخيْرِ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : للحقوق من ظلم.

الثاني : الإسلام يمنع الناس منه.

﴿عُتُلٍّ بَعْد ذلك زنيمٍ﴾ يعني بعد كونه «منّاعٍ للخيرِ» معتدٍ أثيم، هو عتل زنيم، وفيه تسعة أوجه :

أحدها : أن العُتُلّ الفاحش، وهو مأثور عن النبي[٨٠] ﷺ :

الثاني : أنه القوي في كفره، قاله عكرمة.

الثالث : أنه الوفير الجسم، قاله الحسن وأبو رزين.

الرابع : أنه الجافي الشديد الخصومة بالباطل، قاله الكلبي.

الخامس : أنه الشديد الأسر، قاله مجاهد.

السادس : أنه الباغي، قاله ابن عباس.

السابع : أنه الذي يعتِل الناس، أي يجرهم إلى الحبس أو العذاب، مأخوذ من العتل وهو الجر، ومنه قوله تعالى :﴿خذوه فاعتِلوه﴾[الحاقة : ٣٠].

الثامن : هو الفاحش اللئيم، قاله معمر، قال الشاعر[٨١] :

بعتل من الرجال زنيم غير ذي نجدةٍ وغير كريم.

التاسع : ما رواه شهر بن حوشب عن عبد الرحمن بن غَنْم[٨٢]، ورواه ابن

---

(٧٩) فتح القدير (٥/٢٦٨) والقرطبي (١٨/٢٣٢).

(٨٠) رواه الطبري (٢٩/٢٤) عن القاسم مولى معاوية قال سئل رسول الله ﷺ عن العتل الزنيم قال الفاحش اللئيم وزاد في الدر (٨/٢٤٨) نسبته لابن ابي حاتم وقد ورد مثله عن موسى بن عقبة رواه الطبري (٢٩/٢٤) وابن ابي حاتم ايضاً وهو معضل.

(٨١) القرطبي (١٨/٢٣٣).

(٨٢) نسبه السيوطي في الدر (٨/٢٤٧) لعبد بن حميد وأحمد وابن ابي حاتم وابن مردويه وابن عساكر عن.

مسعود[٨٣] عن النبي ﷺ أنه قال: «لا يدخل الجنةَ جواظٌ ولا جعظري ولا العتلّ الزنيم» فقال رجل: ما الجواظ وما الجعظري وما العتل الزنيم؟ فقال رسول اللّه ﷺ الجواظ الذي جمع ومنع، والجعظري الغليظ، والعتل الزنيم الشديد الخلق الرحيب الجوف، المصحح الأكول الشروب الواجد للطعام، الظلوم للناس.

وأما الزنيم ففيه ثماني تأويلات:

أحدها: أنه اللين[٨٤]، رواه موسى بن عقبة عن النبي ﷺ.

الثاني: أنه الظلوم، قاله ابن عباس في رواية ابن طلحة عنه.

الثالث: أنه الفاحش، قاله إبراهيم.

الرابع: أنه الذي له زنمة كزنمة الشاة، قال الضحاك: لأن الوليد بن المغيرة كان له أسفل من أذنه زنمة مثل زنمة الشاة، وفيه نزلت هذه الآية، قال محمد بن إسحاق: نزلت في الأخنس بن شريق لأنه حليف ملَحق[٨٥] ولذلك سمي زنيماً.

الخامس: أنه ولد الزنى، قاله عكرمة.

السادس: أنه الدعيّ، قال الشاعر[٨٦]:

زنيمٌ تَداعاه الرجالُ زيادةً كما زِيدَ في عَرْضِ الأَديمِ الأكارعُ.

السابع: أنه الذي يعرف بالأُبنة، وهو مروي عن ابن عباس ايضاً.

الثامن: أنه علامة الكفر كما قال تعالى: ﴿سنسمه على الخرطوم﴾، قاله أبو رزين.

﴿أنْ كان ذا مالٍ وبنينَ﴾ قيل إنه الوليد بن المغيرة، كانت له حديقة بالطائف، وكان له اثنا عشر ابناً، حكاه الضحاك.

شهر بن حوشب. وشهر وثقه جماعة وضعفه آخرون. وعبد الرحمن بن غنم ليس له صحبة على الصحيح كما قال الهيثمي في المجمع (١٢٨/٧).

(٨٣) رواه أبو داود (٤٨٠١).

(٨٤) كذا هنا في الأصل وهو خطأ والصواب اللئيم والتصحيح من الدر (٢٤٨/٨) والطبري (٢٤/٢٩) وقد تقدم تخريج الحديث وأنه معضل وهو من قسم الضعيف.

(٨٥) يعني انه ابن زنا فليس هو من بني زهرة لكنه ملحق بهم.

(٨٦) هو حسان بن ثابت والبيت في القرطبي (٢٣٤/١٨) وروح المعاني (٢٧/٢٩) وفتح القدير (٢٦٩/٥).

وقال عليّ بن أبي طالب: المال والبنون حرث الدنيا، والعمل الصالح حرث الآخرة.

﴿إذا تتْلى عليه آياتُنا﴾ يعني القرآن.

﴿قال أساطيرُ الأوّلين﴾ يعني أحاديث الأولين وأباطيلهم.

﴿سَنَسِمُهُ على الخُرطومِ﴾ فيه أربعة أقاويل:

أحدها: أنها سمة سوداء تكون على أنفه يوم القيامة يتميز بها الكافر، كما قال تعالى: ﴿يُعْرَفُ المجرمون بسيماهم﴾[الرحمن: ٤١].

الثاني: أنه يضرب في النار على أنفه يوم القيامة، قاله الكلبي.

الثالث: أنه إشهار ذكره بالقبائح، فيصير موسوماً بالذكر لا بالأثر.

الرابع: هو ما يبتليه اللَّه به في الدنيا في نفسه وماله وولده من سوء وذل وصَغار، قاله ابن بحر واستشهد بقول الأعشى(٨٧).

فَدَعْها وما يَغْنيك واعمد لغيرها ... بشِعرك واغلب أنف من أنت واسم.

وقال المبرد: الخرطوم هو من الناس الأنف، ومن البهائم الشفة.

إِنَّا بَلَوْنَـٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَـٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ فَتَنَادَوْا۟ مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنِ ٱغْدُوا۟ عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰرِمِينَ ﴿٢٢﴾ فَٱنطَلَقُوا۟ وَهُمْ يَتَخَـٰفَتُونَ ﴿٢٣﴾ أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ﴿٢٤﴾ وَغَدَوْا۟ عَلَىٰ حَرْدٍ قَـٰدِرِينَ ﴿٢٥﴾ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوٓا۟ إِنَّا لَضَآلُّونَ ﴿٢٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُوا۟ سُبْحَـٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَـٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَـٰوَمُونَ ﴿٣٠﴾ قَالُوا۟ يَـٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَـٰغِينَ ﴿٣١﴾ عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾

﴿إنا بَلَوناهم كما بَلَوْنا أَصْحابَ الجَنَّةِ﴾ فيهم قولان:

(٨٧) القرطبي (١٨/ ٢٣٧).

أحدهما: إن الذين بلوناهم أهل مكة بلوناهم بالجوع كرتين، كما بلونا أصحاب الجنة حتى عادت رماداً.

الثاني: أنهم قريش ببدر.

حكى ابن جريج أن أبا جهل قال يوم بدر خذوهم أخذاً واربطوهم في الحبال، ولا تقتلوا منهم أحداً، فضرب اللّه بهم عند العدو مثلاً بأصحاب الجنة.

﴿إذ أَقْسموا لَيَصْرِمُنَّهـا مُصْبِحينَ﴾ قيل إن هذه الجنة حديقة كانت باليمن بقرية يقال لها ضَروان (٨٨)، بينها وبين صنعاء اليمن اثنا عشر ميلاً، وفيها قولان:

أحدهما: أنها كانت لقوم من الحبشة.

الثاني: قاله قتادة أنها كانت لشيخ من بني إسرائيل له بنون، فكان يمسك منها قدر كفايته وكفاية أهله، ويتصدق بالباقي، فجعل بنوه يلومونه ويقولون: لئن ولينا لنفعلن، وهو لا يطيعهم حتى مات فورثوها، فقالوا: نحن أحوج بكثرة عيالنا من الفقراء والمساكين «**فأقسموا ليصـرُمنّها مصبحين**» أي حلفوا أن يقطعوا ثمرها حين يصبحون.

﴿ولا يَسْتَثْنُونَ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: لا يستثنون من المساكين، قاله عكرمة.

الثاني: استثناؤهم قول سبحان ربنا، قاله أبو صالح.

الثالث: قول إن شاء اللّه.

﴿ فطاف عليها طائفٌ مِن ربِّك وهم نائمونَ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أمر من ربك، قاله ابن عباس.

الثامن: عذاب من ربك، قاله قتادة.

الثالث: أنه عنق من النار خرج من وادي جنتهم، قاله ابن جريج.

﴿وهم نائمون﴾ أي ليلاً وقت النوم، قال الفراء: الطائف لا يكون إلا ليلاً.

﴿فأصبحت كالصَريم﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: كالرماد الأسود، قاله ابن عباس.

(٨٨) وفي القرطبي (١٨/ ٢٣٩) انها ضوران على فراسخ من مدينة صنعاء ونسب القول للكلبي.

الثاني: كالليل المظلم، قاله الفراء، قال الشاعر[٨٩]:

تطاولَ ليلُكَ الجَوْنُ البهيمُ فما ينجاب عن صبحٍ، صَريمُ.

الثالث: كالمصروم الذي لم يبق فيه ثمر.

روى أسباط عن ابن مسعود[٩٠] أنه قال: قال رسول اللّه ﷺ: «إياكم والمعاصي، إن العبد ليذنب فيحرم به رزقاً قد كان هيىء له، ثم تلا: **﴿فطاف عليها طائف من ربك. . .﴾** الآيتين قد حرموا خير جنتهم بذنبهم.

﴿فتنادَوْا مُصْبِحِينَ﴾ أي دعا بعضهم بعضاً عند الصبح.

﴿أنِ اغْدُوا على حَرْثِكم﴾ قال مجاهد: كان الحرث عنباً.

﴿إن كنتم صارمين﴾ أي عازمين على صرم حرثكم في هذا اليوم.

﴿فانْطَلَقُوا وهم يتخافتونَ﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: يتكلمون، قاله عكرمة.

الثاني: يخفون كلامهم ويسرونه لئلا يعلم بهم أحد، قاله عطاء وقتادة.

الثالث: يخفون أنفسهم من الناس حتى لا يروهم.

الرابع: لا يتشاورون بينهم.

﴿أن لا يدخُلَنّها اليومَ عليكم مِسكين﴾ قاله يحيى بن سلام.

﴿وَغدَوْا على حَرْدٍ قادرين﴾ فيه تسعة أوجه:

أحدها: على غيظ، قاله عكرمة.

الثاني: على جَدٍّ، قاله مجاهد.

الثالث: على منع، قاله أبو عبيدة.

الرابع: على قصد، ومنه قول الشاعر[٩١]:

أقْبَلَ سيلٌ جاء من عندِ اللّه يحْرِدُ حَرْدَ الْجَنّة المُغِلّة

---

(٨٩) اللسان صرم، الطبري (٣١/٢٩)، فتح القدير (٢٧١/٥)، القرطبي (٢٤١/١٨) وفي اللسان فما ينجاب عن ليل بهيم.

(٩٠) رواه ابن ابي حاتم وابن مردويه كما في الدر (٢٥١/٨) وقد اقتصر المؤلف على جزء منه وسنده ضعيف ففيه ليث بن ابي سليم. وهو ضعيف.

(٩١) فتح القدير (٢٧٢/٥) وفيه «الجنة المحلة» وهو تصحيف والقرطبي (٢٤٢/١٨) روح المعاني (٣١/٢٩) مجاز القرآن (٢٦٦/٢) الكامل ٥٠ الطبري (٣٣/٢٩) شواهد الكشاف ٢٥٤.

أي يقصد قصد الجنة المغلة.

الخامس: على فقر، قاله الحسن.

السادس: على حرص، قاله سفيان.

السابع: على قدرة، قاله ابن عباس.

الثامن: على غضب، قاله السدي.

التاسع: أن القرية تسمى حرداً، قاله السدي.

وفي قوله: «**قادرين**» ثلاثة أوجه:

أحدها: يعني قادرين على المساكين، قاله الشعبي.

الثاني: قادرين على جنتهم عند أنفسهم، قاله قتادة.

الثالث: أن موافاتهم إلى جنتهم في الوقت الذي قدروه، قاله ابن بحر.

ويحتمل رابعاً: أن القادر المطاع بالمال والأعوان، فإذا ذهب ماله تفرق أعوانه فعُصيَ وعجز.

﴿**فلمّا رأوْها قالوا إنا لَضالُّون**﴾ أي أنهم لما رأوا أرض الجنة لا ثمرة فيها ولا شجر قالوا إنا ضالون الطريق وأخطأنا مكان جنتنا، ثم استرجعوا فقالوا:

﴿**بل نحن محرومون**﴾ أي حُرمنا خير جنتنا، قال قتادة: معناه جوزينا فحُرمنا.

﴿**قال أوْسَطُهم**﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: يعني أعدلهم، قاله ابن عباس.

الثاني: خيرهم، قاله قتادة.

الثالث: أعقلهم، قاله ابن بحر.

﴿**ألَمْ أقُل لكم لولا تُسَبِّحونَ**﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: لولا تستثنون عند قولهم «**ليصرمنها مصبحين**»، قاله ابن جريج.

الثاني: أن التسبيح هو الاستثناء، لأن المراد بالاستثناء ذكر الله، وهو موجود من التسبيح.

الثالث: أن تذكروا نعمة الله عليكم فتؤدوا حقه من أموالكم.

إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٣٤﴾ أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ لَكُمْ كِتَٰبٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿٣٧﴾ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَكُمْ أَيْمَٰنٌ

عَلَيْنَا بَٰلِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ ﴿٣٩﴾ سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ ﴿٤٠﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَآءُ فَلْيَأْتُوا۟ بِشُرَكَآئِهِمْ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴿٤١﴾

﴿أم لكم أيْمانٌ علينا بالغةٌ﴾ والبالغة المؤكدة بالله.

﴿إنّ لكم لما تحْكُمُون﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أم لكم أيمان علينا بالغة أننا لا نعذبكم في الدنيا إلى يوم القيامة(٩٢).

﴿سَلْهم أيُّهم بذلك زعيمٌ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن الزعيم الكفيل، قاله ابن عباس.

الثاني: أنه الرسول، قاله الحسن.

ويحتمل ثالثاً: أنه القيم بالأمر لتقدمه ورئاسته.

يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا۟ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ فَذَرْنِى وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأُمْلِى لَهُمْ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ ﴿٤٥﴾ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٦﴾ أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤٧﴾

﴿يومَ يُكْشَفُ عن ساقٍ﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: عن ساق الآخرة، قاله الحسن.

الثاني: الساق الغطاء، قاله الربيع بن أنس، ومنه قول الراجز(٩٣):

في سَنَةٍ قد كشفتْ عن ساقها ... حمراءَ تبري اللحم عن عراقها

الثالث: أنه الكرب والشدة، قاله ابن عباس، ومنه قول الشاعر(٩٤):

كشفت لهم عن ساقها ... وبدا من الشر الصُّراح

---

(٩٢) لاحظ انه لم يذكر القول الثاني.

(٩٣) القرطبي (١٨/٢٤٨) فتح القدير (٥/٢٧٥) روح المعاني (٢٩/٣٤).

(٩٤) هو جد طرفة واسمه سعد بن مالك بن ضبيعة والبيت في القرطبي (١٨/٢٤٨) واللسان سوق.

الرابع: هو إقبال الآخرة وذهاب الدنيا، قال الضحاك: لأنه أول الشدائد، كما قال الراجز(٩٥):

قد كشفت عن ساقها فشُدُّوا   وجدّت الحربُ بكم فجدوا.

فأما ما روي أن اللَّه تعالى يكشف(٩٦) عن ساقه فإن اللَّه تعالى منزه عن التبعيض والأعضاء وأن ينكشف أو يتغطى، ومعناه أنه يكشف عن العظيم من أمره، وقيل يكشف عن نوره.

وفي هذا اليوم ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنه يوم الكبر والهرم والعجز عن العمل.

الثاني: أنه يوم حضور المنية والمعاينة.

---

(٩٥) فتح القدير (٥/ ٢٧٥) والقرطبي (١٨/ ٢٤٨).

(٩٦) وهو حديث صحيح لا يصح تصديره بصيغة التمريض التي تشعر بضعفه فقد رواه البخاري (١٣/ ٣٥٩) ومسلم (١/ ١٦٨) من حديث أبي سعيد الخدري مرفوعاً ورواه البخاري مختصراً ولفظه «يكشف ربنا عن ساقه» الحديث هكذا بالاضافة ثم اعلم أيها القاريء الكريم إن هذه الآية من الآيات المتشابهة التي يجب على كل مسلم أن يؤمن بها كما نزلت من غير تعطيل ولا تجسيم وكما قال تعالى عن نفسه ﴿ولم يكن له كفواً أحد﴾ وقال ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾ وكان السلف يمرونها كما نزلت فالمجسمة يتركونها على ظاهرها من غير تفويض وتسليم وتنزيه لا بل يعتقدون الجارحة لله تعالى والعياذ بالله تعالى. ولقد صدق الإمام أبو جعفر الطحاوي صاحب العقيدة الطحاوية بقوله «ومن وصف الله بمعنى من معاني البشر فقد كفر» وقد قال الإمام الغزالي رحمه الله تعالى «لا تصح العبادة إلا بعد معرفة المعبود» أي معرفة صفاته الواردة في الكتاب والسنة. فكيف تصح عبادة مجسم ينسب الجارحة لله تعالى ولا يفوض النصوص القرآنية إلى الله تعالى مع الإيمان التام بالتنزيه وما أحسن ما روي عن الإمام أحمد بن جنبل والإمام الزاهد ذي النون المصري رحمهما الله تعالى أنهما قالا «مهما تصورت ببالك فالله بخلاف ذلك» لأن التصور ينشأ عن الصور والخيالات والله سبحانه وتعالى منزه عن مشابهة كل المخلوقات ولقد ثبت أن اليهود قالوا لرسول الله ﷺ صف لنا ربك يا محمد فأنزل الله عليه سورة الإخلاص.

وأما تأويل الكشف عن الساق بالكشف عن نوره فقد ورد ذلك في حديث مرفوع رواه ابو يعلى وابن المنذر وابن مردويه وابن عساكر وابن جرير والبيهقي في الأسماء والصفات ص ٣٤٨ ولكن سنده ضعيف ففي سنده روح بن جناح. وقال البيهقي بعد اخراجه ص ٣٤٨ تفرد به روح بن جناح وهو شامي يأتي بأحاديث منكرة لا يتابع عليها والله أعلم.

قلت وقد رواه روح عن مولى عمر بن عبد العزيز وقال ابن حبان فيه إن «روح» منكر الحديث جداً يروي عن الثقات ما اذا سمعه الانسان شهد له بالوضع والمولى الذي يروي عنه مجهول.

قلت ولهذا قال البيهقي: «وموالي عمر بن عبد العزيز فهم كثر». يعني اشارة الى أنه لم يدر حال هذا المولى فهو مجهول. والله أعلم.

الثالث: أنه يوم القيامة.

﴿ويُدْعَوْن إلى السجودِ فلا يستطيعون﴾ فمن قال في هذا اليوم إنه يوم القيامة جعل الأمر بهذا السجود على وجه التكليف.

ومن جعله في الدنيا فلهم في الأمر بهذا السجود قولان:

أحدهما: أنه تكليف.

الثاني: تندم وتوبيخ للعجز عنه، وكان ابن بحر يذهب إلى أن هذا الدعاء إلى السجود إنما كان في وقت الاستطاعة، فلم يستطيعوا بعد العجز أن يستدركوا ما تركوا.

﴿فذرْني ومَن يُكذِّبُ بهذا الحديث﴾

قال السدي: يعني القرآن.

ويحتمل آخر أي بيوم القيامة.

﴿سنستدرجهم مِن حيثُ لا يَعْلمون﴾ فيه خمسة أوجه:

أحدها: سنأخذهم على غفلة وهم لا يعرفون، قاله السدي.

الثاني: نتبع النعمة السيئة وننسيهم التوبة، قاله الحسن.

الثالث: نأخذهم من حيث درجوا ودبوا، قاله ابن بحر.

الرابع: هو تدريجهم إلى العذاب بإدنائهم منه قليلاً بعد قليل حتى يلاقيهم من حيث لا يعلمون، لأنهم لو علموا وقت أخذهم بالعذاب ما ارتكبوا المعاصي وأيقنوا بآمالهم.

الخامس: ما رواه إبراهيم بن حماد، قال الحسن: كم من مستدرج بالإحسان إليه، وكم من مغبون بالثناء عليه، وكم من مغرور بالستر عليه.

والاستدراج: النقل من حال إلى حال كالتدرج، ومنه قيل درجة وهي منزلة بعد منزلة.

فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾ لَّوْلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٤٩﴾ فَٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٢﴾

﴿فاصْبِرْ لحُكمِ ربِّك﴾ فيه وجهان:

أحدهما: لقضاء ربك.

الثاني: لنصر ربك، قاله ابن بحر.

﴿ولا تكُن كصاحِبِ الحُوتِ﴾ قال قتادة: إن اللَّه تعالى يعزي نبيّه ويأمره بالصبر، وأن لا يعجل كما عجل صاحب الحوت وهو يونس بن متى.

﴿إذ نادى وهو مكظوم﴾ أما نداؤه فقوله: لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين.

وفي مكظوم أربعة أوجه:

أحدها: مغموم، قاله ابن عباس ومجاهد.

الثاني: مكروب، قاله عطاء وأبو مالك، والفرق بينهما أن الغم في القلب، والكرب في الأنفاس.

الثالث: محبوس، والكظم الحبس، ومنه قولهم: فلان كظم غيظه أي حبس غضبه، قاله ابن بحر.

الرابع: أنه المأخوذ بكظمه وهو مجرى النفس، قاله المبرد.

﴿لولا أن تَداركه نِعْمةٌ مِن ربِّه﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: النبوة، قاله الضحاك.

الثاني: عبادته التي سلفت، قاله ابن جبير.

الثالث: نداؤه لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين، قاله ابن زيد.

الرابع: أن نعمة اللَّه عليه إخراجه من بطن الحوت، قاله ابن بحر.

﴿لنُبِذَ بالعراء﴾ فيه وجهان:

أحدهما: لألقي بالأرض الفضاء، قاله السدي، قال قتادة: بأرض اليمن.

الثاني: أنه عراء يوم القيامة وأرض المحشر، قاله ابن جرير(٩٧).

﴿وهو مذموم﴾ فيه وجهان:

أحدهما: بمعنى مليم.

---

(٩٧) جامع البيان (٢٩/٤٥٥) ولكن الذي فيه «وهو الفضاء من الأرض» اهـ. ولم يعين الطبري العراء كما نقله الماوردي هنا ولعله قال ذلك عين قول الطبري.

الثاني: مذنب، قاله بكر بن عبد الله، ومعناه أن ندعه مذموماً.

﴿وإن يكادُ الذين كَفَروا ليُزْلِقونك بأَبْصارهم﴾ الآية. فيه ستة أوجه:

أحدها: معناه ليصرعونك، قاله الكلبي.

الثاني: ليرمقونك، قاله قتادة.

الثالث: ليزهقونك، قاله ابن عباس، وكان يقرؤها كذلك.

الرابع: لينفذونك، قاله مجاهد.

الخامس: ليمسونك بأبصارهم من شدة نظرهم إليك، قاله السدي.

السادس: ليعتانونك(٩٨)، أي لينظرونك بأعينهم، قاله الفراء.

وحكي أنهم قالوا: ما رأينا مثل حجمه ونظروا إليه ليعينوه، أي ليصيبوه بالعين، وقد كانت العرب إذا أراد أحدهم أن يصيب أحداً بعين في نفسه أو ماله تجوّع ثلاثاً ثم يتعرض لنفسه أو ماله فيقول: تاللّه مارأيت أقوى منه ولا أشجع ولا أكثر مالاً منه ولا أحسن، فيصيبه بعينه فيهلك هو وماله، فأنزل اللّه هذه الآية.

﴿لّما سَمِعوا الذكْرَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: محمد.

الثاني: القرآن.

﴿وما هو إلا ذِكْرٌ للعالمين﴾ فيه وجهان:

أحدهما: شرف للعالمين، كما قال تعالى: ﴿وإنه لذكر لك ولقومك﴾ [الزخرف: ٤٤].

الثاني: يذكرهم وعد الجنة ووعيد النار.

وفي العالمين وجهان:

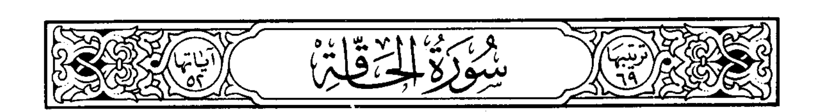
أحدهما: الجن والإنس، قاله ابن عباس.

الثاني: كل أمة من أمم الخلق ممن يُعرف ولا يُعرف.

---

(٩٨) قال الحافظ ابن كثير (٤/٤٠٩) وفي هذه الآية دليل على أن العين لاصابتها وتأثيرها حق بأمر الله عز وجل كما وردت بذلك الاحاديث المروية من طرق متعددة كثيرة.. وقد روى مسلم في صحيحه (٤/١٧١٩) عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال العين حق ولو كان شيء سابق القدر سبقته العين واذا استغسلتم فاغتسلوا» اهـ.

قلت وقد أورد الحافظ رحمه الله طائفة كثيرة من الأحاديث التي تثبت تأثير العين والحسد فراجعها في التفسير (٤/٤٠٩ ـ ٤١١).



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلْحَآقَّةُ ﴿١﴾ مَا ٱلْحَآقَّةُ ﴿٢﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَآقَّةُ ﴿٣﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌۢ بِٱلْقَارِعَةِ ﴿٤﴾ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا۟ بِٱلطَّاغِيَةِ ﴿٥﴾ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا۟ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴿٧﴾ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ ﴿٨﴾ وَجَآءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُۥ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتُ بِٱلْخَاطِئَةِ ﴿٩﴾ فَعَصَوْا۟ رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً ﴿١٠﴾ إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ ﴿١١﴾ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ ﴿١٢﴾

قوله تعالى: ﴿الحاقّةُ ما الحاقّةُ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنه ما حقّ من الوعد والوعيد بحلوله، وهو معنى قول ابن بحر.

الثاني: أنه القيامة التي يستحق فيها الوعد والوعيد، قاله الجمهور وفي تسميتها بالحاقة ثلاثة أقاويل:

أحدها: ما ذكرنا من استحقاق الوعد والوعيد بالجزاء على الطاعات والمعاصي، وهو معنى قول قتادة ويحيى بن سلام.

الثاني: لأن فيها حقائق الأمور، قاله الكلبي.

الثالث: لأن حقاً على المؤمن أن يخافها.

وقوله «ما الحاقة» تفخيماً لأمرها وتعظيماً لشأنها.

﴿وما أدْراكَ ما الحاقّة﴾ قال يحيى بن سلام: بلغني أن كل شيء في القرآن فيه **«وما أدراك»** فقد أدراه إياه وعلّمه إياه، وكل شيء قال فيه **«وما يدريك»** فهو ما لم يعلمه إياه.

وفيه وجهان:

أحدهما: وما أدراك ما هذا الاسم، لأنه لم يكن في كلامه ولا كلام قومه، قاله الأصم.

الثاني: وما أدراك ما يكون في الحاقة.

﴿كذّبَتْ ثمودُ وعادُ بالقارعةِ﴾ أما ثمود فقوم صالح كانت منازلهم في الحجر فيما بين الشام والحجاز، قاله محمد بن إسحاق: وهو وادي القرى، وكانوا عرباً.

وأما عاد فقوم هود، وكانت منازلهم بالأحقاف، والأحقاف الرمل بين عُمان إلى حضرموت واليمن كله، وكانوا عرباً ذوي خَلق وبَسطة، ذكره محمد بن إسحاق.

وأما **«القارعة»** ففيها قولان:

أحدهما: أنها قرعت بصوت كالصيحة، وبضرب كالعذاب، ويجوز أن يكون في الدنيا، ويجوز أن يكون في الآخرة.

الثاني: أن القارعة هي القيامة كالحاقة، وهما اسمان لما كذبت بها ثمود وعاد.

وفي تسميتها بالقارعة قولان:

أحدهما: لأنها تقرع بهولها وشدائدها.

الثاني: أنها مأخوذة من القرعة في رفع قوم وحط آخرين، قاله المبرد.

﴿فأمّا ثمودُ فأهلِكوا بالطاغية﴾ فيها خمسة أقاويل:

أحدها: بالصيحة، قاله قتادة.

الثاني: بالصاعقة، قاله الكلبي.

الثالث: بالذنوب، قاله مجاهد.

الرابع: بطغيانهم، قاله الحسن.

الخامس: أن الطاغية عاقر الناقة، قاله ابن زيد.

﴿وأمّا عادُ فأهْلِكوا بريحٍ صَرْصَرٍ عاتيةٍ﴾ روى مجاهد عن ابن عباس قال[٩٩]:

(٩٩) تقدم تخريجه في سورة الذاريات والاحقاف.

قال رسول اللَّه ﷺ: «نُصِرْتُ بالصَّبا وأُهْلِكتْ عاد بالدَّبور».

فأما صرصر ففيها قولان:

أحدهما: أنها الريح الباردة، قاله الضحاك والحسن، مأخوذ من الصر وهو البرد.

الثاني: أنها الشديدة الصوت، قاله مجاهد.

وأما العاتية ففيها ثلاثة أوجه:

أحدها: القاهرة، قاله ابن زيد.

الثاني: المجاوزة لحدها.

الثالث: التي لا تبقى ولا ترقب.

وفي تسميتها عاتية وجهان:

أحدهما: لأنها عتت على القوم بلا رحمة ولا رأفة، قاله ابن عباس.

الثاني: لأنها عتت على خزانها بإذن اللَّه.

﴿سَخَّرها عليهم سَبْعَ ليالٍ وثمانيةَ أيام حُسوماً﴾ اختلف في أولها على ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنّ أولها غداة يوم الأحد، قاله السدي.

الثاني: غداة يوم الأربعاء، قاله يحيى بن سلام.

الثالث: غداة يوم الجمعة، قاله الربيع بن أنس.

وفي قوله ﴿حُسُوماً﴾ أربعة تأويلات:

أحدها: متتابعات (١٠٠)، قاله ابن عباس وابن مسعود ومجاهد والفراء، ومنه قول أمية بن أبي الصلت:

وكم يحيى بها من فرط عام   وهذا الدهر مقتبل حسوم.

الثاني: مشائيم، قاله عكرمة والربيع.

الثالث: أنها حسمت الليالي والأيام حتى استوفتها، لأنها بدأت طلوع الشمس من أول يوم، وانقطعت مع غروب الشمس من آخر يوم، قاله الضحاك.

---

(١٠٠) ورجحه الطبري (٢٩/٥٢) وابن كثير (٤/٤١٢) والآلوسي (٢٩/٤١) والشوكاني (٥/٢٨٠) والقرطبي (١٨/٢٥٩) الزمخشري (٤/١٣٣).

الرابع: لأنها حسمتهم ولم تبق منهم أحداً، قاله ابن زيد، وفي ذلك يقول الشاعر:

ومن مؤمن قوم هود فأرسل ريحاً دَبوراً عقيماً
توالتْ عليهم فكانت حُسوماً.

﴿فترى القوم فيها صرعى كأنّهم أعجازُ نخلٍ خاويةٍ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: البالية، قاله أبو الطفيل.

الثاني: الخالية الأجواف، قاله ابن كامل.

الثالث: ساقطة الأبدان، خاوية الأصول، قاله السدي.

وفي تشبيههم بالنخل الخاوية ثلاثة أوجه:

أحدها: أن أبدانهم خوت من أرواحهم مثل النخل الخاوية، قاله يحيى بن سلام.

الثاني: أن الريح كانت تدخل في أجوافهم من الخيشوم، وتخرج من أدبارهم، فصاروا كالنخل الخاوية، حكاه ابن شجرة.

الثالث: لأن الريح قطعت رؤوسهم عن أجسادهم، فصاروا بقطعها كالنخل الخاوية.

﴿وجاءَ فرعونُ ومَن قَبْلَهُ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: ومن معه من قومه وهو تأويل من قرأ «ومن قِبلَهُ» بكسر القاف[١٠١] وفتح الباء.

والثاني: ومن تقدمه، وهو تأويل من قرأ «ومن قَبْلَهُ» بفتح القاف وتسكين الباء.

﴿والمؤتفِكاتُ بالخاطئة﴾ في المؤتفكات قولان:

أحدهما: أنها المقلوبات بالخسف.

الثاني: أنها الأفكات وهي الاسم من الآفكة، أي الكاذبة.

والخاطئة: هي ذات الذنوب والخطايا، وفيهم قولان:

أحدهما: أنهم قوم لوط.

الثاني: قارون وقومه، لأن اللّه خسف بهم.

(١٠١) وهي قراءة أبي عمرو ويعقوب والكسائي وأبان زاد المسير (٨/٣٤٧) والسبعة لابن مجاهد ٦٤٨.

﴿فعصَوْا رسولَ ربِّهم﴾ فيه وجهان:

أحدهما: فعصوا رسول اللَّه إليهم بالتكذيب.

الثاني: فعصوا رسالة اللَّه إليهم بالمخالفة، وقد يعبر عن الرسالة بالرسول، قال الشاعر(١٠٢):

لقد كذَبَ الواشون ما بُحْت عندهم ... بسرٍّ ولا أرسلتهم برسول.

﴿فَأَخَذَهُمْ أَخذةً رابيةً﴾ فيه خمسة أوجه.

أحدها: شديدة، قاله مجاهد.

الثاني: مُهلكة، قاله السدي.

الثالث: تربو بهم في عذاب اللَّه أبداً، قاله أبو عمران الجوني.

الرابع: مرتفعة، قاله الضحاك.

الخامس: رابية للشر، قاله ابن زيد.

﴿إنا لما طَغَى الماءُ حَمَلْناكم في الجاريةِ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: ظَهَر، رواه ابن أبي نجيح.

الثاني: زادَ وكثر، قاله عطاء.

الثالث: أنه طغى على خزانه من الملائكة، غضباً لربه فلم يقدروا على حبسه، قاله عليّ رضي الله عنه.

قال قتادة: زاد على كل شيء خمسة عشر ذراعاً.

وروي عن ابن عباس أنه قال: ما أرسل من ريح قط إلا بمكيال.

وما أنزل اللَّه من قطرة قط إلا بمثقال، إلا يوم نوح وعاد، فإن الماء يوم نوح طغى على خزانه فلم يكن لهم عليه سبيل، ثم قرأ: «**إنا لما طغى الماء**» الآية.

وإن الريح طغت على خزانها يوم عاد فلم يكن لهم عليها سبيل ثم قرأ. «**بريح صرصر عاتية سخَرها عليهم**» الآية.

﴿**حملناكم في الجارية**﴾ يعني سفينة نوح، سميت بذلك لأنها جارية على الماء.

وفي قوله **حملناكم** وجهان:

(١٠٢) هو كثير عزة والبيت في فتح القدير (٥/٢٨١) والقرطبي (١٨/٣٩٢).

أحدهما: حملنا آباءكم الذين أنتم من ذريتهم.

الثاني: أنهم في ظهور آبائهم المحمولين، فصاروا معهم، وقد قال العباس بن عبد المطلب ما يدل على هذا الوجه وهو قوله في مدح النبي ﷺ(١٠٣):

من قبلها طِبتَ في الظلال وفي مُستودع حيث يُخصَفُ الورقُ.
ثم هبطتَ البلادَ لا بشرٌ أنت ولا مُضغةٌ ولا علَقُ.
بل نطفةٌ تركب السَّفينَ وقد ألجَمَ نسراً وأهلَه الغرقُ.

﴿لنجْعلهَا لكم تذكِرةً﴾ يعني سفينة نوح جعلها الله لكم تذكرة وعظة لهذه الأمة حتى أدركها أوائلهم في قول قتادة، وقال ابن جريج: كانت ألواحها على الجودي.

﴿وتَعِيَها أُذُنٌ واعِيَةٌ﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: سامعة، قاله ابن عباس.

الثاني: مؤمنة، قاله ابن جريج.

الثالث: حافظة، وهذا قول ابن عباس أيضاً.

قال الزجاج: يقال وعيت لما حفظته في نفسك، وأوعيت لما حفظته في غيرك.

وروى مكحول أن النبي(١٠٤) ﷺ قال عند نزول هذه الآية: «سألت ربي أن يجعلها أُذُنَ عليٍّ، قال مكحول: فكان عليٌّ رضي الله عنه يقول: ما سمعت من رسول الله شيئاً قط نسيته إلا وحفظته.

الرابع: [أن الأذن الواعية] أذن عقلت عن الله وانتفعت بما سمعت من كتاب الله، قاله قتادة.

﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ﴿١٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴿١٦﴾ وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا ۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴿١٧﴾ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾﴾

(١٠٣) أمالي الزجاجي (٢/ ٣٤٠) وتأويل مختلف الحديث ٦٥ واللسان خصف واقتصر على رواية البيت الأول.

(١٠٤) رواه الطبري (٢٩/ ٥٥) وهو مرسل وكذا رواه ابن ابي حاتم كما في تفسير ابن كثير (٤/ ٤١٣) وسعيد بن منصور كما في تخريج الكشاف ص ١٧٧.

﴿**فيومئذٍ وقَعَتِ الواقعةُ**﴾ فيها ثلاثة أقاويل:

أحدها: القيامة.

الثاني: الصيحة.

الثالث: أنها الساعة التي يفني فيها الخلق.

﴿**وانْشَقّت السماءُ فهي يومئذٍ واهيةٌ**﴾ في انشقاقها وجهان:

أحدهما: أنها فتحت أبوابها، قاله ابن جريج.

الثاني: أنها تنشق من المجرة، قاله عليّ رضي اللّه عنه.

وفي قوله «**واهية**» وجهان:

أحدهما: متخرقة، قاله ابن شجرة، مأخوذ من قولهم وَهَى السقاءُ إذا انخرق، ومن أمثالهم(١٠٥):

خَلِّ سبيلَ مَنْ وَهَى سِقاؤه ... ومَن هُريق بالفلاةِ ماؤهُ

أي من كان ضعيف العقل لا يحفظ نفسه.

الثاني: ضعيفة، قاله يحيى بن سلام.

﴿**والملَكُ على أرجائها**﴾ فيه وجهان:

أحدهما: على أرجاء السماء، ولعله قول مجاهد وقتادة.

الثاني: على أرجاء الدنيا، قاله سعيد بن جبير.

وفي «**أرجائها**» أربعة أوجه:

أحدها: على جوانبها، قاله سعيد بن جبير.

الثاني: على نواحيها، قاله الضحاك.

الثالث: أبوابها، قاله الحسن.

الرابع: ما استدق منها، قاله الربيع بن أنس.

ووقوف الملائكة على أرجائها لما يؤمرون به فيهم من جنة أو نار.

﴿**ويَحْمِلُ عَرْشَ ربِّك فوقهم يَومئذٍ ثمانيةٌ**﴾ يعني أن العرش فوق الثمانية وفيهم ثلاثة أقاويل:

أحدها: ثمانية أملاك من الملائكة، قاله العباس بن عبد المطلب.

---

(١٠٥) القرطبي (١٨/٢٦٥) روح المعاني (٢٩/٤٥).

الثاني: ثمانية صفوف من الملائكة، قاله ابن جبير.

الثالث: ثمانية أجزاء من تسعة،وهم الكروبيون(*)، قاله ابن عباس، وروى أبو هريرة قال[١٠٦]: قال رسول الله ﷺ: «يحمله اليوم أربعة، وهم يوم القيامة ثمانية».

وفي قوله ﴿فوقهم﴾ ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنهم يحملون العرش فوق رؤوسهم.

الثاني: أن حملة العرش فوق الملائكة الذين على أرجائها.

الثالث: أنهم فوق أهل القيامة.

﴿يومئذٍ تُعْرَضونَ﴾ يعني يوم القيامة، روى الحسن عن أبي موسى[١٠٧] قال: قال النبي ﷺ: «يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات، أما عرضتان فجدال ومعاذير، وأما الثالثة فعند ذلك تطير الصحف من الأيدي فآخذ بيمينه وآخذ بشماله».

﴿لا تَخْفَى منكم خافيةٌ﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: لا يخفى المؤمن من الكافر، ولا البر من الفاجر، قاله عبد الله بن عمرو بن العاص.

الثاني: لا تستتر منكم عورة، كما قال النبي ﷺ[١٠٨]: «يحشر الناس حفاة عراة».

الثالث: أن خافية بمعنى خفيّة كانوا يخفونها من أعمالهم حكاه ابن شجرة.

﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُواْ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ﴾

(*) هم الملائكة المقربون.

(١٠٦) وقد تقدم تخريجه وهو مشهور بحديث الصور الطويل رواه ابو يعلى وغيره وهو حديث ضعيف.

(١٠٧) رواه أحمد (٤/٤١٤) وابن ماجه (٢/١٤٣٠) وقاله البوصيري في الزوائد رجال الاسناد ثقات إلا أنه منقطع، الحسن لم يسمع من أبي موسى قاله علي بن المديني وأبو حاتم وأبو زرعة.

وقد رواه الترمذي (٢٤٢٥) عن الحسن عن أبي هريرة وقال لا يصح هذا الحديث من قبل أن الحسن لم يسمع من أبي هريرة ورواه الطبري (٢٩/٢٩) بنحوه عن ابن مسعود وورد مرسلاً من مرسل قتادة كما أشار إليه الحافظ ابن كثير (٤/٤١٤).

(١٠٨) وقد ثبت ذلك في أكثر من حديث وقدمر بعضها والمؤمن الواعي الفطن هو من يتأهب لهذا اليوم ويستعد له بالتوبة. والندم على ما فرط فيه من حق الله تعالى وكذلك يسارع في الخيرات والطاعات ويبادر بالقربات ويخلص لله تعالى قلبه من الشهوات والشبهات عسى أن يقبل الله فيه يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم».

حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾

﴿**فأمّا مَنْ أُوتي كتابَه بيمينه**﴾ لأن إعطاء الكتاب باليمين دليل على النجاة.

﴿**فيقول هاؤم اقْرَؤوا كِتابيهْ**﴾ ثقة بسلامته وسروراً بنجاته، لأن اليمين عند العرب من دلائل الفرج، والشمال من دلائل الغم، قال الشاعر(١٠٩):

أبيني أفي يُمْنَى يديكِ جَعَلْتِني فأفرح أم صيرتني من شِمالِك.

وفي قوله «هاؤمُ» ثلاثة أوجه:

أحدها: بمعنى هاكم اقرؤوا كتابيه فأبدلت الهمزة من الكاف، قاله ابن قتيبة.

الثاني: أنه بمعنى هلموا اقرؤوا كتابيه، قال الكسائي: العرب تقول للواحد هاءَ وللاثنين هاؤما وللثلاثة هاؤم.

الثالث: أنها كلمة وضعت لإجابة الداعي عند النشاط والفرح روي (١١٠) أن أعرابياً نادى رسول الله ﷺ بصوت عالٍ فأجابه هاؤم بطول صوته.

والهاء من «كتابيه» ونظائرها موضوعة للمبالغة، وذكر الضحاك أنها نزلت في أبي سلمة بن عبد الأسد.

﴿**إني ظننتُ أني مُلاقٍ حِسابِيَهْ**﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أي علمت، قال الضحاك: كل ظن في القرآن من المؤمن فهو يقين، ومن الكافر فهو شك، وقال مجاهد: ظن الآخرة يقين، وظن الدنيا شك.

الثاني: ما قاله الحسن في هذه الآية، أن المؤمن أحْسن بربه الظن، فأحسن العمل، وأن المنافق أساء بربه الظن فأساء العمل.

وفي الحساب ها هنا وجهان:

أحدهما: في البعث.

الثاني: في الجزاء.

﴿**فهو في عِيشَةٍ راضيةٍ**﴾ بمعنى مَرْضيّة، قال أبو هريرة وأبو سعيد الخدري

---

(١٠٩) هو عبد الله بن الدمينة والبيت في القرطبي (١٨/ ٢٦٩).

(١١٠) لم أعثر على تخريجه والله أعلم.

يرفعانه[١١١]: إنهم يعيشون فلا يموتون أبداً، ويصحّون فلا يمرضون أبداً، ويتنعمون فلا يرون بؤساً أبداً، ويشبّون فلا يهرمون أبداً.

﴿في جنة عالية﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: رفيعة المكان.

الثاني: عظيمة في النفوس.

﴿قطوفها دانيةٌ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: دانية من الأيدي يتناولها القائم والقاعد.

الثاني: دانية الإدراك لا يتأخر حملها ولا نضجها.

وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَٰنِيَهْ ﴿٢٩﴾ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣٤﴾ فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾ لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ ﴿٣٧﴾

﴿وأمّا من أُوتي كتابه بشماله﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: أنه كان يقول ذلك راجياً.

الثاني: أنه كان مستوراً فافتضح، ومن عادة العرب أن تفرق بين القبول والرد وبين الكرامة والهوان، باليمين والشمال، فتجعل اليمين بشيراً بالقبول والكرامة، وتجعل الشمال نذيراً بالرد والهوان.

﴿ولم أَدْرِ ما حِسابِيَهْ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: لما شاهد من كثرة سيئاته وكان يظنها قليلة، لأنه أحصاه اللّه ونسوه.

الثاني: لما رأى فيه من عظيم عذابه وأليم عقابه.

﴿يا لَيْتَها كانت القاضيةَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: يعني موتاً لا حياة فيه بعدها، قاله الضحاك.

---

(١١١) رواه مسلم (٢٧٣٧) والترمذي (٣٢٤١).

الثاني: أنه تمنى أن يموت في الحال، ولم يكن في الدنيا أكره إليه من الموت، قاله قتادة.

﴿ما أغْنَى عَني مالِيَهْ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: أن كثرة ماله في الدنيا لم يمنع عنه في الآخرة.

الثاني: لأن رغبته في زينة الدنيا وكثرة المال هو الذي ألهاه عن الآخرة..

﴿هَلَكَ عني سُلْطانِيَهْ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: معناه ضللت عن حُجّتي، قاله مجاهد وعكرمة والسدي والضحاك.

الثاني: سلطانه الذي تسلط به على بدنه حتى أقدم به على معصيته، وهذا معنى قول قتادة.

الثالث: أنه كان في الدنيا مطاعاً في أتباعه، عزيزاً في امتناعه، وهذا معنى قول الربيع بن أنس.

وحكي أن هذا في أبي جهل بن هشام، وذكر الضحاك أنها نزلت في الأسود ابن عبد الأسد.

﴿فليس له اليومَ ها هنا حَميمٌ﴾ الحميم: القريب، ومعناه ليس له قريب ينفعه ويدفع عنه كما كان يفعل معه في الدنيا.

﴿ولا طعامٌ إلا مِنْ غِسْلين﴾ فيه أربعة أقاويل:

أحدها: أنه غسالة أطرافهم، قاله يحيى بن سلام، قال الأخفش:

هو فعلين من الغسل.

الثاني: أنه صديد أهل النار، قاله ابن عباس.

الثالث: أنه شجرة في النار هي أخبث طعامهم، قاله الربيع بن أنس.

الرابع: أنه الحار الذي قد اشتد نضجه، بلغة أزد شنوءة.

فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَا تُبۡصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبۡصِرُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَاعِرٖۚ قَلِيلٗا مَّا تُؤۡمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوۡلِ كَاهِنٖۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٣﴾

﴿فلا أُقْسِمُ بما تُبصِرون﴾ قال مقاتل: سبب ذلك أن الوليد بن المغيرة قال: إن محمداً ساحر، وقال أبو جهل: إنه شاعر، وقال عقبة بن معيط: إنه كاهن فقال

اللَّه تعالى قسماً على كذبهم «فلا أُقْسِم» أي أُقسم، و«لا» صلة زائدة.

﴿وما لا تُبْصِرونَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: بما تبصرون من الخلق وما لا تبصرون من الخلق، قاله مقاتل.

الثاني: أنه رد لكلام سبق أي ليس الأمر كما يقوله المشركون.

ويحتمل ثالثاً: بما تعلمون وما لا تعلمون، مبالغة في عموم القسم.

﴿إنه لَقَولُ رسولٍ كريمٍ﴾ فيه قولان:

أحدهما: جبريل، قاله الكلبي ومقاتل.

الثاني: رسول اللَّه ﷺ، قال ابن قتيبة: وليس القرآن من قول الرسول، إنما هو من قول اللَّه وإبلاغ الرسول، فاكتفى بفحوى الكلام عن ذكره.

﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِنَّهُۥ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِنَّهُۥ لَحَسْرَةٌ عَلَى ٱلْكَافِرِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٥١﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٥٢﴾﴾

﴿ولو تَقَوَّل علينا بَعْضَ الأقاويل﴾ أي تكلّف علينا بعض الأكاذيب، حكاه عن كفار قريش أنهم قالوا ذلك في النبي ﷺ.

﴿لأخْذنا منه باليمين﴾ فيه خمسة تأويلات:

أحدها: لأخذنا منه قوّته كلها، قاله الربيع

الثاني: لأخذنا منه بالحق، قاله السدي والحكم، ومنه قول الشاعر(١١٢):

إذا ما رايةٌ رُفِعَتْ لمجدٍ   تَلَقّاها عَرابةُ باليَمينِ

أي بالاستحقاق.

الثالث: لأخذنا منه بالقدرة، قاله مجاهد.

الرابع: لقطعنا يده اليمنى، قاله الحسن.

---

(١١٢) تقدم تخريجه والشاعر هو الشماخ بن ضرار والبيت في القرطبي (١٨/ ٢٧٥) وفتح القدير (٥/ ٢٨٦).

الخامس: معناه لأخذنا بيمينه إذلالاً له واستخفافاً به، كما يقال لما يراد به الهوان، خذوا بيده، حكاه أبو جعفر الطبري.

﴿ثم لَقَطَعْنا مِنه الوَتينَ﴾ فيه أربعة أقاويل:

أحدها: أنه نياط القلب ويسمى حبل القلب، وهو الذي القلب معلق به، قاله ابن عباس[١١٣].

الثاني: أنه القلب ومراقّه وما يليه، قاله محمد بن كعب.

الثالث: أنه الحبل الذي في الظهر، قاله مجاهد.

الرابع: أنه عرق بين العلباء والحلقوم، قاله الكلبي.

وفي الإشارة إلى قطع ذلك وجهان:

أحدهما: إرادة لقتله وتلفه، كما قال الشاعر[١١٤]:

إذا بَلَّغتِني وَحَمَلْتِ رحْلي عرابة فاشربي بدَمِ الوَتينِ.

الثاني: ما قاله عكرمة أن الوَتين إذا قطع لا إن جاع عَرَق، ولا إن شبع عَرَق.

﴿وإنه لتَذْكرةٌ للمُتّقينَ﴾ يعني القرآن، وفي التذكرة أربعة أوجه:

أحدها: رحمة.

الثاني: ثَبات.

الثالث: موعظة.

الرابع: نجاة.

﴿وإنّا لنَعْلَمُ أنَّ منكم مُكذِّبينَ﴾ قال الربيع: يعني بالقرآن.

﴿وإنّه﴾ يعني القرآن.

﴿لحَسْرةٌ على الكافرينَ﴾ يعني ندامة يوم القيامة.

ويحتمل وجهاً ثانياً: أن يزيد حسرتهم في الدنيا حين لم يقدروا على معارضته عند تحدّيهم أن يأتوا بمثله.

---

(١١٣) رواه الحاكم (٢/٥٠١) من طريق عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس وإسناده قوي لأنه من رواية الثوري عن عطاء وسمعه منه قبل الاختلاط أفاده الحافظ في الفتح (٨/٥٣٢) وزاد نسبته للفريابي والأشجعي.

(١١٤) القرطبي (١٨/٢٧٦) وفيه فاشرقي فتح القدير (٥/٢٨٦) وهو الشماخ والبيت في ديوانه: ٩٢ الطبري (٢٩/٦٧).

﴿وإنَّه لَحقُّ اليَقينِ﴾ فيه وجهان:

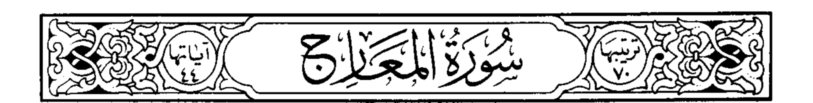
أحدهما: أي حقاً ويقيناً ليكونن الكفر حسرة على الكافرين يوم القيامة، قاله الكلبي.

الثاني: يعني القرآن عند جميع الخلق أنه حق، قال قتادة: إلا أن المؤمن أيقن به في الدنيا فنفعه، والكافر أيقن به في الآخرة فلم ينفعه.

﴿فَسَبِّحْ باسْمِ ربِّكَ العظيم﴾ فيه وجهان:

أحدهما: فصلِّ لربك، قاله ابن عباس.

الثاني: فنزهه بلسانك عن كل قبيح.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴿١﴾ لِّلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ ﴿٢﴾ مِّنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ ﴿٣﴾ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾ فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا ﴿٦﴾ وَنَرَاهُ قَرِيبًا ﴿٧﴾

قوله تعالى: ﴿سأل سائلٌ﴾ قرأه الجمهور بهذين الحرفين في سأل سائل، وفيه ثلاثة أوجه:

أحدها: معناه استخبر مستخبر عن العذاب متى يقع، على التكذيب.

الثاني: دعا داع أن يقع البلاء بهم على وجه الاستهزاء، قاله مجاهد.

الثالث: طلب طالب.

﴿بعذابٍ واقعٍ﴾ وفي هذا الطالب ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنه النضر بن الحارث، وكان صاحب لواء المشركين يوم بدر، وقد سأل ذلك في قوله ﴿اللهم إن كان هذا هو الحقّ من عندك فأمطِرْ علينا حجارةً من السماء أو ائتنا بعذاب أليم﴾ [الأنفال: ٣٢] قاله ابن عباس[١١٥] ومجاهد.

---

(١١٥) رواه الحاكم (٢/٥٠٢) عن سعيد بن جبير وقال هذاحديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه فتعقبه الذهبي قائلاً على شرط البخاري فقط وأورده السيوطي في الدر (٨/٢٧٧) وزاد نسبته للفريابي وعبد بن حميد والنسائي وابن ابي حاتم وابن مردويه عن ابن عباس رضي الله عنهما.

الثاني: أنه أبو جهل، وهو القائل لذلك، قاله ربيع بن أبي حمزة.

الثالث: أنه قول جماعة من قريش.

وفي هذا العذاب قولان:

أحدهما: أنه العذاب في الآخرة، قاله مجاهد.

الثاني: أنها نزلت بمكة وعذابه يوم بدر بالقتل والأسر، قاله السدي.

وقرأ نافع وزيد بن أسلم وابنه «**سأل سايل**» غير مهموز، وسايل واد في جهنم، وسمي بذلك لأنه يسيل بالعذاب(١١٦).

﴿**مِن اللَّهِ ذي المعارج**﴾فيه خمسة تأويلات:

أحدها: ذي الدرجات، قاله ابن عباس.

الثاني: ذي الفواضل والنعم، قاله قتادة.

الثالث: ذي العظمة والعلاء.

الرابع: ذي الملائكة، لأنهم كانوا يعرجون إليه، قاله قتيبة.

الخامس: أنها معارج السماء، قاله مجاهد.

﴿**تَعْرُجُ الملائكةُ والروحُ إليه**﴾ أي تصعد، وفي الروح ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنه روح الميت حين يقبض، قاله قَبيصة بن ذؤيب، يرفعه.

الثاني: أنه جبريل، كما قال تعالى: «**نزل به الروح الأمين**».

الثالث: أنه خلق من خلق اللَّه كهيئة الناس وليس بالناس، قاله أبو صالح.

﴿ **في يوم كان مِقدارهُ خمسينَ ألْفَ سنةٍ**﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنه يوم القيامة، قاله محمد بن كعب والحسن.

الثاني: أنها مدة الدنيا، مقدار خمسين ألف سنة، لا يدري أحد كم مضى وكم بقي إلا اللَّه، قاله عكرمة.

الثالث: أنه مقدار مدة الحساب في عرف الخلق أنه لو تولى بعضهم محاسبة بعض لكان مدة حسابهم خمسين ألف سنة، إلا أن اللَّه تعالى يتولاه في أسرع مدة.

---

(١١٦) وقد استضعف هذا القول ابن كثير (٤١٨/٤) وقال«وقال ابن زيد وغيره سأل سائل بعذاب واقع» اي واد في جهنم يسيل في جهنم يسيل يوم القيامة بالعذاب وهذا القول ضعيف بعيد عن المراد والصحيح الأول لدلالة السياق عليه.

وروى معاذ عن النبي(١١٧) ﷺ أنه قال: «يحاسبهم اللَّه بمقدار ما بين الصلاتين ولذلك سمى نفسه سريع الحساب، وأسرع الحاسبين».

﴿فاصْبِرْ صَبْراً جَميلاً﴾ فيه أربعة تأويلات:

أحدها: أنه الصبر الذي ليس فيه جزع، قاله مجاهد.

الثاني: أنه الصبر الذي لا بث فيه ولا شكوى.

الثالث: أنه الانتظار من غير استعجال، قاله ابن بحر.

الرابع: أنه المجاملة في الظاهر، قاله الحسن.

وفيما أُمر بالصبر عليه قولان:

أحدهما: أُمر بالصبر على ما قذفه المشركون من أنه مجنون وأنه ساحر وأنه شاعر، قاله الحسن.

الثاني: أنه أُمر بالصبر على كفرهم، وذلك قبل أن يفرض جهادهم، قاله ابن زيد.

﴿إنهم يَرَوْنه بعيداً﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنه البعث في القيامة.

الثاني: عذاب النار.

وفي المراد بالبعيد وجهان:

أحدهما: مستحيل غير كائن.

الثاني: استبعاد منهم للآخرة.

﴿ونراه قريباً﴾ أي كائناً، لأن ما هو كائن قريب.

يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ ﴿٨﴾ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ﴿٩﴾ وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا

---

(١١٧) لم أعثر عليه ولكن روى الإمام أحمد (٣/ ٧٥) عن الحسن بن موسى عن ابن لهيعة عن دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله ﷺ «والذي نفسي بيده إنه ليخفف على المؤمن حتى يكون أخف عليه من صلاة مكتوبة يصليها في الدنيا». ورواه ابن جرير (٢٩/ ٧٢) عن يونس عن ابن وهب عن عمرو بن الحارث عن دراج به.. والسند ضعيف في كليهما ودراج صاحب مناكير كما سبق مراراً. وزاد السيوطي في الدر (٨/ ٢٨٠) نسبته لابن حبان والبيهقي في البعث.

﴿يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ (١١) وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ (١٢) وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ (١٣) وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ (١٤) كَلَّا إِنَّهَا لَظَى (١٥) نَزَّاعَةً لِلشَّوَى (١٦) تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى (١٧) وَجَمَعَ فَأَوْعَى (١٨)﴾

﴿يومَ تكونُ السّماءُ كالمُهْلِ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: كدرديّ الزيت، قاله ابن عباس.

الثاني: كمذاب الرصاص والنحاس والفضة، قاله ابن مسعود.

الثالث: كقيح من دم، قاله مجاهد.

﴿وتكونُ الجبالُ كالعِهْنِ﴾ يعني كالصوف المصبوغ، والمعنى أنها تلين بعد الشدة، وتتفرق بعد الاجتماع.

﴿يُبَصَّرُونَهم﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: أنه يبصر بعضهم بعضاً فيتعارفون، قاله قتادة.

الثاني: أن المؤمنين يبصرون الكافرين، قاله مجاهد.

الثالث: أن الكافرين يبصرون الذين أضلوهم في النار، قاله ابن زيد.

الرابع: أنه يبصر المظلوم ظالمه، والمقتول قاتله.

﴿يودّ المجْرِمُ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: يحب.

الثاني: يتمنى، والمجرم هو الكافر.

﴿لو يَفْتَدِي مِن عَذابِ يومِئذ﴾ يعني يفتدي من عذاب جهنم بأعز من كان عليه في الدنيا من أقاربه، فلا يقدر.

ثم ذكرهم فقال: ﴿ببنيه﴾.

﴿وصاحبته﴾ يعني زوجته: ﴿وأخيه﴾.

﴿وفصيلته﴾ فيه وجهان:

أحدهما: عشيرته التي تنصره، قاله ابن زيد.

الثاني: أنها أمه التي تربيه، قاله مالك، وقال أبو عبيدة: الفصيلة دون القبيلة.

﴿التي تؤويه﴾ فيه وجهان:

أحدهما: التي يأوي إليها في نسبه، قاله الضحاك.

الثاني: يأوي إليها في خوفه.

﴿كلا إنها لَظَى﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أنها اسم من أسماء جهنم، سميت بذلك لأنها التي تتلظى، وهو اشتداد حرها.

الثاني: أنه اسم الدرك الثامن في جهنم، قاله الضحاك.

﴿نَزّاعة للشّوَى﴾ فيه خمسة تأويلات:

أحدها: أنها أطراف اليدين والرجلين، قاله أبو صالح[١١٨]، قال الشاعر[١١٩]:

إذا نَـظَرَتْ عَـرَفْـت الفـخـر منهـا وعَـيْنيـهـا ولـم تـعْـرِفْ شَـواهـا.

الثاني: قال الضحاك: هي جهنم تفري اللحم والجلد عن العظم، وقال مجاهد: جلدة الرأس ومنه قول الأعشى[١٢٠]:

قـالـت قُـتَـيْـلَةُ مـا لَه قـد جُـلِّلَتْ شـيْـبـاً شَـواتـهُ.

الثالث: أنه العصب والعقب، قاله ابن جبير.

الرابع: أنه مكارم وجهه، قاله الحسن.

الخامس: أنه اللحم والجلد الذي على العظم، لأن النار تشويه، قاله الضحاك.

﴿تَدْعو مَنْ أَدْبَرَ وتَوَلّى﴾ وفي دعائها ثلاثة أوجه:

أحدها: أنها تدعوهم بأسمائهم فتقول للكافر: يا كافر إليّ، وللمنافق: يا منافق إليّ، قاله الفراء.

الثاني: أن مصير من أدبر وتولى إليها، فكأنها الداعية لهم، ومثله قول الشاعر[١٢١]:

ولـقـد هَبَـطْنـا الـوادِيَيْن فـواديـاً يَـدْعـو الأنيسَ بـه العَضيضُ الأبكمُ.

العضيض الأبكم: الذباب، وهو لا يدعو وإنما طنينه ينبه عليه، فدعا إليه.

---

(١١٨) رواه الطبري (٢٩/ ٧٧) ومسدد كما في المطالب (٣/٣٩٢).

(١١٩) القرطبي (١٨/ ٨٩).

(١٢٠) فتح القدير (٥/ ٢٩٠) والقرطبي (١٨/ ٢٨٨) روح المعاني (٢٩/ ٦٠).

(١٢١) القرطبي (٨/ ٢٨٩) وفتح القدير (٥/ ٢٩١) وفيه القصيص.

الثالث: الداعي خزنة جهنم، أضيف دعاؤهم إليها، لأنهم يدعون إليها.

وفي ما ﴿أدبر وتولى﴾ عنه أربعة أوجه:

أحدها: أدبر عن الطاعة وتولى عن الحق، قاله مجاهد.

الثاني: أدبر عن الإيمان وتولى إلى الكفر، قاله مقاتل.

الثالث: أدبر عن أمر اللَّه وتولى عن كتاب اللَّه، قاله قتادة.

الرابع: أدبر عن القبول وتولى عن العمل.

﴿وجَمَع فأوْعَى﴾ يعني الذي أدبر وتولى جمع المال فأوعى، بأن جعله في وعاء حفظاً له ومنعاً لحق اللَّه منه، قال قتادة: فكان جموعاً منوعاً.

﴿إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا (١٩) إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا (٢٠) وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا (٢١) إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ (٢٢) ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ (٢٣) وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ (٢٤) لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ (٢٥) وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ (٢٦) وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ (٢٧) إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ (٢٨) وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَـٰفِظُونَ (٢٩) إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (٣٠) فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ (٣١) وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَـٰنَـٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ (٣٢) وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَـٰدَٰتِهِمْ قَآئِمُونَ (٣٣) وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ (٣٤) أُو۟لَـٰٓئِكَ فِى جَنَّـٰتٍ مُّكْرَمُونَ (٣٥)﴾

﴿إنّ الإنسانَ خُلِقَ هَلُوعاً﴾ قال الضحاك والكلبي: يعني الكافر. وفي الهلوع ستة أوجه:

أحدها: أنه البخيل، قاله الحسن.

الثاني: الحريص، قاله عكرمة.

الثالث: الضجور، قاله قتادة.

الرابع: الضعيف، رواه أبو الغياث.

الخامس: أنه الشديد الجزع، قاله مجاهد.

السادس: أنه الذي قال اللَّه تعالى فيه: ﴿إذا مسّه الشرُّ..﴾ الآية، قاله ابن عباس.

وفيه وجهان :

أحدهما: إذا مسه الخير لم يشكر، وإذا مسه الشر لم يصبر، وهو معنى قول عطية.

الثاني: إذا استغنى منع حق اللّه وشح، وإذا افتقر سأل وألح، وهو معنى قول يحيى بن سلام.

﴿الذين هُمْ على صَلاتِهم دائمونَ﴾ فيه ثلاثة أوجه :

أحدها: يحافظون على مواقيت الفرض منها، قاله ابن مسعود.

الثاني: يكثرون فعل التطوع منها، قاله ابن جريج.

الثالث: لا يلتفتون فيها، قاله عقبة بن عامر.

﴿والذين هم لأماناتِهم وعَهْدِهم راعُونَ﴾ فيه وجهان :

أحدهما: أن الأمانة ما ائتمنه الناس عليه أن يؤديه إليهم، والعهد: ما عاهد الناس عليه أن يَفيَ لهم به، قاله يحيى بن سلام.

الثاني: أن الأمانة الزكاة أن يؤديها، والعهد: الجنابة أن يغتسل منها وهو معنى قول الكلبي.

ويحتمل ثالثاً: أن الأمانة ما نهي عنه من المحظورات، والعهد ما أمر به من المفروضات(١٢٢).

﴿والذين هُم بشهاداتِهم قائمونَ﴾ فيه وجهان :

أحدهما: أنها شهادتهم على أنبيائهم بالبلاغ، وعلى أممهم بالقبول أو الامتناع.

الثاني: أنها الشهادات في حفظ الحقوق بالدخول فيها عند التحمل، والقيام بها عند الأداء.

ويحتمل ثالثاً: أنهم إذا شاهدوا أمراً أقاموا الحق للّه تعالى فيه، من معروف يفعلونه ويأمرون به، ومنكر يجتنبونه وينهون عنه.

فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ ﴿٣٦﴾ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ ﴿٣٧﴾ أَيَطْمَعُ كُلُّ ٱمْرِيٍٕ

(١٢٢) وهذا القول اعم وأشمل وقد أشبعنا الكلام على ذلك في سورة الأحزاب فراجعه.

﴿مِنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ﴿٣٨﴾ كَلَّا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ ﴿٤٠﴾ عَلَىٰ أَنْ نُبَدِّلَ خَيْرًا مِنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٤١﴾ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٤٢﴾ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾ خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَٰلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٤٤﴾﴾

﴿فما للذين كفروا قِبلَكَ مُهْطِعينَ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: مسرعين، قاله الأخفش، قال الشاعر(١٢٣):

بمكةَ دارُهم ولقد أراهم بمكةَ مُهطِعين إلى السماع

الثاني: معرضين، قاله عطية العوفي.

الثالث: ناظرين إليك تعجباً، قاله الكلبي.

﴿عن اليمين وعن الشِّمال عِزِينَ﴾ فيه خمسة أوجه:

أحدها: متفرقين، قاله الحسن، قال الراعي(١٢٤):

أخليفةَ الرحمنِ إن عشيرتي أمسى سَراتُهُمُ إليك عِزينا.

الثاني: محتبين، قال مجاهد.

الثالث: أنهم الرفقاء والخلطاء، قاله الضحاك.

الرابع: أنهم الجماعة القليلة، قاله ابن أسلم.

الخامس: أن يكونوا حِلقاً وفرقاً.

روى أبو هريرة أن النبي(١٢٥)ﷺ خرج على أصحابه وهم حِلَق فقال: «ما لي أراكم عزين»، قال الشاعر(١٢٦):

---

(١٢٣) فتح القدير (٥/٢٩٣) والقرطبي (١٨/٢٩٢).

(١٢٤) فتح القدير (٥/٢٩٣) والقرطبي (١٨/٢٩٢) والطبري (٢٩/٨٦) خزانة الأدب (١/٥٠٢)، جمهرة أشعار العرب (١٧٢ ـ ١٧٦).

(١٢٥) رواه الطبري (٢٩/٨٦) وزاد السيوطي في الدر (٨/٢٨٦) نسبته لابن مردويه وقال الحافظ ابن كثير (٤/٤٢٣) وهذا إسناد جيد ولم أره في شيء من الكتب الستة من هذا الوجه».

قلت ورواه مسلم (١/٣٢٢) من حديث جابر بن سمرة وكذا الطبري (٢٩/٨٦) وغيرها كما في الدر (٨/٢٨٦).

(١٢٦) فتح القدير (٥/٢٩٣) والقرطبي (١٨/٩٣).

ترانا عنده والليل داج على أبوابه حِلقاً عِزينا.

﴿يوم يَخْرجون من الأجداثِ سِراعاً﴾ يعني من القبور.

﴿كأنهم إلى نُصُبٍ يُوفِضُونَ﴾ في «نصب» قراءتان: إحداهما بتسكين الصاد، والأخرى بضمها(١٢٧).

وفي اختلافهما وجهان:

أحدهما: معناهما واحد، قاله المفضل وطائفة، فعلى هذا في تأويله أربعة أوجه:

أحدها: معناه إلى علم يستبقون، قاله قتادة.

الثاني: إلى غايات يستبقون، قاله أبو العالية.

الثالث: إلى أصنامهم يسرعون، قاله ابن زيد، وقيل إنها حجارة طوال كانوا يعبدونها.

الرابع: إلى صخرة بيت المقدس يسرعون.

والوجه الثاني من الأصل أن معنى القراءتين مختلف، فعلى هذا في اختلافهما وجهان:

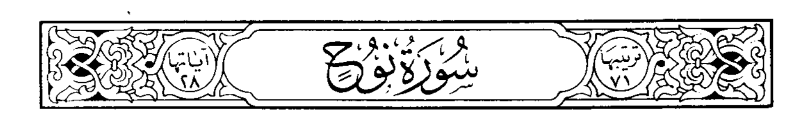
أحدهما: أن النُّصْب بالتسكين الغاية التي تنصب إليها بصرك، والنُّصُب بالضم واحد الأنصاب، وهي الأصنام، قاله أبو عبيدة ومعنى «يوفضون» يسرعون، والإيفاض الإسراع، ومنه قول رؤبة(١٢٨):

يمشين بنا الجد على الإيفاض بقطع أجواز الفلا انفضاض.

---

(١٢٧) وهي قراءة ابن كثير وعاصم ونافع وأبي عمرو وحمزة والكسائي هكذا «نَصْب» بفتح فسكون وقرىء «نُصْب» بضم فسكون وهي قراءة ابن عباس وابن مجلز والنخعي راجع زاد المسير (٨/٣٦٦، ٣٦٧) والسبعة لابن مجاهد ٦٥١ والحجة ٧٢٤، ٧٢٥.

(١٢٨) اللسان «وفض»، الطبري (٢٩/٧٩).



مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝١ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٢ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ۝٣ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ ۖ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٤﴾

قوله عز وجل: **﴿إنا أرْسَلْنا نُوحاً إلى قَوْمِه﴾** روى قتادة عن أنس أن النبي ﷺ قال[١٢٩]: «أول نبي أُرسل نوح»، قال قتادة: بعث من الجزيرة.

واختلف في سنه حين بعث:

قال ابن عباس: بعث وهو ابن أربعين سنة.

وقال عبد اللَّه بن شداد: بعث وهو ابن ثلاثمائة وخمسين سنة.

وقال إبراهيم بن يزيد: إنما سمي نوحاً لأنه كان ينوح على نفسه في الدنيا.

﴿أنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أن يأتيهم عَذابٌ أليمٌ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: يعني عذاب النار في الآخرة، قاله ابن عباس.

الثاني: عذاب الدنيا، وهو ما ينزل عليهم بعد ذلك من الطوفان، قاله الكلبي،

(١٢٩) تقدم تخريجه في سورة الأعراف وهود.

وكان يدعو قومه وينذرهم فلا يرى منهم مجيباً، وكانوا يضربونه حتى يغشى عليه، فيقول: رب اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون.

﴿يَغْفِرْ لكم مِن ذُنوبكم﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أن «من» صلة زائدة، ومعنى الكلام يغفر ذنوبكم، قاله السدي.

الثاني: أنها ليست صلة، ومعناه يخرجكم من ذنوبكم، قاله زيد بن أسلم.

الثالث: معناه يغفر لكم من ذنوبكم ما استغفرتموه منها، قاله ابن شجرة.

﴿ويُؤَخِّرْكم إلى أجَلٍ مُسمى﴾ يعني إلى موتكم وأجلكم الذي خط لكم، فيكون موتكم بغير عذاب إن آمنتم.

﴿إنّ أَجَلَ اللَّهِ إذا جاءَ لا يُؤَخَّرُ لو كنتم تَعْلَمونَ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: يعني بأجل اللَّه الذي لا يؤخر يوم القيامة، جعله اللَّه أجلاً للبعث، قاله الحسن.

الثاني: يعني أجل الموت إذا جاء لم يؤخر، قاله مجاهد.

الثالث: يعني أجل العذاب إذا جاء لا يؤخر، قاله السدي.

وفي قوله: «لو كنتم تعلمون» وجهان:

أحدهما: أن ذلك بمعنى إن كنتم تعلمون.

الثاني: لو كنتم تعلمون لعلمتم أن أجل اللَّه إذا جاء لا يؤخر، قاله الحسن.

قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِيَ إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْاْ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّواْ وَٱسْتَكْبَرُواْ ٱسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّيٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَرَوْاْ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾

﴿وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا (١٧) ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا (١٨) وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا (١٩) لِّتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا (٢٠)﴾

﴿قال رَبِّ إنّي دَعَوْتُ قَوْمي ليلاً ونهاراً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: دعوتهم ليعبدوك ليلاً ونهاراً.

الثاني: دعوتهم ليلاً ونهاراً إلى عبادتك(١٣٠).

﴿فلم يَزِدْهم دُعائي إلاّ فِراراً﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: إلا فراراً من طاعتك.

الثاني: فراراً من إجابتي إلى عبادتك.

قال قتادة: بلغني أنه كان يذهب الرجل بابنه إلى نوح، فيقول لابنه: احذر هذا لا يغرنك فإن أبي قد ذهب بي إليه وأنا مثلك، فحذرني كما حذرتك.

﴿وإنِّي كلما دَعَوْتُهم لِتغْفِرَ لهم﴾ يعني كلما دعوتهم إلى الإيمان لتغفر لهم ما تقدم من الشرك.

﴿جعلوا أصابعهم في آذانِهم﴾ لئلا يسمعوا دعاءه ليؤيسوه من إجابة ما لم يسمعوه، قال محمد بن إسحاق: كان حليماً صبوراً.

﴿واستغْشَوْا ثيابَهم﴾ أي غطوا رؤوسهم وتنكروا لئلا يعرفهم.

﴿وأَصَرُّوا﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: أنه إقامتهم على الكفر، قال قتادة: قدماً قدماً في معاصي اللَّه لالتهائهم عن مخافة اللَّه حتى جاءهم أمر اللَّه.

الثاني: الإصرار: أن يأتي الذنب عمداً، قاله الحسن.

الثالث: معناه أنهم سكتوا على ذنوبهم فلم يستغفروا، قاله السدي.

﴿واستكْبَروا استكباراً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن ذلك كفرهم باللَّه وتكذيبهم لنوح، قاله الضحاك.

الثاني: أن ذلك تركهم التوبة، قاله ابن عباس، وقوله «استبكاراً» تفخيم.

---

(١٣٠) قال محقق المطبوعة: الفرق بين الوجهين أن الأول معناه أنه دعاهم أن يعبدو الله في الليل والنهار والثاني معناه ان دعوته لهم مستمرة بالليل والنهار.

﴿ثم إنّي دَعْوتُهم جِهاراً﴾ أي مجاهرة يرى بعضهم بعضاً.

﴿ثم إني أعْلَنْتُ لهم﴾ يعني الدعاء، قال مجاهد: معناه صِحْتُ.

﴿وأسْرَرْتُ لهم إسْراراً﴾ الدعاء عن بعضهم من بعض، وفيه وجهان:

أحدهما: أنه دعاهم في وقت سراً، وفي وقت جهراً.

الثاني: دعا بعضهم سراً وبعضهم جهراً، وكل هذا من نوح مبالغة في الدعاء وتلطفاً في الاستدعاء.

﴿فقلتُ استغْفِروا ربّكم إنّه كان غَفّاراً﴾ وهذا فيه ترغيب في التوبة، وقد روى حذيفة عن النبي ﷺ أنه قال(١٣١): الاستغفار ممحاة للذنوب.

وقال: الفضيل: يقول العبد استغفر اللّه، قال: وتفسيرها أقلني.

﴿يُرْسِلِ السماءَ عليكم مِدْراراً﴾ يعني غيثاً متتابعاً(١٣٢)، وقيل إنهم كانوا قد أجدبوا أربعين سنة، حتى أذهب الجدب أموالهم وانقطع الولد عن نسائهم، فقال ترغيباً في الإيمان.

﴿ويُمْدِدْكم بأموالٍ وبنينَ ويَجْعَل لكم جَنّاتٍ ويَجْعَل لكم أنهاراً﴾ قال قتادة: علم نبي اللّه نوح أنهم أهل حرص على الدنيا، فقال هلموا إلى طاعة اللّه فإن من طاعته درك الدنيا والآخرة.

﴿ما لكم لا ترجون للّه وقاراً﴾ فيه خمسة تأويلات:

أحدها: ما لكم لا تعرفون للّه عظمة، قاله مجاهد وعكرمة.

الثاني: لا تخشون للّه عقاباً وترجون منه ثواباً، قاله ابن عباس في رواية ابن جبير.

الثالث: لا تعرفون للّه حقه ولا تشكرون له نعمه، قاله الحسن.

الرابع: لا تؤدون للّه طاعة، قاله ابن زيد.

الخامس: أن الوقار الثبات، ومنه قوله تعالى: «وقرن في بيوتكن» [الأحزاب: ٣٣]أي اثبتن، ومعناه لا تثبتون وحدانية اللّه وأنه إلهكم الذي لا إله لكم سواه، قال

---

(١٣١) تخريجه لم أعثر عليه ولكن روى مسلم (٤/٢١٠٥). من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ «والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم» وروى مسلم (٤/٢١٠٥) نحوه من حديث أبي ايوب الأنصاري مرفوعاً.

(١٣٢) وفي الآية دليل على أن الاستغفار يستنزل به لله الرزق والامطار.

ابن بحر: دلهم على ذلك فقال: ﴿وقد خلقكم أطواراً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: يعني طوراً نطفة، ثم طوراً علقة، ثم طوراً مضغة، ثم طوراً عظماً، ثم كسونا العظام لحماً، ثم أنشأناه خلقاً آخر أنبتنا له الشعر وكملت له الصورة، قاله قتادة.

الثاني: أن الأطوار اختلافهم في الطول والقصر، والقوة والضعف والهم والتصرف، والغنى والفقر.

ويحتمل ثالثاً: أن الأطوار اختلافهم في الأخلاق والأفعال.

﴿ألَمْ تَروْا كيف خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سمواتٍ طِباقاً﴾ فيها قولان:

أحدهما: أنهن سبع سموات على سبع أرضين، بين كل سماء وأرض خلق، وهذا قول الحسن.

والثاني: أنهن سبع سموات طباقاً بعضهن فوق بعض، كالقباب، وهذا قول السدي.

﴿وجَعَل القَمَرَ فيهنّ نُوراً﴾ فيه قولان:

أحدهما: معناه وجعل القمر فيهن نوراً لأهل الأرض، قاله السدي.

الثاني: أنه جعل القمر فيهن نوراً لأهل السماء والأرض، قاله عطاء.

وقال ابن عباس: وجهه يضيء لأهل الأرض، وظهره يضيء لأهل السماء.

﴿وجَعَل الشّمْسَ سِراجاً﴾ يعني مصباحاً لأهل الأرض، وفي إضافته لأهل السماء القولان الأولان.

﴿واللَّه أنْبَتَكُم مِنَ الأرضِ نَباتاً﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: يعني آدم خلقه من أديم الأرض كلها، قاله ابن جريج، وقال خالد بن معدان: خلق الإنسان من طين، فإنما تلين القلوب في الشتاء.

الثاني: أنبتهم من الأرض بالكبر بعد الصغر، وبالطول بعد القصر، قاله ابن بحر.

الثالث: أن جميع الخلق أنشأهم باغتذاء ما تنبته الأرض وبما فيها، وهو محتمل.

﴿ثم يُعيدُكم فيها﴾ يعني أمواتاً في القبور.

﴿ويُخْرِجُكم إخْراجاً﴾ للنشور بالبعث.

﴿واللَّهُ جعَل لكم الأرضَ بِساطاً﴾ أي مبسوطة، وفيه دليل على أنها مبسوطة.

﴿لِتَسْلُكوا منها سُبُلاً فجاجاً﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: طرقاً مختلفة، قاله ابن عباس.

الثاني: طرقاً واسعة، قاله ابن كامل.

الثالث: طرقاً أعلاماً، قاله قتادة.

قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَٱتَّبَعُوا۟ مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾ وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾ وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا۟ كَثِيرًا ۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلًا ﴿٢٤﴾

﴿قال نوحٌ ربِّ إنهم عَصَوْني﴾ قال أهل التفسير: لبث فيهم ما أخبر اللَّه به ألف سنة إلا خمسين عاماً داعياً لهم، وهم على كفرهم وعصيانهم، قال ابن عباس: رجا نوح الأبناء بعد الآباء، فيأتي بهم الولد بعد الولد حتى بلغوا سبعة قرون، ثم دعا عليهم بعد الإياس منهم، وعاش بعد الطوفان ستين سنة، حتى كثر الناس وفشوا.

قال الحسن: كان قوم نوح يزرعون في الشهر مرتين.

﴿واتّبَعوا مَنْ لم يَزِدْه مالُه ووَلدُه إلاّ خَساراً﴾ قرىء ولده بفتح الواو وضمها، وفيهما قولان:

أحدهما: أن الولد بالضم(١٣٣) الجماعة من الأولاد، والولد بالفتح واحد منهم، قاله الأعمش، قال الربيع بن زياد:

وإنْ تكُ حَرْبُكم أمست عواناً ... فإني لم أكُنْ مّمن جَناها.
ولكن وُلْدُ سَوْدَةَ أرّثوها ... وحَشّوا نارها لمن اصطلاها

﴿ومَكَرُوا مَكْراً كُبّاراً﴾ أي عظيماً، والكبّار أشد مبالغة من كبير.

وفيه وجهان، أحدهما: ما جعلوه للَّه من الصاحبة والولد، قاله الكلبي.

(١٣٣) وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو وحمزة والكسائي راجع زاد المسير (٨/٣٧٢، ٣٧٣) والسبعة لابن مجاهد ٦٥٢.

الثاني: هو قول كبرائهم لأتباعهم: ﴿وقالوا لا تَذَرُنَّ آلِهتكم ولا تَذَرُنَّ وَدّاً ولا سُواعاً﴾ الآية، قاله مقاتل.

وفي هذه الأصنام قولان:

أحدهما: أنها كانت للعرب لم يعبدها غيرهم ويكون معنى الكلام: كما قال قوم نوح لأتباعهم لا تذرن آلهتكم، قالت العرب مثلهم لأولادهم وقومهم لا تذرنّ وداً ولا سُواعاً ولا يغوث ويعوق ونسراً، ثم عاد الذكر بعد ذلك إلى قوم نوح(١٣٤).

واختلف في هذه الأسماء، فقال عروة بن الزبير: اشتكى آدم وعنده بنوه ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر، وكان ود أكبرهم وأبرهم به، وقال غيره(١٣٥): إن هذه الأسماء كانت لرجال قبل قوم نوح، فماتوا فحزن عليهم أبناؤهم حزناً شديداً، فزين لهم الشيطان أن يصوروهم لينظروا إليهم ففعلوا، ثم عبدها أبناؤهم من بعدهم. وقال محمد بن كعب: كانوا قوماً صالحين بين آدم ونوح فحدث بعدهم من أخذ في العبادة مأخذهم، فزين لهم إبليس أن يتصوروا صورهم ليتذكروا بها اجتهادهم، ثم عبدها من بعدهم قوم نوح، ثم انتقلت بعدهم إلى العرب فعبدها ولد إسماعيل.

فأما ود فهو أول صنم معبود، سمي بذلك لودهم له، وكان بعد قوم نوح لكلب بدومة الجندل من قول ابن عباس وعطاء ومقاتل، وفيه يقول شاعرهم:

حيّاك ودٌّ فإنا لا يحل لنا لهْوُ النساءِ وإنّ الدينَ قد عَزَما.

وأما سواع فكان لهذيل بساحل البحر، في قولهم. وأما يغوث فكان لغطيف من مراد بالجوف من سبأ، في قول قتادة، وقال مقاتل: حي من نجران.

قال أبو عثمان النهدي: رأيت يغوث وكان من رصاص وكانوا يحملونه على جمل أجرد، ويسيرون معه لا يهيجونه، حتى يكون هو الذي يبرك، فإذا برك نزلوا وقالوا: قد رضي لكم المنزل، فيضربون عليه بناء وينزلون حوله.

وأما يعوق فكان لهمدان ببلخع(*)، في قول قتادة وعكرمة وعطاء.

---

(١٣٤) لاحظ أنه لم يذكر الا قولاً واحداً فقط.

(١٣٥) هو ابن عباس رضي الله عنه وقد رواه البخاري (٥٣٥/٨) وقال الحافظ ابن حجر (٥٣٧/٨) وقصة الصالحين كانت مبتدأ عبادة قوم نوح هذه الاصنام ثم تبعهم من بعدهم على ذلك.

(*) وهو موضع باليمن.

وأما نسر فكان لذي الكلاع من حمير في قول عطاء ونحوه عن مقاتل[١٣٦].

﴿وقد أضَلّوُا كثيراً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: يريد أن هذه الأصنام قد ضل بها كثير من قومه.

الثاني: أن أكابر قومه قد أضلوا كثيراً من أصاغرهم وأتباعهم.

﴿ولا تَزِدِ الظّالمينَ إلاّ ضَلالاً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: إلا عذاباً، قاله ابن بحر واستشهد بقوله تعالى:

﴿إن المجرمين في ضلالٍ وسُعُرٍ﴾. [القمر: ٤٧]

الثاني: إلا فتنة بالمال والولد، وهو محتمل.

مِّمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمْ أُغْرِقُواْ فَأُدْخِلُواْ نَارًا فَلَمْ يَجِدُواْ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا ﴿٢٥﴾ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّواْ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾ رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّـٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًۢا ﴿٢٨﴾

﴿وقال نوحٌ ربِّ لا تَذَرْ على الأرضِ مِنَ الكافرين دَيّارا﴾ اختلفوا في سبب دعاء نوح على قومه بهذا على قولين:

أحدهما: أنه لما نزلت عليه قوله تعالى: **﴿لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن﴾** [هود: ٣٦]دعا عليهم بهذا الدعاء، قاله قتادة.

الثاني: أن رجلاً من قومه حمل ولده صغيراً على كتفه، فمر بنوح، فقال لابنه: إحذر هذا فإنه يضلك فقال: يا أبت أنزلني فأنزله فرماه فشجّهُ، فحينئذٍ غضب نوح ودعا عليهم.

وفي قوله**﴿ديّاراً﴾**وجهان:

أحدهما: أحداً، قاله الضحاك.

الثاني: من يسكن الديار، قاله السدي.

﴿ربِّ اغْفِرْ لي ولوالدَيّ﴾فيه قولان:

---

(١٣٦) لم يذكر المؤلف القول الثاني فتنبه.

أحدهما: أنه أراد أباه، واسمه لمك، وأمه واسمها منجل، وكانامؤمنين، قاله الحسن.

الثاني: أنه أراد أباه وجده، قاله سعيد بن جبير.

﴿ولمن دَخَل بَيْتَيِ مُؤْمِناً﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: يعني صديقي الداخل إلى منزلي، قاله ابن عباس.

الثاني: من دخل مسجدي، قاله الضحاك.

الثالث: من دخل في ديني، قاله جويبر.

﴿وللمؤمنين والمؤمنات﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنه أراد من قومه.

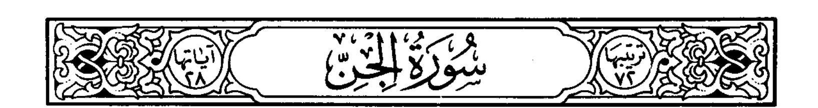
الثاني: من جميع الخلق إلى قيام الساعة، قاله الضحاك.

﴿ولا تَزِدِ الظالمينَ﴾ يعني الكافرين.

﴿إلا تباراً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: هلاكاً.

الثاني: خساراً، حكاهما السدي.



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ﴿٢﴾ وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴿٣﴾ وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ شَطَطًا ﴿٤﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴿٥﴾ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾ وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا۟ كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ ٱللَّهُ أَحَدًا ﴿٧﴾

قوله تعالى: **﴿قل أُوحِيَ إليَّ أنه اسْتَمَعَ نَفرٌ مِن الجِنِّ﴾** اختلف أهل التفسير في سبب حضور النفر من الجن إلى رسوله الله ﷺ لسماع القرآن على قولين:

أحدهما: أن الله تعالى صرفهم إليه بقوله: **﴿وإذ صَرَفْنا إليك نفراً من الجن﴾**، [الأحقاف: ٢٩]، قاله ابن مسعود والضحاك وطائفة.

الثاني: أنه كان للجن مقاعد في السماء الدنيا يستمعون منها ما يحدث فيها من أمور الدنيا، فلما بعث الله رسوله محمداً ﷺ حرست السماء الدنيا من الجن ورجموا بالشهب، قال السدي: ولم تكن السماء تحرس إلا أن يكون في الأرض نبي أو أثر له ظاهر، قال: فلما رأى أهل الطائف اختلاف الشهب في السماء قالوا: هلك أهل السماء فجعلوا يعتقون أرقاءهم ويسيبون مواشيهم، فقال لهم عبد ياليل بن عمرو:

ويحكم أمسكوا عن أموالكم وانظروا إلى معالم النجوم، فإن رأيتموها مستقرة في أمكنتها لم يهلك أهل السماء، وإنما هذا من أجل ابن أبي كبشة يعني محمداً فلما رأوها مستقرة كفّوا.

وفزعت الجن والشياطين، ففي رواية السدي أنهم أتوا إبليس فأخبروه بما كان من أمرهم، فقال: ائتوني من كل أرض بقبضة من تراب أشمها فأتوها فشمها فقال: صاحبكم بمكّة فبعث نفراً من الجن..

وفي رواية ابن عباس(١٣٧): أنهم رجعوا إلى قومهم فقالوا: ما حال بيننا وبين السماء إلا أمر حدث في الأرض، فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها، ففعلوا حتى أتوا تهامة، فوجدوا محمداً ﷺ يقرأ. ثم اختلفوا لاختلافهم في السبب، هل شاهد رسول الله ﷺ الجن أم لا؟

فمن قال إنهم صرفوا إليه قال إنه رآهم وقرأ عليهم ودعاهم، روى ابن مسعود أن (١٣٨) النبي ﷺ قال: قد أمرت أن أتلو القرآن على الجن فمن يذهب معي؟ فسكتوا، ثم الثانية فسكتوا، ثم الثالثة، فقال ابن مسعود أنا أذهب معك، فانطلق حتى جاء الحجون عند شعب أبي دُب، فخط عليَّ خطاً ثم قال: لا تجاوزه، ثم مضى إلى الحجون فانحدروا عليه أمثال الحجل حتى غشوة فلم أره، قال عكرمة: وكانوا اثني عشر ألفاً من جزيرة الموصل.

ومن قال إنهم صرفوا في مشارق الأرض ومغاربها لاستعلام ما حدث فيها، قال إن النبي ﷺ لم يرهم.

روى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: ما قرأ رسول الله ﷺ على الجن ولا رآهم، وإنما انطلق في نفر من أصحابه إلى سوق عكاظ، فأتوه وهو بنخلة عامداً، إلى سوق عكاظ وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر فلما سمعوا القرآن قالوا: هذا الذي حال بيننا وبين خبر السماء.

قال عكرمة: السورة التي كان يقرؤها ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ ﴾ واختلف قائلوا هذا

---

(١٣٧) رواه البخاري (٨/٥١٣، ٥١٨) ومسلم (٤٤٩) والترمذي (٣٣٢٠) والحاكم وصححه (٢/٥٠٣) وزاد السيوطي في الدر (٦/٢٩٦) نسبته لابن المنذر وابن مردويه والطبراني وعبد بن حميد وابي نعيم والبيهقي.

(١٣٨) تقدم تخريجه في سورة الأحقاف.

القول في عددهم، فروى عاصم عن زر بن حبيش أنهم كانوا تسعة، أحدهم زوبعة، أتوه في بطن نخلة.

وروى ابن جريج عن مجاهد: أنهم كانوا سبعة، ثلاثة من أهل حران، وأربعة من أهل نصيبين، وكانت أسماؤهم: حسى ومسى وماصر وشاصر والأرد وأتيان والأحقم[١٣٩].

وحكى جويبر عن الضحاك أنهم كانوا تسعة من أهل نصيبين قرية باليمن غير التي بالعراق، وهم سليط وشاصر وماصر وحسا ومنشا ولحقم والأرقم والأرد واتيان، وهم الذين قالوا إنا سمعنا قرآناً عجباً، وكانوا قد أدركوا رسول اللَّه ﷺ ببطن نخلة في صلاة الصبح فصلّوا معه: **﴿فلما قضى ولّوْا إلى قومهم منذرين قالوا يا قومنا أجيبوا داعي اللَّه وآمِنوا به﴾**.

وقيل إن الجن تعرف الإنس كلها فلذلك توسوس إلى كلامهم.

واختلف في أصل الجن، فروى إسماعيل عن الحسن البصري أن الجن[١٤٠] ولد إبليس، والإنس ولد آدم، ومن هؤلاء وهؤلاء مؤمنون وكافرون، وهم شركاء في الثواب والعقاب، فمن كان من هؤلاء وهؤلاء مؤمناً فهو ولي اللَّه، ومن كان من هؤلاء وهؤلاء كافراً فهو شيطان.

وروى الضحاك عن ابن عباس: أن الجن هم ولد الجان وليسوا شياطين وهم يموتون، ومنهم المؤمن والكافر، والشياطين هم ولد إبليس لا يموتون إلا مع إبليس.

واختلفوا في مؤمني الجن هل[١٤١] يدخلون الجنة على حسب الاختلاف في أصلهم، فمن زعم أنهم من الجان لا من ذرية إبليس قال يدخلون الجنة بإيمانهم، ومن قال هم من ذرية إبليس فلهم فيها قولان:

أحدهما: يدخلونها، وهو قول الحسن.

الثاني: وهو رواية مجاهد، لا يدخلونها وإن صرفوا عن النار.

وفي قوله تعالى: **﴿إنا سَمِعْنا قُرآنا عَجَباً﴾** ثلاثة أوجه:

أحدها: عجباً في فصاحة كلامه.

الثاني: عجباً في بلاغة مواعظه.

---

(١٣٩) وفي أسماء هؤلاء اختلاف بين المفسرين.

(١٤٠) وهو الصحيح وقد تقدم في سورة البقرة.

(١٤١) تقدم الخلاف في ذلك في سورة الأنعام وذكرنا أن الراجح أنهم يدخلون الجنة كالإنس.

الثالث: عجباً في عظم بركته.

﴿يَهْدِي إلى الرُّشْدِ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: مراشد الأمور.

الثاني: إلى معرفة اللَّه.

﴿وأنّه تَعالى جَدُّ ربّنا﴾ فيه عشرة تأويلات:

أحدها: أمر ربنا، قاله السدي.

الثاني: فعل ربنا، قاله ابن عباس.

الثالث: ذكر ربنا، وهو قول مجاهد.

الرابع: غنى ربنا، قاله عكرمة.

الخامس: بلاء ربنا، قاله الحسن.

السادس: مُلك ربنا وسلطانه، قاله أبو عبيدة.

السابع: جلال ربنا وعظمته، قاله قتادة.

الثامن: نعم ربنا على خلقه، رواه الضحاك.

التاسع: تعالى جد ربنا أي تعالى ربُّنا، قاله سعيد بن جبير.

العاشر: أنهم عنوا بذلك الجد الذي هو أبو الأب، ويكون هذا من قول الجن عن [جهالة].

﴿وأنه كان يقولُ سَفيهُنا على اللَّهِ شَطَطاً﴾ فيه قولان:

أحدهما: جاهلنا وهم العصاة منا، قال قتادة: عصاه سفيه الجن كما عصاه سفيه الإنس.

الثاني: أنه إبليس، قاله مجاهد وقتادة ورواه أبو بردة بن أبي موسى الأشعري عن أبيه عن النبي(١٤٢) ﷺ.

ومن قوله «شططاً» وجهان:

أحدهما: جوراً، وهو قول أبي مالك..

الثاني: كذباً، قاله الكلبي، وأصل الشطط البعد، فعبر به عن الجور لبعده من العدل، وعن الكذب لبعده عن الصدق.

---

(١٤٢) رواه الديلمي وابن مردويه كما في الدر (٨/٢٩٨) وسنده واه.

﴿وأنّه كانَ رجالٌ من الإنسِ يَعُوذون برجالٍ من الجنِّ﴾ قال ابن زيد: إنه كان الرجل في الجاهلية قبل الإسلام إذا نزل بواد قال: إني أعوذ بكبير هذا الوادي ـ يعني من الجن ـ من سفهاء قومه، فلما جاء الإسلام عاذوا بالله وتركوهم، وهو معنى قوله: «وأنه كان رجال».

وفي قوله: ﴿فزادُهم رَهقاً﴾ ثمانية تأويلات:

أحدها: طغياناً، قاله مجاهد.

الثاني: إثماً، قاله ابن عباس وقتادة، قال الأعشى[١٤٣]:

لا شيءَ ينفعني مِن دُون رؤيتها هل يَشْتفي عاشقٌ ما لم يُصبْ رهَقاً.

يعني إثماً.

الثالث: خوفاً، قاله أبو العالية والربيع وابن زيد.

الرابع: كفراً، قاله سعيد بن جبير.

الخامس: أذى، قاله السدي.

السادس: غيًّا، قاله مقاتل.

السابع: عظمة، قاله الكلبي.

الثامن: سفهاً، حكاه ابن عيسى.

﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾ وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾﴾

﴿وأنا لَمَسْنا السّماءَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: طلبنا السماءَ، والعرب تعبر عن الطلب باللمس تقول جئت ألمس الرزق وألتمس الرزق.

الثاني: قاربنا السماء، فإن الملموس مقارَب.

﴿فوَجَدْناها﴾ أي طرقها.

---

(١٤٣) ديوانه: ١١٦ والقرطبي (١٩/ ١٠) روح المعاني (٢٩/ ٨٥) فتح القدير (٥/ ٣٠٥) اللسان «رهق» الطبري (٢٩/ ١٠٩).

﴿مُلئتْ حَرَساً شديداً﴾ هم الملائكة الغلاظ الشداد.

﴿وشُهُباً﴾ جمع شهاب وهو انقضاض الكواكب المحرقة لهم عند استراق السمع، واختلف في انقضاضها في الجاهلية قبل مبعث الرسول ﷺ على قولين:

أحدهما: أنها كانت تنقض في الجاهلية[١٤٤]، وإنما زادت بمبعث الرسول إنذاراً بحاله، قال أوس بن حجر، وهو جاهلي[١٤٥]:

فانقضّ كالدُّرّيِّ يَتْبَعُهُ ... نقعٌ يثورُ تخالُهُ طُنُباً.

وهذا قول الأكثرين.

الثاني: أن الانقضاض لم يكن قبل المبعث وإنما أحدثه الله بعده، قال الجاحظ: وكل شعر روي فيه فهو مصنوع.

﴿وأنّا كُنّا نَقْعُدُ مِنها مَقاعِدَ للسّمْعِ﴾ يَعْني أن مردة الجن كانوا يقعدون من السماء الدنيا مقاعد للسمع يستمعون من الملائكة أخبار السماء حتى يُلقوها إلى الكهنة فتجري على ألسنتهم، فحرسها اللَّه حين بعث رسوله بالشهب المحرقة، فقالت الجن حينئذٍ:

﴿فمن يستمع الآن يجد له شهاباً رَصَداً﴾ يعني بالشهاب الكوكب المحرق، والرصد من الملائكة.

أما الوحي فلم تكن الجن تقدر على سماعه، لأنهم كانوا مصروفين عنه من قبل.

﴿وأنّا لا نَدْرِي أَشَرٌ أُرِيدَ بمن في الأرضِ أمْ أرادَ بهم ربُّهم رَشَداً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أنهم لا يدرون هل بعث اللَّه محمداً ليؤمنوا به ويكون ذلك منهم رشداً ولهم ثواباً، أم يكفروا به فيكون ذلك منهم شراً وعليهم عقاباً، وهذا معنى قول السدي وابن جريج.

الثاني: أنهم لا يدرون حراسة السماء بالشهب هل شر وعذاب أم رشد وثواب، قاله ابن زيد.

---

(١٤٤) تقدم الكلام على ذلك في سورة الصافات فراجعه.

(١٤٥) روح المعاني (٢٩/٨٧) والقرطبي (١٩/١٣) شواهد الكشاف (٤/٥٠١).

﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا ﴿١١﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا ﴿١٢﴾ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦ فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ﴿١٣﴾ وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾ وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾﴾

﴿وأنّا مِنّا الصّالحونَ﴾ يعني المؤمنين.

﴿ومنّا دون ذلك﴾ يعني المشركين.

ويحتمل أن يريد بالصالحين أهل الخير، وبـ«**دون ذلك**» أهل الشر ومن بين الطرفين على تدريج، وهو أشبه في حمله على الإيمان والشرك لأنه إخبار منهم عن تقدم حالهم قبل إيمانهم.

﴿كُنّا طَرائقَ قِدَداً﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: يعني فِرقاً شتى، قاله السدي.

الثاني: أدياناً مختلفة، قاله الضحاك.

الثالث: أهواء متباينة، ومنه قول الراعي(١٤٦):

القابض الباسط الهادي بطاعته ... في فتنة الناس إذ أهواؤهم **قِدَدُ**

﴿وأنّا لَما سَمِعْنا الهُدَى آمَنّا به﴾ يعني القرآن سمعوه من النبي ﷺ فآمنوا به وصدقوه على رسالته، وقد كان رسول الله مبعوثاً إلى الجن والإنس.

قال الحسن: بعث الله محمداً إلى الإنس والجن ولم يبعث الله تعالى رسولاً من الجن ولا من أهل البادية ولا من النساء، وذلك قوله تعالى: **﴿وما أرسَلْنا مِن قبلك إلا رجالاً نوحي إليهم من أهل القرى﴾**.

﴿فمن يؤمن بربّه فلا يخافُ بخساً ولا رَهقاً﴾ قال ابن عباس:

---

(١٤٦) فتح القدير (٥/٣٠٦) روح المعاني (٢٩/٨٨) القرطبي (١٩/١٥).

لا يخاف نقصاً في حسناته، ولا زيادة في سيئاته، لأن البخس النقصان، والرهق: العدوان، وهذا قول حكاه الله عن الجن لقوة إيمانهم وصحة إسلامهم، وقد روى عمار بن عبد الرحمن عن محمد بن كعب قال(١٤٧): بينما عمر بن الخطاب جالساً ذات يوم إذ مرّ به رجل، فقيل له: أتعرف المارّ يا أمير المؤمنين؟ قال: ومن هو؟ قالوا: سواد بن قارب رجل من أهل اليمن له شرف، وكان له رئيٌّ من الجن، فأرسل إليه عمر فقال له: أنت سواد بن قارب؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين، قال: وأنت الذي أتاك رئيٌّ من الجن يظهر لك؟ قال: نعم بينما أنا ذات ليلة بين النائم واليقظان إذ أتاني رئي من الجن فضربني برجله وقال: قم يا سواد بن قارب فاسمع مقالي واعقل إن كنت تعقل، إنه قد بعث رسول من لؤي بن غالب يدعو إلى الله وإلى عبادته، ثم أنشأ يقول:

عجبْتُ للجنّ وتطلابها ... وشدِّها العِيسَ بأذْنابها.

تهوي إلى مكة تبغي الهُدَى ... ما صادقُ الجن ككذّابها.

فارْحَلْ إلى الصفوةِ من هاشمٍ ... فليس قد أتاها كاذباً بها.

---

(١٤٧) أفاد الحافظ في الإصابة (٣/٢٢٠) أن هذا الطريق لحديث عمر رواه الحسن بن سفيان وأبو يعلى والحاكم والبيهقي والطبراني من طريق عثمان بن عبد الرحمن الوقّاصي عن محمد بن كعب القرظي وللحديث طرق عن عمر ومنها عن البراء بن عازب أخرجها البيهقي في الدلائل من طريق أبي إسحاق عن البراء ومنها عن سواد بن قارب من طريق عباد بن عبد الصمد: سمعت سعيد بن جبير أخبرني سواد بن قارب ومنها عن عبدالله بن عبد الرحمن من طرق أخرجها الحسن بن سفيان عن الحسن بن عمارة عن عبدالله بن عبد الرحمن قال دخل سواد بن قارب على عمر ومنها عن أنس مرفوعاً أخرجها ابن شاهين من طريق الفضل بن عيسى القرشي عن العلاء بن زيدل عن أنس بن مالك قال: دخل رجل من دوس يقال له سواد بن قارب على النبي ﷺ.. فذكر القصة بطولها راجع بقية الطرق في الإصابة (٣/٢١٩ ـ ٢٢٠) (تنبيه) قول المؤلف هنا عمار بن عبد الرحمن خطأ والصواب عثمان بن عبد الرحمن والتصويب من الإصابة.

(*) الحديث الذي أورده المؤلف هنا من طريق عثمان بن عبد الرحمن الوقّاصي عن محمد بن كعب إسناده ضعيف جداً لأن فيه عثمان بن عبد الرحمن وهو متروك الحديث قال البخاري فيه تركوه وقال ابن معين ليس بشيء وقال مرة يكذب وضعفه عليّ بن المديني جداً وقال النسائي والدارقطني متروك راجع ترجمته في الميزان (٣/٤٣ ـ ٤٥).

فقلت دعني أنام فإني أمسيت ناعساً، ولم أرفع بما قاله رأساً، فلما كان الليلة الثانية أتاني فضربني برجله، وقال: قم يا سواد بن قارب فاسمع مقالتي واعقل إن كنت تعقل إنه قد بعث رسول من لؤي بن غالب يدعو إلى اللّه وإلى عبادته، ثم أنشأ يقول:

عجبْتُ للجنّ وتخيارها ... وشدِّها العيس بأكوارها.
تهوي إلى مكة تبغي الهدى ... ما مؤمن الجن ككفّارِها.
فارحلْ إلى الصفوةِ من هاشمٍ ... ما بين رابيها وأحجارها

فقلت له دعني فإني أمسيت ناعساً، ولم أرفع بما قال رأساً، فلما كان الليلة الثالثة أتاني وضربني برجله، وقال قم يا سواد بن قارب فاسمع مقالتي واعقل إن كنت تعقل، إنه قد بعث رسول من لؤي بن غالب يدعو إلى اللّه وإلى عبادته، ثم أنشأ يقول:

عجبت للجن وتحساسها ... وشدِّها العيسَ بأحْلاسها.
تهوي إلى مكة تبغي الهُدى ... ما خَيِّرُ الجنّ كأنجاسها.
فارحلْ إلى الصفوة من هاشم ... واسم بيديْك إلى رأسها.

قال: فأصبحت قد امتحن اللّه قلبي بالإسلام، فرحلتُ ناقتي فأتيت المدينة، فإذا رسول اللّه ﷺ وأصحابه، فقلت اسمع مقالتي يا رسول اللّه، قال: هات، فأنشأت أقول:

أتاني نجيّ بين هدءٍ ورقْدةٍ ... ولم يك فيما قد تلوْتُ بكاذبِ
ثلاث ليال قوله كل ليلةٍ ... أتاك رسولٌ من لؤيّ بن غالب
فشمّرتَ من ذيلي الإزار ووسطت ... بي الذملُ الوجناء بين السباسِب
فأشهَدُ أن اللّه لا شيءَ غيرهُ ... وأنك مأمولٌ على كل غالبِ.

(*) وأما طريق أنس المرفوعة فضعيفة جداً بل باطلة.

فإن في سندها الفضل بن عيسى القرشي (كذا في الأصل والصواب الرقاشي) عن العلاء بن زيدل والفضل ضعفوه. وكان قدرياً خبيثاً كما قال ابن معين. راجع ترجمته في الميزان (٣/٣٥٦) وقال فيه سلام بن أبي مطيع: لو أن فضلاً الرقاشي ولد أخرساً كان خيراً له وقال أبو زرعة منكر الحديث وزاد ابو حاتم في حديثه بعض الوهن ليس بقوي وأما العلاء بن زيدل ويقال زيد أيضاً. فهو متروك الحديث رماه أبو الوليد الطيالسي بالكذب. . .

وأنـك أدنـى الـمـرسـلـين وسـيـلةً إلى اللّه يـا بن الأكـرمين الأطـايب.
فمُـرْنا بمـا يـأتيـك يـا خيـرَ من مشى وإن كـانَ فيمـا جـاءَ شيبُ الـذوائب.
وكن لي شفيعـاً يـومَ لا ذو شفـاعـةٍ سِـواك بمغنٍ عن سـوادِ بن قـارب.

ففرح رسول اللّه ﷺ وأصحابه بمقالتي فرحـاً شديـداً، حتى رئي الفرح في وجوههم، قال: فـوثب عمر فـالتزمـه وقال: قـد كنت أشتهي أن أسمع منـك هذا الحديث، فهل يأتيك رئيك من الجن اليوم؟ قال: [أما] وقد قرأت القرآن فلا، ونعم العوض كتاب اللّه عن الجن.

﴿وأنّا مِنّا المسْلِمونَ ومِنّا القاسِطونَ﴾ وهذا إخبار عن قول الجن بحال من فيهم من مؤمن وكافر، والقاسط: الجائر، لأنه عادل عن الحق، ونظيره الترِب والمُترِب، فالترِب الفقير، لأن ذهاب ماله أقعده على التراب، والمترب الغني لأن كثرة ماله قد صار كالتراب.

وفي المراد بالقاسطين ثلاثة أوجه:

أحدها: الخاسرون، قاله قتادة.

الثاني: الفاجرون، قاله ابن زيد.

الثالث: الناكثون، قاله الضحاك.

﴿وأن لو استقاموا على الطريقة﴾ ذكر ابن بحر أن كل ما في هذه السورة من «إن» المكسورة المثقلة فهو حكاية لقول الجن الذين استمعـوا القرآن فـرجعوا إلى قومهم منذرين، وكل ما فيها من «أن» المفتوحة المخففة أو المثقلة فهـو من وحي الرسول.

وفي هذه الاستقامة قولان:

أحدهما: أنها الإقامة على طريق الكفر والضلالة، قاله محمد بن كعب وأبو مجلز وغيرهما.

الثاني: الاستقامة على الهدى والطاعة، قاله ابن عباس والسدي وقتادة ومجاهد.

فمن ذهب إلى أن المراد الإقامة على الكفر والضلال فلهم في قوله ﴿لأسْقَيْناهم ماءً غَدَقاً﴾ وجهان:

(*) وأما طريق عبد الله بن عبد الرحمن. ففي سندها الحسن بن عمارة قاضي بغداد وهو متروك الحديث.

أحدهما: بلوناهم بكثرة الماء الغدق حتى يهلكوا كما هلك قوم نوح بالغرق، وهذا قول محمد بن كعب.

الثاني: لأسقيناهم ماء غدق ينبت به زرعهم ويكثر مالهم.

﴿لِنَفْتِنَهم فيه﴾ فيكون زيادة في البلوى، حكى السدي عن عمر في قوله «لأسقيناهم ماء غدقاً» أنه قال: حيثما كان الماء كان المال، وحيثما كان المال كانت الفتنة، فاحتملت الفتنة ها هنا وجهين:

أحدهما: افتتان أنفسهم.

الثاني: وقوع الفتنة والشر من أجله.

وأما من ذهب إلى أن المراد الاستقامة على الهدى والطاعة فلهم في تأويل قوله «لأسقيناهم ماءً غدقاً» أربعة أوجه:

أحدها: معناه لهديناهم الصراط المستقيم، قاله ابن عباس.

الثاني: لأوسعنا عليهم في الدنيا، قاله قتادة.

الثالث: لأعطيناهم عيشاً رغداً، قاله أبو العالية.

الرابع: أنه المال الواسع، لما فيه من النعم عليهم بحياة النفوس وخصب الزروع، قاله أبو مالك والضحاك وابن زيد.

وفي الغدق وجهان:

أحدهما: أنه العذب المعين، قاله ابن عباس، قاله أمية بن أبي الصلت:

مِزاجُها سلسبيلٌ ماؤها غَدَقٌ ... عَذْبُ المذاقةِ لا مِلْحٌ ولا كدرُ

الثاني: أنه الواسع الكثير، قاله مجاهد، ومنه قول كثير[١٤٨]:

وهبتُ لسُعْدَى ماءه ونباته ... فما كل ذي وُدٍّ لمن وَدَّ واهبُ.

لتروى به سُعدى ويروى محلّها ... وتغْدقَ أعداد به ومشارب.

(*) وأما طريق عباد بن عبد الصمد عن سعيد بن جبير الخ وعباد سماه في الميزان (٣/٣٦٩) عباد بن عبد الحميد وقال مجهول وقال البخاري: فيه نظر وفي نفس الطبقة عباد بن عبد الصمد أبو معمر روى عن أنس وهو بصري واهٍ واستظهر العلامة المعلمي في تحقيقه للتاريخ الكبير (٦/٤١) كونهما شخص واحد. كما في الجرح والتعديل لابن أبي حاتم.

(*) وأما حديث البراء ففي سنده المتقدم أبي إسحاق السبيعي وهو مدلس ولعل أصل القصة هو الثابت أما الأشعار وغيرها فغير ثابتة كما قال الحافظ في الإصابة (/٢٢٠) وأصلها في صحيح البخاري ( ) من طريق عن أبيه.

(١٤٨) هو من قصيده له أنشدها لسكينة بنت الحسين مطلعها فالمشارب.

فعلى هذا فيه وجهان:

أحدهما: أنه إخبار عن حالهم في الدنيا.

الثاني: أنه إخبار عن حالهم في الآخرة لنفتنهم فيه.

فإن قيل إن هذا وارد في أهل الكفر والضلال كان في تأويله ثلاثة أوجه:

أحدها: افتتان أنفسهم بزينة الدنيا.

الثاني: وقوع الفتنة والاختلاف بينهم بكثرة المال.

الثالث: وقوع العذاب بهم كما قال تعالى: «يوم هم على النار يُفْتَنون» [الذاريات: ١٣]أي يعذبون.

وإن قيل إنه وارد في أهل الهدى والطاعة فهو على ما قدمنا من الوجهين.

وهل هو اختبارهم في الدنيا ففي تأويله ثلاثة أوجه:

أحدها: لنختبرهم به، قاله ابن زيد.

الثاني: لنطهرهم من دنس الكفر.

الثالث: لنخرجهم به من الشدة والجدب إلى السعة والخصب.

فإن قيل إنه إخبار عمّا لهم في الآخرة ففي تأويله وجهان:

أحدهما: لنخلصهم وننجيهم، مأخوذ من فَتَن الذهب إذا خلّصه مِن غشه بالنار كما قال تعالى لموسى عليه السلام: ﴿وفَتَنّاك فُتوناً﴾ [طه: ٤٠] أي خلصناك من فرعون.

الثاني: معناه لنصرفنهم عن النار، كما قال تعالى: ﴿وإن كادوا ليفتنونك عن الذي أَوْحَينْا إليك لتفْتري علينا غيره﴾[الإسراء: ٧٣] أي ليصرفونك ﴿ومَنْ يُعْرِضْ عن ذِكْرِ ربِّه﴾ قال ابن زيد: يعني القرآن وفي إعراضه عنه وجهان:

أحدهما: عن القبول، إن قيل إنها من أهل الكفر.

الثاني: عن العمل، إن قيل إنها من المؤمنين.

﴿يَسْلُكْهُ عذاباً صَعَداً﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أنه جب في النار، قاله أبو سعيد.

الثاني: جبل في النار إذا وضع يده عليه ذابت، وإذا رفعها عادت، وهو مأثور[149]، وهذان الوجهان من عذاب أهل الضلال.

---

(١٤٩) وهو قول ابن عباس رواه الحاكم (٢/٥٠٤) وصححه ووافقه الذهبي وهناد وفي الزهد (٢/١٨٤) وزاد السيوطي في الدر (٨/٣٠٦) نسبته لعبدبن حميد وابن المنذر وقال محقق الزهد لهناد: رجاله ثقات

والوجه الثالث: أنه مشقة من العذاب يتصعد، قاله مجاهد.

وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُوا۟ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٠﴾ قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾ إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ ۚ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴿٢٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا ﴿٢٤﴾

﴿وأنَّ المساجدَ للَّهِ﴾ فيه أربعة أقاويل:

أحدها: يعني الصلوات للَّه، قاله ابن شجرة.

الثاني: أنها الأعضاء التي يسجد عليها للَّه، قاله الربيع.

الثالث: أنها المساجد التي هي بيوت اللَّه للصلوات، قاله ابن عباس.

الرابع: أنه كل موضع صلى فيه الإنسان، فإنه لأجل السجود فيه يسمى مسجداً.

﴿فلا تَدْعُوا مع اللَّهِ أَحَداً﴾ أي فلا تعبدوا معه غيره، وفي سببه ثلاثة أقاويل:

أحدها: ما حكاه الأعمش أن الجن قالت: يا رسول اللَّه ائذن لنا نشهد معك الصلاة في مسجدك، فنزلت هذه الآية.

الثاني: ما حكاه أبو جعفر محمد بن علّي أن الحمس[١٥٠] من مشركي أهل مكة وهم كنانة وعامر وقريش كانوا يُلبّون حول البيت: لبّيك اللهم لبيّك، لبيّك لا شريك

وإسناده صحيح وقد ورد مرفوعاً من حديث أبي سعيد الخدري رواه الترمذي (٣٣٢٦) وفي سنده ابن لهيعة وقال الترمذي: هذا حديث غريب إنما نعرفه مرفوعاً من حديث ابن لهيعة وقد روي شيء من هذا عن عطية عن أبي سعيد قوله موقوف أ هـ قلت: والموقوف أيضاً ضعيف رواه هناد في الزهد (١/ ١٨٤) وابن أبي الدنيا في صفة النار كما نقله محقق الزهد وفي إسناده عطية العوفي وهو ضعيف وعلى هذا فالحديث ضعيف مرفوعاً وموقوفاً وسيأتي الحديث المرفوع في سورة المدثر.

(١٥٠) وقد ثبت أن النبي ﷺ كان يمر بهم وهم يقولون هذه الكلمة ويقول: «لو تركتم هذه» يشير إلى الاستثناء في قولهم إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك» والمعنى أنهم لو تركوا هذا الاستثناء لصاروا موحدين لله تعالى.

لك، إلا شريكاً هو لك، تملكه وما ملك، فأنزل اللَّه هذه الآية نهياً أن يجعل للَّه شريكاً، وروى الضحاك عن ابن عباس[١٥١]: أن النبي ﷺ كان إذا دخل المسجد قدّم رجله اليمنى وقال: «﴿وأن المساجد للَّه فلا تدعوا مع اللَّه أحداً﴾ اللهم أنا عبدك وزائرك، وعلى كل مزور حق وأنت خير مزور فأسألك برحمتك أن تفك رقبتي من النار» وإذا خرج من المسجد قدم رجله اليسرى وقال: «اللهم صُبَّ الخير صبّاً ولا تنزع عني صالح ما أعطيتني أبداً ولا تجعل معيشتي كدّاً واجعل لي في الخير جداً»[١٥٢].

﴿وأنه لما قام عبدُ اللَّهِ يدعوه﴾ يعني محمداً، وفيه وجهان:

أحدهما: أنه قام إلى الصلاة يدعو ربه فيها، وقام أصحابه خلفه مؤتمين، فعجبت الجن من طواعية أصحابه له، قاله ابن عباس.

الثاني: أنه قام إلى اليهود داعياً لهم إلى اللَّه، رواه ابن جريج.

﴿كادوا يكونون عليه لِبَداً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: يعني أعواناً، قاله ابن عباس.

الثاني: جماعات بعضها فوق بعض، وهو معنى قول مجاهد، ومنه اللبد لاجتماع الصوف بعضه على بعض، وقال ذو الرمة[١٥٣]:

ومنهلٍ آجنٍ قفرٍ مواردهُ خُضْرٍ كواكبُه مِن عَرْمَضٍ لَبِدِ.

وفي كونهم عليه لبداً ثلاثة أوجه:

أحدها: أنهم المسلمون فيَ اجتماعهم على رسول اللَّه ﷺ قاله ابن جبير.

الثاني: أنهم الجن حين استمعوا من رسول اللَّه قراءته، قاله الزبير بن العوام.

الثالث: أنهم الجن والإنس في تعاونهم على رسول اللَّه في الشرك، قاله قتادة.

﴿قلْ إني لا أَمْلِكُ لكم ضَرّاً ولا رَشَداً﴾ يعني ضراً لمن آمن ولا رشداً لمن كفر، وفيه ثلاثة أوجه:

---

(١٥١) لم أهتد إلى تخريجه والله أعلم.

(١٥٢) لاحظ أنه لم يذكر القول الثالث.

(١٥٣) ديوانه: ٢٠١.

أحدها: عذاباً ولا نعيماً.

الثاني: موتاً ولا حياة.

الثالث: ضلالاً ولا هدى.

﴿قل إني لن يُجيرَني مِنَ اللَّهِ أَحدٌ﴾ روى أبو الجوزاء[١٥٤] عن ابن مسعود قال: انطلقتُ مع رسول اللَّه ﷺ ليلة الجن حتى أتى الحجون فخط خطاً ثم تقدم عليهم فازدحموا عليه، فقال سيد لهم يقال له وردان: أنا أزجلهم عنك، فقال: «**إني لن يجيرني من اللَّه أحد**»

ويحتمل وجهين:

أحدهما: لن يجيرني مع إجارة اللَّه لي أحد.

الثاني: لن يجيرني مما قدره اللَّه عليّ أحد.

﴿ولن أجدَ مِن دُونهِ مُلْتَحداً﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: يعني ملجأ ولا حرزاً، قاله قتادة.

الثاني: ولياً ولا مولى، رواه أبو سعيد.

الثالث: مذهباً ولا مسلكاً، حكاه ابن شَجرة، ومنه قول الشاعر[١٥٥]:

يـا لهفَ نفْسي ولهفي غيرُ مُجْـديةٍ عني ومـا مِن قضـاءِ اللَّهِ مُلْتَحَـدُ.

﴿إلا بلاغاً مِن اللَّه ورسالاتِه﴾ فيه وجهان:

أحدهما: لا أملك ضراً ولا رشداً إلا أن أبلغكم رسالات اللَّه، قاله الكلبي.

الثاني: لن يجيرني من اللَّه أحد إن لم أبلغ رسالات اللَّه، قاله مقاتل.

روى مكحول عن ابن مسعود: أن الجن بايعوا رسول اللَّه ﷺ في هذه الليلة، وكانوا سبعين ألفاً، وفرغوا من بيعته عند انشقاق الفجر.

﴿قُلْ إِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّىٓ أَمَدًا ﴿٢٥﴾ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ

---

(١٥٤) رواه ابن مردويه والبيهقي في الدلائل كما في الدر (٣٠٨/٨) وفيه ألا أرجلهم يعني أدفعهم برجلي والله أعلم.

(١٥٥) روح المعاني (٩٣/٢٩) فتح القدير (٣١٥/٥) القرطبي (٢٦/١٩)

﴿يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا ۝٢٧ لِيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ۝٢٨﴾

﴿عالِمُ الغيْب﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: عالم السر، قاله ابن عباس.

الثاني: ما لم تروه مما غاب عنكم، قاله الحسن.

الثالث: أن الغيب القرآن، قاله ابن زيد.

الرابع: أن الغيب القيامة وما يكون فيها[١٥٦]، حكاه ابن أبي حاتم.

﴿فلا يُظْهِرُ على غيْبه أَحَداً، إلا من ارتضى من رسـول﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: إلا من ارتضى من رسول اللّه هو جبريل[١٥٧]، قاله ابن جبير.

الثاني: إلا من ارتضى من نبي فيما يطلعه عليه من غيب، قاله قتادة.

﴿فإنه يَسْلُكُ مِن بَيْن يَدَيْه ومِنْ خَلْفه رَصَداً﴾ فيه قولان:

أحدهما: الطريق، ويكون معناه فإنه يجعل له إلى علم بعض ما كان قبله وما يكون بعده طريقاً، قاله ابن بحر.

الثاني: أن الرصد الملائكة، وفيهم ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنهم حفظة يحفظون النبي ﷺ من الجن والشياطين من أمامه وورائه، قاله ابن عباس وابن زيد، قال قتادة: هم أربعة.

الثاني: أنهم يحفظون الوحي فما جاء من اللّه قالوا إنه من عند اللّه، وما ألقاه الشيطان قالوا إنه من الشيطان، قاله السدي.

الثالث: يحفظون جبريل إذا نزل بالوحي من السماء أن يسمعه الجن إذا

---

(١٥٦) لاحظ أنه لم يذكر القول الثالث وقد استدل الزمخشري بالآية على مذهبه الفاسد في إبطال الكرامات ورد عليه العلماء. راجع كلام الشوكاني في فتح القدير (٥/٣١١، ٣١٢) فقد رد عليه بكلام رصين جداً.

(١٥٧) قال الإمام القرطبي (١٩/٢٨): قال العلماء رحمة الله عليهم: لما تمدح سبحانه بعلم الغيب واستأثر به دون خلقه كان فيه دليل على أنه لا يعلم الغيب أحد سواه ثم استثنى من ارتضاه من الرسل فأودعهم ما شاء من غيبه بطريق الوحي إليهم وجعله معجزة لهم ودلالة صادقة على نبوتهم وليس المنجم ومن ضاهاه ممن يضرب بالحصى وينظر في الكتب ويزجر بالطير ممن ارتضاه من رسول فيطلعه على ما يشاء من غيبه بل هو كافر بالله مفتر عليه بحدسه وتخمينه وكذبه أ هـ.

استرقوا السمع ليلقوه إلى كهنتهم قبل أن يبلغه الرسول إلى أمته، قاله الفراء.

﴿ليعْلَمَ أنْ قد أبْلَغوا رسالاتِ ربِّهم﴾ فيه خمسة أوجه:

أحدها: ليعلم محمد أن قد بلغ جبريل إليه رسالات ربه، قاله ابن جبير، وقال: ما نزل جبريل بشيء من الوحي إلا ومعه أربعة من الملائكة.

الثاني: ليعلم محمد أن الرسل قبله قد بلغت رسالات اللَّه وحفظت، قاله قتادة.

الثالث: ليعلم من كذب الرسل أن الرسل قد بلغت عن ربها ما أمرت به، قاله مجاهد.

الرابع: ليعلم الجن أن الرسل قد بلغوا ما أنزل اللَّه عليهم، ولم يكونوا هم المبلغين باستراق السمع عليهم، قاله ابن قتيبة.

الخامس: ليعلم اللَّه أن رسله قد بلغوا عنه رسالاته، لأنبيائه، قاله الزجاج.

﴿وأحاط بما لديهم﴾ قال ابن جريج: أحاط علماً.

﴿وأحْصى كُلَّ شيءٍ عَدَداً﴾ يعني من خلقه الذي يعزب إحصاؤه عن غيره.



مكية في قول الحسن وعكرمة وعطاء وجابر، وقال ابن عباس وقتادة إلا آيتين منها: قوله «واصبر على ما يقولون» والتي بعدها.

بسم الله الرحمن الرحيم

يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ (١) قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا (٢) نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا (٣) أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا (٤) إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا (٥) إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا (٦) إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا (٧) وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا (٨) رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا (٩)

قوله تعالى: ﴿يا أيها المزمّلُ﴾ قال الأخفش: أصله المتزمل فأدغم التاء في الزاي، وكذا المدثر.

وفي أصل المزمل: قولان:

أحدهما: المتحمل، يقال زمل الشيء إذا حمله، ومنه الزاملة التي تحمل القماش.

الثاني: المزمل هو المتلفف، قال امرؤ القيس(١٥٨):

---

(١٥٨) ديوانه: ٢٥ القرطبي (٢٩/٣٢) شرح القصائد السبع لأبي بكر الأنباري: ١٠٦ فتح القدير (٥/٣١٥).

كـأن ثـبيـراً فـي عـرانـيـن وبْـله ... كبيـرُ أنـاسٍ فـي بجـادٍ مُـزَمّـلِ.

وفيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: يا أيها المزمل بالنبوة، قاله عكرمة.

الثاني: بالقرآن، قاله ابن عباس.

الثالث: بثيابه، قاله قتادة.

قال إبراهيم: نزلت عليه وهو في قطيفة.

﴿قُمِ الليلَ إلا قليلاً﴾ يعني صلِّ الليل إلا قليلاً، وفيه وجهان:

أحدهما: إلا قليلاً من أعداد الليالي لا تقمها.

الثاني: إلا قليلاً من زمان كل ليلة لاتقمه وقد كان فرضاً عليه.

وفي فرضه على مَنْ سواه من أُمّته قولان:

أحدهما: فرض عليه دونهم لتوجه الخطاب إليه، ويشبه أن يكون قول سعيد ابن جبير.

الثاني: أنه فرض عليه وعليهم فقاموا حتى ورمت أقدامهم، قاله ابن عباس وعائشة.

وقال ابن عباس: كانوا يقومون نحو قيامه في شهر رمضان ثم نسخ فرض قيامه على الأمة، واختلف بماذا نسخ عنهم على قولين:

أحدهما: بالصلوات الخمس وهو قول عائشة.

الثاني: بآخر السورة، قاله ابن عباس.

واختلفوا في مدة فرضه إلى أن نسخ على قولين:

أحدهما: سنة، قال ابن عباس: كان بين أول المزمل وآخرها سنة.

الثاني: ستة عشر شهراً، قالته عائشة، فهذا حكم قيامه في فرضه ونسخه على الأمة.

فأما رسول اللّه ﷺ فقد كان فرضاً عليه، وفي نسخه عنه قولان:

أحدهما: المدة المفروضة على أمته في القولين الماضيين.

الثاني: أنها عشر سنين إلى أن خفف عنه بالنسخ زيادة في التكليف لتميزه بفضل الرسالة، قاله سعيد بن جبير.

وقوله «قم الليلَ إلاّ قليلاً» لأن قيام جميعه على الدوام غير ممكن فاستثنى منه القليل لراحة الجسد، والقليل من الشيء ما دون النصف.

حكي عن وهب بن منبه أنه قال: القليل ما دون المعشار والسدس.

وقال الكلبي ومقاتل: القليل الثلث.

وَحدُّ الليل ما بين غروب الشمس وطلوع الفجر الثاني.

ثم قال تعالى: ﴿نِصْفَهُ أو انقُصْ مِنْهُ قليلاً﴾ فكان ذلك تخفيفاً إذا لم يكن زمان القيام محدوداً، فقام الناس حتى ورمت أقدامهم، فروت عائشة أن النبي[١٥٩] ﷺ قام في الليل فقال: أيها الناس اكلفوا من الأعمال ما تطيقون، فإن اللّه لا يمل من الثواب حتى تملوا من العمل، وخير الأعمال ما ديم عليه.

ثم نسخ ذلك بقوله تعالى: «عَلِم أنْ لن تُحْصوه فتابَ عليكم فاقْرَؤوا ما تيسّر من القرآن»

﴿أوزِدْ عليه ورَتِّل القرآنَ تَرْتيلاً﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: بيّن القرآن تبياناً، قاله ابن عباس وزيد بن أسلم.

الثاني: فسّرْه تفسيراً، قاله ابن جبير.

الثالث: أن تقرأه على نظمه وتواليه، لا تغير لفظاً ولا تقدم مؤخراً مأخوذ من ترتيل الأسنان إذا استوى نبتها وحسن انتظامها، قاله ابن بحر.

﴿إنّا سنُلْقي عليكَ قوْلاً ثَقيلاً﴾ وهو القرآن، وفي كونه ثقيلاً أربعة تأويلات:

أحدها: أنه إذا أوحي إليه كان ثقيلاً عليه لا يقدر على الحركة حتى ينجلي عنه، وهذا قول عائشة[١٦٠] وعروة بن الزبير[١٦١].

الثاني: العمل به ثقيل في فروضه وأحكامه وحلاله وحرامه، قاله الحسن وقتادة.

الثالث: أنه في الميزان يوم القيامة ثقيل، قاله ابن زبير.

---

(١٥٩) رواه البخاري (١/١٠٩، ١١٠) ومسلم (٨٧٢) ومالك (١/١١٨) وأبو داود (١/٢١٨).

(١٦٠) روى البخاري (١/٣) من حديثها أن الحارث بن هشام رضي الله عنه سأل النبي ﷺ كيف يأتيك الوحي... الحديث وفيه قالت ولقد رأيته ينزل عليه الوحي ﷺ في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصد عرقاً» وروى أبو يعلى عنها بسند جيد كما قال الهيثمي في المجمع (٧/١٣٠) قالت كان النبي ﷺ إذا نزل عليه وجد ما قال الله عز وجل إنا سنلقي عليك قولاً ثقيلاً.

(١٦١) رواه الطبري (٢٩/١٢٧).

الرابع: ثقيل بمعنى كريم، مأخوذ من قولهم: فلان ثقيل عليّ أي كريم عليّ، قاله السدي.

ويحتمل تأويلاً خامساً: أن يكون ثقيل بمعنى ثابت، لثبوت الثقيل في محله، ويكون معناه أنه ثابت الإعجاز لا يزول إعجازه أبداً.

﴿إنّ ناشئةَ الليل هي أَشدُّ وطْئاً﴾ فيها ستة تأويلات:

أحدها: أنه قيام الليل، بالحبشية، قاله ابن مسعود.

الثاني: أنه ما بين المغرب والعشاء، قاله أنس بن مالك.

الثالث: ما بعد العشاء الآخرة، قاله الحسن ومجاهد.

الرابع: أنها ساعات الليل لأنها تنشأ ساعة بعد ساعة، قاله ابن قتيبة.

الخامس: أنه بدء الليل، قاله عطاء وعكرمة.

السادس: أن الليل كله ناشئة، قال ابن عباس: لأنه ينشأ بعد النهار.

وفي **«أشد وطْئاً»** خمسة تأويلات:

أحدها: مواطأة قلبك وسمعك وبصرك، قاله مجاهد.

الثاني: مواطأة قولك لعملك، وهو مأثور.

الثالث: مواطأة عملك لفراغك، وهو محتمل.

الرابع: أشد نشاطاً، قاله الكلبي، لأنه زمان راحتك.

الخامس: قاله عبادة: أشد وأثبت وأحفظ للقراءة.

وفي قوله: **﴿وأَقْوَمُ قِيلاً﴾** ثلاثة تأويلات:

أحدها: معناه أبلغ في الخير وأمعن في العدل، قاله الحسن.

الثاني: أصوب للقراءة وأثبت للقول لأنه زمان التفهم، قاله مجاهد وقتادة، وقرأ أنس بن مالك **«وأهيأ قيلاً»** وقال أهيأ وأقوم سواء.

الثالث: أنه أعجل إجابة للدعاء، حكاه ابن شجرة.

﴿إنّ لك في النهارِ سَبْحاً طويلاً﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: يعني فراغاً طويلاً لنَومك وراحتك، فاجعل ناشئة الليل لعبادتك، قاله ابن عباس وعطاء.

(*) هي الموافقة.

الثاني: دعاء كثيراً، قاله السدي وابن زيد والسبح بكلامهم هو الذهاب، ومنه سبح السابح في الماء[١٦٢].

﴿واذكر اسم ربك﴾ فيه وجهان:

أحدهما: اقصد بعملك وجه ربك.

الثاني: أنه إذا أردت القراءة فابدأ بسم اللّه الرحمن الرحيم، قاله ابن بحر.

ويحتمل وجهاً ثالثاً: واذكر اسم ربك في وعده ووعيده لتتوفر على طاعته وتعدل عن معصيته.

﴿وتَبَتّلْ إليه تَبْتِيلاً﴾ فيه أربعة تأويلات:

أحدها: أخلص إليه إخلاصاً، قاله مجاهد.

الثاني: تعبد له تعبداً، قاله ابن زيد.

الثالث: انقطع إليه انقطاعاً[١٦٣]، قاله أبو جعفر الطبري، ومنه مريم البتول لانقطاعها إلى اللّه تعالى، وجاء في الحديث النهي[١٦٤] عن التبتل الذي هو الانقطاع عن الناس والجماعات.

الرابع: وتضرّع إليه تضرّعاً.

﴿ربُّ المشْرِقِ والمْغرِبِ﴾ فيه قولان:

أحدهما: رب العالَمِ بما فيه لأنهم بين المشرق والمغرب، قاله ابن بحر.

الثاني: يعني مشرق الشمس ومغربها.

وفي المراد بالمشرق والمغرب ثلاثة أوجه:

أحدها: أنه استواء الليل والنهار، قاله وهب بن منبه.

الثاني: أنه دجنة الليل ووجه النهار، قاله عكرمة.

الثالث: أنه أول النهار وآخره، لأن نصف النهار أوله فأضيف إلى المشرق، ونصفه آخره فأضيف إلى المغرب.

---

(١٦٢) لاحظ أنه لم يذكر التأويل الثالث.

(١٦٣) جامع البيان (٢٩/١٣٢).

(١٦٤) ورد النهي من حديث سعد بن أبي وقاص وسمرة بن جندب مرفوعاً أما حديث سمرة فقد رواه الإمام أحمد (٥/١٧) والترمذي(٣/٣٨٤)والنسائي (٦/٥٩) وابن ماجه وأما حديث سعد بن أبي وقاص فقد رواه أحمد(١/١٧٦) والنسائي (٦/٥٨) ورمز السيوطي لصحته في الجامع الصغير (٦/٣٠٣) فيض.

﴿**فاتّخِذْهُ وَكيلاً**﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: مُعيناً.

الثاني: كفيلاً.

الثالث: حافظاً.

وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴿١٠﴾ وَذَرْنِي وَٱلْمُكَذِّبِينَ أُو۟لِي ٱلنَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا ﴿١١﴾ إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا وَجَحِيمًا ﴿١٢﴾ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣﴾ يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا ﴿١٤﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا ﴿١٦﴾ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا ﴿١٧﴾ ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ ۚ كَانَ وَعْدُهُۥ مَفْعُولًا ﴿١٨﴾

﴿**واهْجُرهم هَجْراً جَميلاً**﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: اصفح عنهم وقل سلام، قاله ابن جريج.

الثاني: أن يعرض عن سفههم ويريهم صغر عداوتهم.

الثالث: أنه الهجر الخالي من ذم وإساءة.

وهذا الهجر الجميل قبل الإذن في السيف(*).

﴿**وذَرْني والمُكذِّبينَ أُولي النّعْمةِ**﴾ قال يحيى بن سلام: بلغني أنهم بنو المغيرة، وقال سعيد بن جبير: أُخبرت أنهم اثنا عشر رجلاً من قريش.

ويحتمل قوله تعالى: «**أولي النّعْمةِ**» ثلاثة أوجه:

أحدها: أنه قال تعريفاً لهم إن المبالغين في التكذيب هم أولي النعمة.

الثاني: أنه قال ذلك تعليلاً، أي الذين أطغى هم أولو النعمة.

الثالث: أنه قال توبيخاً أنهم كذبوا ولم يشكروا من أولاهم النعمة.

﴿**ومهِّلْهم قليلاً**﴾ قال ابن جريج: إلى السيف.

(*) أي في الجهاد.

﴿إنّ لدينا أنْكالاً وجَحيماً﴾ في «أنكالاً» ثلاثة أوجه:

أحدها: أغلالاً، قاله الكلبي.

الثاني: أنها القيود، قاله الأخفش وقطرب، قالت الخنساء[١٦٥]:

دَعاك فَقَطّعْتَ أنكاله وقد كُنّ قبْلك لا تقطع.

الثالث: أنها أنواع العذاب الشديد، قاله مقاتل، وقد جاء عن النبي ﷺ أنه قال[١٦٦]: «إن اللّه تعالى يحب النكل على النكل، قيل: وما النكل؟ قال: الرجل القوي المجرب على الفرس القوي المجرب»، ومن ذلك سمي القيد نكلاً لقوته، وكذلك الغل، وكل عذاب قوي واشتد.

﴿وطعاماً ذا غُصَّةٍ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أنه شوك يأخذ الحلق فلا يدخل ولا يخرج، قاله ابن عباس.

الثاني: أنها شجرة الزقوم، قاله مجاهد.

﴿وكانت الجبالُ كَثيباً مَهيلاً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: رملاً سائلاً، قاله ابن عباس.

الثاني: أن المهيل الذي إذا وطئه القدم زل من تحتها وإذا أخذت أسفله انهال أعلاه، قاله الضحاك والكلبي.

﴿فأخَذْناه أخْذاً وَبِيلاً﴾ فيه أربعة تأويلات:

أحدها: شديداً، قاله ابن عباس ومجاهد.

الثاني: متتابعاً، قاله ابن زيد.

الثالث: ثقيلاً غليظاً، ومنه قيل للمطر العظيم وابل، قاله الزجاج.

الرابع: مهلكاً، ومنه قول الشاعر[١٦٧]:

أكَلتِ بَنيكِ أكْلَ الضّبِّ حتى وَجْدتِ مرارةَ [الكلإ الوبيل].(*)

﴿فكيف تتّقونَ﴾ يعني يوم القيامة.

---

(١٦٥) ديوان الخنساء وفيه ظن بدل كن، القرطبي (١٩/٤٦) فتح القدير (٥/٣١٨) وفيه أتوك بدلاً من دعاك.

(١٦٦) لم أهتد إلى تخريجه.

(١٦٧) القرطبي (١٩/٤٨).

(*) هاتان الكلمتان أخذناهما من تفسير القرطبي وقد سقطتا من الأصل.

﴿إن كفرتم يوماً يجْعَل الولدان شيباً﴾ الشيب: جمع أشيب، والأشيب والأشمط الذي اختلط سواد شعره ببياضه، وهو الحين الذي يقلع فيه ذو التصابي عن لهوه، قال الشاعر(١٦٨):

طربْتَ وما بك ما يُطرِب ... وهل يلعب الرجلُ الأشْيَبُ

وإنما شاب الولدان في يوم القيامة من هوْله.

﴿السماءُ مُنفطرٌ به﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: ممتلئة به، قاله ابن عباس.

الثاني: مثقلة، قاله مجاهد.

الثالث: مخزونة به، قاله الحسن.

الرابع: منشقة من عظمته وشدته، قاله ابن زيد.

﴿وكانَ وعْدُه مَفْعولاً﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: وعده بأن السماء منفطر به، وكون الجبال كثيباً مهيلاً، وأن يجعل الولدان شيباً، قاله يحيى بن سلام.

الثاني: وعده بأن يظهر دينه على الدين كله، قاله مقاتل.

الثالث: وعده بما بشّر وأنذر من ثوابه وعقابه.

وفي المعنى المكنى عنه في قوله «به» وجهان:

أحدهما: أن السماء منفطرة باليوم الذي يجعل الولدان شيباً، فيكون اليوم قد جعل الولدان شيباً، وجعل السماء منفطرة ويكون انفطارها للفناء.

الثاني: معناه أن السماء منفطرة بما ينزل منها بأن يوم القيامة يجعل الولدان شيباً، ويكون انفطارها بانفتاحها لنزول هذا القضاء منها.

إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿١٩﴾ ۞ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْۖ فَٱقْرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم

(١٦٨) هو حمزة بن بيض والبيت في المصوت لابن أحمد العسكري ص ١٣٤.

مَّرْضَىٰ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَٱقْرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَٱسْتَغْفِرُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾

﴿. . . واللَّهُ يُقدِّرُ الليلَ والنهارَ﴾ يعني يقدر ساعتهما، فاحتمل ذلك وجهين:

أحدهما: تقديرهما لأعمال عباده.

الثاني: لقضائه في خلْقه.

﴿عَلِمَ أن لن تُحْصُوهُ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: لن تطيقوا قيام الليل، قاله الحسن.

الثاني: يريد تقدير نصف الليل وثلثه وربعه، قاله الضحاك.

﴿فتابَ عليكم﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: فتاب عليكم من تقصيركم فيما مضى، فاقرؤوا في المستقبل ما تيسر.

الثاني: فخفف عنكم.

﴿فاقْرءُوا ما تيسّر مِنَ القُرآنِ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: فصلّوا ما تيسّر من الصلاة، فعبر عن الصلاة بالقرآن لما يتضمنها من القرآن.

فعلى هذا يحتمل في المراد بما تيسر من الصلاة وجهان:

أحدهما: ما يتطوع به من نوافله لأن الفرض المقدر لا يؤمر فيه بما تيسر.

الثاني: أنه محمول على فروض الصلوات الخمس لانتقال الناس من قيام الليل إليها، ويكون قوله «ما تيسر» محمولاً على صفة الأداء في القوة والضعف، والصحة والمرض، ولا يكون محمولاً على العدد المقدر شرعاً.

الثاني: أن المراد بذلك قراءة ما تيسر من القرآن حملاً للخطاب على ظاهر اللفظ.

فعلى هذا فيه وجهان:

أحدهما: أن المراد به قراءة القرآن في الصلاة فيكون الأمر به واجباً لوجوب القراءة في الصلاة.

واختلف في قدر ما يلزمه أن يقرأ به من الصلاة، فقدره مالك والشافعي بفاتحة الكتاب، لا يجوز العدول عنها ولا الاقتصار على بعضها، وقدرها أبو حنيفة بآية واحدة من أيّ القرآن كانت.

والوجه الثاني: أن المراد به قراءة القرآن من غير الصلاة، فعلى هذا يكون مطلق هذا الأمر محمولاً على الوجوب أو على الاستحباب؟ على وجهين:

أحدهما: أنه محمول على الوجوب ليقف بقراءته على إعجازه ودلائل التوحيد فيه وبعث الرسل، ولا يلزمه إذا قرأه وعرف إعجازه ودلائل التوحيد منه أن يحفظه، لأن حفظ القرآن من القرب المستحبة دون الواجبة.

الثاني: أنه محمول على الاستحباب دون الوجوب، وهذا قول الأكثرين لأنه لو وجب عليه أن يقرأه وجب عليه أن يحفظه. وفي قدر ما تضمنه هذا الأمر من القراءة خمسة أقاويل:

أحدها: جميع القرآن، لأن اللَّه تعالى قد يسره على عباده، قاله الضحاك.

الثاني: ثلث القرآن، حكاه جويبر.

الثالث: مائتا آية، قاله السدي.

الرابع: مائة آية، قاله ابن عباس.

الخامس: ثلاث آيات كأقصر سورة، قاله أبو خالد الكناني.

﴿عَلِمَ أنْ سيكونُ منكم مَّرْضَىَ﴾ ذكر اللَّه أسباب التخفيف، فذكر منها المرض لأنه يُعجز.

ثم قال: ﴿وآخرون يَضْرِبون في الأرض﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أنهم المسافرون، كما قال عز وجلّ: **﴿وإذا ضربتم في الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة﴾**.

الثاني: أنه التَقلُّب للتجارة لقوله تعالى: **﴿يبتغونَ من فضلِ اللَّه﴾**، قاله ابن مسعود يرفعه[169]، وهو قول السدي.

---

(١٦٩) لعله يقصد ما رواه الثعلبي من رواية فرقد السبخي عن إبراهيم عن ابن مسعود موقوفاً أيما رجل جلب

﴿وآخَرونَ يُقاتِلون في سبيل اللَّهِ﴾ يعني في طاعته، وهم المجاهدون.

﴿فاقْرؤوا ما تيسّر منه﴾ نسخ ما فرضه في أول السورة من قيام الليل وجعل ما تيسر منه تطوعاً ونفلاً، لأن الفرض لا يؤمر فيه بفعل ما تيسر منه.

وقد ذكرنا في أول السورة الأقاويل في مدة الفرض.

﴿وأقِيموا الصلاة﴾ يعني المفروضة، وهي الخمس لوقتها.

﴿وآتُوا الزكاةَ﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنها ها هنا طاعة اللَّه والإخلاص له، قاله ابن عباس.

الثاني: أنها صدقة الفطر، قاله الحارث العكلي.

الثالث: أنها زكاة الأموال كلها، قاله قتادة وعكرمة.

﴿وأَقْرِضوا اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً﴾ فيه خمسة تأويلات:

أحدها: أنه النوافل بعد الفروض، قاله ابن زيد.

الثاني: قول سبحان اللَّه والحمد للَّه ولا إله إلا اللَّه واللَّه أكبر، قاله ابن حبان.

الثالث: النفقة على الأهل، قاله زيد بن أسلم.

الرابع: النفقة من سبيل اللَّه، وهذا قول عمر رضي اللَّه عنه.

الخامس: أنه أمر بفعل جميع الطاعات التي يستحق عليها الثواب.

﴿تَجِدُوه عِندَ اللَّهِ﴾ يعني تجدوا ثوابه عند اللَّه ﴿هو خيراً﴾ يعني مما أعطيتم وفعلتم.

﴿وأعظم أجرا﴾ قال أبو هريرة: الجنة.

ويحتمل أن يكون «أعظم أجرا» الإعطاء بالحسنة عشراً.

﴿واسْتَغْفِرُوا اللَّهَ﴾ يعني من ذنوبكم.

﴿إنّ اللَّهَ غَفورٌ﴾ لما كان قبل التوبة.

﴿رحيمٌ﴾ بكم بعدها، قاله سعيد بن جبير.

شيئاً إلى مدينة من مدائن المسلمين صابراً محتسباً فباعه بسعر يومه كان عند الله من الشهداء وقد ضعف هذا الحديث الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف ص ١٧٩ وقال وصله ابن مردويه بذكر علقمة بن إبراهيم وعبد الله ورفعه أيضاً وزاد ثم قرأ «وآخرون يضربون في الأرض..» الآية.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (١) قُمْ فَأَنذِرْ (٢) وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ (٣) وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ (٤) وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ (٥) وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ (٦) وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ (٧) فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ (٨) فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ (٩) عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ (١٠)

قوله تعالى: ﴿يا أيها المدَّثِّر﴾ فيه قولان:

أحدهما: يا أيها المدثر بثيابه، قاله قتادة.

الثاني: بالنبوة وأثقالها، قاله عكرمة.

﴿قم﴾ من نومك ﴿فأنذر﴾ قومك عذاب ربك.

ويحتمل وجهاً ثالثاً: يا أيها الكاتم لنبوته اجهر بإنذارك.

ويحتمل هذا الإنذار وجهين:

أحدهما: إعلامهم بنبوته لأنه مقدمة الرسالة.

الثاني: دعاؤهم إلى التوحيد لأنه المقصود بها.

قال ابن عباس وجابر هي أول سورة نزلت.

﴿وثيابَك فطهِّرْ﴾ فيه خمسة أقاويل:

أحدها: أن المراد بالثياب العمل.

الثاني: القلب.

الثالث: النفْس.

الرابع: النساء والزوجات.

الخامس: الثياب الملبوسات على الظاهر.

فمن ذهب إلى أن المراد بها العمل قال تأويل الآية: وعملك فأصلح، قاله مجاهد، ومنه ما روي عن النبي ﷺ أنه قال[١٧٠]:

«**يحشر المرء في ثوبيه اللذين مات فيها**» يعني عمله الصالح والطالح.

ومن ذهب إلى أن المراد بالثياب القلب فالشاهد عليه قول امرىء القيس[١٧١]:

وإن تـك قـد سـاءتـك مني خليقـةٌ فسلّي ثيـابي مـن ثيـابـكِ تـنسـلِ

ولهم في تأويل الآية وجهان:

أحدهما: معناه وقلبك فطهر من الإثم والمعاصي، قاله ابن عباس وقتادة.

الثاني: وقلبك فطهر من الغدر وهذا مروي عن ابن عباس، واستشهد بقول الشاعر[١٧٢]:

فـإني بحمْـدِ اللّه لا ثـوْبَ فـاجـر لبسـت ولا مِـن غـدْرةٍ أَتـقَـنّـع.

ومن ذهب إلى أن المراد بالثياب النفس فلأنها لابسة الثياب، فكنى عنها بالثياب، ولهم في تأويل الآية ثلاثة أوجه:

أحدها: معناه ونفسك فطهرها مما نسبك إليه المشركون من شعر أو سحر أو كهانة أو جنون، رواه ابن أبي نجيح وأبو يحيى عن مجاهد.

الثاني: ونفسك فطهرها مما كنت تشكو منه وتحذر، من قول الوليد بن المغيرة، قاله عطاء.

الثالث: ونفسك فطهرها من الخطايا، قاله عامر.

ومن ذهب إلى أن المراد النساء والزوجات فلقوله تعالى: ﴿**هن لباس لكم وأنتم**

---

(١٧٠) والـذي فـي التذكرة للقرطبي ص ٢٤٣ عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه لما حضرته الوفاة دعا بثياب جدد فلبسها وقال سمعت رسول الله ﷺ يقول إن الميت يبعث في ثيابه التي مات فيها رواه أبو داود ذكر السيوطي في كتابه شرح الصـدور آثاراً عن حذيفة ومعاذ رضي الله عنهما تؤيد هذا الحديث فراجعها.

(١٧١) ديوانه: ١٣ ، شرح القصائد السبع لأبي بكر الأنباري: ٤٦. زاد المسير (٨/٤٠١).

(١٧٢) هو غيلان بن سلمة والبيت في اللسان ثوب والطبري (٢٩/١٤٥) فتح القدير (٥/٣٢٤).

لباس لهن﴾ [البقرة: ١٨٧]ولهم في تأويل الآية وجهان:

أحدهما: معناه ونساءك فطهر باختيار المؤمنات العفائف.

الثاني: الاستمتاع بهن من القبل دون الدبر، وفي الطهر دون الحيض، حكاهما ابن بحر

ومن ذهب إلى أن المراد بها الثياب الملبوسة على الظاهر، فلهم في تأويله أربعة أوجه:

أحدها: معناه وثيابك فأنْقِ، رواه عطاء عن ابن عباس، ومنه قول امرىء القيس(١٧٣):

ثياب بني عَوْفٍ طهارى نقيّةٌ وأَوْجُهُهُمْ عند المشاهد غُرّان

الثاني: وثيابك فشمّر وقصّر، قاله طاووس.

الثالث: وثيابك فطهر من النجاسات بالماء، قاله محمد بن سيرين وابن زيد والفقهاء.

الرابع: معناه لا تلبس ثياباً إلا [من] كسب حلال مطهرة من الحرام.

﴿والرُّجْزَ فاهْجُرْ﴾ فيه ستة تأويلات:

أحدها: يعني الآثام والأصنام، قاله جابر وابن عباس وقتادة والسدي.

الثاني: والشرك فاهجر، قاله ابن جبير.

الثالث: والذنب فاهجر، قاله الحسن.

الرابع: والإثم فاهجر، قاله السدي.

الخامس: والعذاب فاهجر، حكاه أسباط.

السادس: والظلم فاهجر، ومنه قول رؤبة بن العجاج(١٧٤).

كم رامنا من ذي عديد منه حتى وَقَمْنا كيدَه بالرجزِ.

قال السدي: الرَّجز بنصب الراء: الوعيد.

﴿ولا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِر﴾ فيه أربعة تأويلات:

---

(١٧٣) القرطبي (٢٩/٦٥) فتح القدير (٥/٣٢٤) ديوانه: ٨٣ ونسبه القرطبي لأبي كبشة وهو خطأ وفيه وأوجههم بيض المسافر.

(١٧٤) ديوانه: ٦٤.

أحدها: لا تعط عطية تلتمس بها أفضل منها، قاله ابن عباس وعكرمة وقتادة، قال الضحاك: هذا حرمه اللّه تعالى على رسوله وأباحه لأمته.

الثاني: معناه لاتمنن بعملك تستكثر على ربك، قاله الحسن.

الثالث: معناه لاتمنن بالنبوة على الناس تأخذ عليها منهم أجراً، قاله ابن زيد.

الرابع: معناه لا تضعف عن الخير أن تستكثر منه، قاله مجاهد.

ويحتمل تأويلاً خامساً: لا تفعل الخير لترائي به الناس.

﴿ولِربِّك فاصْبِرْ﴾ أما قوله «وَلِرَبِّكَ» ففيه ثلاثة أوجه:

أحدها: لأمر ربك.

الثاني: لوعد ربك.

الثالث: لوجه ربك.

وفي قوله «فاصْبِرْ سبعة تأويلات:

أحدها: فاصْبِرْعلى ما لاقيت من الأذى والمكروه، قاله مجاهد.

الثاني: على محاربة العرب ثم العجم، قاله ابن زيد.

الثالث: على الحق فلا يكن أحد أفضل عندك فيه من أحد، قاله السدي.

الرابع: فاصْبِرْ على عطيتك للّه، قاله إبراهيم.

الخامس: فاصْبِرْ على الوعظ لوجه اللّه، قاله عطاء.

السادس: على انتظام ثواب عملك من اللّه تعالى، وهو معنى قول ابن شجرة.

السابع: على ما أمرك اللّه من أداء الرسالة وتعليم الدين، حكاه ابن عيسى.

﴿فإذا نُقِرَ في الناقُورِ﴾فيه تأويلان:

أحدهما: يعني نفخ في الصور(١٧٥)، قاله ابن عباس، وهل المراد النفخة الأولى أو الثانية؟ قولان:

أحدهما: الأولى.

والثاني: الثانية.

ـ الثاني: أن الناقور القلب يجزع إذا دعي الإنسان للحساب، حكاه ابن كامل.

ويحتمل تأويلاً ثالثاً: أن الناقور صحف الأعمال إذا نشرت للعرض.

(١٧٥) وهو الصواب وعليه أكثر المفسرين.

ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾ وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّآ إِنَّهُۥ كَانَ لِآيَٰتِنَا عَنِيدًا ﴿١٦﴾ سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا ﴿١٧﴾ إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾

﴿ذرْني ومَنْ خلقْتُ وَحيداً﴾ قال المفسرون يعني الوليد بن المغيرة المخزومي وإن كان الناس خلقوا مثل خلقه، وإنما خص بالذكر لاختصاصه بكفر النعمة لأذى الرسول.

وفي قوله تعالى «وحيداً» تأويلان:

أحدهما: أن اللّه تفرد بخلقه وحده.

الثاني: خلقه وحيداً في بطن أُمّه لا مال له ولا ولد، قاله مجاهد. فعلى هذا الوجه في المراد بخلقه وحيداً وجهان:

أحدهما: أن يعلم به قدر النعمة عليه فيما أعطي من المال والولد.

الثاني: أن يدله بذلك على أنه يبعث وحيداً كما خلق وحيداً.

﴿وجَعَلْتُ له مالاً مَمْدوداً﴾ فيه ثمانية أقاويل:

أحدها: ألف دينار، قاله ابن عباس.

الثاني: أربعة الآف دينار، قاله سفيان.

الثالث: ستة آلاف دينار، قاله قتادة.

الرابع: مائة ألف دينار، قاله مجاهد.

الخامس: أنها أرض يقال لها ميثاق، وهذا مروي عن مجاهد أيضاً.

السادس: أنها غلة شهر بشهر، قاله عمر رضي اللّه عنه.

السابع: أنه الذي لا ينقطع شتاء ولا صيفاً، قاله السدي.

الثامن: أنها الأنعام التي يمتد سيرها في أقطار الأرض للمرعى والسعة، قاله ابن بحر.

ويحتمل تاسعاً: أن يستوعب وجوه المكاسب فيجمع بين زيادة الزراعة وكسب التجارة ونتاج المواشي فيمد بعضها ببعض لأن لكل مكسب وقتاً.

ويحتمل عاشراً: أنه الذي يتكون نماؤه من أصله كالنخل والشجر.

﴿وبَنِينَ شُهوداً﴾ اختلف في عددهم على ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنهم كانوا عشرة، قاله السدي.

الثاني: قال الضحاك: كان له سبعة ولدوا بمكة، وخمسة ولدوا بالطائف.

الثالث: أنهم كانوا ثلاثة عشر رجلاً، قاله ابن جبير.

وفي قوله «شهوداً» ثلاثة تأويلات:

أحدها: أنهم حضور معه لا يغيبون عنه، قاله السدي.

الثاني: أنه إذا ذكر ذكروا معه، قاله ابن عباس.

الثالث: أنهم كلهم رب بيت، قاله ابن جبير.

ويحتمل رابعاً: أنهم قد صاروا مثله من شهود ما كان يشهده، والقيام بما كان يباشره.

﴿ومَهّدْت له تَمْهيداً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: مهدت له من المال والولد، قاله مجاهد.

الثاني: مهدت له الرياسة في قومه، قاله ابن شجرة.

ويحتمل ثالثاً: أنه مهد له الأمر في وطنه حتى لا ينزعج عنه بخوف ولا حاجة.

﴿ثم يَطْمَعُ أنْ أَزيدَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: ثم يطمع أن أدخله الجنة، كلاّ، قاله الحسن.

الثاني: أن أزيده من المال والولد «كلاّ» قال ابن عباس: فلم يزل النقصان في ماله وولده.

ويحتمل وجهاً ثالثاً: ثم يطمع أن أنصره على كفره.

﴿كلّا إنه كان لآياتِنَاعَنيداً﴾ في المراد«بآياتنا» ثلاثة أقاويل:

أحدها: القرآن[١٧٦]، قاله ابن جبير.

الثاني: محمد ﷺ، قاله السدي.

---

(١٧٦) وهو الأصح من سياق الآيات.

الثالث: الحق، قاله مجاهد.

وفي قوله «عنيداً» أربعة تأويلات:

أحدها: معاند، قاله مجاهد وأبو عبيدة، وأنشد قول الحارثي(١٧٧):

إذا نـزلـت فـاجـعـلانـي وسـطا إنـي كـبـيـر لا أطيـق الـعُـنَّدا.

الثاني: مباعد، قاله أبو صالح، ومنه قول الشاعر(١٧٨):

أرانـا عـلى حـال تـفـرِّق بيـنـنـا نـوى غُـرْبَـةٍ إنّ الـفـراق عنـود.

الثالث: جاحد، قاله قتادة.

الرابع: مُعْرِض، قاله مقاتل.

ويحتمل تأويلاً خامساً: أنه المجاهر بعداوته.

﴿سأرْهِقُه صَعُوداً﴾ فيه أربعة أقاويل:

أحدها: مشقة من العذاب، قاله قتادة.

الثاني: أنه عذاب لا راحة فيه، قاله الحسن.

الثالث: أنها صخرة في النار ملساء يكلف أن يصعدها، فإذا صعدها زلق منها، وهذا قول السدي.

الرابع: ما رواه عطية العوفي عن أبي سعيد الخدري(١٧٩) عن النبي ﷺ «سأرهقه صعوداً»، قال: هو جبل في النار من نار يكلف أن يصعده، فإذا وضع يده عليه ذابت، وإذا رفعها عادت، وإذا وضع رجله ذابت، وإذا رفعها عادت.

ويحتمل إن لم يثبت(١٨٠) هذا النقل قولاً خامساً: أنه تصاعد نفسه للنزع وإن لم يتعقبه موت ليعذب من داخل جسده كما يعذب من خارجه.

﴿إنه فكَّرَ وقَدَّر﴾ قال قتادة: زعموا أن الوليد بن المغيرة قال: لقد نظرت فيما قال هذا الرجل فإذا هو ليس بشعر، وإن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإنه ليعلو وما يُعْلَى، وما أشك أنه سحر، فهو معنى قوله «فكر وقدّر» أي فكر في القرآن، وقدر فيما إنه سحر وليس بشعر.

---

(١٧٧) والبيت في اللسان «عند» فتح القدير (٥/٣٢٦) والقرطبي (١٩/٧٣) والطبري (٢٩/١٥٤).

(١٧٨) القرطبي (١٩/٧٣).

(١٧٩) تقدم تخريجه في سورة الجن في التعليق ١٣.

(١٨٠) وهذا يدل على أن الحديث عند الإمام لم يثبت وفعلاً هو حديث ضعيف وقد تقدم تخريجه.

ويحتمل وجهاً ثالثاً: أن يكون فكّر في العداوة وقدّر في المجاهدة.

﴿فقُتِلَ كيف قَدَّرَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أي عوقب ثم عوقب، فيكون العقاب تكرر عليه مرة بعد أخرى.

الثاني: أي لعن ثم لعن كيف قدر أنه ليس بشعر ولا كهانة، وأنه سحر.

﴿ثم نَظَرَ﴾ يعني الوليد بن المغيرة، وفي ما نظر فيه وجهان:

أحدهما: أنه نظر في الوحي المنزل من القرآن، قاله مقاتل.

الثاني: أنه نظر إلى بني هاشم حين قال في النبي ﷺ إنه ساحر، ليعلم ما عندهم.

ويحتمل ثالثاً: ثم نظر إلى نفسه فيما أُعطِي من المال والولد فطغى وتجبر.

﴿ثم عَبَسَ وبَسَرَ﴾ أما عبس فهو قبض ما بين عينيه، وبَسَرَ فيه وجهان:

أحدهما: كلح وجهه، قاله قتادة، ومنه قول بشر بن أبي خازم(١٨١):

صبحنا تميماً غداة الجِفار ... بشهباءَ ملمومةٍ باسِرَة.

الثاني: تغيرّ، قاله السدي، ومنه قول توبة(١٨٢):

وقد رابني منها صدودُ رأيتُه ... وإعْراضها عن حاجتي وبُسورها.

واحتمل أن يكون قد عبس وبسر على النبي ﷺ حين دعاه.

واحتمل أن يكون على من آمن به ونصره.

وقيل إن ظهور العبوس في الوجه يكون بعد المحاورة، وظهور البسور في الوجه قبل المحاورة.

﴿ثم أَدْبَر واسْتَكْبَرَ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: أدبر عن الحق واستكبر عن الطاعة.

الثاني: أدبر عن مقامه واستكبر في مقاله.

﴿فقال إنْ هذا إلا سِحْرٌ يُؤْثَر﴾ قال ابن زيد: إن الوليد بن المغيرة قال: إنْ هذا القرآن إلا سحر يأثره محمد عن غيره فأخذه عمن تقدمه.

ويحتمل وجهاً آخر: أن يكون معناه أن النفوس تؤثر لحلاوته فيها كالسحر.

---

(١٨١) القرطبي (١٩/٧٥) فتح القدير (٥/٣٢٧).

(١٨٢) روح المعاني (٢٩/١٢٤) الطبري (٢٩/١٥٦) فتح القدير (٥/٣٢٧) القرطبي (١٩/٧٦).

﴿إنْ هذا إلا قَوْلَ البَشَرِ﴾ أي ليس من كلام اللّه تعالى، قال السدي: يعنون أنه من قول أبي اليسر عَبْدٌ لبني الحضرمي كان يجالس النبي ﷺ، فنسبوه إلى أنه تعلم منه ذلك.

﴿سأصْليه سَقَرَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أنه اسم من أسماء جهنم مأخوذ من قولهم: سقرته الشمس إذا آلمت دماغه، فسميت جهنم بذلك لشدة إيلامها.

﴿وما أدراك ما سَقَر لا تُبقي ولا تذر﴾ فيه وجهان:

أحدهما: لا تبقي من فيها حياً، ولا تذره ميتاً، قاله مجاهد.

الثاني: لا تبقي أحداً من أهلها أن تتناوله، ولا تذره من العذاب، حكاه ابن عيسى.

ويحتمل وجهاً ثالثاً: لا تبقيه صحيحاً، ولا تذره مستريحاً.

﴿لوّاحَةً للبَشَرِ﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: مغيرة لألوانهم، قال أبو رزين تلفح وجوههم لفحة تدعهم أشد سواداً من الليل.

الثاني: تحرق البشر حتى تلوح العظم، قاله عطية.

الثالث: أن بشرة أجسادهم تلوح على النار، قاله مجاهد.

الرابع: أن اللواح شدة العطش، والمعنى أنها معطشة للبشر، أي لأهلها، قاله الأخفش، وأنشد(١٨٣):

سَقَتْني على لـوْحٍ من الماءِ شَـرْبـةً ... سقـاهـا بـه اللّه الـرهـامَ الغـواديـا.

يعني باللوح شدة العطش.

ويحتمل خامساً: أنها تلوح للبشر بهولها حتى تكون أشد على من سبق إليها، وأسرّ لمن سلم منها.

وفي البشر وجهان:

أحدهما: أنهم الإنس من أهل النار، قاله الأخفش والأكثرون.

الثاني: أنه جمع بشرة، وهي جلدة الإنسان الظاهرة، قاله مجاهد وقتادة.

---

(١٨٣) فتح القدير (٥/٣٢٨) القرطبي (١٩/٧٨).

﴿عليها تسعةَ عَشَرَ﴾هؤلاء خزنة جهنم وهم الزبانية، وعددهم هذا الذي ذكره اللَّه تعالى، وروى عامر عن البراء(١٨٤) أن رهطاً من اليهود سألوا رسول اللَّه ﷺ عن خزنة جهنم، فأهوى بأصابع كفية مرتين، فأمسك الإبهام في الثانية، وأخبر اللَّه عنهم بهذا العدد، وكان الاقتصار عليه دون غيره من الأعداد إخباراً عمن وكل بها وهو هذا العدد، وموافقة لما نزل به التوراة والإنجيل من قبل.

وقد يلوح لي في الاقتصار على هذا العدد معنى خفي يجوز أن يكون مراداً، وهو أن تسعة عشر عدد يجمع أكثر القليل من العدد وأقل الكثير، لأن العدد آحاد وعشرات ومئون وألوف، والآحاد أقل الأعداد، وأكثر الآحادتسعة، وما سوى الآحاد كثير وأقل الكثير عشرة، فصارت التسعة عشر عدداً يجمع من الأعداد أكثر قليلها، وأقل كثيرها، فلذلك ما وقع عليها الأقتصار واللَّه أعلم للنزول عن أقل القليل وأكثر الكثير، فلم يبق إلا ما وصفت.

ويحتمل وجهاً ثانياً: أن يكون اللَّه حفظ جهنم حتى ضبطت وحفظت بمثل ما ضبطت به الأرض وحفظت به من الجبال حتى رست وثبتت، وجبال الأرض التي أرسيت بها واستقرت عليها تسعة عشر جبلاً، وإن شعب فروعها تحفظ جهنم بمثل هذا العدد، لأنها قرار لعُصاة الأرض من الإنس والجن، فحفظت مستقرهم في النار بمثل العدد الذي حفظ مستقرهم في الأرض، وحد الجبل ما أحاطت به أرض تتشعب فيها عروقه ظاهره ولا باطنه، وقد عد قوم جبال الأرض فإذا هي مائة وتسعون جبلاً، واعتبروا انقطاع عروقها رواسي وأوتاداً، فهذان وجهان يحتملهما الاستنباط، واللَّه أعلم بصواب ما استأثر بعلمه.

وذكر من يتعاطى العلوم العقلية وجهاً ثالثاً: أن اللَّه تعالى حفظ نظام خلقه ودبر ما قضاه في عباده بتسعة عشر جعلها المدبرات أمراً وهي سبعة كواكب واثنا عشر

---

(١٨٤) رواه الترمذي (٣٣٢٧) والبزار وأحمد وابن مردويه كما في الدر (٣٣٣/٨) من حديث جابر وأما ما ذكره المؤلف هنا فقد رواه ابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في البعث كما في الدر (٣٣٢/٨) قال الحافظ ابن كثير في التفسير (٤٤٣/٤) بعد أن ساقه من رواية ابن أبي حاتم قال وهذا وقع عند ابن أبي حاتم والمشهور من حديث جابر قلت وقد تقدم تخريج حديثه.

وقال البزار لا يعرف الا من حديث مجالد ا هـ وقلت ومجالد ضعيف ليس بالقوي.

برجاً، فصار هذا العدد أصلاً في المحفوظات العامة، فلذلك حفظ جهنم، وهذا مدفوع بالشرع وإن راق ظاهره[١٨٥].

ثم نعود إلى تفسير الآية، روى قتادة أن الله تعالى لما قال:

«عليها تسعة عشر» قال أبو جهل: يا معشر قريش أما يستطيع كل عشرة منكم أن يأخذوا واحداً منهم وأنتم أكثر منهم.

قال السدي: وقال أبو الأشدّ[١٨٦] بن الجمحي: لا يهولنكم التسعة عشر أنا أدفع عنكم بمنكبي الأيمن عشرة من الملائكة، وبمنكبي الأيسر التسعة ثم تمرون إلى الجنة، يقولها مستهزئاً.

فقال الله تعالى:

وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً ۙ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا ۙ وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۙ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ۚ وَمَا هِىَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ﴿٣١﴾ كَلَّا وَٱلْقَمَرِ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ﴿٣٣﴾ وَٱلصُّبْحِ إِذَآ أَسْفَرَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهَا لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ ﴿٣٥﴾ نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ ﴿٣٦﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴿٣٧﴾

﴿وما جَعَلْنَا أصحابَ النارِ إلا ملائكةً وما جعلْنا عدَّتهم إلا فِتْنةً للذين كَفَروا﴾

وروى ابن جريج أن النبي[١٨٧] ﷺ نعت خزنة جهنم فقال: كأن أعينهم البرق، وكأن

---

(١٨٥) قال الحافظ ابن كثير (٤/٤٤٤) قوله تعالى «وما يعلم جنود ربك إلا هو» اي ما يعلم عددهم وكثرتهم الا هو تعالى لئلا يتوهم متوهم انهم تسعة عشر فقط لما قد قاله طائفة من أهل الضلالة والجهالة ومن الفلاسفة اليونانيين ومن شايعهم من المسلمين والذين سمعوا هذه الآية فأرادوا تنزيلها على العقول العشرة والنفوس التسعة التي اخترعوا دعواها وعجزوا عن اقامة الدلالة على مقتضاها فافهموا صدر هذه الآية وكفروا بآخرها وهو قوله «وما يعلم جنود ربك إلا هو».

(١٨٦) وفي القرطبي (١٩/٧٩) أبو الأشد أسيد بن كلدة الجمحي وكان شديد البأس وذكروا أنه كان يبسط له الأدم العكاظي فيقوم عليه ويقول من أزالني عنه فله كذا فلا ينزع إلا قطعاً ويبقى موضع قدمه وكان شديد العداوة لرسول الله ﷺ.

وسياتي عن المصنف هذه القول الثاني في الاسم.

(١٨٧) قال الحافظ في تخريج الكشاف ص ١٨٠ لم اجده.

أفواههم الصياصي، يجرون شعورهم، لأحدهم مثل قوة الثقلين، يسوق أحدهم الأمة وعلى رقبته جبل فيرمي بهم في النار، ويرمي الجبل عليهم.

﴿ليَسْتَيْقِنَ الذين أُوتوا الكتابَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: ليستيقنوا عدد الخزنة لموافقة التوراة والإنجيل، قاله مجاهد.

الثاني: ليستيقنوا أن محمداً نبي لما جاء به من موافقة عدة الخزنة.

﴿ويَزْدادَ الذين آمَنوا إيماناً﴾ بذلك، قاله ابن جريج.

﴿وما هي إلا ذِكْرى للبَشَرِ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: وما نار جهنم إلا ذكرى للبشر، قاله قتادة.

الثاني: وما هذه النار في الدنيا إلا تذكرة لنار الآخرة، حكاه ابن عيسى.

الثالث: وما هذه السورة إلا تذكرة للناس، قاله ابن شجرة.

﴿كلا والقَمرِ﴾ الواو في «والقمر» واو القسم، أقسم اللَّه تعالى به، ثم أقسم بما بعده فقال:

﴿والليلِ إذ أَدْبَرَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: إذ ولّى، قاله ابن عباس.

الثاني: إذ أقبل عند إدبار النهار قاله أبو عبيدة، وقرأ الحسن وأبو عبد الرحمن إذا دبر(١٨٨)، وهي قراءة ابن مسعود وأُبي بن كعب.

واختلف في أدبر ودبر على قولين:

ـ أحدهما: أنهما لغتان ومعناهما واحد، قاله الأخفش.

ـ الثاني: أن معناهما مختلفان، وفيه وجهان:

أحدهما: أنه دبر إذا خلفته خلفك، وأدبر إذا ولى أمامك، قاله أبو عبيدة.

الثاني: أنه دبر إذا جاء بعد غيره وعلى دبر، وأدبر إذا ولى مدبراً، قاله ابن بحر.

﴿والصُّبحِ إذا أَسْفَرَ﴾ يعني أضاء وهذا قسم ثالث.

﴿إنها لإحْدَى الكُبَرِ﴾ فيها ثلاثة تأويلات:

أحدها: أي أن تكذيبهم بمحمد ﷺ لإحدى الكبر، أي الكبيرة من الكبائر، قاله ابن عباس.

(١٨٨) زاد المسير (٨/٤٠٩) والسبعة لابن مجاهد ٦٥٩.

الثاني: أي أن هذه النار لإحدى الكبر، أي لإحدى الدواهي.

الثالث: أن هذه الآية لإحدى الكبر، حكاه ابن عيسى.

ويحتمل رابعاً: أن قيام الساعة لإحدى الكبر، والكُبَرُ هي العظائم والعقوبات والشدائد، قال الراجز[189]:

يــا ابن المُعَلّى نـزلتْ إحــدى الكُبَـرْ داهـيــة الــدهــرِ وصَمّــاءُ الـغِـيَـرْ.

﴿نذيراً للبشر﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن محمداً ﷺ نذير للبشر حين قال له «قم فأنذر»، قاله ابن زيد.

الثاني: أن النار نذير للبشر، قال الحسن: واللَّه ما أنذر الخلائق قط بشيء أدهى منها.

ويحتمل ثالثاً: أن القرآن نذير للبشر لما تضمنه من الوعد والوعيد.

﴿لمن شاءَ منكم أن يتقدّمَ أو يتأَخّرَ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أن يتقدم في طاعة اللَّه، أو يتأخر عن معصية اللَّه، وهـذا قول ابن جريج.

الثاني: أن يتقدم في الخير أو يتأخر في الشر، قاله يحيى بن سلام.

الثالث: أن يتقدم إلى النار أو يتأخر عن الجنة، قاله السدي.

ويحتمل رابعاً: لمن شاء منكم أن يستكثر أو يقصر، وهذا وعيد وإن خرج مخرج الخبر.

كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰ أَتَانَا الْيَقِينُ ﴿٤٧﴾ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ﴿٤٨﴾ فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ ﴿٥١﴾ بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً ﴿٥٢﴾ كَلَّا ۖ بَل لَّا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ ﴿٥٣﴾ كَلَّا إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ ﴿٥٤﴾ فَمَن شَاءَ ذَكَرَهُ

---

(١٨٩) فتح القدير (٥/٣٣١) القرطبي (١٩/٨٠).

﴿وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ ﴿٥٦﴾﴾ ﴿٥٥﴾

﴿كلُّ نفْسٍ بما كَسَبَتْ رَهينةٌ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: ان كل نفس مرتهنة محتبسة بعملها لتحاسب عليه، إلا أصحاب اليمين، وهم أطفال المسلمين فإنه لا حساب عليهم لأنه لا ذنوب لهم، قاله عليٌّ رضي اللَّه عنه.

الثاني: كل نفس من أهل النار مرتهنة في النار إلا أصحاب اليمين وهم المسلمون، فإنهم لا يرتهنون، وهم إلى الجنة يسارعون، قاله الضحاك.

الثالث: كل نفس بعملها محاسبة إلا أصحاب اليمين وهم أهل الجنة، فإنهم لا يحاسبون، قاله ابن جريج.

﴿وكنّا نَخُوض مع الخائضينَ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: نكذب مع المكذبين، قاله السدي.

الثاني: كلما غوى غاو غوينا معه، قاله قتادة.

الثالث: قولهم محمد كاهن، محمد ساحر، محمد شاعر، قاله ابن زيد.

ويحتمل رابعاً: وكنا أتباعاً ولم نكن متبوعين.

﴿وكنّا نُكذِّب بيوم الدِّين﴾ يعني يوم الجزاء وهو يوم القيامة.

﴿حتى أتانا اليقين﴾ فيه وجهان:

أحدهما: الموت، قاله السدي.

الثاني: البعث يوم القيامة.

﴿فما لهم عن التَذْكِرَةِ مُعْرِضين﴾ قال قتادة: عن القرآن.

ويحتمل ثالثاً: عن الاعتبار بعقولهم.

﴿كأنهم حُمُرٌ مُسْتَنْفِرةٌ﴾ قرأ نافع وابن عامر بفتح الفاء، يعني مذعورة وقرأ الباقون بكسرها، يعني هاربة، وأنشد الفراء[190]:

أمْسِكْ حمارَك إنه مُستنفِرٌ ... في إثْر أحْمِرَةٍ عَمَدْنَ لغُرَّبِ.

﴿فَرَّتْ من قَسْورةٍ﴾ فيه ستة تأويلات:

(١٩٠) القرطبي (٨٩/١٩) اللسان نظر الطبري (١٦٩/٢٩) زاد المسير (٤١٢/٨) وفيه احبس بدلاً من أمسك.

أحدها: أن القسورة الرماة، قاله ابن عباس.

الثاني: أنه القناص أي الصياد، ومنه قول علي:

يا ناس إني مثل قسورةٍ وإنهم لعداة طالما نفروا.

الثالث: أنه الأسد، قاله أبو هريرة، روى يوسف بن مهران عن ابن عباس أنه الأسد بلسان الحبشة، قال الفرزدق:

إلى هاديات صعاب الرؤوس فساروا للقسور الأصيد.

الرابع: أنهم عصب من الرجال وجماعة، رواه أبو حمزة عن ابن عباس.

الخامس: أنه أصوات الناس، رواه عطاء عن ابن عباس.

السادس: أنه النبل، قاله قتادة.

﴿بل يريد كلُّ امرىءٍ منهم أنْ يُؤْتى صحُفاً مُنَشّرةً﴾ يعني كتباً منشورة وفيه أربعة أوجه:

أحدها: أن يؤتى كتاباً من اللَّه أن يؤمن بمحمد، قاله قتادة.

الثاني: أن يؤتى براءة من النار أنه لا يقذف بها، قاله أبو صالح.

الثالث: أن يؤتى كتاباً من اللَّه بما أحل له وحرم عليه، قاله مقاتل.

الرابع: أن كفار قريش قالوا إن بني إسرائيل كانوا إذا أذنب الواحد ذنباً وجده مكتوباً في رقعة، فما بالنا لا نرى ذلك فنزلت الآية، قاله الفراء.

﴿هو أهل التقْوَى وأهل المغْفِرةِ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: هو أهل أن تتقي محارمه، وأهل أن يغفر الذنوب، قاله قتادة.

الثاني: هو أهل أن يتقى أن يجعل معه إله غيره، وأهل لمن اتقاه أن يغفر له، وهذا معنى قول رواه أنس[١٩١] مرفوعاً.

الثالث: هو أهل أن يتقي عذابه وأهل أن يعمل بما يؤدي إلى مغفرته.

ويحتمل رابعاً: أهل الانتقام والإنعام.

---

(١٩١) رواه أحمد (١٤٢/٣) والترمذي (١٦٨/٢) وابن ماجة (٤٢٩٩) وزاد السيوطي في الدر (٣٤٠/٨) نسبته للبزار والدارمي وأبي يعلى وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن عدي والحاكم (٥٠٨/٢) وصححه وابن مردويه وابن جرير ولم أجده في تفسيره عند الآية وفي سنده ضعف فهو من رواية سهيل بن أبي حزم القطعي عن ثابت عن أنس وسهيل ضعيف كما في التقريب. وقال الترمذي حسن غريب وسهيل ليس بالقوي في الحديث وقد تفرد به عن ثابت قلت وعلى هذا فتصحيح الحاكم للحديث فيه نظر.



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ ١ وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ ٢ أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجۡمَعَ عِظَامَهُۥ ٣ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ ٤ بَلۡ يُرِيدُ ٱلۡإِنسَٰنُ لِيَفۡجُرَ أَمَامَهُۥ ٥ يَسۡـَٔلُ أَيَّانَ يَوۡمُ ٱلۡقِيَٰمَةِ ٦ فَإِذَا بَرِقَ ٱلۡبَصَرُ ٧ وَخَسَفَ ٱلۡقَمَرُ ٨ وَجُمِعَ ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ ٩ يَقُولُ ٱلۡإِنسَٰنُ يَوۡمَئِذٍ أَيۡنَ ٱلۡمَفَرُّ ١٠ كَلَّا لَا وَزَرَ ١١ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡمُسۡتَقَرُّ ١٢ يُنَبَّؤُاْ ٱلۡإِنسَٰنُ يَوۡمَئِذِۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ١٣ بَلِ ٱلۡإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ بَصِيرَةٞ ١٤ وَلَوۡ أَلۡقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ١٥﴾

قوله تعالى: ﴿لا أُقْسِم بيومِ القيامةِ﴾ اختلفوا في «لا» المبتدأ بها في أول الكلام على ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنها صلة دخلت مجازاً ومعنى الكلام أقسم بيوم القيامة، قاله ابن عباس وابن جبير وأبو عبيدة، ومثله قول الشاعر:

تَذكّرْت ليلى فاعْتَرتْني صَبابةٌ   وكاد ضمير القلْبِ لا يتَقطّع.

الثاني: أنها دخلت توكيداً للكلام كقوله: لا والله، وكقول امرىء القيس[١٩٢]:

فلا وأبيكِ ابنةَ العامريّ   لا يدّعي القوم أني أَفِرّ.

قاله أبو بكر بن عياش.

الثالث: أنها رد لكلام مضى من كلام المشركين في إنكار البعث، ثم ابتدأ

(١٩٢) القرطبي (١٩/٩٢) فتح القدير (٥/٣٣٥) ديوانه: ١٥٤، روح المعاني (٢٩/١٣٥).

القسم فقال: أقسم بيوم القيامة، فرقاً بين اليمين المستأنفة وبين اليمين تكون مجدداً، قاله الفراء.

وقرأ الحسن: لأقْسِمُ بيوم القيامة، فجعلها لاماً دخلت على أُقسم إثباتاً للقسم، وهي قراءة ابن كثير(١٩٣).

﴿ولا أُقْسِم بالنّفْسِ اللوّامةِ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أنه تعالى أقسم بالنفس اللوامة كما أقسم بيوم القيامة فيكونان قَسَمَيْن، قاله قتادة.

الثاني: أنه أقسم بيوم القيامة ولم يقسم بالنفس اللوامة، قاله الحسن، ويكون تقدير الكلام: أقسم بيوم القيامة ولا أقسم بالنفس اللوامة. وفي وصفها باللوامة قولان:

أحدهما: أنها صفة مدح، وهو قول من جعلها قسماً:

الثاني: أنها صفة ذم، وهو قول من نفى أن يكون قسماً.

فمن جعلها صفة مدح فلهم في تأويلها ثلاثة أوجه:

أحدها: أنها التي تلوم على ما فات وتندم، قاله مجاهد، فتلوم نفسها على الشر لم فعلته، وعلى الخير أن لم تستكثر منه.

الثاني: أنها ذات اللوم، حكاه ابن عيسى.

الثالث: أنها التي تلوم نفسها بما تلوم عليه غيرها.

فعلى هذه الوجوه الثلاثة تكون اللوامة بمعنى اللائمة.

ومن جعلها صفة ذم فلهم في تأويلها ثلاثة أوجه:

أحدها: أنها المذمومة، قاله ابن عباس.

الثاني: أنها التي تلام على سوء ما فعلت.

الثالث: أنها التي لا صبر لها على محن الدنيا وشدائدها، فهي كثيرة اللوم فيها، فعلى هذه الوجوه الثلاثة تكون اللوامة بمعنى الملومة.

﴿أيَحْسَب الإنسان﴾ يعني الكافر.

﴿أنْ لن نَجْمَعَ عِظامَه﴾ فنعيدها خلقاً جديداً بعد أن صارت رفاتاً.

---

(١٩٣) السبعة لابن مجاهد ص ٦٦١.

﴿بلى قادِرينَ على أنْ نُسوّيَ بَنانه﴾في قوله «بلى» وجهان:

أحدهما: أنه تمام قوله «أن لن نجمع عظامه» أي بلى نجمعها، قاله الأخفش.

الثاني: أنها استئناف بعد تمام الأول بالتعجب بلى قادرين، الآية وفيه وجهان:

أحدهما: بلى قادرين على أن نسوي مفاصله ونعيدها للبعث خلقاً جديداً، قاله جرير بن عبد العزيز.

الثاني: بلى قادرين على أن نجعل كفه التي يأكل بها ويعمل حافر حمار أو خف بعير، فلا يأكل إلا بفيه، ولا يعمل بيده شيئاً، قاله ابن عباس وقتادة.

﴿بل يريد الإنسان ليَفْجُرَ أمامَه﴾ فيه أربعة تأويلات:

أحدها: معناه أن يقدم الذنب ويؤخر التوبة، قاله القاسم بن الوليد.

الثاني: يمضي أمامه قدُماً لا ينزع عن فجور، قاله الحسن.

الثالث: بل يريد أن يرتكب الآثام في الدنيا لقوة أمله، ولا يذكر الموت، قاله الضحاك.

الرابع: بل يريد أن يكذب بالقيامة ولا يعاقب بالنار، وهو معنى قول ابن زيد.

ويحتمل وجهاً خامساً: بل يريد أن يكذب بما في الآخرة كما كذب بما في الدنيا، ثم وجدت ابن قتيبة قد ذكره وقال إن الفجور التكذيب واستشهد بأن أعرابياً قصد عمر بن الخطاب وشكا إليه نقب إبله ودبرها، وسأله أن يحمله على غيرها، فلم يحمله، فقال الأعرابي:

أقسم بالله أبو حفصٍ عُمَرْ ... ما مسّها مِن نَقَبٍ ولا دَبَرْ

فاغفر له اللهم إنْ كان فجَرْ.

يعني إن كان كذبني بما ذكرت.

﴿فإذا بَرِقَ البصرُ﴾ فيه قراءتان:

إحداهما: بفتح الراء[194]، وقرأ بها أبان عن عاصم، وفي تأويلها وجهان:

أحدهما: يعني خفت وانكسر عند الموت، قاله عبد الله بن أبي إسحاق.

الثاني: شخص وفتح عينه عند معاينة ملك الموت فزعاً، وأنشد الفراء[195]:

(١٩٤) السبعة لابن مجاهد ص ٦٦١ وزاد المسير (٤١٨/٨).

(١٩٥) هو طرفة بن العبد والبيت في ديوانه: ٢١٨ والطبري (١٧٩/٢٩) والقرطبي (٩٤/١٩) اللسان فتح القدير (٣٣٧/٥).

فنفسَكَ فانْعَ ولا تنْعَني وداوِ الكُلومَ ولا تَبْرَقِ.

أي ولا تفزع من هول الجراح.

الثانية: بكسر الراء وقرأ بها الباقون، وفي تأويلها وجهان:

أحدهما: عشى عينيه البرق يوم القيامة، قاله أشهب العقيلي، قال الأعشى:

وكنتُ أرى في وجه مَيّةَ لمحةً فأبرِق مَغْشيّاً عليّ مكانيا.

الثاني: شق البصر، قاله أبو عبيدة وأنشد قول الكلابي(١٩٦):

لما أتاني ابن عميرٍ راغباً أعطيتُه عيساً صِهاباً فبرق.

﴿وخَسَفَ القمرُ﴾ أي ذهب ضوؤه، حتى كأنّ نوره ذهب في خسفٍ من الأرض.

﴿وجُمِعَ الشمسُ والقمرُ﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: أنه جمع بينهما في طلوعهما من المغرب [أسودين مكورين] مظلمين مقرنين.

الثاني: جمع بينهما في ذهاب ضوئهما بالخسوف لتكامل إظلام الأرض على أهلها، حكاه ابن شجرة.

الثالث: جمع بينهما في البحر حتى صارا نار اللّه الكبرى.

﴿يقولُ الإنسانُ يومئذٍ أين المفرُّ﴾ أي أين المهرب، قال الشاعر(١٤٠):

أين أفِرّ والكباشُ تنتطحْ وأيّ كبشٍ حاد عنها يفتضحْ.

ويحتمل وجهين:

أحدهما: «أين المفر» من اللّه استحياء منه.

الثاني: «أين المفر» من جهنم حذراً منها.

ويحتمل هذا القول من الإنسان وجهين:

أحدهما: أن يكون من الكافر خاصة من عرصة القيامة دون المؤمن، ثقة المؤمن ببشرى ربه.

الثاني: أن يكون من قول المؤمن والكافر عند قيام الساعة لهول ما شاهدوه منها.

---

(١٩٦) القرطبي (٩٦/١٩).

ويحتمل هذا القول وجهين:

أحدهما: من قول اللَّه للإنسان إذا قاله «أين المفر» قال اللَّه له: «**كلّا لاوَزَرَ**».

الثاني: من قول الإنسان إذا علم أنه ليس له مفر قال لنفسه «**كلا لاوَزَرَ**»

﴿**كلّا لاوَزَرَ**﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: أي لا ملجأ من النار، قاله ابن عباس.

الثاني: لا حصن، قاله ابن مسعود.

الثالث: لا جبل، [قاله الحسن].

الرابع: لا محيص، قاله ابن جبير.

﴿**إلى ربِّك يومئذٍ المُسْتَقَرُّ**﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن المستقر المنتهى، قاله قتادة.

الثاني: أنه استقرار أهل الجنة في الجنة، وأهل النار في النار، قاله ابن زيد.

﴿**يُنَبّأُ الإنسان يومئذٍ بما قدَّمَ وأَخّرَ**﴾ يعني يوم القيامة وفي «**بما قدم وأخر**» خمسة تأويلات:

أحدها: ما قدم قبل موته من خير أو شر يعلم به بعد موته، قاله ابن عباس وابن مسعود.

الثاني: ما قدم من معصية، وأخر من طاعة، قاله قتادة.

الثالث: بأول عمله وآخره، قاله مجاهد.

الرابع: بما قدم من الشر وأخر من الخير، قال عكرمة.

الخامس: بما قدم من فرض وأخر من فرض، قاله الضحاك.

ويحتمل سادساً: ما قدم لدنياه، وما أخر لعقباه.

﴿**بل الإنسانُ على نَفْسِه بَصيرةٌ**﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: أنه شاهد على نفسه بما تقدم به الحجة عليه، كما قال تعالى: ﴿**اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً**﴾.

الثاني: أن جوارحه شاهدة عليه بعمله، قاله ابن عباس، كما قال تعالى: ﴿**اليوم نَخْتِمُ على أفواههم وتُكَلِّمنا أيْديهم وتشْهدُ أرجُلُهم بما كانوا يكْسِبون**﴾.

الثالث: معناه بصير بعيوب الناس غافل عن عيب نفسه فيما يستحقه لها وعليها من ثواب وعقاب.

والهاء في «بصيرة» للمبالغة.

﴿ولو ألْقَى معاذيرَه﴾ فيه أربعة تأويلات:

أحدها: معناه لو اعتذر يومئذ لم يقبل منه، قاله قتادة.

الثاني: يعني لو ألقى معاذيره أي لو تجرد من ثيابه، قاله ابن عباس.

الثالث: لو أظهر حجته، قاله السدي وقال النابغة[١٩٧]:

لدىّ إذا ألقى البخيلُ معاذِرَه.

الرابع: معناه ولو أرخى ستوره، والستر بلغة اليمن معذار، قاله الضحاك، قال الشاعر[١٩٨]:

ولكنّها ضَنّتْ بمنزلِ ساعةٍ علينا وأطّت فوقها بالمعاذِرِ.

ويحتمل خامساً: أنه لو ترك الاعتذار واستسلم لم يُترك.

﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾ كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ وَتَذَرُونَ ٱلْءَاخِرَةَ ﴿٢١﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍۭ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٢٥﴾﴾

﴿لا تُحرِّكْ به لسانَكَ لِتعْجَلَ به﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن النبي[١٩٩] ﷺ كان إذا نزل عليه القرآن حرك به لسانه يستذكره مخافة أن ينساه، وكان ناله منه شدة، فنهاه اللَّه تعالى عن ذلك وقال: ﴿إنّ علينا جَمْعَه وقرآنه﴾، قاله ابن عباس.

الثاني: أنه كان يعجل بذكره إذا نزل عليه من حبه له وحلاوته في لسانه، فنهي عن ذلك حتى يجتمع، لأن بعضه مرتبط ببعض، قاله عامر الشعبي.

---

(١٩٧) فتح القدير (٢/٣٣٧) والقرطبي (١٩/٩٧).

(١٩٨) فتح القدير (٥/٣٣٨) القرطبي (١٩/١٠٠).

(١٩٩) رواه البخاري (٨/٣٢٥) ومسلم (   ) والترمذي (   ) وابن جرير (٢٩/١٨٧) وزاد السيوطي في الدر (٨/٣٤٨) نسبته للطيالسي وعبد بن حميد والطبراني وابن مردويه وأبي نعيم والبيهقي في الدلائل وابن الأنباري في المصاحف والنسائي وابن أبي حاتم وابن المنذر وأحمد من حديث سعيد بن جبير عن ابن عباس.

﴿إنّ علينا جَمْعَهُ وقُرآنَه﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: إن علينا جمعه في قلبك لتقرأه بلسانك، قاله ابن عباس.

الثاني: علينا حفظه وتأليفه، قاله قتادة.

الثالث: علينا أن نجمعه لك حتى تثبته في قلبك، قاله الضحاك.

﴿فإذا قرأناه فاتّبِعْ قُرْآنَه﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: فإذا بيّناه فاعمل بما فيه، قاله ابن عباس.

الثاني: فإذا أنزلناه فاستمع قرآنه، وهذا مروي عن ابن عباس أيضاً.

الثالث: فإذا تلي عليك فاتبع شرائعه وأحكامه، قاله قتادة.

﴿ثم إنّ علينا بيانَه﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: بيان ما فيه من أحكام وحلال وحرام، قاله قتادة.

الثاني: علينا بيانه بلسانك إذا نزل به جبريل حتى تقرأه كما أقرأك، قاله ابن عباس.

الثالث: علينا أن نجزي يوم القيامة بما فيه من وعد أو وعيد، قاله الحسن.

﴿كلاّ بل تُحِبُّونَ العاجلةَ * وتذَرُونَ الآخِرَةَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: تحبون ثواب الدنيا وتذرون ثواب الآخرة، قاله مقاتل.

الثاني: تحبون عمل الدنيا وتذرون عمل الآخرة.

﴿وُجوهٌ يومئذٍ ناضِرةٌ﴾ فيه أربعة تأويلات:

أحدها: يعني حسنة، قاله الحسن.

الثاني: مستبشرة، قاله مجاهد.

الثالث: ناعمة، قاله ابن عباس.

الرابع: مسرورة، قاله عكرمة.

﴿إلى رَبِّها ناظرةٌ﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: تنظر إلى ربها في القيامة، قاله الحسن وعطية العوفي.

الثاني: إلى ثواب ربها، قاله ابن عمر ومجاهد(٢٠٠).

(٢٠٠) وهذا القول عده العلماء من الأقوال المرذولة لمجاهد التي تخالف الآيات القرآنية والأحاديث المتواترة في إثبات الرؤية في الآخرة وقد كر عليه العلامة أبو عمر بن عبد البر كما نقله الشوكاني عنه وأما ما نسب

الثالث: تنتظر أمر ربها، قاله عكرمة[٢٠١].

﴿ووجوهٌ يومئذٍ باسِرةٌ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: كالحة، قاله قتادة.

الثاني: متغيرة، قاله السدي.

﴿تظُنُّ أنْ يُفْعَلَ بها فاقِرةٌ﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: أن الفاقرة الداهية، قاله مجاهد.

الثاني: الشر، قاله قتادة.

الثالث: الهلاك، قاله السدي.

الرابع: دخول النار، قاله ابن زيد.

كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ ﴿٢٦﴾ وَقِيلَ مَنْۜ رَاقٖ ﴿٢٧﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ ﴿٢٨﴾ وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ﴿٢٩﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ ﴿٣٠﴾ فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ ﴿٣٣﴾ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰٓ ﴿٣٥﴾ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧيَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾

﴿كلّا إذا بَلَغتِ التّراقِيَ﴾ يعني بلوغ الروح عند موته إلى التراقي، وهي أعلى الصدر، واحدها ترقوة.

﴿وقيلَ مَنْ راقٍ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: قال أَهْله: من راقٍ يرقيه بالرُّقي وأسماء اللّه الحسنى، قاله ابن عباس.

الثاني: مَنْ طبيبٌ شافٍ، قاله أبو قلابة، قال الشاعر[٢٠٢]:

إلى ابن عمر فقد قال القرطبي (١٠٨/١٩) حكاه أي القول الماوردي عن ابن عمر وعكرمة أيضاً وليس معروفاً إلا عن مجاهد وحده «قلت كذا القول الثاني ليس بصحيح وقد ثبت عن عكرمة خلافه كما سيأتي راجع فتح القدير (٣٣٨/٥) وروح المعاني (١٤٤/٢٩، ١٤٥) والطبري (٣٩٢/٢٩، ٣٩٣) وابن كثير (٤٥٠/٤) وبعد هذا فإن القول الأول الذي ذكره المؤلف هنا هو الصواب وما عليه الجمهور وما دونه فخطأ مرذول.

(٢٠١) وقد روى الطبري (١٩٢/٢٩) عن عكرمة قال «تنظر إلى ربها نظراً راجع التعليق السابق».

(٢٠٢) القرطبي (١١١/١٩) فتح القدير (٣٤١/٥).

هـل للفتى مِن بنات الـدهـرِ من واقى　　أم هـل لـه من حمام المـوتِ من راقي

الثالث: قال الملائكة: مَن راقٍ يرقى بروحه ملائكة الرحمة أو ملائكة العذاب، رواه أبو الجوزاء عن ابن عباس.

﴿وظَنَّ أنّه الفِراق﴾ أي تيقن أنه مفارق الدنيا.

﴿والْتَفّتِ الساقُ بالساقِ﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: اتصال الدنيا بالآخرة، قاله ابن عباس.

الثاني: الشدة بالشدة والبلاء بالبلاء، وهو شدة كرب الموت بشدة هول المطلع، قاله عكرمة ومجاهد، ومنه قول حذيفة بن أنس الهذلي(٢٠٣):

أخو الحرب إن عضّت به الحربُ عضّها　　وإن شمّرتْ عن ساقها الحرب شمّرا.

الثالث: التفّت ساقاه عند الموت، وحكى ابن قتيبة عن بعض المفسرين أن التفاف الساق بالساق عند الميثاق، قال الحسن:

ماتت رجلاه فلم تحملاه وقد كان عليهما جوّالاً.

الرابع: أنه اجتمع أمران شديدان عليه: الناس يجهزون جسده، والملائكة يجهزون روحه، قاله ابن زيد.

﴿إلى ربِّك يومئذٍ المساقُ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: المنطلق، قاله خارجة.

الثاني: المستقر، قاله مقاتل.

﴿فلا صَدَّقَ ولا صَلَّى﴾ هذا في أبي جهل، وفيه وجهان:

أحدهما: فلا صدّق بكتاب الله ولا صلّى لـلّه، قاله قتادة.

الثاني: فلا صدّق بالرسالة ولا آمن بالمرسل، وهو معنى قول الكلبي.

ويحتمل ثالثاً: فلا آمن بقلبه ولا عمل ببدنه.

﴿ولكن كَذَّبَ وتَوَلَّى﴾ فيه وجهان:

أحدهما: كذب الرسول وتولى عن المرسل.

الثاني: كذب بالقرآن وتولى عن الطاعة.

﴿ثم ذَهَبَ إلى أَهْلِه يَتَمَطَّى﴾ يعني أبا جهل، وفيه ثلاثة أوجه:

(٢٠٣) قال محقق المخطوطة نسب هذا البيت في حاشية تفسير القرطبي إلى حاتم الطائي.

أحدها: يختال في نفسه، قاله ابن عباس.

الثاني: يتبختر في مشيته، قال زيد بن أسلم وهي مشية بني مخزوم.

الثالث: أن يلوي مطاه، والمطا: الظهر، وجاء النهي (٢٠٤) عن مشية المطيطاء وذلك أن الرجل يلقي يديه مع الكفين في مشيه.

﴿أَوْلَى لك فأَوْلَى* ثم أَوْلَى لك فأَوْلَى﴾ حكى الكلبي ومقاتل: أن النبي ﷺ لقي أبا جهل ببطحاء مكة وهو يتبختر في مشيته، فدفع في صدره وهمزه بيده وقال: «**أَوْلى لك فأولى**» فقال أبو جهل:

إليك عني أتوعدني يا ابن أبي كبشة ما تستطيع أنت ولا ربك الذي أرسلك شيئاً، فنزلت هذه الآية.

وفيه وجهان:

أحدهما: وليك الشر، قال قتادة: وهذا وعيد على وعيد.

الثاني: ويل لك، قالت الخنساء(٢٠٥):

هَمَمْتُ بنفسي بعض الهموم ... فأَوْلى لنَفْسيَ أوْلَى لها.

سأحْمِلُ نَفْسي على آلةٍ ... فإمّا عليها وإمّا لها.

الآلة: الحالة، والآلة: السرير أيضاً الذي يحمل عليه الموتى.

﴿أيَحْسَبُ الإنسانُ أنْ يُتْرَكَ سُدىً﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: فهل لا يفترض عليه عمل، قاله ابن زيد.

الثاني: يظن ألا يبعث، قاله السدي.

الثالث: ملغى لا يؤمر ولا ينهى، قاله مجاهد.

الرابع: عبث لا يحاسب ولا يعاقب، قال الشاعر(٢٠٦):

---

(٢٠٤) تخريجه كما في قوله «إذا مشت أمتي المطيطاء وخدمها أبناء الملوك أبناء فارس والروم سلط شرارها على خيارها» رواه ابن المبارك في الزهد رقمه ١٨٧ والترمذي (٢/٤٢ ـ ٤٣) والعقيلي في الضعفاء (٤٠٨) وابن عدي في الكامل (١/٣٢٣) والبيهقي في الدلائل (ج٢) من حديث ابن عمر مرفوعاً.

له شاهد من حديث أبي هريرة رواه الطبراني في الأوسط وحسنه الهيثمي في المجمع (١٠/٢٣٧) والحديث صححه الألباني في السلسلة ٩٥٦.

(٢٠٥) قول الخنساء ديوانها: فتح القدير (٥/٣٤٢) واقتصر على البيت الأول القرطبي (١٩/١١٥).

(٢٠٦) القرطبي (١٩/١١٦).

فأُقسِم باللَّه جهدَ اليمين ما ترك اللَّه شيئاً سُدى

﴿أَلَمْ يكُ نُطْفةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أن معنى يُمنى يراق، ولذلك سميت مني لإراقة الدماء فيها.

الثاني: بمعنى ينشأ ويخلق، ومنه قول يزيد بن عامر:

فاسلك طريقك تمشي غير مختشعٍ حتى تلاقيَ ما يُمني لك الماني.

الثالث: أنه بمعنى يشترك أي اشتراك ماء الرجل بماء المرأة.

﴿ثم كان عَلَقَةً﴾ يعني أنه كان بعد النطفة علقة.

﴿فَخَلقَ فسوَّى﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: خلق من الأرحام قبل الولادة وسوي بعدها عند استكمال القوة وتمام الحركة.

الثاني: خلق الأجسام وسواها للأفعال، فجعل لكل جارحة عملاً، واللَّه أعلم.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا ﴿١﴾ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾

قال ابن عباس ومقاتل والكلبي ويحيى بن سلام: هي مكية، وقال آخرون فيها مكي من قوله تعالى: ﴿**إنا نحن نزّلنا عليك القرآنَ تنزيلاً**﴾ إلى آخرها وما تقدم مدني.

قوله تعالى: ﴿**هلْ أَتى على الإنسان حينٌ من الدهْرِ لم يكُنْ شيئاً مذكوراً**﴾ في قوله «**هل**» وجهان:

أحدهما: أنها في هذا الموضع بمعنى قد، وتقدير الكلام: «**قد أتى على الإنسان**» الآية، على معنى الخبر، قاله الفراء وأبو عبيدة.

الثاني: أنه بمعنى «**أتى على الإنسان**» الآية، على وجه الاستفهام، حكاه ابن عيسى.

وفي هذا «**الإنسان**» قولان:

أحدهما: أنه آدم، قاله قتادة والسدي وعكرمة، وقيل إنه خلقه بعد(٢٠٧) خلق السموات والأرض، وما بينهما في آخر اليوم السادس وهو آخر يوم الجمعة.

---

(٢٠٧) كما ثبت ذلك في حديث مسلم وقد تقدم تخريجه من رواية أبي هريرة رضي الله عنه.

الثاني: أنه كل إنسان، قاله ابن عباس وابن جريج.

وفي قوله تعالى: ﴿حينٌ من الدهر﴾ ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنه أربعون سنة مرت قبل[٢٠٨] أن ينفخ فيه الروح، وهو ملقى بين مكة والطائف، قاله ابن عباس في رواية أبي صالح عنه.

الثاني: أنه خلق من طين فأقام أربعين سنة، ثم من حمأ مسنون أربعين سنة، ثم من صلصال أربعين سنة، فتم خلقه بعد مائة وعشرين سنة، ثم نفخ فيه الروح، وهذا قول ابن عباس في رواية الضحاك.

الثالث: أن الحين المذكور ها هنا وقت غير مقدر، وزمان غير محدود، قاله ابن عباس أيضاً.

وفي قوله ﴿لم يكن شيئاً مذكوراً﴾ وجهان:

أحدهما: لم يكن شيئاً مذكوراً في الخلق، وإن كان عند اللّٰه شيئاً مذكوراً، قاله يحيى بن سلام.

الثاني: أي كان جسداً مصوّراً تراباً وطيناً، لا يذكر ولا يعرف، ولا يدري ما اسمه، ولا ما يراد به، ثم نفخ فيه الروح فصار مذكوراً، قاله الفراء، وقطرب وثعلب.

وقال مقاتل: في الكلام تقديم وتأخير، وتقديره: هل أتى حين من الدهر لم يكن الإنسان شيئاً مذكوراً، لأنه خلقه بعد خلق الحيوان كله ولم يخلق بعده حيواناً.

﴿إنّا خلقْنا الإنسانَ من نُطْفَةٍ أمْشاجٍ﴾ يعني بالإنسان في هذا الموضع كل إنسان من بني آدم في قول جميع المفسرين.

وفي النطفة قولان:

أحدهما: ماء الرجل وماء المرأة إذا اختلطا فهما نطفة، قاله السدي.

الثاني: أن النطفة ماء الرجل، فإذا اختلط في الرحم وماء المرأة صارا أمشاجاً.

وفي الأمشاج أربعة أقاويل:

أحدها: أنه الأخلاط، وهو أن يختلط ماء الرجل بماء المرأة، قاله الحسن وعكرمة، ومنه قول رؤبة بن العجاج[٢٠٩]:

---

(٢٠٨) وهو قول الجمهور كما نقله ابن الجوزي في زاد المسير (٨/٤٢٨).

(٢٠٩) ديوانه: ٣٢ ، الطبري (١٩/٢٠٣)، القرطبي (١٩/١٢٠) فتح القدير (٥/٣٤٥).

يطرحن كل مُعْجَل نشاجِ   لم يُكْسَ جلداً في دم أمشاج.

الثاني: أن الأمشاج الألوان، قاله ابن عباس، وقال مجاهد: نطفة الرجل بيضاء وحمراء، ونطفة المرأة خضراء وصفراء.

روى سعيد عن قتادة عن أنس قال[٢١٠]: قال رسول الله ﷺ: ماء الرجل غليظ أبيض، وماء المرأة رقيق أصفر فأيهما سبق أو علا فمنه يكون الشبه.

الثالث: أن الأمشاج: الأطوار، وهو أن الخلق يكون طوراً نطفة، وطوراً علقة، وطوراً مضغة، ثم طوراً عظماً، ثم يكسى العظم لحماً، قاله قتادة.

الرابع: أن الأمشاج العروق التي تكون في النطفة، قاله ابن مسعود.

وفي قوله ﴿نَبْتَلِيه﴾ وجهان:

أحدهما: نختبره.

الثاني: نكلفه بالعمل.

فإن كان معناه الاختبار ففيما يختبر به وجهان:

أحدهما: نختبره بالخير والشر، قاله الكلبي.

الثاني: نختبر شكره في السراء، وصبره في الضراء، قاله الحسن.

ومن جعل معناه التكليف ففيما كلفه وجهان:

أحدهما: العمل بعد الخلق، قاله مقاتل.

الثاني: الدين، ليكون مأموراً بالطاعة، ومنهياً عن المعاصي.

﴿فَجَعَلْناه سميعاً بصيراً﴾ ويحتمل وجهين:

أحدهما: أي يسمع بالأذنين ويبصر بالعينين امتناناً بالنعمة عليه.

الثاني: ذا عقل وتمييز ليكون أعظم في الامتنان حيث يميزه من جميع الحيوان.

وقال الفراء ومقاتل: في الآية تقديم وتأخير أي فجعلناه سميعاً بصيراً أن نبتليه، فعلى هذا التقديم في الكلام اختلفوا في ابتلائه على قولين:

أحدهما: ما قدمناه من جعله اختباراً أو تكليفاً.

---

(٢١٠) رواه البخاري (٣٦٢/٦) من حديث أنس وأحمد (١٠٨/٣) ورواه مسلم من حديث ثوبان (٣)(٣١٥).

الثاني : لنبتليه بالسمع والبصر، قاله ابن قتيبة .

﴿إنّا هَدَيْناه السّبيلَ﴾ فيه أربعة تأويلات :

أحدها : سبيل الخير والشر، قاله عطية .

الثاني : الهدى من الضلالة ، قاله عكرمة .

الثالث : سبيل الشقاء والسعادة، قاله مجاهد .

الرابع : خروجه من الرحم، قاله أبو صالح والضحاك والسدي .

ويحتمل خامساً : سبيل منافِعِه ومضارِّه التي يهتدي إليها بطبعه، وقيل : كمال عقله .

﴿إمّا شاكراً وإمّا كَفوراً﴾ فيه وجهان :

أحدهما : إما مؤمناً وإما كافراً، قاله يحيى بن سلام .

الثاني : إما شكوراً للنعمة وإما كفوراً بها، قاله قتادة .

وجمع بين الشاكر والكفور ولم يجمع بين الشكور والكفور ـ مع إجتماعهما في معنى المبالغة ـ نفياً للمبالغة في الشكر وإثباتاً لها في الكفر، لأن شكر الله تعالى لا يُؤدَّى فانتفت عنه المبالغة، ولم تنتف عن الكفر المبالغة، فقل شكره لكثرة النعم عليه، وكثر كفره وإن قل مع الإحسان إليه .

إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَا۟ وَأَغْلَٰلًا وَسَعِيرًا ﴿٤﴾ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾ يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾

﴿إنّ الأبرار يَشْربونَ﴾ في الأبرار قولان :

أحدهما : أنهم الصادقون، قاله الكلبي .

الثاني : المطيعون، قاله مقاتل .

وفيما سُمّوا به أبراراً ثلاثة أقاويل:

أحدها: سمّوا بذلك لأنهم برّوا الآباء والأبناء، قاله ابن عمر.

الثاني: لأنهم كفوا الأذى، قاله الحسن.

الثالث: لأنهم يؤدون حق اللّه ويوفون بالنذر، قاله قتادة.

وقوله ﴿مِن كأسٍ﴾ يعني الخمر، قال الضحاك: كل كأس في القرآن فإنما عنى به الخمر.

وفي قوله ﴿كان مِزاجها كافوراً﴾ قولان:

أحدهما: أن كافوراً عين في الجنة اسمها كافور، قاله الكلبي.

الثاني: أنه الكافور من الطيب فعلى هذا في المقصود منه في مزاج الكأس به ثلاثة أقاويل:

أحدها: برده، قال الحسن: ببرد الكافور وطعم الزنجبيل.

الثاني: بريحه، قاله قتادة: مزج بالكافور وختم بالمسك.

الثالث: طعمه، قال السدي: كأن طعمه طعم الكافور.

﴿عَيْناً يَشْرَبُ بها عبادُ اللّهِ﴾ يعني أولياء اللّه، لأن الكافر لا يشرب منها شيئاً وإن كان من عباد اللّه، وفيه وجهان:

أحدهما: ينتفع بها عباد اللّه، قاله الفراء.

الثاني: يشربها[٢١١] عباد اللّه.

قال مقاتل: هي التسنيم، وهي أشرف شراب الجنة، يشرب بها المقربون صِرفاً، وتمزج لسائر أهل الجنة بالخمر واللبن والعسل.

﴿يُفَجِّرونَها تفْجيراً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: يقودونها إلى حيث شاءوا من الجنة، قاله مجاهد.

الثاني: يمزجونها بما شاءوا، قاله مقاتل.

ويحتمل وجهاً ثالثاً: أن يستخرجوه من حيث شاءوا من الجنة.

وفي قوله «تفجيراً» وجهان:

---

(٢١١) ولكن قوله «يشرب بها» أفاد معنى زائد على الشراب وهو الري أي يشرب ويروي معاً وهذه هي فائدة الباء هنا.

أحدهما: أنه مصدر قصد به التكثير.

الثاني: أنهم يفجرونه من تلك العيون عيوناً لتكون أمتع وأوسع.

﴿يُوفُونَ بالنَّذْرِ﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: يوفون بما افترض اللَّه عليهم من عبادته، قاله قتادة.

الثاني: يوفون بما عقدوه على أنفسهم من حق اللَّه، قاله مجاهد.

الثالث: يوفون بالعهد لمن عاهدوه، قاله الكلبي.

الرابع: يوفون بالأيمان إذا حلفوا بها، قاله مقاتل.

ويحتمل خامساً: أنهم يوفون بما أُنذِروا به من وعيده.

﴿ويَخافون يوْماً كان شَرُّه مُسْتَطيراً﴾ قال الكلبي عذاب يوم كان شره مستطيراً، وفيه وجهان:

أحدهما: فاشياً، قاله ابن عباس والأخفش.

الثاني: ممتداً، قاله الفراء، ومنه قول الأعشى[٢١٢]:

فبانتْ وقد أوْرَثَتْ في الفؤادِ صَدْعاً على نأيها مُستطيرا

أي ممتداً.

ويحتمل وجهاً ثالثاً يعني سريعاً.

﴿ويُطْعمونَ الطعامَ على حُبِّهِ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: على حب الطعام، قاله مقاتل.

الثاني: على شهوته، قاله الكلبي.

الثالث: على قلته، قاله قطرب.

﴿مسكيناً ويتيماً وأسيراً﴾ في الأسير ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنه المسجون المسلم، قاله مجاهد.

الثاني: أنه العبد، قاله عكرمة.

الثالث: أسير المشركين، قاله الحسن وسعيد بن جبير.

قال سعيد بن جبير: ثم نسخ أسير المشركين بالسيف، وقال غيره بل هو ثابت الحكم في الأسير بإطعامه، إلا أن يرى الإمام قتله.

(٢١٢) ديوانه: ٩٣، القرطبي (١٩/ ١٢٨) فتح القدير (٥/ ٣٤٧) الطبري (٢٩/ ٢١٩).

ويحتمل وجهاً رابعاً: أن يريد بالأسير الناقص العقل، لأنه في أسر خبله وجنونه، وإن أسر المشركين انتقام يقف على رأي الإمام وهذا بر وإحسان.

﴿إنّما نُطْعِمُكم لوجْهِ اللّهِ﴾ قال مجاهد: إنهم لم يقولوا ذلك، لكن علمه الله منهم فأثنى عليهم ليرغب في ذلك راغب.

﴿لا نُريدُ منكم جزاءً ولا شُكوراً﴾ جزاء بالفعال، وشكوراً بالمقال وقيل إن هذه الآية نزلت فيمن تكفل بأسرى بدر، وهم سبعة من المهاجرين أبو بكر وعمر وعلي والزبير وعبد الرحمن بن عوف وسعيد وأبو عبيدة.

﴿إنّا نخافُ من ربِّنا يوماً عَبوساً قَمْطريراً﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أن العبوس الذي يعبس الوجوه من شره، والقمطرير الشديد، قاله ابن زيد.

الثاني: أن العبوس الضيق، والقمطرير الطويل، قاله ابن عباس، قال الشاعر[٢١٣]:

شديداً عبوساً قمطريراً تخالهُ تزول الضحى فيه قرون المناكب.

الثالث: أن العُبوس بالشفتين، والقمطرير بالجبهة والحاجبين، فجعلها من صفات الوجه المتغير من شدائد ذلك اليوم، قاله مجاهد، وأنشد ابن الأعرابي[٢١٤]:

يَغْدو على الصّيْدِ يَعودُ مُنكَسِرْ وَيَقْمَطرُّ ساعةً ويكْفَهِرّ.

﴿فَوَقاهمُ اللّه شَرَّ ذلك اليومِ ولَقّاهُمْ نَضْرةً وسُروراً﴾ قال الحسن النضرة من الوجوه، والسرور في القلوب.

وفي النضرة ثلاثة أوجه:

أحدها: أنها البياض والنقاء، قاله الضحاك.

الثاني: أنها الحسن والبهاء، قاله ابن جبير.

---

(٢١٣) قال العلامة ابن الجوزي (٤٤٣/٨) متعقباً على هذا القول «وقد ذهب بعض المفسرين أن الآية تضمنت مدحهم على إطعام الأسير المشرك قال وهذا منسوخ بآية السيف وليس هذا القول بشيء فإن في إطعام الأسير المشرك ثواباً وهذا محمول على صدق التطوع فأما الفرض فلا يجوز صرفه إلى الكفار ذكره القاضي أبو يعلى اهـ.

(٢١٤) القرطبي (١٣٥/١٩).

الثالث: أنها أثر النعمة، قاله ابن زيد.

﴿وجَزاهم بما صَبَروا﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: بما صبروا على طاعة الله.

الثاني: بما صبروا على الوفاء بالنذر.

﴿جَنّةً وحريراً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: جنة يسكنونها، وحريراً يلبسونه.

الثاني: أن الجنة المأوى، والحرير أبد العيش في الجنة، ومنه لبس الحرير ليلبسون من لذة العيش.

واختلف فيمن نزلت هذه الآية على قولين:

أحدهما: ما حكاه الضحاك عن جابر أنها نزلت في مطعم بن ورقاء الأنصاري نذر نذراً فوفاه.

الثاني: ما حكاه عمرو عن الحسن(٢١٥) أنها نزلت في علي وفاطمة.. رضي الله عنهما ـ وذلك أن علياً وفاطمة نذرا صوماً فقضياه، وخبزت فاطمة ثلاثة أقراص من شعير ليفطر عليّ على أحدها وتفطر هي على الآخر، ويأكل الحسن والحسين الثالث، فسألها مسكين فتصدقت عليه بأحدها، ثم سألها يتيم فتصدقت عليه بالآخر، ثم سألها أسير فتصدقت عليه بالثالث، وباتوا طاوين.

مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۖ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَـٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴿١٤﴾ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا۠ ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَا۟ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ﴿١٨﴾ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴿١٩﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ عَـٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ ۖ وَحُلُّوٓا۟ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾ إِنَّ هَـٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴿٢٢﴾

﴿مُتَّكِئينَ فيها على الأرائِك﴾ وفيها مع ما قدّمناه من تفسيرها قولان:

---

(٢١٥) القرطبي (١٩/١٣٦).

أحدهما: أنها الأسرّة، قاله ابن عباس.

الثاني: أنها كل ما يتكأ عليه، قاله الزجاج.

﴿لا يَرَوْنَ فيها شمْساً ولا زَمْهَريراً﴾ أما المراد بالشمس ففيه وجهان:

أحدهما: أنهم في ضياء مستديم لا يحتاجون فيه إلى ضياء، فيكون عدم الشمس مبالغة في وصف الضياء.

الثاني: أنهم لا يرون فيها شمساً فيتأذون بحرها، فيكون عدمها نفياً لأذاها.

وفي الزمهرير ثلاثة أوجه:

أحدها: أنه البرد الشديد، قال عكرمة لأنهم لا يرون في الجنة حراً ولا برداً.

الثاني: أنه لون في العذاب، قاله ابن مسعود.

الثالث: أنه من هذا الموضع القمر، قاله ثعلب وأنشد(٢١٦):

وليلةٍ ظلامُها قد اعتكَرْ ... قطعْتها والزمهريرُ ما ظَهَرْ

وروي ما زهر، ومعناه أنهم في ضياء مستديم لا ليل فيه ولا نهار، لأن ضوء النهار بالشمس، وضوء الليل بالقمر.

﴿. . . وذُلِّلَتْ قُطوفُها تذْليلاً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أنه لا يرد أيديهم عنها شوك ولا بعد، قاله قتادة.

الثاني: أنه إذا قام ارتفعت، وإذا قعد نزلت، قاله مجاهد.

---

(٢١٦) ولم يصح هذا السبب قال القرطبي (١٩/ ١٣٠) قلت والصحيح أنها نزلت في جميع الأبرار ومن فعل فعلاً حسناً فهي عامة وقد ذكر النقاش والثعلبي والقشيري وغير واحد من المفسرين في قصة علي وفاطمة وهذاحديثاً لا يصح ولا يثبت رواه ليث عن مجاهد عن ابن عباس في قوله «يوفون بالنذر. . . الآية ا هـ قلت وليث هو ابن أبي سليم متكلم فيه بما يوجب الضعف ثم قال القرطبي رواه الجعفي عن قنبر مولى علي قلت وجابر الجعفي ضعيف أيضاً.

وقد أحسن أبو حيان بقوله «وذكر النقاش في ذلك حكاية طويلة جداً ظاهرة الاختلاق وفيها أشعار المسكين واليتيم والأسير يخاطبون بها بيت النبوة وأشعار لفاطمة رضي الله عنها تخاطب كل واحد منهم ظاهرها الاختلاق لسفافة ألفاظها وكسر أبياتها وسخافة معانيها ا هـ.

ثم قال القرطبي رحمه الله ما يروج مثل هذا إلا على أهل السجون فيما أرى بلغني أن قوماً يخلدون في السجون فيبقون بلا حيلة فيكتبون أحاديث في السمر وأشباهه ومثل هذه الأحاديث مفتعلة فإذا صارت إلى الجهابذة رموا بها وزيفوها وما من شيء إلا له آفة ومكيدة وآفة الدين وكيده أكثر ا هـ ونقل الحافظ في تخريج الكشاف ص ١٨٠ قال قال الحكيم الترمذي هذا حديث خروق مفتعل لا يروج إلا على أحمق جاهل» ورواه ابن الجوزي في الموضوعات وقال لا نشك في وضعه.

ويحتمل ثالثاً: أن يكون تذليل قطوفها أن تبرز لهم من أكمامها وتخلص من نواها[٢١٧].

﴿. . . وأكْوابٍ كانت قَواريرَا* قواريرَا من فِضّةٍ﴾ أما الأكواب فقد ذكرنا[٢١٨] ما هي من جملة الأواني.

وفي قوله تعالى: «قوارير من فضة» وجهان:

أحدهما: أنها من فضة من صفاء القوارير، قاله الشعبي.

الثاني: أنها من قوارير في بياض الفضة، قاله أبو صالح.

وقال ابن عباس: قوارير كل أرض من تربتها، وأرض الجنة الفضة فلذلك كانت قواريرها فضة.

﴿قَدَّرُوها تقْديراً﴾ فيه خمسة أقاويل:

أحدها: أنهم قدروها في أنفسهم فجاءت على ما قدروها، قاله الحسن.

الثاني: على قدر ملء الكف، قاله الضحاك.

الثالث: على مقدار لا تزيد فتفيض، ولا تنقص فتغيض، قاله مجاهد.

الرابع: على قدر ريهم وكفايتهم، لأنه ألذ وأشهى، قاله الكلبي.

الخامس: قدرت لهم وقدروا لها سواء، قاله الشعبي.

﴿ويُسْقَوْنَ فيها كأساً كان مِزاجُها زَنْجبيلاً﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: تمزج بالزنجبيل، وهو مما تستطيبه العرب لأنه يحذو اللسان ويهضم المأكول، قاله السدي وابن أبي نجيح.

الثاني: أنْ الزنجبيل اسم للعين التي فيها مزاج شراب الأبرار، قاله مجاهد.

الثالث: أن الزنجبيل طعم من طعوم الخمر يعقب الشرب منه لذة، حكاه ابن شجرة، ومنه قول الشاعر[٢١٩]:

---

(٢١٧) القرطبي (١٩/ ١٣٨) روح المعاني (٢٩/ ١٥٨) زاد المسير (٨/ ٤٣٥) فتح القدير (٥/ ٣٤٩).

(٢١٨) وقد نقل القرطبي قول الماوردي هذا (١٩/ ٣٩) وقال «وفي هذا بعد فقد روى ابن المبارك قال أخبرنا سفيان عن حماد عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال نخل الجنة جذوعها زمرد أخضر وكربها ذهب أحمر وسقفها كسوة لأهل الجنة منها مقطعاتهم وحللهم وغيرها أمثال القلال والدلاء وأشدّ بياضاً من اللبن وأحلى من العسل وألين من الزبد ليس فيها عجم. . . الخ.

(٢١٩) كما في سورة الواقعة الآية ١٨ في هذا التفسير.

وكـأن طـعْـمَ الـزنـجبـيـلِ بـه اذْ ذُقْـتُـه وسُـلافَـةَ الـخـمْـرِ.

﴿عَيْناً فيها تُسَمَّى سَلْسَبيلاً﴾ فيه ستة أقاويل:

أحدها: أنه اسم لها، قاله عكرمة.

الثاني: معناه سلْ سبيلاً إليها، قاله علّي رضي اللَّه عنه.

الثالث: يعني سلسلة السبيل، قاله مجاهد.

الرابع: سلسة يصرفونها حيث شاءوا، قاله قتادة.

الخامس: أنها تنسلّ في حلوقهم انسلالاً، قاله ابن عباس.

السادس: أنها الحديدة الجري، قاله مجاهد أيضاً، ومنه قول حسان بن ثابت(٢٢٠):

يَسْقُـون مـن وَرَدَ البـريصَ عـليهـم كـأسـاً تُصَفِّقُ بـالـرحيـق السَّلْسَل.

وقال مقاتل: إنما سميت السلسبيل لأنها تنسل عليهم في مجالسهم وغرفهم وطرقهم.

﴿ويَطوفُ عليهم وِلْدانٌ مُخَلَّدونَ﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: مخلدون لا يموتون، قاله قتادة.

الثاني: صغار لا يكبرون وشبابٌ لا يهرمون، قاله الضحاك والحسن.

الثالث: أي مُسَوَّرون، قاله ابن عباس، قال الشاعر(٢٢١):

ومُـخـلَّداتٍ بـالْـلجَـيْـنِ كـأنـمـا أعْـجـازُهـنّ أقـاوزُ الـكُـثْـبـانِ.

﴿إذا رَأَيْتَهم حَسِبْتَهم لُؤْلُؤاً مَنْثوراً﴾ فيه قولان:

أحدها: أنهم مشبهون باللؤلؤ المنثور لكثرتهم، قاله قتادة.

الثاني: لصفاء ألوانهم وحسن منظرهم وهو معنى قول سفيان.

﴿وإذا رأيْتَ ثَمَّ﴾ يعني الجنة.

﴿رأيْتَ نَعيماً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: يريد كثرة النعمة.

---

(٢٢٠) هو المسيب بن علس والبيت في آخر ديوان الأعشى: ٣٥٢ زاد المسير (٨/٤٣٧) روح المعاني (٢٩/١٦٠).

(٢٢١) القرطبي (١٩/١٤٣) فتح القدير (٥/٣٥١) ديوانه: ١٨٤

الثاني : كثرة النعيم .

﴿ومُلْكاً كبيراً﴾ فيه وجهان :

أحدهما : لسعته وكثرته .

الثاني : لاستئذان الملائكة عليهم وتحيتهم بالسلام .

ويحتمل ثالثاً : أنهم لا يريدون شيئاً إلا قدروا عليه .

﴿ وسقاهم ربُّهم شَراباً طَهوراً﴾ فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنه وصفه بذلك لأنهم لا يبولون منه ولا يُحْدِثون عنه ، قاله عطية ، قال إبراهيم التيمي : هو عَرَق يفيض من أعضائهم مثل ريح المسك .

الثاني : لأن خمر الجنة طاهرة ، وخمر الدنيا نجسة ، فلذلك وصفه اللّه تعالى بالطهور ، قاله ابن شجرة .

الثالث : أن أنهار الجنة ليس فيها نجس كما يكون في أنهار الدنيا وأرضها حكاه ابن عيسى .

إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا ﴿٢٣﴾ فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴿٢٤﴾ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٢٥﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَٱسْجُدْ لَهُۥ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ﴿٢٧﴾ نَّحْنُ خَلَقْنَٰهُمْ وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ ۖ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَآ أَمْثَٰلَهُمْ تَبْدِيلًا ﴿٢٨﴾ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٢٩﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾ يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣١﴾

﴿ولا تُطِعْ منهم آثِماً أو كَفوراً﴾ قيل إنه عنى أبا جهل ، يريد بالآثم المرتكب للمعاصي ، وبالكفور الجاحد للنعم .

﴿واذكُرِ اسمَ رَبِّك بُكرَةً وأَصيلاً﴾ يعني في أول النهار وآخره ، ففي أوله صلاة الصبح ، وفي آخره صلاة الظهر والعصر .

﴿ومِنَ الليلِ فاسْجُدْ له﴾ يعني صلاة المغرب والعشاء الآخرة .

﴿وسَبِّحْهُ ليْلاً طويلاً﴾ يعني التطوع من الليل .

قال ابن عباس وسفيان: كل تسبيح في القرآن هو صلاة.

﴿إنّ هؤلاءِ يُحِبّونَ العاجلةَ﴾ يحتمل في المراد بهم قولين:

أحدهما: أنه أراد بهم اليهود وما كتموه من صفة الرسول ﷺ وصحة نبوّته.

الثاني: أنه أراد المنافقين لاستبطانهم الكفر.

ويحتمل قوله **﴿يحبون العاجلة﴾** وجهين:

أحدهما: أخذ الرشا على ما كتموه إذا قيل إنهم اليهود.

الثاني: طلب الدنيا إذا قيل إنهم المنافقون.

﴿ويَذَرُونَ وراءَهم يوماً ثقيلاً﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: ما يحل بهم من القتل والجلاء إذا قيل إنهم اليهود.

الثاني: يوم القيامة إذا قيل إنهم المنافقون.

فعلى هذا يحتمل قوله «**ثقيلاً**» وجهين:

أحدهما: شدائده وأحواله.

الثاني: للقِصاص من عباده.

﴿نحن خَلَقْناهم وشَدَدْنا أَسْرَهم﴾ في أسرهم ثلاثة أوجه:

أحدها: يعني مفاصلهم، قاله أبو هريرة.

الثاني: خلقهم، قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة قال لبيد(٢٢٢):

ساهم الوجه شديد أَسْرُه مشرف الحارك محبوك الكفل.

الثالث: أنه القوة، قاله ابن زيد، قال ابن أحمر في وصف فرس(٢٢٣):

يمشي لأوظفةٍ شدادٍ أَسْرُها صُمِّ السنابك لاتقى بالجَدْجَدِ.

ويحتمل هذا القول منه تعالى وجهين:

أحدهما: امتناناً عليهم بالنعم حين قابلوها بالمعصية.

الثاني: تخويفاً لهمن بسلب النعم.

﴿وإذا شئنا بدّلْنا أمثالَهم تبديلاً﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: أمثال من كفر بالنعم وشكرها.

---

(٢٢٢) ديوانه: القرطبي (١٩/١٥١) وفيه الكند بدلاً من الكفل واللسان «حبك».

(٢٢٣) القرطبي (١٩/١٥١).

الثاني : من كفر بالرسل بمن يؤمن بها .

﴿إنّ هذه تَذْكِرةٌ﴾ يحتمل بالمراد بـ«**هذه**» وجهين :

أحدهما : هذه السورة .

الثاني : هذه الخلقة التي خلق الإنسان عليها .

ويحتمل قوله «**تذكرة**» وجهين :

أحدهما : إذكار ما غفلت عنه عقولهم .

الثاني : موعظة بما تؤول إليه أمورهم .

﴿فَمَنْ شاءَ اتَخَذَ إلى ربِّه سَبيلاً﴾ يحتمل وجهين :

أحدهما : طريقاً إلى خلاصه .

الثاني : وسيلة إلى جنته .



مكية من قول الحسن وعكرمة وعطاء وجابر، وقال ابن عباس وقتادة إلا آية منها، وهي قوله تعالى: «وإذا قيل لهم اركعوا لا يركعون» فمدنية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا ﴿١﴾ فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا ﴿٢﴾ وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا ﴿٣﴾ فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا ﴿٤﴾ فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا ﴿٥﴾ عُذْرًا أَوْ نُذْرًا ﴿٦﴾ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ ﴿٧﴾ فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ ﴿٨﴾ وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ ﴿٩﴾ وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ ﴿١٠﴾ وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ ﴿١١﴾ لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ ﴿١٢﴾ لِيَوْمِ الْفَصْلِ ﴿١٣﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ ﴿١٤﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٥﴾

قوله تعالى: ﴿والمرسلاتِ عُرْفاً﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: الملائكة ترسل بالمعروف، قاله أبو هريرة وابن مسعود.

الثاني: أنهم الرسل يرسلون بما يُعرفون به من المعجزات، وهذا قول أبي صالح.

الثالث: أنها الرياح ترسل بما عرفها[٢٢٤] الله تعالى.

ويحتمل رابعاً: أنها السحب لما فيها من نعمة ونقمة عارفة بما أرسلت فيه، ومن أرسلت إليه.

---

(٢٢٤) وهو قول الجمهور.

ويحتمل خامساً: أنها الزواجر والمواعظ.

وفي قوله «عُرْفاً» على هذا التأويل ثلاثة أوجه:

أحدها: متتابعات كعُرف الفرس، قاله ابن مسعود.

الثاني: جاريات، قاله الحسن يعني القلوب.

الثالث: معروفات في العقول.

﴿فالعاصِفاتِ عَصْفاً﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنها الرياح العواصف، قاله ابن مسعود.

الثاني: الملائكة، قاله مسلم بن صبيح.

ويحتمل قولاً ثالثاً: أنها الآيات المهلكة كالزلازل والخسوف.

وفي قوله «عصفاً» وجهان:

أحدهما: ما تذروه في جريها.

الثاني: ما تهلكه بشدتها.

﴿والنَّاشِراتِ نَشْراً﴾ فيه خمسة أوجه:

أحدها: أنها الرياح تنشر السحاب، قاله ابن مسعود.

الثاني: أنها الملائكة تنشر الكتب، قاله أبو صالح.

الثالث: أنه المطر ينشر النبات، قاله أبو صالح أيضاً.

الرابع: أنه البعث للقيامة تُنشر فيه الأرواح، قاله الربيع.

الخامس: أنها الصحف تنشر على اللّه تعالى بأعمال العباد، قاله الضحاك.

﴿فالفارِقات فَرقاً﴾ فيه أربعة أقاويل:

أحدها: الملائكة التي تفرق بين الحق والباطل، قاله ابن عباس.

الثاني: الرسل الذين يفرقون بين الحلال والحرام، قاله أبو صالح.

الثالث: أنها الرياح، قاله مجاهد.

الرابع: القرآن.

وفي تأويل قوله «فَرْقاً» على هذا القول وجهان:

أحدهما: فرقه آية آية، قاله الربيع.

الثاني: فرق فيه بين الحق والباطل، قاله قتادة.

﴿فالمُلْقِياتِ ذِكْراً﴾ فيه قولان :

أحدهما : الملائكة تلقي ما حملت من الوحي والقرآن إلى من أرسلت إليه من الأنبياء ، قاله الكلبي .

الثاني : الرسل يلقون إلى أممهم ما أنزل إليهم ، قاله قطرب .

ويحتمل ثالثاً : أنها النفوس تلقي في الأجساد ما تريد من الأعمال .

﴿عُذْراً أو نُذْراً﴾ يعني عذراً من اللّه إلى عباده ، ونُذْراً إليهم من عذابه .

ويحتمل ثانياً : عذراً من اللّه بالتمكن ، ونذراً بالتحذير .

وفي ما جعله عذراً أو نذراً ثلاثة أقاويل :

أحدها : الملائكة ، قاله ابن عباس .

الثاني : الرسل ، قاله أبو صالح .

الثالث : القرآن ، قاله السدي .

﴿إنما تُوعَدُونَ لَواقعٌ﴾ هذا جواب ما تقدم من القسم ، لأن في أول السورة قسم ، أقسم اللّه تعالى إنما توعدون على لسان الرسـول من القرآن في أن البعث والجزاء واقع بكم ونازل عليكم .

ثم بيّن وقت وقوعه فقال :

﴿فإذا النجومُ طُمِسَتْ﴾ أي ذهب ضوؤها ومحي نورها كطمس الكتاب .

﴿وإذا السماءُ فُرِجَتْ﴾ أي فتحت وشققت .

﴿وإذا الجبالُ نُسِفَتْ﴾ أي ذهبت ، وقال الكلبي : سويت بالأرض .

﴿وإذا الرّسُلُ أُقِّتَتْ﴾ فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : يعني أُوجدت ، قاله إبراهيم .

الثاني : أُجلت ، قاله مجاهد .

الثالث : جمعت ، قاله ابن عباس .

وقرأ أبو عمرو[٢٢٥] «وقتت» ومعناها عرفت ثوابها في ذلك اليوم ، وتحتمل هذه القراءة وجهاً آخر أنها دعيت للشهادة على أممها .

أَلَمْ نُهْلِكِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ ٱلْآخِرِينَ ﴿١٧﴾ كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٨﴾

(٢٢٥) ووافقه أبو جعفر إلا أنه خفف القاف زاد المسير (٤٤٧/٨) .

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٩﴾ أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٢٠﴾ فَجَعَلْنَٰهُ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿٢١﴾ إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢٢﴾ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ ﴿٢٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٤﴾ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا ﴿٢٦﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ شَٰمِخَٰتٍ وَأَسْقَيْنَٰكُم مَّآءً فُرَاتًا ﴿٢٧﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٨﴾﴾

﴿أَلم نُهْلِكِ الأَوَّلِين﴾ يعني من العصاة، وفيمن أريد بهم وجهان:

أحدهما: قوم نوح عليه السلام لعموم هلاكهم بالطوفان لأن هلاكهم أشهر وأعم[٢٢٦].

الثاني: أنه قوم كل نبي استؤصلوا، لأنه في خصوص الأمم أندر.

﴿ثُمَّ نُتْبِعُهُم الآخِرينَ﴾ يعني في هلاكهم بالمعصية كالأولين، إما بالسيف وإما بالهلاك.

﴿كذلك نَفْعَلُ بالمُجرمين﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: أنه تهويل لهلاكهم في الدنيا اعتباراً.

الثاني: أنه إخبار بعذابهم في الآخرة استحقاقاً.

﴿أَلَمْ نَخْلُقْكُم مِنْ ماءٍ مَهينٍ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: من صفوة الماء، قاله ابن عباس.

الثاني: من ماء ضعيف، قاله مجاهد وقتادة.

الثالث: من مني سائل، قاله ابن كامل.

﴿فَجَعَلْناه في قرارٍ مكينٍ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: قاله وهب بن منبّه في رحم أُمّه لا يؤذيه حَرّ ولا برد.

الثاني: مكين حريز لا يعود فيخرج ولا يبث في الجسد فيدوم، قاله الكلبي.

﴿إلى قَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾ إلى يوم ولادته.

﴿فقدرنا فنِعْم القادِرون﴾ في قراءة نافع[٢٢٧] مشددة، وقرأ الباقون مخففة، فمن قرأ بالتخفيف فتأويلها: فملكنا فنعم المالكون. ومن قرأ بالتشديد فتأويلها: فقضينا فنعم القاضون، وقال الفراء: هما لغتان ومعناهما واحد.

---

(٢٢٦) وهذا القول أشمل وأعم.

(٢٢٧) وهي قراءة الكسائي وأهل المدينة كما في زاد المسير (٨/٤٤٨).

﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ كِفاتاً﴾ فيه أربعة تأويلات:

أحدها: يعني كِنّاً، قاله ابن عباس.

الثاني: غطاء، قاله مجاهد.

الثالث: مجمعاً، قاله المفضل.

الرابع: وعاء، قال الصمصامة بن الطرماح(٢٢٨):

فأنت اليومَ فوق الأرض حيٌّ   وأنت غداً تَضُمُّكَ من كِفات.

﴿أَحْياءً وأَمْواتاً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن الأرض تجمع الناس أحيَاء على ظهرها وأمواتاً في بطنها، قاله قتادة والشعبي.

الثاني: أن من الأرض أحياء بالعمارة والنبات، وأمواتاً بالجدب والجفاف، وهو أحد قولي مجاهد.

ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٩﴾ ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ ظِلٍّ ذِى ثَلَٰثِ شُعَبٍ ﴿٣٠﴾ لَّا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِى مِنَ ٱللَّهَبِ ﴿٣١﴾ إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ كَٱلْقَصْرِ ﴿٣٢﴾ كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ ﴿٣٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٤﴾ هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٧﴾ هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ جَمَعْنَٰكُمْ وَٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ ﴿٣٩﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٠﴾

﴿انْطَلِقوا إلى ظِلٍّ ذي ثلاثِ شُعَبٍ﴾ قيل إن الشعبة تكون فوقه، والشعبة عن يمينه، والشعبة عن شماله، فتحيط به، قاله مجاهد.

الثاني: أن الشعب الثلاث الضريع والزقوم والغسلين، قاله الضحاك.

ويحتمل ثالثاً: أن الثلاث الشعب: اللهب والشرر والدخان، لأنه ثلاثة أحوال هي غاية أوصاف النار إذا اضطرمت واشتدت.

﴿لا ظَليلٍ﴾ في دفع الأذى عنه.

(٢٢٨) فتح القدير (٥/٣٥٨) والقرطبي (١٩/١٦١) وفيه حياً بدلاً من حي.

﴿ولا يُغْني مِن اللّهَب﴾ واللهب ما يعلو عن النار إذا اضطرمت من أحمر وأصفر وأخضر.

﴿إنها تَرْمي بِشَـرَرٍ كالقَصْـرِ﴾ والشرر مـا تطايـر من قطع النـار، وفي قولـه «كالقصر» خمسة أوجه:

أحدها: أنه أصول الشجر العظام، قاله الضحاك.

الثاني: كالجبل، قاله مقاتل.

الثالث: القصر من البناء وهو واحد القصور، قاله ابن مسعود.

الرابع: أنها خشبة كان أهل الجاهلية يقصدونها، نحو ثلاثة أذرع، يسمونها القصر، قاله ابن عباس.

الخامس: أنها أعناق الذواب، قاله قتادة.

ويحتمل وجهاً سادساً: أن يكون ذلك وصفاً من صفات التعـظيم، كنى عنه باسم القصر، لما في النفوس من استعظامه، وإن لم يُرِدْ به مسمى بعينه.

﴿كأنّه جِمالةٌ صُفْرٌ﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: يعني جِمالاً صُفراً وأراد بالصفر السـود، سميت صفراً لأن سـوادها يضرب إلى الصفرة، وهو قول الحسن ومجاهد وقتادة، قال الشاعر(٢٢٩):

تـلك خَيْـلي منـه وتـلك رِكـابي   هُـنّ صُـفْـرٌ أولادُهـا كـالـزبـيـبِ.

الثاني: أنها قلوس(*) السفن، قاله ابن عباس وسعيد بن جبير.

الثالث: أنها قطع النحاس، وهو مروي عن ابن عباس أيضاً.

وفي تسميتها بالجمالات الصفر وجهان:

أحدهما: لسرعة سيرها.

الثاني: لمتابعة بعضها لبعض.

﴿فإنْ كانَ لكم كَيْدٌ فَكِيدُونِ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: إن كان لكم حيلة فاحتالوا لأنفسكم، قاله مقاتل.

الثاني: إن استطعتم أن تمتنعوا عني فامتنعوا، وهو معنى قول الكلبي.

---

(٢٢٩) وهو الأعشى والبيت في القرطبي (١٩/١٦٤) وفتح القدير (٥/٣٥٩).

(*) اي حبالها.

إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٤٤﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٥﴾ كُلُوا۟ وَتَمَتَّعُوا۟ قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُوا۟ لَا يَرْكَعُونَ ﴿٤٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٠﴾

﴿وإذا قِيلَ لهم ارْكَعوا لا يَرْكَعون﴾ أي صلّوا لا يصلّون، قال مقاتل: نزلت في ثقيف امتنعوا عن الصلاة فنزل ذلك فيهم، وقيل إنه قال ذلك لأهل الآخرة تقريعاً لهم.

﴿فبأيِّ حديثٍ بَعْدَه يُؤْمنون﴾ أي فبأي كتاب بعد القرآن يصدّقون.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ﴿١﴾ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ ﴿٢﴾ الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ﴿٣﴾ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا ﴿٦﴾ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾ وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴿١٣﴾ وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾ لِّنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا ﴿١٦﴾

قوله تعالى ﴿عَمَّ يتساءَلونَ عن النبإِ العَظيم﴾ يعني عن أي شيء يتساءل المشركون؟ لأن قريشاً حيت بُعث رسول الله ﷺ جعلت تجادل وتَختصم في الذي دعا إليه.

وفي ﴿النبأ العظيم﴾ أربعة أقاويل:

أحدها: القرآن، قاله مجاهد.

الثاني: يوم القيامة، قاله ابن زيد.

الثالث: البعث بعد الموت، قاله قتادة.

الرابع: عن أمر النبي ﷺ.

﴿الذي هُمْ فيه مُختَلِفُونَ﴾ هو البعث، فأما الموت فلم يختلفوا فيه، وفيه قولان:

أحدهما: أنه اختلف فيه المشركون من بين مصدق منهم ومكذب، قاله قتادة.

الثاني: اختلف فيه المسلمون والمشركون، فصدّق به المسلمون وكذّب به المشركون، قاله يحيى بن سلام.

﴿كَلاَّ سيعْلَمون ثم كلا سيعلمون﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنه وعيد بعد وعيد للكفار، قاله الحسن، فالأول: كلا سيعلمون ما ينالهم من العذاب في القيامة، والثاني: كلا سيعلمون ما ينالهم من العذاب في جهنم.

القول الثاني: أن الأول للكفار فيما ينالهم من العذاب في النار، والثاني للمؤمنين فيما ينالهم من الثواب في الجنة، قاله الضحاك.

﴿وجَعَلْنا نَوْمَكم سُباتاً﴾ فيه أربعة تأويلات:

أحدها: نعاساً، قاله السدي.

الثاني: سكناً، قاله قتادة.

الثالث: راحة ودعة، ولذلك سمي يوم السبت سبتاً لأنه يوم راحة ودعة، قال أبو جعفر الطبري[٢٣٠]: يقال سبت الرجل إذا استراح.

الرابع: سُباتاً أي قطعاً لأعمالهم، لأن أصل السبات القطع ومنه قولهم سبت الرجل شعره إذا قطعه، قال ابن الأنباري: وسمي يوم السبت لانقطاع الأعمال فيه.

ويحتمل خامساً: أن السبات ما قرت فيه الحواس حتى لم تدرك بها الحس.

﴿وجَعَلْنا اللّيلَ لِباساً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: سكناً، قاله سعيد بن جبير والسدي.

الثاني: غطاء، لأنه يغطي سواده كما يغطى الثوب لابسه، قاله أبو جعفر الطبري[٢٣١].

﴿وجَعَلنا النهارَ مَعاشاً﴾ يعني وقت اكتساب، وهو معاش لأنه يعاش فيه.

---

(٢٣٠) جامع البيان (٣/٣٠).

(٢٣١) جامع البيان (٣/٣٠).

ويحتمل ثانياً: أنه زمان العيش واللذة.

﴿وجَعَلْنا سِراجاً وَهّاجاً﴾ يعني بالسراج الشمس، وفي الوهّاج أربعة أقاويل:

أحدها: المنير، قاله ابن عباس.

الثاني: المتلألىء، قاله مجاهد.

الثالث: أنه من وهج الحر، قاله الحسن.

الرابع: أنه الوقّاد، الذي يجمع بين الضياء والجمال.

﴿وأَنْزَلْنا من الْمُعْصِراتِ ماءً ثَجّاجاً﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: ان المعصرات الرياح، قاله ابن عباس وعكرمة، قال زيد بن أسلم هي الجنوب.

الثاني: أنها السحاب، قاله سفيان والربيع.

الثالث: أن المعصرات السماء، قاله الحسن وقتادة.

وفي الثجاج قولان:

أحدهما: الكثير، قاله ابن زيد.

الثاني: المنصبّ، قاله ابن عباس، وقال عبيد بن الأبرص[٢٣٢]:

فثجّ أعلاه ثم ارتج أسفله وضاق ذَرْعاً بحمل الماء مُنْصاحِ

﴿لنُخرج به حبّاً ونَباتاً﴾ فيه قولان:

أحدهما: أن الحب ما كان في كمام الزرع الذي يحصد، والنبات: الكلأ الذي يرعى، وهذا معنى قول الضحاك.

الثاني: أن الحب اللؤلو، والنبات: العشب، قال عكرمة: ما أنزل اللّهُ من السماء قطرة إلا أنبتت في الأرض عشبة أو في البحر لؤلؤة.

ويحتمل ثالثاً: أن الحب ما بذره الآدميوّن، والنبات ما لم يبذروه.

﴿وجنّاتٍ أَلْفافاً﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أنها الزرع المجتمع بعضه إلى جنب بعض، قاله عكرمة.

الثاني: أنه الشجر الملتف بالثمر، قاله السدي.

الثالث: أنها ذات الألوان، قاله الكلبي.

---

(٢٣٢) ديوانه:... القرطبي (١٩/١٧٤).

ويحتمل رابعاً: أنها التي يلف الزرع أرضها والشجر أعاليها، فيجتمع فيها الزرع والشجر ملتفات.

إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَـٰتًا ﴿١٧﴾ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾ وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا ﴿١٩﴾ وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٢٠﴾ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِّلطَّـٰغِينَ مَـَٔابًا ﴿٢٢﴾ لَّـٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾ جَزَآءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا كِذَّابًا ﴿٢٨﴾ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَـٰهُ كِتَـٰبًا ﴿٢٩﴾ فَذُوقُوا۟ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾

﴿**إنّ يومَ الفصلِ**﴾ يعني يوم القيامة، سمي بذلك لأنه يفصل فيه الحكم بين الأولين والآخرين والمثابين والمعاقبين.

﴿**كانَ مِيقاتاً**﴾ فيه وجهان:

أحدهما: ميعاداً للاجتماع.

والثاني: وقتاً للثواب والعقاب.

﴿**وسُيِّرتِ الجبالُ فكانتْ سَراباً**﴾ فيه وجهان:

أحدهما: سُيِّرت أي أزيلت عن مواضعها.

الثاني: نسفت من أصولها.

«**فكانت سراباً**» فيه وجهان:

أحدهما: فكانت هباءً.

الثاني: كالسراب لا يحصل منه شيء كالذي يرى السراب يظنه ماء وليس بماء.

﴿**إنّ جهنّمَ كانت مِرْصاداً**﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: يعني أنها راصدة فجازتهم بأعمالهم، قاله أبو سنان.

الثاني: أن على النار رصداً، لا يدخل أحد الجنة حتى يجتاز عليه، فمن جاء بجواز جاز، ومن لم يجىء بجواز لم يجز، قاله الحسن.

الثالث: أن المرصاد وعيد أوعد اللّه به الكفار، قاله قتادة.

﴿للطّاغينَ مَآباً﴾ فيه قولان:

أحدهما: مرجعاً ومنقلباً، قاله السدي.

الثاني: مأوى ومنزلاً، قاله قتادة.

والمراد بالطاغين من طغى في دينه بالكفر أو في دنياه بالظلم.

﴿لابِثينَ فيها أَحْقاباً﴾ يعني كلما مضى حقب جاء حقب وكذلك إلى الأبد واختلفوا في مدة الحقب على سبعة أقاويل:

أحدها: ثمانون سنة، قاله أبو هريرة.

الثاني: أربعون سنة، قاله ابن عمر.

الثالث: سبعون سنة، قاله السدي.

الرابع: أنه ألف شهر، رواه أبو أمامة(٢٣٣) مرفوعاً.

الخامس: ثلاثمائة سنة، قاله بشير بن كعب.

السادس: سبعون ألف سنة، قاله الحسن.

السابع: أنه دهر طويل غير محدود(٢٣٤)، قاله قطرب.

وفي تعليق لبثهم بالأحقاب قولان:

أحدهما: أنه على وجه التكثير، كلما مضت أحقاب جاءَت بعدها أحقاب، وليس ذلك بحد لخلودهم في النار.

الثاني: أن ذلك حد لعذابهم بالحميم والغسّاق، فإذا انقضت الأحقاب عذبوا بغير ذلك من العذاب.

﴿لا يَذُوقونَ فيها بْرداً ولا شَراباً﴾ في البرد ثلاثة أقاويل:

---

(٢٣٣) رواه ابن أبي عمر العدني في مسنده وابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه بسند ضعيف عن أبي أمامة مرفوعاً كما في الدر المنثور (٨/٣٩٥) قلت: وفي سنده جعفر بن الزبير عن القاسم وكلاهما متروك وقد ضعفه ابن كثير بهما (٤/٤٦٣) وقال: هذا حديث منكر جداً. وأعله الهيثمي في المجمع (٧/١٣٣) من رواية الطبراني بجعفر بن الزبير فقط فقصر.

(تنبيه) وقع في ابن كثير (٨/٣٩٥) ابن عمر العدني وهو خطأ والتصويب ابن أبي عمر والتصويب من المطالب العالية (٣/٢٩٥) والدر (٨/٣٩٥).

(٢٣٤) وهو الصواب لأن الله تعالى أخبر عن خلود الكافرين في النار أبد الآبدين وماجاء هنا في الآيات من قوله ﴿لابثين فيها أحقاباً﴾ يعني كلما مضى زمن يعقبه زمن ودهر يعقبه دهر هكذا أبد الآبدين وما هم منها بمخرجين راجع القرطبي (١٩/١٧٩).

أحدها: أنه برد الماء، وبرد الهواء، وهو قول كثير من المفسرين.

الثاني: أنه الراحة، قاله قتادة.

الثالث: أنه النوم، قاله مجاهد والسدي وأبو عبيدة.

وأنشد قول الكندي[٢٣٥]:

بَرَدَتْ مَراشِفُها عليَّ فَصَدَّني عنها وعن تَقْبيلِها البَرْدُ

يعني النوم.

والشراب ها هنا: العذاب.

ويحتمل أن يريد بالشراب الري[٢٣٦]، لأن الشراب يروي وهم فيها عطاش أبداً.

﴿إلاّ حَميماً وغَسّاقاً﴾ أما الحميم ففيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنه الحارّ الذي يحرق، قاله ابن عباس.

الثاني: دموع أعينهم في النار تجتمع في حياض في النار فيُسقونْه، قاله ابن زيد.

الثالث: أنه نوع من الشراب لأهل النار، قاله السدي. وأما الغسّاق ففيه أربعة أقاويل:

أحدها: أنه القيح الغليظ، قاله ابن عمر.

الثاني: أنه الزمهرير البارد الذي يحرق من برده، قاله ابن عباس.

الثالث: أنه صديد أهل النار، قاله قتادة.

الرابع: أنه المنتن باللغة الطحاوية، قاله ابن زيد.

﴿جزاءً وِفاقاً﴾ وهو جمع وفق، قال أهل التأويل: وافق سوءُ الجزاء سوءَ العمل.

﴿إنهم كانوا لا يَرْجُونَ حِساباً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: لا يرجون ثواباً ولا يخافون عقاباً، قاله ابن عباس.

الثاني: لا يخافون وعيد اللّٰه بحسابهم ومجازاتهم، وهذا معنى قول قتادة.

﴿وكذّبوا بآياتِنا كِذّاباً﴾ يعني بآيات القرآن، وفي «كِذّاباً» وجهان:

---

(٢٣٥) القرطبي (١٩/١٨٠) فتح القدير (٥/٣٦٦) الطبري (٣٠/١٢).

(٢٣٦) ولعل هذا الاحتمال هو أشبه بالصواب والله أعلم.

أحدهما: أنه الكذب الكثير.

الثاني: تكذيب بعضهم لبعض، ومنه قول الشاعر(٢٣٧):

فَصَدَقْتُها وَكَذَبْتُها والمرءُ يَنْفَعُهُ كِذابُهْ

وهي لغة يمانية.

﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَآئِقَ وَأَعْنَبًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا ﴿٣٥﴾ جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا ﴿٣٦﴾﴾

﴿إنّ لِلْمتقِينَ مَفازاً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: نجاة من شرها، قاله ابن عباس.

الثاني: فازوا بأن نجوا من النار بالجنة، ومن العذاب بالرحمة، قاله قتادة، وتحقيق هذا التأويل أنه الخلاص من الهلاك، ولذلك قيل للفلاة إذا قل ماؤها مفازة تفاؤلاً بالخلاص منها.

﴿وكَواعِبَ أتْراباً﴾ في الكواعب قولان:

أحدهما: النواهد، قاله ابن عباس.

الثاني: العذارى، قاله الضحاك، ومنه قول قيس بن عاصم(٢٣٨):

وكم مِن حَصانٍ قد حَوينا كريمةٍ ومِن كاعبٍ لم تَدْرِ ما البؤسُ مُعْصر

وفي الاتراب أربعة أقاويل:

أحدها: الأقران، قاله ابن عباس.

الثاني: الأمثال، قاله مجاهد.

الثالث: المتصافيات، قاله عكرمة.

الرابع: المتآخيات، قاله السدي.

﴿وكأساً دِهاقاً﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: مملوءة، قاله ابن عباس، ومنه قول الشاعر(٢٣٩):

---

(٢٣٧) هو الأعشى والبيت في القرطبي (١٩/١٨١) روح المعاني (١٩/١٦) الكامل للمبرد (٥٦٤) الطبري (٣٠/٢٠).

(٢٣٨) فتح القدير (٥/٣٦٩) القرطبي (١٩/١٨٣).

(٢٣٩) هو خداش بن زهير والبيت في القرطبي (١٩/١٨٣) روح المعاني (٣٠/١٨).

أتـانـا عـامـرٌ يَـبْـغـي قِـرانـا فـأتْـرَعْـنـا لـه كـأسـاً دِهـاقـاً

الثاني: متتابعة يتبع بعضها بعضاً، قاله عكرمة.

الثالث: صافية، رواه عمر بن عطاء، قال الشاعر(٢٤٠):

لأنْـتِ إلى الـفـؤادِ أَحَـبُّ قُـرْبـاً مِـن الـصَّـادي إلـى كـأسٍ دِهَـاقِ.

﴿لا يَسْمعونَ فيها لَغْواً ولا كِذّاباً﴾ في اللغو هاهنا أربعة أقاويل:

أحدها: الباطل، قاله ابن عباس.

الثاني: الحلف عند شربها، قاله السدي.

الثالث: الشتم، قاله مجاهد.

الرابع: المعصية، قاله الحسن.

وفي «كِذّاباً» ثلاثة أقاويل:

أحدها: لا يكذب بعضهم بعضاً، قاله سعيد بن جبير.

الثاني: أنه الخصومة، قاله الحسن.

الثالث: أنه المأثم، قاله قتادة.

وفي قوله ﴿لا يَسْمَعونَ فيها﴾ وجهان:

أحدهما: في الجنة، قاله مجاهد.

الثاني: في شرب الخمر، قاله يحيى بن سلام.

﴿جزاءً من ربكَ عَطاءً حِساباً﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: كافياً، قاله الكلبي.

الثاني: كثيراً، قاله قتادة.

الثالث: حساباً لما عملوا، فالحساب بمعنى العد.

رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَٰنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴿٣٧﴾ يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا ﴿٣٩﴾ إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ

(٢٤٠) القرطبي (١٩/ ١٨٣).

ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا ﴿٤٠﴾

﴿يومَ يقومُ الرُّوحُ والملائكةُ صَفّاً﴾ في الروح هاهنا ثمانية أقاويل:

أحدها: الروح خلق من خلق اللّٰه كهيئة الناس وليسوا أناساً، وهم جند للّٰه سبحانه، قاله أبو صالح.

الثاني: أنهم أشرف الملائكة، قاله مقاتل بن حيان.

الثالث: أنهم حفظة على الملائكة، قاله ابن أبي نجيح.

الرابع: أنه ملك من أعظم الملائكة خلقاً، قاله ابن عباس.

الخامس: هو جبريل عليه السلام، قاله سعيد بن جبير.

السادس: أرواح بني آدم يقومون صفاً والملائكة صفاً، قاله الحسن.

السابع: أنهم بنو آدم، قاله قتادة.

الثامن: أنه القرآن، قاله زيد بن أسلم.

﴿لا يتكلمونَ إلا مَنْ أَذِنَ له الرحمنُ﴾ فيه قولان:

أحدهما: لا يشفعون إلا من أذن له الرحمن في الشفاعة، قاله الحسن.

الثاني: لا يتكلمون في شيء إلا من أذن له الرحمن شهادة أن لا إله إلا اللّٰه، قاله ابن عباس.

﴿وقالَ صَواباً﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: يعني حقاً، قاله الضحاك.

الثاني: قول لا إله إلا اللّٰه، قاله أبو صالح.

الثالث: أن الروح يقول يوم القيامة: لا تُدخل الجنة إلا بالرحمة، ولا النار إلا بالعمل، فهو معنى قوله «**وقال صواباً**» قاله الحسن.

ويحتمل رابعاً: أنه سؤال الطالب وجواب المطلوب، لأن كلام الخلق في القيامة مقصور على السؤال والجواب.

﴿ذلك اليومُ الحقُّ﴾ يعني يوم القيامة، وفي تسميته الحق وجهان:

أحدهما: لأن مجيئه حق وقد كانوا على شك.

الثاني: أنّ اللّٰه تعالى يحكم فيه بالحق بالثواب والعقاب.

﴿فمن شاءَ اتّخذَ إلى ربِّه مآباً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: سبيلاً، قاله قتادة.

الثاني: مرجعاً، قاله ابن عيسى.

ويحتمل ثالثاً: اتخذ ثواباً لاستحقاقه بالعمل لأن المرجع يستحق على المؤمن والكافر.

﴿إنّا أنذَرْناكم عَذاباً قَريباً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: عقوبة الدنيا، لأنه أقرب العذابين، قاله قتادة، وقال مقاتل: هو قتل قريش ببدر.

الثاني: عذاب يوم القيامة، لأنه آت وكل آت قريب، وهو معنى قول الكلبي.

﴿يومَ يَنظُرُ المَرْءُ ما قدَّمَتْ يَداهُ﴾ يعني يوم ينظر المرء ما قدّم من عمل خير، قال الحسن: قدَّم فقَدِم على ما قَدَّم. ويحتمل أن يكون عامّاً في نظر المؤمن إلى ما قدّم من خير، ونظر الكافر إلى ما قدّم من شر.

﴿ويقولُ الكافرُ يا لَيْتني كنتُ تُراباً﴾ قال مجاهد يبعث[(٢٤١)] الحيوان فيقاد للمنقورة من الناقرة، وللمركوضة من الراكضة، وللمنطوحة من الناطحة، ثم يقول الرب تعالى: كونوا تراباً بلا جنة ولا نار، فيقول الكافر حينئذ: يا ليتني كنت تراباً، وفي قوله ذلك وجهان:

أحدهما: يا ليتني صرت اليوم مثلها تراباً بلا جنة ولا نار، قاله مجاهد.

الثاني: يا ليتني كنت مثل هذا الحيوان في الدنيا وأكون اليوم تراباً، قاله أبو هريرة: وهذه من الأماني الكاذبة كما قال الشاعر:

ألا يا ليتني والمَرءُ مَيْتُ ... وما يُغْني من الحدثانِ لَيْتُ.

قال مقاتل: نزل قوله تعالى: **﴿يوم ينظر المرء ما قدّمت يداهُ﴾** في أبي سلمة بن عبد الأسد المخزومي، ونزل قوله تعالى: **﴿ويقول الكافر يا ليتني كنت تراباً﴾** في أخيه الأسود بن عبد الأسد.

---

(٢٤١) وقد ورد فيه خبر مرفوع صحيح الإسناد تقدم تخريجه عند قوله ﴿ثم إلى ربهم يحشرون﴾ في سورة الأنعام.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا (١) وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا (٢) وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا (٣) فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا (٤) فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا (٥) يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ (٦) تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ (٧) قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ (٨) أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ (٩) يَقُولُونَ أَإِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ (١٠) أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا نَخِرَةً (١١) قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ (١٢) فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ (١٣) فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ (١٤)

قوله تعالى ﴿والنَّازِعاتِ غَرْقاً﴾ فيه ستة أقاويل:

أحدها: هي الملائكة تنزع نفوس بني آدم، قاله ابن مسعود ومسروق.

الثاني: هو الموت ينزع النفوس، قاله مجاهد.

الثالث: هي النفوس حين تنزع، قاله السدي.

الرابع: هي النجوم تنزع من أفق إلى أفق، ومن المشرق إلى المغرب، قاله الحسن وقتادة.

الخامس: هي القسيّ تنزع بالسهم، قاله عطاء.

السادس: هي الوحش تنزع من الكلأ وتنفر، حكاه يحيى بن سلام، ومعنى «غرقاً» أي إبعاداً في النزع

﴿والناشِطات نَشْطاً﴾ فيه ستة تأويلات:

أحدها: هي الملائكة تنشط أرواح المؤمنين بسرعة كنشط العقال، قاله ابن عباس.

الثاني: النجوم التي تنشط من مطالعها إلى مغاربها، قاله قتادة.

الثالث: هو الموت ينشط نفس الإنسان، قاله مجاهد.

الرابع: هي النفس حيث نشطت بالموت، قاله السدي.

الخامس: هي الأوهاق، قاله عطاء.

السادس: هي الوحش تنشط من بلد إلى بلد، كما أن الهموم تنشط الإنسان من بلد إلى بلد، قاله أبو عبيدة، وانشد قول همام بن قحافة[٢٤٢]:

أمْسَتْ همومي تنشط المناشِطا الشامَ بي طَوْراً وطَوْراً واسطاً.

﴿والسّابحاتِ سَبْحاً﴾ فيه خمسة أوجه:

أحدها: هي الملائكة سبحوا إلى طاعة اللَّهُ من بني آدم، قاله ابن مسعود والحسن.

الثاني: هي النجوم تسبح في فلكها، قاله قتادة.

الثالث: هو الموت يسبح في نفس ابن آدم، قاله مجاهد.

الرابع: هي السفن تسبح في الماء، قاله عطاء.

الخامس: هي الخيل، حكاه ابن شجرة، كما قال عنترة[٢٤٣]:

والخيلُ تعْلم حين تسـ ـبَحُ في حياضِ الموْتِ سَبْحاً

ويحتمل سادساً: أن تكون السابحات الخوض في أهوال القيامة.

﴿فالسّابقاتِ سَبْقاً﴾ فيه خمسة تأويلات:

أحدها: هي الملائكة تسبق الشياطين بالوحي إلى الأنبياء، قاله عليّ رضي اللَّهُ عنه ومسروق.

وقال الحسن: سبقت إلى الإيمان.

الثاني: هي النجوم يسبق بعضها بعضاً، قاله قتادة.

الثالث: هو الموت يسبق إلى النفس، قاله مجاهد.

الرابع: هي النفس تسبق بالخروج عند الموت، قاله الربيع.

---

(٢٤٢) وفي القرطبي (١٩/١٩٢) ومجاز القرآن (٢/٢٨٤) والطبري (٣٠/٢٩) واللسان نشط وروح المعاني (٣٠/٢٤) هميان بن قحافة.

(٢٤٣) القرطبي (١٩/١٩٣) فتح القدير (٥/٣٧٣).

الخامس: هي الخيل، قاله عطاء.

ويحتمل سادساً: أن تكون السابقات ما يسبق من الأرواح قبل الأجساد إلى جنة أو نار.

﴿فالمُدَبِّرات أمْراً﴾ فيهم قولان:

أحدهما: هي الملائكة، قاله الجمهور، فعلى هذا في تدبيرها بالأمر وجهان:

أحدهما: تدبير ما أمرت به وأرسلت فيه.

الثاني: تدبير ما وكلت فيه من الرياح والأمطار.

الثاني: هي الكواكب السبعة، حكاه خالد بن معدان عن معاذ بن جبل؛ وعلى هذا في تدبيرها للأمر وجهان.

أحدهما: تدبير طلوعها وأفولها.

الثاني: تدبير ما قضاه اللَّهُ فيها من تقلب الأحوال.

ومن أول السورة إلى هذا الموضع قسم أقسم اللَّهُ به، وفيه وجهان:

أحدهما: أن ذكرها بخالقها.

الثاني: أنه أقسم بها و إن كانت مخلوقة لا يجوز لمخلوق أن يقسم بها، لأن للَّهِ تعالى أن يقسم بما شاء من خلقه.

وجواب ما عقد له القسم ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنه مضمر محذوف وتقديره لو أظْهر: لَتُبْعَثُن ثم لَتحاسبُن، فاستغنى بفحوى الكلام وفهم السامع عن إظهاره، قاله الفراء.

الثاني: أنه مظهر، وهو قوله تعالى: ﴿إن في ذلك لعبرةً لمن يخشى﴾ قاله مقاتل.

الثالث: هو قوله تعالى:

﴿يومَ ترْجُفُ الراجفةُ * تَتْبعُها الرادِفَةُ﴾ وفيهما ثلاثة أقاويل:

أحدها: أن الراجفة القيامة، والرادفة البعث، قاله ابن عباس.

الثاني: أن الراجفة النفخة الأولى تميت الأحياء، والرادفة: النفخة الثانية تحيي الموتى، قاله الحسن وقتادة.

وقال قتادة: ذكر أن[٢٤٤] النبي ﷺ قال: بينهما أربعون، ما زادهم على ذلك ولا سألوه، وكانوا يرون أنها أربعون سنة.

وقال عكرمة: الأولى من الدنيا، والثانية من الآخرة.

الثالث: أن الراجفة الزلزلة التي ترجف الأرض والجبال والرادفة إذا دكّتا دكة واحدة، قاله مجاهد.

ويحتمل رابعاً: أن الراجفة أشراط الساعة، والرادفة: قيامها.

﴿قلوبٌ يومئذٍ واجِفَةٌ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: خائفة، قاله ابن عباس.

الثاني: طائرة عن أماكنها، قاله الضحاك.

﴿أَبْصارُها خاشِعَة﴾ فيه وجهان:

أحدهما: ذليلة، قاله قتادة.

الثاني: خاضعة، قاله الضحاك.

﴿يقولون أئنا لَمَردُودُونَ في الحافِرةِ﴾ فيه أربعة تأويلات:

أحدها: أن الحافرة الحياة بعد الموت، قاله ابن عباس والسدي وعطية.

الثاني: أنها الأرض المحفورة، قاله ابن عيسى.

الثالث: أنها النار، قاله ابن زيد.

الرابع: أنها الرجوع إلى الحالة الأولى تَكذيباً بالبعث، من قولهم رجع فلان على قومه إذا رجع من حيث جاء، قاله قتادة، قال الشاعر[٢٤٥]:

أحـافـرة عـلى صَلَعٍ وشيْـبٍ   معـاذَ اللّه من جَهْـلٍ وطَيْشِ

﴿أَئِذا كُنّا عِظاماً نَخِرةً﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: بالية، قاله السدي.

الثاني: عفنة، قاله ابن شجرة.

الثالث: خالية مجوفة تدخلها الرياح فتنخر، أي تصوّت، قاله عطاء والكلبي.

---

(٢٤٤) وقد ورد ذلك في حديث أبي هريرة وقد سبق تخريجه

(٢٤٥) القرطبي (١٩/١٩٧) والكشاف (٤/١٩١) روح المعاني (٣٠/٢٧) الطبري (٣٠/٣٣) اللسان حفر فتح القدير (٥/٣٧٤).

ومن قرأ «ناخرة»[٢٤٦] فإن الناخرة البالية، والنخرة التي تنخر الريح فيها.

﴿تلك إذاً كَرّةٌ خاسِرةٌ﴾ فيه تأويلان:

أحدهما: باطلة لا يجيء منها شيء، كالخسران، وليست كاسبة، قاله يحيى بن سلام.

الثاني: معناه لئن رجعنا أحياء بعد الموت لنخسرنّ بالنار، قاله قتادة ومحمد بن كعب.

ويحتمل ثالثاً: إذا كنا ننتقل من نعيم الدنيا إلى عذاب الآخرة فهي كرة خاسرة.

﴿فإنّما هي زَجْرةٌ واحدةٌ﴾ فيه تأويلان:

أحدهما: نفخة واحدة يحيا بها الجميع فإذا هم قيام ينظرون، قاله الربيع بن أنس.

الثاني: الزجرة الغضب، وهو غضب واحد، قاله الحسن.

ويحتمل ثالثاً: أنه لأمر حتم لا رجعة فيه ولا مثنوية.

﴿فَإذَا هم بالسّاهرةِ﴾ فيه أربعة تأويلات:

أحدها: وجه الأرض، قاله ابن عباس وعكرمة ومجاهد، والعرب تسمي وجه الأرض ساهرة لأن فيها نوم الحيوان وسهره، قال أمية بن أبي الصلت[٢٤٧]:

وفيها لَحْمُ ساهرةٍ وبَحرٌ ... وما فاهوا به لهمُ مُقيم

وقال آخر يوم[٢٤٨] ذي قار لفرسه:

أَقْدِمْ مَحاجِ إنها الأساوِره ... ولا يهولنّك رِجْلٌ بادِرهْ

فإنما قَصْرُكَ تُرْبُ السّاهرهْ ... ثم تعودُ، بَعْدها في الحافرهْ

من بَعْد ما صِرْتَ عظاماً ناخِرهْ

الثاني: أنه اسم مكان من الأرض بعينه بالشام، وهو الصقع الذي بين جبل أريحا وجبل حسّان، يمده اللّهُ تعالى كيف يشاء، قاله عثمان بن أبي العاتكة.

---

(٢٤٦) وهي قراءة حمزة وعاصم راجع السبعة لابن مجاهد ٦٧ والحجة في القراءات ص ٧٤٧.

(٢٤٧) ديوانه: ٥٢ اللسان سهر، القرطبي (١٩/١٩٩) الطبري (٣٠/٣٧) فتح القدير (٥/٣٧٥) روح المعاني (٣٠/٢٨).

(٢٤٨) القرطبي (١٩/١٩٩) وفيه «رجل نادره» بدلاً من بادره واللسان مادة نخر.

الثالث: أنها جبل بيت المقدس، قاله وهب بن منبه.

الرابع: أنه جهنم، قاله قتادة.

ويحتمل خامساً: أنها عرصة القيامة لأنها أول مواقف الجزاء، وهم في سهر لا نوم فيه.

هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَرَىٰهُ ٱلْءَايَةَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٢٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْءَاخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ ﴿٢٥﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ ﴿٢٦﴾

﴿هلْ أتاكَ حديثُ موسى * إذ ناداه ربه بالوادِ المقدَّسِ طُوَىً﴾ فيه قولان:

أحدهما: وهو قول مبشر بن عبيد هو واد بأيلة.

الثاني: وهو قول الحسن، هو واد بفلسطين.

وفي «**المقدَّس**» تأويلان:

أحدهما: المبارك، قاله ابن عباس.

الثاني: المطهر، قال الحسن: قدّس مرتين.

وفي «**طُوَىً**» أربعة أقاويل:

أحدها: أنه اسم الوادي المقدس، قاله مجاهد وقتادة وعكرمة.

الثاني: لأنه مر بالوادي فطواه، قاله ابن عباس.

الثالث: لأنه طوي بالبركة، قاله الحسن.

الرابع: يعني طأ الوادي بقدمك، قاله عكرمة ومجاهد.

ويحتمل خامساً: أنه ما تضاعف تقديسه حتى تطهّر من دنس المعاصي، مأخوذ من طيّ الكتاب إذا ضوعف.

﴿فَقُلْ هل لك إلى أن تَزَكّى﴾ فيه قولان:

أحدهما: إلى أن تُسْلِم، قال قتادة.

الثاني: إلى أن تعمل خيراً، قاله الكلبي.

﴿فأراهُ الآيةَ الكُبْرَى﴾ فيها قولان:

أحدهما: أنها عصاه ويده، قاله الحسن وقتادة.

الثاني: أنها الجنة والنار، قاله السدي.

ويحتمل ثالثاً: أنه كلامه من الشجرة.

قوله **﴿فَحَشَرَ فنادَى﴾** فيه وجهان:

أحدهما: حشر السحرة للمعارضة، ونادى جنده للمحاربة.

الثاني: حشر الناس للحضور ونادى أي خطب فيهم.

﴿فأخَذَهُ اللّهُ نَكالَ الآخرة والأُولى﴾ فيها أربعة أقاويل:

أحدها: عقوبة الدنيا والآخرة، قال قتادة: عذبه اللّهُ في الدنيا بالغرق وفي الآخرة بالنار.

الثاني: عذاب أول عُمرِه وآخره، قاله مجاهد.

الثالث: الأولى قوله: «**ما علمت لكم مِن إلهٍ غيري**»،والآخرة قوله: «**أنا ربكم الأعلى**» ، قاله عكرمة، قال ابن عباس: وكان بينهما أربعون سنة، وقال مجاهد: ثلاثون سنة، قال السدي: وهي الآخرة ثلاثون سنة.

الرابع: عذاب الأولى الإمهال، والآخرة في النار، من قوله تعالى: **﴿النار يعرضون عليها﴾**. الآية، قاله الربيع.

ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا ﴿٢٩﴾ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴿٣١﴾ وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ﴿٣٢﴾ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٣﴾

﴿وأغْطَشَ لَيْلَها وأخْرَجَ ضُحاها﴾ معناه أظلم ليلها، و شاهد الغطش أنه الظلمة قول الأعشى(٢٤٩):

عَقَـرْتُ لهم مَـوْهِنا نـاقـتي ... وغـامِـرُهُـمْ مُـدْلَهِـمٌّ غَـطِشْ

يعني يغامرهم ليلهم لأنه غمرهم بسواده.

---

(٢٤٩) القرطبي (١٩/٢٠٤) فتح القدير (٥/٣٧٨) واقتصر على الشطر الثاني، روح المعاني (٣٠/٣١).

وفي قوله «وأخرج ضُحاها» وجهان:

أحدهما: أضاء نهارها وأضاف الليـل والضحى إلى السماء لأن منها الظلمة والضياء.

الثاني: قال ابن عباس أن أخرج ضحاها: الشمس.

﴿والأرضَ بَعْد ذلك دَحاها﴾ في قوله «بَعْد» وجهان:

أحدهما: مع وتقدير الكلام: والأرض مع ذلك دحاها، لأنها مخلوقة قبل[٢٥٠] السماء، قاله ابن عباس ومجاهد.

الثاني: أن «بعد» مستعملة على حقيقتها لأنه خلق الأرض قبل السماء ثم دحاها بعد السماء، قاله ابن عمر و عكرمة. وفي «دحاها» ثلاثة أوجه:

أحدها: بسطها، قاله ابن عباس، قال أمية بن أبي الصلت[٢٥١]:

وَبَثَّ الخلْق فيها إذْ دَحاها ... فهُمْ قُطّانُها حتى التنادي

قال عطاء: من مكة دحيت الأرض، وقال عبدالله بن عمر: من موضع الكعبة دحيت.

الثاني: حرثها و شقها، قاله ابن زيد.

الثالث: سوّاها، ومنه قول زيد بن عمرو[٢٥٢]:

وأسْلَمْتُ وجهي لمن أسْلَمتْ ... له الأرضُ تحمل صَخْراً ثِقالا

دحاها فلما اسْتَوتْ شدّها ... بأيْدٍ وأرْسَى عليها الجبالا

فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴿٣٦﴾ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ

---

(٢٥٠) وقد تقدم الكلام على أيهما أسبق في الخلق.

(٢٥١) القرطبي (١٩/٢٠٤) (١٥/٣١٠) فتح القدير (٥/٣٧٩) روح المعاني (٣٠/٣٢).

(٢٥٢) روح المعاني (٣٠/٣٢) فتح القدير (٥/٣٧٩) القرطبي (١٩/٢٠٥).

مَن يَخْشَىٰهَا ﴿٤٥﴾ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴿٤٦﴾

﴿فإذا جاءت الطامّةُ الكُبْرى﴾ فيه أربعة أقاويل:

أحدها: أنها النفخة الآخرة، قاله الحسن.

الثاني: أنها الساعة طمت كل داهية، والساعة أدهى وأمّر، قاله الربيع.

الثالث: أنه اسم من أسماء القيامة يسمى الطامة، قاله ابن عباس.

الرابع: أنها الطامة الكبرى إذا سيق أهل الجنة إلى الجنة، وأهل النار إلى النار، قاله القاسم بن الوليد، وهو معنى قول مجاهد.

وفي معنى «الطامّة» في اللغة ثلاثة وجوه:

أحدها: الغاشية.

الثاني: الغامرة.

الثالث: الهائلة، ذكره ابن عيسى، لأنها تطم على كل شيء أي تغطيه.

﴿وأمّا مَنْ خاف مَقامَ رَبِّهِ ونَهى النفْسَ عن الهَوى﴾ فيه وجهان:

أحدهما: هو خوفه في الدنيا من اللّه عند مواقعة الذنب فيقلع، قاله مجاهد.

الثاني: هو خوفه في الآخرة من وقوفه بين يدي اللّه للحساب، قاله الربيع بن أنس، ويكون معنى: خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى، قال الكلبي: وزجر النفس عن المعاصي والمحارم.

﴿فإنّ الجنّةَ هي المأْوَى﴾ أي المنزل، وذكر أنها نزلت في مصعب بن عمير[٢٥٣]

﴿يسألونَكَ عن الساعةِ أيّانَ مُرْساها﴾ قال ابن عباس: متى زمانها، قاله الربيع.

﴿فيمَ أنْتَ مِن ذِكْراها﴾ فيه وجهان:

أحدهما: فيم يسألك المشركون يا محمد عنها ولست ممن يعلمها، وهو معنى قول ابن عباس.

الثاني: فيم تسأل يا محمد عنها وليس لك السؤال، وهذا معنى قول عروة بن الزبير.

(٢٥٣) قال الحافظ في تخريج الكشاف ص ١٨١ لم أجده.

﴿**إلى ربِّك مُنْتَهاها**﴾ يعني منتهى علم الساعة: فكف النبي ﷺ عن السؤال وقال[٢٥٤]: يا أهل مكة إن اللّٰه احتجب بخمس لم يُطْلع عليهن مَلَكاً مقرباً ولا نبياً مرسلاً فمن ادعى علمهن فقد كفر: ﴿**إن اللّٰه عنده علم الساعة...**﴾ إلى آخر السورة.

﴿**إنّما أنْتَ**﴾ يعني محمداً ﷺ.

﴿**مُنْذِرُ مَنْ يَخْشَاها**﴾ يعني القيامة.

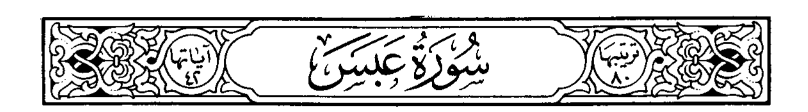
﴿**كأنّهم يومَ يَرَوْنَها**﴾ يعني الكفار يوم يرون الآخرة.

﴿**لَمْ يَلْبَثُوا**﴾ في الدنيا.

﴿**إلاَّ عَشيّةً**﴾ وهي ما بعد الزوال.

﴿**أو ضُحاها**﴾ وهو ما قبل الزوال، لأن الدنيا تصاغرت عندهم وقلّت في أعينهم، كما قال تعالى: ﴿**ويوم يحشرهم كأن لم يلبثوا إلا ساعةً من نهارٍ**﴾.

(٢٥٤) روى معناه البخاري (٨/ ٣٩٥، ٣٩٦).



مكية في قول الجميع

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١﴾ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ﴿٣﴾ أَوۡ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكۡرَىٰٓ ﴿٤﴾ أَمَّا مَنِ ٱسۡتَغۡنَىٰ ﴿٥﴾ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ﴿٦﴾ وَمَا عَلَيۡكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسۡعَىٰ ﴿٨﴾ وَهُوَ يَخۡشَىٰ ﴿٩﴾ فَأَنتَ عَنۡهُ تَلَهَّىٰ ﴿١٠﴾ كَلَّآ إِنَّهَا تَذۡكِرَةٞ ﴿١١﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿١٢﴾ فِي صُحُفٖ مُّكَرَّمَةٖ ﴿١٣﴾ مَّرۡفُوعَةٖ مُّطَهَّرَةِۭ ﴿١٤﴾ بِأَيۡدِي سَفَرَةٖ ﴿١٥﴾ كِرَامِۭ بَرَرَةٖ ﴿١٦﴾

قوله تعالى ﴿**عَبَسَ وتَوَلّى أنْ جاءَه الأعْمى**﴾ روى سعيد عن قتادة أن ابن أم مكتوم(٢٥٥)، و هو عبد اللّٰه بن زائدة من بني فهر، وكان ضريراً، أتى رسول اللّٰه رسول اللّٰه ﷺ يستقرئهُ وهو يناجي بعض عظماء قريش ـ وقد طمع في إسلامهم ـ قال قتادة: هو أمية بن خلف، وقال مجاهد: هما عتبة وشيبة ابنا ربيعة، فأعرض النبي ﷺ عن الأعمى وعبس في وجهه، فعاتبه اللّٰه تعالى في إعراضه وتوليه، فقال: «**عبس وتولّى**» أي قطّب وأعرض «**أن جاءه الأعمى**» يعني ابن أم مكتوم.

﴿**وما يُدْريك لعلّه يَزَّكى**﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: يؤمن، قاله عطاء.

الثاني: يتعبد بالأعمال الصالحة، قاله ابن عيسى.

الثالث: يحفظ ما يتلوه عليه من القرآن، قاله الضحاك.

---

(٢٥٥) راجع خبر ابن أم مكتوم موسعاً في الترمذي (٣٣٢٨) وابن حبان (١٧٦٩) ومالك (١/ ٢٠٣).

الرابع: يتفقه في الدين، قاله ابن شجرة.

﴿أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ الذِّكْرَى﴾ قال السدّي: لعله يزّكّى ويّذكرُ، والألف صلة، وفي الذكرى وجهان:

أحدهما: الفقه.

الثاني: العظة.

قال ابن عباس: فكان النبي ﷺ إذا نظر إليه مقبلاً بسط له رداءه حتى يجلس عليه إكراماً له.

قال قتادة: واستخلفه على صلاة الناس بالمدينة في غزاتين من غزواته، كل ذلك لما نزل فيه.

﴿كلّا إنّها تَذْكِرةٌ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن هذه السورة تذكرة، قاله الفراء والكلبي.

الثاني: أن القرآن تذكرة، قاله مقاتل.

﴿فَمَن شَاءَ ذكَرَهُ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: فمن شاء اللّه ألهمه الذكر، قاله مقاتل.

الثاني: فمن شاء أن يتذكر بالقرآن أذكره اللّه، وهو معنى قول الكلبي.

﴿في صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: مكرمة عند اللّه، قاله السدي.

الثاني: مكرمة في الدين لما فيها من الحكم والعلم، قاله الطبري(٢٥٦).

الثالث: لأنه نزل بها كرام الحفظة.

ويحتمل قولاً رابعاً: أنها نزلت من كريم، لأن كرامة الكتاب من كرامة صاحبه.

﴿مرفوعةٍ﴾ فيه قولان:

أحدهما: مرفوعة في السماء، قاله يحيى بن سلام.

الثاني: مرفوعة القدر والذكر، قاله الطبري(٢٥٧).

---

(٢٥٦) جامع البيان (٥٣/٣٠) وعبارته فيه قوله «في صحف مكرمة» يعني في اللوح المحفوظ أهـ. فلا أدري من أين نقل المؤلف هنا هذا القول عن الطبري.

(٢٥٧) جامع البيان (٥٣/٣٠).

ويحتمل قولاً ثالثاً: مرفوعة عن الشُبه والتناقض.

﴿مُطَهَّرةٍ﴾ فيه أربعة أقاويل:

أحدها: من الدنس، قاله يحيى بن سلام.

الثاني: من الشرك، قاله السدي.

الثالث: أنه لا يمسها إلا المطهرون، قاله ابن زيد.

الرابع: مطهرة من أن تنزل على المشركين، قاله الحسن.

ويحتمل خامساً: لأنها نزلت من طاهر(٢٥٨) مع طاهر على طاهر.

﴿بأيْدِى سَفَرَةٍ﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: أن السفرة الكتبة، قاله ابن عباس، قال المفضل: هو مأخوذ من سفر يسفر سفراً، إذا كتب، قال الزجاج: إنما قيل للكتاب سِفْر وللكاتب سافر من تبيين الشيء وإيضاحه، كما يقال أسفر الصبح إذا وضح ضياؤه وظهر، وسفرت المرأة إذا كشفت نقابها.

الثاني: أنهم القّراء، قال قتادة لأنهم يقرؤون الأسفار.

الثالث: هم الملائكة، لأنهم السفرة بين يدي اللّهُ ورسله بالرحمة، قال زيد، كما يقال سَفَر بين القوم إذا بلغ صلاحاً، وأنشد الفراء(٢٥٩):

وما أَدَعُ السِّفارةَ بين قومي ... وما أَمْشي بغِشٍ إنْ مَشَيْتُ

﴿كِرام بَرَرَةٍ﴾ في الكرام ثلاثة أقاويل:

أحدها: كرام على ربهم، قاله الكلبي.

الثاني: كرام عن المعاصي فهم يرفعون أنفسهم عنها، قاله الحسن.

الثالث: يتكرمون على من باشر زوجته بالستر عليه دفاعاً عنه وصيانة له، وهو معنى قول الضحاك.

ويحتمل رابعاً: أنهم يؤثرون منافع غيرهم على منافع أنفسهم.

وفي «بررة» ثلاثة أوجه:

أحدها: مطيعين، قاله السدي.

---

(٢٥٨) الظاهر الأول هو الله والثاني هو جبريل والثالث هو نبينا محمد ﷺ.

(٢٥٩) القرطبي (١٩/٢١٦) فتح القدير (٥/٣٨٣) الطبري (٣/٥٤) اللسان (سفر) معاني القرآن (٣٥٨).

الثاني : صادقين واصلين ، قاله الطبري[٢٦٠] .

الثالث: متقين مطهرين، قاله ابن شجرة .

ويحتمل قولاً رابعاً : أن البررة مَن تعدى خيرهم إلى غيرهم، والخيرة من كان خيرهم مقصوراً عليهم .

﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ﴿١٧﴾ مِنْ أَيِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ﴿١٨﴾ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ﴿١٩﴾ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ﴿٢١﴾ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ﴿٢٢﴾ كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ ﴿٢٣﴾ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٢﴾﴾

﴿قُتِلَ الإنسانُ ما أكْفرَه﴾ في «قتل» وجهان :

أحدهما : عُذِّب .

الثاني : لعن .

وفي «الإنسان» ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنه إشارة إلى كل كافر، قاله مجاهد .

الثاني : أنه أمية بن خلف، قاله الضحاك .

الثالث : أنه عتبة بن أبي لهب حين قال: إني كفرت برب النجم إذا هوى، فقال النبي ﷺ : «اللّهم سلّطْ عليه كلبك» فأخذه الأسد في طريق الشام، قاله ابن جريج والكلبي .

وفي «ما أكْفَرَه» ثلاثة أوجه :

أحدها: أن «ما» تعجب، وعادة العرب إذا تعجبوا من شيء قالوا قاتله اللّه ما أحسنه، وأخزاه اللّه ما أظلمه، والمعنى : أعجبوا من كفر الإنسان لجميع ما ذكرنا بعد هذا .

الثاني : أي شيء أكفره، على وجه الاستفهام، قاله السدي ويحيى بن سلام .

---

(٢٦٠) جامع البيان (٣٠/٥٤) وليس فيه هذا المعنى الذي أورده المؤلف موجوداً فيه ولعله أورده بمعناه

الثالث: ما ألعنه، قاله قتادة.

﴿ثم السبيلَ يَسّرَهُ﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: خروجه من بطن أمه، قاله عكرمة والضحاك.

الثاني: سبيل السعادة والشقاوة، قاله مجاهد.

الثالث: سبيل الهدى والضلالة، قاله الحسن.

ويحتمل رابعاً: سبيل منافعه ومضاره.

﴿ثُمَّ أماتَهُ فأَقْبَرَهُ﴾ فيه قولان:

أحدهما: جعله ذا قبر يدفن فيه، قاله الطبري، قال الأعشى(٢٦١).

لو أسْنَدَتْ مَيْتاً إلى نَحْرِها عاشَ ولم يُنْقلْ إلى قابر

الثاني: جعل من يقبره ويواريه، قاله يحيى بن سلام.

﴿ثُمَّ إذا شاءَ أنشَرَهُ﴾ يعني أحياه، قال الأعشى(٢٦٢).

حتى يقولَ الناسُ مما رأوْا يا عجباً للميّت الناشِرِ

﴿كلاّ لّما يَقْضِ ما أَمَرَهُ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنه الكافر لم يفعل ما أمر به من الطاعة والإيمان، قاله يحيى بن سلام.

الثاني: أنه على العموم في المسلم والكافر، قال مجاهد: لا يقضي أحد أبداً ما افترض عليه، وكلاّ هاهنا لتكرير النفي وهي موضوعة للرد.

ويحتمل وجه حمله على العموم أن الكافر لا يقضيه عمراً، والمؤمن لا يقضيه شهراً.

﴿فَلْيَنظُرِ الإنسانُ إلى طَعامِهِ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: إلى طعامه الذي يأكله وتحيا نفسه به، من أي شيء كان، قاله يحيى.

---

(٢٦١) ديوانه: ١٣٩، القرطبي (١٩/٣١٩) مجاز القرآن (٢/٢٨٦) فتح القدير (٥/٣٨٤) الطبري (٣٠/٥٦) روح المعاني (٣٠/٤٤).

(٢٦٢) تقدم تخريج هذا البيت.

الثاني: ما يخرج منه أي شيء كان؟ ثم كيف صار بعد حفظ الحياة وموت الجسد.

قال الحسن: إن ملكاً يثني رقبة ابن آدم إذا جلس على الخلاء لينظر إلى ما يخرج منه:

ويحتمل إغراؤه بالنظر إلى وجهين:

أحدهما: ليعلم أنه محل الأقذار فلا يطغى.

الثاني: ليستدل على استحالة الأجسام فلا ينسى(٢٦٣).

﴿أنّا صَبَبْنا الماءَ صبّاً﴾ يعني المطر.

﴿ثم شَقَقْنا الأرضَ شقّاً﴾ يعني بالنبات.

﴿فَأَنْبَتْنَا فيها حَبّاً * وَعِنَباً وَقَضْباً﴾ والقضب: القت والعلف سمي بذلك لقضبه(*) بعد ظهوره.

﴿وزَيْتوناً ونخْلاً * وحدائقَ غُلْباً﴾ فيه قولان:

أحدهما: نخلاً كراماً، قاله الحسن.

الثاني: الشجر الطوال الغلاظ، قال الكلبي: الْغلب الغِلاظ، قال الفرزدق(٢٦٤):

عَوَى فأَثَارَ أغْلَبَ ضَيْغَميّاً ... فَوَيْلَ ابنِ المراغةِ ما استثار

وفي «الحدائق» ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنها ما التف واجتمع، قاله ابن عباس.

الثاني: أنه نبت الشجر كله.

الثالث: أنه ما أحيط عليه من النخل والشجر، وما لم يحط عليه فليس بحديقة حكاه أبو صالح.

ويحتمل قولاً رابعاً: أن الحدائق ما تكامل شجرها واختلف ثمرها حتى عم خيرها.

---

(٢٦٣) يعني يستدل على فناء الأجسام فلا ينسى البعث والحساب بين يدي العليم الوهاب.

(*) يعني قطعه.

(٢٦٤) ديوانه: (١/ ٣٥٥) الطبري (٣٠/ ٥٧).

ويحتمل الغَلْب أن يكون ما غلبت عليه ولم تغلب فكان هيناً.

﴿وفاكهةً وأَبّاً﴾ فيه خمسة أقاويل:

أحدها: أن الأبّ ما ترعاه البهائم، قاله ابن عباس: وما يأكله الآدميون الحصيدة، قال الشاعر في مدح النبي ﷺ[٢٦٥]:

لـه دعوة ميمونـة ريحها الصبا ... بها يُنْبِتُ اللّهُ الحصيدة والأَبّا

الثاني: أنه كل شيء ينبت على وجه الأرض، قاله الضحاك.

الثالث: أنه كل نبات سوى الفاكهة، وهذا ظاهر قول الكلبي.

الرابع: أنه الثمار الرطبة، قاله ابن أبي طلحة.

الخامس: أنه التبن خاصة، وهويحكي عن ابن عباس أيضاً،قال الشاعر[٢٦٦]:

فما لَهم مَرْتَعُ للسّوا ... م والأبُّ عندهم يُقْدَرُ

ووجدت لبعض المتأخرين سادساً: أن رطب الثمار هو الفاكهة، ويابسها الأبّ.

ويحتمل سابعاً: أن الأبّ ما أخلف مثل أصله كالحبوب، والفاكهة ما لم يخلف مثل أصله من الشجر.

روي أن عمر بن الخطاب[٢٦٧] قرأ ﴿عبس وتولى﴾ فلما بلغ إلى قوله تعالى: ﴿وفاكهة وأبّا﴾ قال: قد عرفنا الفاكهة، فما الأبّ؟ ثم قال: لعمرك يا ابن الخطاب إن هذا هو التكلف وألقى العصا من يده.

وهذا مثل ضربه اللّه تعالى لبعث الموتى من قبورهم فهم كنبات الزرع بعد دثوره، وتضمن امتناناً عليهم بما أنعم.

﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ﴿٣٣﴾ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَـٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾﴾

---

(٢٦٥) القرطبي (١٩/٢٢٢) روح المعاني (٣٠/٤٧).

(٢٦٦) القرطبي (١٩/٢٢٢).

(٢٦٧) رواه ابن جرير (٣٠/٦١) والحاكم (٢/٥١٤) وصححه وزاد السيوطي في الدر (٨/٤٢١) نسبته لسعيد بن منصور وابن سعدوعبد بن حميد وابن المنذر والبيهقي في الشعب والخطيب صحح سنده ابن كثير (٤/٤٧٣) وقال: وهذا محمول على أنه أراد أنه لا يعرف شكله وجنسه وعينه وإلا فهو وكل من قرأ هذه الآية يعلم أنه من نبات الأرض لقوله ﴿فأنبتنا فيها حباً﴾...

﴿لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُمۡ يَوۡمَئِذٖ شَأۡنٞ يُغۡنِيهِ ٣٧ وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ مُّسۡفِرَةٞ ٣٨ ضَاحِكَةٞ مُّسۡتَبۡشِرَةٞ ٣٩ وَوُجُوهٞ يَوۡمَئِذٍ عَلَيۡهَا غَبَرَةٞ ٤٠ تَرۡهَقُهَا قَتَرَةٌ ٤١ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَفَرَةُ ٱلۡفَجَرَةُ ٤٢﴾

﴿فإذا جاءَتِ الصّاخّةُ﴾ فيها قولان:

أحدهما: أنها النفخة الثانية التي يصيخ الخلق لاستماعها، قاله الحسن، ومنه قول الشاعر:

يُصِيخُ للنبْأَة أَسْماعَه ... إصاخَةَ الناشدِ للمُنْشِد

الثاني: أنه اسم من أسماء القيامة، لإصاخة الخلق إليها من الفزع، قاله ابن عباس.

﴿يوم يَفِرُّ المرءُ مِن أخيه وأُمِّه وأبيه وصاحِبتِه وبنيه﴾ وفي فراره منهم ثلاثة أوجه:

أحدها: حذراً من مطالبتهم إياه للتبعات التي بينه وبينهم.

الثاني: حتى لا يروا عذابه.

الثالث: لاشتغاله بنفسه، كما قال تعالى بعده:

﴿لكل امرىء منهم يومئذ شأنُ يُغْنِيهِ﴾ أي يشغله عن غيره.

﴿وجوهٌ يومئذٍ مُسْفِرةٌ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: مشرقة.

الثاني: فرحة، حكاه السدي.

﴿ضَاحكةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: ضاحكة من مسرة القلب.

الثاني: ضاحكة من الكفار شماتة وغيظاً، مستبشرة بأنفسها مسرة وفرحاً.

﴿ووجوهٌ يومَئذٍ عليها غبرَةٌ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: أنه غبار جعل شيناً لهم ليتميزوا به فيعرفوا.

الثاني: أنه كناية عن كمد وجوههم بالحزن حتى صارت كالغبرة.

﴿تَرْهقُها قَتَرةٌ﴾ فيه خمسة أقاويل:

أحدها: تغشاها ذلة وشدة، قاله ابن عباس.

الثاني : خزي، قاله مجاهد.

الثالث: سواد، قاله عطاء.

الرابع : غبار، قاله السدي، وقال ابن زيد: القترة ما ارتفعت إلى السماء والغبرة: ما انحطت إلى الأرض.

الخامس : كسوف الوجه، قاله الكلبي ومقاتل.

﴿أولئك هم الكَفَرَةُ الفَجرَةُ﴾ يحتمل جمعه بينهما وجهين :

أحدهما : أنهم الكفرة في حقوق اللّه، الفجرة في حقوق العباد.

الثاني : لأنهم الكفرة في أديانهم، الفجرة في أفعالهم.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ ﴿٤﴾ وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴿٥﴾ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴿٦﴾ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴿٧﴾ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ﴿٩﴾ وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ ﴿١٠﴾ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ ﴿١١﴾ وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ﴿١٣﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ ﴿١٤﴾

قوله تعالى: ﴿إذا الشمسُ كُوِّرَتْ﴾ فيه خمسة تأويلات:

أحدها: يعني ذهب نورها وأظلمت، قاله ابن عباس.

الثاني: غُوِّرَت، وهو بالفارسية كوبكرد، قاله ابن جبير.

الثالث: اضمحلت، قاله مجاهد.

الرابع: نكست، قاله أبو صالح.

الخامس: جمعت فألقيت، ومنه كارة الثياب لجمعها، وهو قول الربيع بن خيثم.

﴿وإذا النجومُ انْكَدَرَتْ﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: تناثرت، قاله الربيع بن خيثم.

الثاني: تغيرت فلم يبق لها ضوء، قاله ابن عباس.

الثالث: تساقطت، قاله قتادة، ومنه قول العجاج(٢٦٨):

أَبْصَرَ خرْبان فضاء فانكَدَرْ تَقضِّيَ البازي إذا البازي كَسَر

ويحتمل رابعاً: أن يكون انكدارها طمس آثارها، وسميت النجوم نجوماً لظهورها في السماء بضوئها.

﴿وإذا الجبالُ سُيِّرتْ﴾ يعني ذهبت عن أماكنها، قال مقاتل: فسويت بالأرض كما خلقت أول مرة وليس عليها جبل ولا فيها واد.

﴿وإذا العِشارُ عُطِّلتْ﴾ والعشار: جمع عشراء وهي الناقة إذا صار لحملها عشرة أشهر، وهي أنفس أموالهم عندهم، قال الأعشى(٢٦٩):

هو الواهبُ المائةَ المصْطفا ةَ إمّا مخاضاً وإمّا عِشاراً

فتعطل العشار لاشتغالهم بأنفسهم من شدة خوفهم.

وفي «**عطلت**» تأويلان:

أحدهما: أُهملت، قاله الربيع.

الثاني: لم تحلب ولم تدر، قاله يحيى بن سلام.

وقال بعضهم: العشار: السحاب تعطل فلا تمطر.

ويحتمل وجهاً ثالثاً: أنها الأرض التي يعشر زرعها فتصير للواحد عُشراً، تعطل فلا تزرع.

﴿وإذا الوُحوشُ حُشِرتْ﴾ فيه أربعة تأويلات:

أحدها: جمعت، قاله الربيع.

الثاني: اختلطت، قاله أبي بن كعب فصارت بين الناس.

---

(٢٦٨) والذي في الديوان: ١٧

واني جناحيه من الطور قمر تقضي البازي اذا البازي كسر
ابصر خربان فضاء فانكدر شالي الكلاليب اذا أهوى اطفر

وهو في الطبري (١٩/٢٢٧) وروح المعاني (٣٠/٥١) وفيه:

إذا الكرام ابتدوا الباع بدر تقضي البازي إذا البازي كسر
واني جناحيه من الطود خمر أبصر خربان فضاء فانكدر

(٢٦٩) القرطبي (١٩/٢٢٩) ديوانه: ٧٦.

الثالث: حشرت إلى القيامة[٢٧٠] للقضاء فيقتص للجمّاء من القرناء، قاله السدي.

الرابع: أن حشرها بموتها، قاله ابن عباس.

﴿وإذا البحارُ سُجِّرتْ﴾ فيه ثمانية تأويلات:

أحدها: فاضت، قاله الربيع.

الثاني: يبست، قاله الحسن.

الثالث: ملئت، أرسل عذبها على مالحها، ومالحها على عذبها حتى امتلأت، قاله أبو الحجاج.

الرابع: فجرت فصارت بحراً واحداً، قاله الضحاك.

الخامس: سيرت كما سيرت الجبال، قاله السدي.

السادس: هو حمرة مائها حتى تصير كالدم، مأخوذ من قولهم عين سجراء أي حمراء.

السابع: يعني أوقدت فانقلبت ناراً، قاله عليّ رضي الله عنه وابن عباس وأُبي بن كعب.

الثامن: معناه أنه جعل ماؤها شراباً يعذب به أهل النار، حكاه ابن عيسى.

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بتخفيف[٢٧١] «سجرت» إخباراً عن حالها مرة واحدة، وقرأ الباقون بالتشديد إخباراً عن حالها في تكرار ذلك منها مرة بعد أخرى.

﴿وإذا النفوسُ زُوِّجَتْ﴾ فيه أربعة تأويلات:

أحدها: يعني عُمل بهن عملٌ مثل عملها، فيحشر العامل بالخير مع العامل بالخير إلى الجنة، ويحشر العامل بالشر مع العامل بالشر إلى النار، قال عطية العوفي: حين يكون الناس أزواجاً ثلاثة.

الثاني: يزوج كل رجل نظيره من النساء فإن كان من أهل الجنة زوّج بامرأة من

---

(٢٧٠) وقد تقدم الكلام على حشر البهائم في سورة الأنعام والحكمة من حشرها ولا تنافي بين قول السدي وابن عباس فهي تحشر أي تجمع ويقتص بعضها من بعض ثم يقال لها كوني تراباً فذلك مدتها.

(٢٧١) وهي قراءة أبي عمرو كما في زاد المسير (٩/ ٣٩) والسبعة ٦٧٣ والحجة ص ٧٥٠.

أهل الجنة، وإن كان من أهل النار زوّج بامرأة من أهل النار، قاله عمر بن[٢٧٢] الخطاب، ثم قرأ:

﴿احْشُروا الذين ظلموا وأزواجهم﴾.

الثالث: معناه ردّت الأرواح إلى الأجساد، فزوجت بها أي صارت لها زوجاً، قاله عكرمة والشعبي.

الرابع: أنه قرن كل غاو بمن أغواه من شيطان أو إنسان، حكاه ابن عيسى.

ويحتمل خامساً: زوجت بأن أضيف إلى كل نفس جزاء عملها، فصار لاختصاصها به كالتزويج.

﴿وإذا الموءودة سُئِلَتْ﴾ والموءودة المقتولة، كان الرجل في الجاهلية إذا ولدت امرأته بنتاً دفنها حية، إما خوفاً من السبي والاسترقاق، وإما خشية الفقر والإملاق، وكان ذوو الشرف منهم يمتنعون من هذا ويمنعون منه حتى افتخر الفرزدق[٢٧٣] فقال:

ومِنّا الذي مَنَعَ الوائداتِ ... فأحْيا الوئيدَ فلم تُوأَدِ

وسميت موءودة للثقل الذي عليها من التراب، ومنه قوله تعالى: ﴿ولا يئوده حفظهما﴾ أي لا يثقله، وقال متمم بن[٢٧٤] نويرة:

وموءودةٍ مقبورة في مفازةٍ ... بآمتها موسودة لم تُمهّدِ

فقال توبيخاً لقاتلها وزجراً لمن قتل مثلها ﴿وإذ الموءودة سئلت﴾ واختلف هل هي السائلة أو المسئولة، على قولين:

أحدهما: وهو قول الأكثرين أنها هي المسئولة: ﴿بأيِّ ذَنْب قُتِلَتْ﴾ فتقول: لا ذنب لي، فيكون ذلك أبلغ في توبيخ قاتلها وزجره.

الثاني: أنها هي السائلة لقاتلها لم قتلت، فلا يكون له عذر، قاله ابن عباس وكان يقرأ: وإذا الموءودة سألت.

---

(٢٧٢) تقدم تخريجه في سورة الصافات وهو أثر صحيح عن عمر.

(٢٧٣) ديوانه (١/٢٠٣) القرطبي (١٩/٢٣٣) مجاز القرآن (٢/٢٧٨) شواهد الكشاف ١٠٢ روح المعاني (٣٠/٥٣) اللسان وأد.

(٢٧٤) القرطبي (١٩/٢٣٢) وفي اللسان نسبه لحسان بن ثابت ولفظه هناك:

ومؤودة مقرورة في مفاوز ... بآمتها من درسه لم توسد

قال قتادة: يقتل أحدهما بنته ويغذو كلبه، فأبى الله سبحانه ذلك عليهم.

﴿وإذا الصُّحُف نُشِرَتْ﴾ يعني صحف الأعمال إذا كتب الملائكة فيها ما فعل أهلها من خير وشر، تطوى بالموت وتنشر في القيامة، فيقف كل إنسان على صحيفته فيعلم ما فيها فيقول: «﴿ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحْصاها﴾.

وقرأ حمزة والكسائي بتشديد[٢٧٥] نشّرت على تكرار النشر، وقرأ الباقون بالتخفيف على نشرها مرة واحدة، فإن حمل على المرة الواحدة فلقيام الحجة بها، وإن حمل على التكرار ففيه وجهان:

أحدهما: للمبالغة في تقريع العاصي وتبشير المطيع.

الثاني: لتكرير ذلك من الإنسان والملائكة الشهداء عليه.

﴿وإذا السماءُ كُشِطَتْ﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: يعني ذهبت، قاله الضحاك.

الثاني: كسفت، قاله السدي.

الثالث: طويت، قاله يحيى بن سلام، كما قال تعالى: ﴿يوم نطوي السماء﴾ الآية.

﴿وإذا الجحيمُ سُعِّرَتْ﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: أحميت، قاله السدي.

الثاني: أُوقدت، قاله معمر عن قتادة.

الثالث: سعّرها غضب اللّه وخطايا بني آدم، قاله سعيد عن قتادة.

﴿وإذا الجنَّةُ أُزْلِفَتْ﴾ أي قرّبت، قال الربيع: إلى هاتين الآيتين ما جرى الحديث فريق في الجنة وفريق في السعير.

﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ ما أَحْضَرتْ﴾ يعني ما عملت من خير وشر. وهذا جواب ﴿إذا الشمس كورت﴾ وما بعدها، قال عمر بن الخطاب: لهذا جرى الحديث، وقال الحسن: ﴿إذا الشمس كورت﴾ قسم وقع على قوله ﴿علمت نفسٌ ما أَحضَرَتْ﴾.

فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ ﴿١٥﴾ ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ﴿١٧﴾ وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾

(٢٧٥) الحجة (ص٧٥١) السبعة ٦٧٣ زاد المسير (٩/ ٤٠).

﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝١٩ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ۝٢٠ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ۝٢١ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ۝٢٢ وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ ۝٢٣ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ ۝٢٤ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ۝٢٥ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ۝٢٦ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ۝٢٧ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ۝٢٨ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢٩﴾

﴿فلا أُقسِمُ بالخُنّسِ﴾ فيه أربعة تأويلات:

أحدها: النجوم التي تخنس بالنهار وإذا غربت، قاله الحسن وقتادة.

الثاني: خمسة الأنجم وهي: زحل وعطارد والمشتري والمريخ والزهرة، قاله عليّ[(٢٧٦)].

وفي تخصيصها بالذكر وجهان:

أحدهما: لأنها لا تستقبل الشمس، قاله بكر بن عبدالله المزني.

الثاني: لأنها تقطع المجرة، قاله ابن عباس.

الثالث: أن الخنس بقر الوحش، قاله ابن مسعود[(٢٧٧)].

الرابع: أنها الظباء، قاله ابن جبير.

ويحتمل تأويلاً خامساً: أنها الملائكة لأنها تخنس فلا تُرى، وهذا قَسَمٌ مبتدأ، و«**لا**» التي في قوله **﴿فلا أقسم بالخنس﴾** فيها الأوجه الثلاثة التي في **﴿لا أقسم بيوم القيامة﴾**.

﴿الجوار الكُنّسِ﴾ فيها التأويلات الخمسة:

أحدها: النجوم، قاله الحسن، سميت بالجواري الكنس لأنها تجري في مسيرها.

الثاني: أنها النجوم الخمسة، وهو قول عليّ.

(٢٧٦) وروى سعيد بن منصور عنه بإسناد حسن قال: هي الكواكب تكنس بالليل وتخنس بالنهار فلا ترى راجع الفتح (٥٦٣/٨).

(٢٧٧) رواه عنه عبد الرزاق بإسناد صحيح كما في الفتح (٥٦٣/٨) وقال الهيثمي في المجمع (١٣٤/٧): رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح.

والكنّس، الغيّب، مأخوذ من الكناس وهو كناس الوحش التي تختفي فيه، قال أوس بن حجر[٢٧٨]:

ألم تر أن اللَّه أنزل مُزْنَهُ وعُفْرُ الظباءِ في الكِناس تَقَمّعُ

الثالث: أنها بقر الوحش لاختفائها في كناسها، قاله ابن مسعود.

الرابع: الظباء، قاله ابن جبير.

الخامس: هي الملائكة.

﴿والليلِ إذا عَسْعَسَ﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: أظلم، قاله ابن مسعود ومجاهد، قال الشاعر[٢٧٩]:

حتى إذا ما لَيْلُهُنَّ عَسْعَسا رَكِبْنَ مِن حَدِّ الظّلامِ جِنْدسا

الثاني: إذا ولى، قاله ابن عباس وابن زيد، قال الشاعر[٢٨٠]:

حتى إذا الصبح لها تنفسا وانجاب عنها ليلها وعسعسا

الثالث: إذا أقبل، قاله ابن جبير وقتادة، وأصله العس وهو الامتلاء، ومنه قيل للقدح الكبيرعس لامتلائه بما فيه، فانطلق على إقبال الليل لابتداء امتلائه، وانطلق على ظلامه لاستكمال امتلائه،

﴿والصبحِ إذا تَنَفّسَ﴾ فيه تأويلان:

أحدهما: طلوع الفجر، قاله عليّ وقتادة.

الثاني: طلوع الشمس، قاله الضحاك.

وفي «تنفّسَ» وجهان:

أحدهما: بان إقباله.

الثاني: زاد ضوؤه.

ويحتمل وجهاً ثالثاً: أن يكون تنفس بمعنى طال، مأخوذ من قولهم قد تنفس النهار إذا طال.

(٢٧٨) القرطبي (١٩/٢٣٨) الطبري (٣٠/٧٧) اللسان قمع.

(٢٧٩) القرطبي (١٩/٢٣٩).

(٢٨٠) هو علقمة بن قرط والبيت في مجاز القرآن (٢/٢٨٨) والقرطبي (١٩/٢٣٦) والطبري (٣٠/٧٩) وروح المعاني (٣٠/٥٨).

﴿إنه لَقَوْلُ رسولٍ كريمٍ﴾ وهو جواب القسم، يعني القرآن.

وفي الرسول الكريم قولان:

أحدهما: جبريل، قاله الحسن وقتادة والضحاك.

الثاني: النبي ﷺ، قاله ابن عيسى، فإن كان المراد به جبريل فمعناه قول رسول للّه كريم عن رب العالمين لأن أصل القول الذي هو القرآن ليس من الرسول، إنما الرسول فيه مبلغ على الوجه الأول، ومبلغ إليه على الوجه الثاني.

﴿مُطاعٍ ثَمَّ أمينٍ﴾ هو جبريل في أصح القولين، يعنى مطاعاً فيمن نزل عليه من الأنبياء، أميناً فيما نزل به من الكتب.

﴿وما صاحبكم بمجنونٍ﴾ يعني النبي ﷺ.

﴿ولقد رآه بالأفق المبين﴾ وفي الذي رآه قولان:

أحدهما: أنه رأى ربه بالأفق المبين، وهو معنى قول ابن مسعود.

الثاني: رأى جبريل(٢٨١) بالأفق المبين على صورته التي هو عليها، وفيها قولان:

أحدهما: أنه رآه ببصره، قاله ابن عباس وعائشة.

الثاني: بقلبه، ولم يره ببصره، قاله أبو ذر.

وفي «الأفق» قولان:

أحدهما: أنه مطلع الشمس.

الثاني: أقطار السماء ونواحيها، قال الشاعر(٢٨٢):

أَخَذْنا بآفاقِ السماءِ عليكمُ ... لنا قَمَراها والنُّجومُ الطّوالعُ

فعلى هذا فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنه رآه في أفق السماء الشرقي، قاله سفيان.

والثاني: في أفق السماء الغربي، حكاه ابن شجرة.

(٢٨١) وهو القول الراجح رجحه ابن كثير (٤/٤٨٠) والطبري (٣٠/٨١) والألوسي (٣٠/٦٠) وفتح القدير للشوكاني (٥/٣٩١).

(٢٨٢) هو الفرزدق والبيت في القرطبي (١٩/٢٤١) وفتح القدير (٥/٣٩١).

الثالث: أنه رآه نحو أجياد، وهو مشرق مكة، قاله مجاهد، ﴿وما هو على الغَيْبِ بضنين﴾ قرأ بالظاء ابن[٢٨٣] كثير وأبو عمرو والكسائي وفيه وجهان:

أحدهما: وما محمد على القرآن بمتهم أن يأتي بما لم ينزل عليه، قاله ابن عباس.

الثاني: بضعيف عن تأديته، قاله الفراء.

وقرأ الباقون بالضاد، وفيه وجهان:

أحدهما: وما هو ببخيل أن يعلِّم كما تعلّم[٢٨٤].

الثاني: وما هو بمتهم أن يؤدي ما لم يؤمر به.

﴿فأيْنَ تَذْهَبون﴾ فيه وجهان:

أحدهما: فإلى أين تعدلون عن كتاب اللَّه تعالى وطاعته، قاله قتادة.

الثاني: فأي طريق أهدى لكم وأرشد من كتاب اللَّه، حكاه ابن عيسى.

ويحتمل ثالثاً: فأين تذهبون عن عذابه وعقابه.

﴿وما تشاؤون إلا أن يشاءَ اللَّهُ ربُّ العالَمين﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: وما تشاؤون الاستقامة على الحق إلا أن يشاء اللَّه لكم.

الثاني: وما تشاؤون الهداية إلا أن يشاء اللَّه بتوفيقه[٢٨٥]: وقيل إن سبب نزول[٢٨٦] هذه الآية أنه لما نزل قوله تعالى:

﴿لمن شاء منكم أن يستقيم﴾ قال أبو جهل: ذلك إلينا إن شئنا استقمنا، وإن شئنا لم نستقم، فأنزل اللَّه تعالى: ﴿وما تشاءون إلا أن يشاء اللَّه ربّ العالمين﴾.

---

(٢٨٣) وهي قراءة ابن عباس وقد رواها عنه ابن أبي حاتم بسند صحيح كما في الفتح (٨/٥٦٣).

(٢٨٤) وروى عبد الرزاق بسند صحيح عن إبراهيم النخعي قال الظنين المتهم والضنين البخيل الفتح (٨/٥٦٣).

(٢٨٥) لاحظ أنه لم يذكر الوجه الثالث إلا إذا اعتبرنا سبب النزول وجهاً ثالثاً.

(٢٨٦) رواه ابن جرير (٣٠/٩٤) بسنده عن سليمان بن موسى قال: لما نزلت «لمن شاء منكم أن يستقيم» قال أبو جهل. . . فذكره.

وزاد السيوطي في الدر (٨/٤٣٦) نسبته لعبد بن حميد وابن ابي حاتم قلت: وروى ابن أبي حاتم وابن مردويه من حديث أبي هريرة مثله كما في الدر (٨/٤٣٦).



مكية في قول الجميع

بسم الله الرحمن الرحيم

إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ﴿٤﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ﴿٥﴾ يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴿٦﴾ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾ كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ ﴿٩﴾ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾

قوله تعالى: ﴿إذا السماءُ انْفَطرتْ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: انشقت.

الثاني: سقطت، قال الشاعر:

كانوا سعوداً سماءَ الناس فانفطرت   فأصبح الشمل لم ترفع له عُمُد

﴿وإذا الكواكب انتَثرَتْ﴾ يعني تساقطت، قال ابن عباس، تسقط سوداء لا ضوء لها.

﴿وإذا البحار فُجِّرَتْ﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: يبست، قاله الحسن.

الثاني: خلطت فصارت بحراً واحداً، وهذا معنى قول ابن عباس، قال: وهو سبعة أبحر فتصير بحراً واحداً.

الثالث: فجر عذبها في مالحها، ومالحها في عذبها، قاله قتادة.

ويحتمل رابعاً: أي فاضت.

﴿**وإذا القبور بُعْثِرتْ**﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: بحثت وثوّرت، قاله ابن عباس وعكرمة، وقال الفراء: فيخرج ما في بطنها من الذهب والفضة، وذلك من أشراط الساعة أن تخرج الأرض ذهبها وفضتها ثم تخرج الموتى.

الثاني: حركت للبعث، قاله السدي.

الثالث: بعث من فيها من الأموات، قاله قتادة.

﴿**عَلِمَتْ نَفْسٌ ما قدَّمَتْ وأَخرَتْ**﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: ما عملت وما تركت، قاله أبو رزين.

الثاني: ما قدمت من طاعة، وأخرت من حق اللّه، قاله ابن عباس.

الثالث: ما قدمت من الصدقات وما أخرت من الميراث.

ويحتمل ما قدمت من معصية وأخرت من طاعة، لأنه خارج مخرج الوعيد، وهذا جواب ﴿**إذا السماء انفطرت**﴾ لأنه خبر، وجعلها الحسن قَسَماً وقعت على قوله ﴿**علمت نفس**﴾ الآية.

والأظهر ما عليه الجماعة من أنه خبر وليس بقسم.

﴿**يا أيها الإنسان ما غرَّك بربِّكَ الكريم**﴾ في الإنسان ها هنا ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنه إشارة إلى كل كافر[٢٨٧].

الثاني: أنه أبي بن خلف، قاله عكرمة.

الثالث: أنه أبو الأشد[٢٨٨] بن كلدة بن أسد الجمحي، قاله ابن عباس.

وفي الذي غرَّه قولان:

أحدهما: عدوه الشيطان، قاله قتادة.

الثاني: جهله، وهو قول عمر بن الخطاب[٢٨٩].

---

(٢٨٧) وهو الراجح كما في فتح القدير للشوكاني (٥/٣٩٥).

(٢٨٨) وقيل هو أبو الأشدين وقد سبق الكلام عليه في سورة المدثر.

(٢٨٩) رواه عنه سعيد بن منصور وابن أبي حاتم وابن المنذر كما في الدر (٨/٤٣٩).

ويحتمل قولاً ثالثاً: إنه إمهاله.

«**الكريم**» الذي يتجاوز ويصفح، وروى الحسن أن عمر بن الخطاب لما قرأ ﴿**يا أيها الإنسان**﴾ . . الآية، قال: حمقه وجهله.

﴿**الذي خَلَقَك فسَوَّاك فعَدَلك**﴾ يحتمل ثلاثة أوجه:

أحدها: فسوى خلقك وعدل خلقتك.

الثاني: فسوَّى أعضاءك بحسب الحاجة وعدلها في المماثلة لا تفضل يد على يد، ولا رجل على رجل.

الثالث: فسواك إنساناً كريماً وعدل بك عن أن يجعلك حيواناً بهيماً.

قال أصحاب الخواطر: سوّاك بالعقل وعدلك بالإيمان.

﴿**في أيِّ صورَةٍ ما شاءَ رَكّبَكَ**﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: ما شاء ركبك من شبه أم أو أب أو خال أو عم، قاله مجاهد.

الثاني: من حسن أو قبح أو طول أو قصر أو ذكر أو أنثى، قاله ابن عيسى.

الثالث: في أي صورة من صور الخلق ركبك حتى صرت على صورتك التي أنت عليها أيها الإنسان لا يشبهك شيء من الحيوان.

وروى موسى بن علي بن رباح(٢٩٠) اللخمي عن أبيه عن جده أن رسول اللَّه ﷺ قال لجده: ما ولِدَ لك؟ قال: يا رسول اللَّه وما عسى أن يولد لي إما غلام وإما جارية، قال رسول اللَّه: ومن عسى أن يشبه؟ قال: إما أباه وإما أمه، فقال عليه السلام عندها: مه لا تقولن هكذا، إن النطفة إذا استقرت في الرحم أحضرها اللَّه كل نسب بينها وبين آدم أما قرأت في كتاب اللَّه: في أي صورة ما شاء ركبك.

﴿**كلَّا بَلْ تُكَذِّبونَ بالدِّين**﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

---

(٢٩٠) رواه الطبري (٣٠/٨٧) وزاد السيوطي في الدر (٨/٤٣٩) نسبته للبخاري في تاريخه وابن المنذر وابن شاهين وابن قانع والطبراني وابن مردويه كلهم من طريق موسى بن علي بن رباح عن أبيه عن جده.

وسند الحديث ضعيف فيه المطهر بن الهيثم الراوي عن موسى بن علي والمطهر متروك وبه أعلّه الهيثمي في المجمع (٧/١٣٥) وقال الحافظ ابن كثير (٤/٤٨١) وهذا الحديث لو صح لكان فيصلاً في هذه الآية ولكن إسناده ليس بالثابت لأن مطهر بن الهيثم قال فيه أبو سعيد بن يونس: كان متروك الحديث وقال ابن حبان: يروي عن موسى بن علي وغيره ما لا يشبه حديث الأثبات أ هـ.

أحدها: بالحساب والجزاء، قاله ابن عباس.

الثاني: بالعدل والقضاء، قاله عكرمة.

الثالث: بالدين الذي جاء به محمد ﷺ وهو الإسلام، حكاه ابن عيسى.

﴿وإنَّ عليكم لحافِظِينَ﴾ يعني الملائكة، يحفظ كلَّ إنسان ملكان، أحدهما عن يمينه يكتب الخير، والآخر عن شماله يكتب الشر(٢٩١).

﴿كِراماً كاتِبينَ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: كراماً على اللَّه، قاله يحيـى بن سلام.

الثاني: كراماً بالإيمان، قاله السدي.

الثالث: لأنهم لا يفارقون ابن آدم إلا في موطنين عند الغائط وعند الجماع(٢٩٢) يعرضان عنه ويكتبان ما تكلم به، فلذلك كره الكلام عند الغائط والجماع.

ويحتمل رابعاً: كراماً لأداء الأمانة فيما يكتبونه من عمله فلا يزيدون فيه ولا ينقصون منه.

﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴿١٤﴾ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿١٥﴾ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَآئِبِينَ ﴿١٦﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٨﴾ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا ۖ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴿١٩﴾﴾

وفي قوله تعالى: ﴿إنّ الأَبرارَ لفي نَعيم * وإن الفُجّارَ لفي جَحيمٍ﴾ قولان:

أحدهما: في الآخرة فيكون نعيم الأبرار في الجنة بالثواب، وجحيم الفجار في النار بالعقاب.

---

(٢٩١) وهما المذكوران في قوله «مايلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد» وأحدهما يكتب الحسنات وهو رقيب والثاني يكتب السيئات وهو عتيد.

(٢٩٢) وقد ورد هذا مرفوعاً ومقطوعاً.

أما المرفوع فمن حديث ابن عباس رضي الله عنه رواه البزار كما في الدر (٨/ ٤٤٠) وفي سنده حفص بن سليمان وهو لين الحديث. راجع تفسير ابن كثير (٤/ ٤٨٢) وله طريق أخرى عن ابن عباس وهي مطولة يرويها ابن مردويه كما في الدر (٨/ ٤٤٠) والله أعلم بحالها.

أما المقطوع فقد رواه ابن أبي حاتم كما في ابن كثير (٤/ ٤٨٢) من حديث مجاهد.

والقول الثاني: أنه في الدنيا، فعلى هذا فيه أربعة أوجه ذكرها أصحاب الخواطر.

أحدها: النعيم القناعة، والجحيم الطمع.

الثاني: النعيم التوكل، والجحيم الحرص.

الثالث: النعيم الرضا بالقضاء، والجحيم السخط فيما قدر وقضى.

الرابع: النعيم بالطاعة، والجحيم بالمعصية.

﴿وما هُمْ عنها بغائبين﴾ فيه وجهان:

أحدهما: عن القيامة تحقيقاً للبعث فعلى هذا يجوز أن يكون هذا الخطاب متوجهاً إلى الأبرار والفجار جميعاً.

الثاني: عن النار، ويكون الخطاب متوجهاً إلى الفجار دون الأبرار، والمراد بأنهم لا يغيبون عنها أمران:

أحدهما: تحقيق الوعيد.

الثاني: تخليد الفجار.

﴿وما أدْراك ما يومُ الدِّين * ثُمَّ ما أدْراكَ ما يومُ الدِّين﴾ يعني يوم الجزاء، وهو يوم القيامة، وفي تكراره وجهان:

أحدهما: تفخيماً لشأنه وتعظيماً لأمره.

الوجه الثاني: أن الأول خطاب للفجار والثاني خطاب للأبرار ترغيباً.

﴿يومَ لا تَمْلِك نفسٌ لنَفْسٍ شيئاً﴾ يعني لا يملك مخلوق لمخلوق نفعاً ولا ضراً.

﴿والأمر يومئذٍ للَّهِ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: في الجزاء بالثواب والعقاب.

الثاني: في العقوبة والانتقام.



مكية في قول ابن مسعود والضحاك ويحيى بن سلام، ومدنية في قول الحسن وعكرمة ومقاتل، قال مقاتل: هي أول سورة نزلت بالمدينة، وقال ابن عباس وقتادة: مدنية إلا ثماني آيات من قوله تعالى: ﴿إن الذين أجرموا﴾ إلى آخرها مكي، وقال الكلبي وجابر بن زيد: قد نزلت بين مكة والمدينة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾ أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾

قوله تعالى: ﴿ويْلٌ للمطفّفين﴾ قال ابن عباس:[٢٩٣] كان أهل المدينة من أخبث الناس كيلاً، إلى أن أنزل اللّه تعالى: ﴿ويل للمطففين﴾ فأحسنوا الكيل، قال الفراء: فهم من أوفى الناس كيلاً إلى يومهم هذا.

أعمض بعض المتعمقة فحمله على استيفاء العبادة بين الناس جهراً، وفي النقصان سراً.

(٢٩٣) رواه الطبري (٣٠/٩١) وابن ماجه (٢/٧٤٨) وزاد السيوطي في الدر (٨/٤٤١) نسبته للطبراني والنسائي وابن مردويه والبيهقي في الشعب بسند صحيح عن ابن عباس وزاد الحافظ في تخريج الكشاف ص ١٢٨ نسبته لابن حبان والحاكم.

وفي «**ويل**» سبعة أقاويل:

أحدها: أنه واد في جهنم، رواه أبو سعيد الخدري مرفوعاً[٢٩٤].

الثاني: صديد أهل النار، قاله ابن مسعود.

الثالث: أنه النار، قاله عمر مولى عفرة.

الرابع: أنه الهلاك، قاله بعض أهل اللغة.

الخامس: أنه أشق العذاب.

السادس: أنه النداء بالخسار والهلاك، وقد تستعمله العرب في الحرب والسلب.

السابع: أن أصله ويْ لفلان، أي الجور لفلان، ثم كثر استعمال الحرفين فوصلا بلام الإضافة.

والمطفف: مأخوذ من الطفيف وهو القليل، والمطفف هو المقلل حق صاحبه بنقصانه عن الحق في كيل أو وزن.

قال الزجاج: بل مأخوذ من طف الشيء وهي جهته.

﴿**الذين إذا اكْتالوا على الناسِ يَسْتَوْفُونَ**﴾ أي من الناس، ويريد بالاستيفاء الزيادة على ما استحق.

﴿**وإذا كالُوهم أو وَزَنُوهم يُخْسِرون**﴾ يعني كالوا لهم أو وزنوا لهم بحذف هذه الكلمة لما في الكلام من الدلالة عليها، ﴿**يخسرون**﴾، ينقصون فكان المطفف يأخذ زائداً ويعطي ناقصاً.

﴿**يومَ يَقُومُ الناسُ لربِّ العَالَمِينَ**﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: يوم يقومون من قبورهم، قاله ابن جبير.

الثاني: يقومون بين يديه تعالى للقضاء، قاله يزيد بن الرشك.

قال أبو هريرة[٢٩٥]: قال النبي ﷺ لبشير الغفاري: كيف أنت صانع يوم يقوم

---

(٢٩٤) وهو ضعيف وقد مر تخريجه.

(٢٩٥) أخرجه الطبري (٩٣/٣٠) وابن أبي حاتم كما في ابن كثير (٤٨٤/٤) وابن مردويه كما في الدر (٤٤٣/٨) من حديث أبي هريرة.

الناس فيه مقدار ثلاثمائة سنة لرب العالمين، لا يأتيهم فيه خبر ولا يؤمر فيه بأمر، قال بشير: المستعان اللّه.

الثالث: أنه جبريل يقوم لرب العالمين، قاله ابن جبير[٢٩٦].

ويحتمل رابعاً: يقومون لرب العالمين في الآخرة بحقوق عباده في الدنيا.

كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ﴿٧﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ ﴿٨﴾ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴿٩﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿١١﴾ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا۟ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦﴾ ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿١٧﴾

﴿**كلّا إنّ كتابَ الفُجّارِ لفي سِجِّينٍ**﴾ أما «**كلا**» ففيه وجهان:

أحدهما: حقاً.

الثاني: أن كلا للزجر والتنبيه.

وأما «**سجّين**» ففيه ثمانية أقاويل:

أحدها: في سفال، قاله الحسن.

الثاني: في خسار، قاله عكرمة.

الثالث: تحت الأرض السابعة، رواه البراء بن عازب مرفوعاً[٢٩٧].

قال ابن أسلم: **سجّين**: الأرض السافلة، **وسجّيل**: سماء الدنيا.

---

(٢٩٦) وهذا القول ضعيف لأن سياق الآيات بخلافه.

(٢٩٧) وجاء ذلك في حديث البراء الطويل في صفة قبض الروح وقد رواه أبو داود (١١٥/٥ ـ ١١٦) والبيهقي في عذاب القبر رقم ٢١ والآجري (٣٧٠) في الشريعة والطيالسي (١/١٥٤) وأحمد (٢٨٧٤) وابن أبي شيبة (٣/٣٨٠) والمروزي في زوائد الزهد لابن المبارك (٤٣٠ ـ ٤٣١) والحاكم (١/٣٧ ـ ٣٨) والنسائي في الكبرى كما في تحفة الاشراف (٤/٤٦٧) وعبد الرزاق (٣/٥٨٠) وابن ماجة (١/٤٩٤) مختصراً والطبري (٨/١٢٩) مختصراً وهناد (١/٢٠٥) وزاد في الدر (٤/٨٣) نسبته لعبد بن حميد وابن أبي حاتم وقال من طرق صحيحة وقد حسنه شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتاوى (٤/٢٩٠) والبيهقي بعد تخريجه عن جماعة من الثقات.

قال مجاهد: سجّين صخرة في الأرض السابعة، فيجعل كتاب الفجار تحتها.

الرابع: هو جب في جهنم، روى أبو هريرة عن النبي ﷺ[٢٩٨] أنه قال: الفلق جُبٌّ في جهنم مغطّى، وسجّين جب في جهنم مفتوح.

الخامس: أنه تحت خد إبليس، قاله كعب الأحبار.

السادس: أنه حجر أسود تحت الأرض تكتب فيه أرواح الكفار، حكاه يحيى بن سلام.

السابع: أنه الشديد قاله أبو عبيدة وأنشد[٢٩٩]:

ضرباً تَواصَتْ به الأبطالُ سِجِّينا

الثامن: أنه السجن، وهو فِعّيل من سجنته، وفيه مبالغة، قاله الأخفش وعليّ بن عيسى، ولا يمتنع أن يكون هو الأصل واختلاف التأويلات في محله.

ويحتمل تاسعاً: لأنه يحل من الإعراض عنه والإبعاد له محل الزجر والهوان

﴿كِتابٌ مَرْقومٌ﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: مكتوب، قاله أبو مالك.

الثاني: أنه مختوم، وهو قول الضحاك.

الثالث: رُقِم له بَشَرٌ لا يزاد فيهم أحد، ولا ينقص منهم أحد، قاله محمد بن كعب وقتادة.

ويحتمل قولاً رابعاً، إن المرقوم المعلوم.

﴿كلاّبل رانَ على قُلوبِهم ما كانوا يَكْسِبونَ﴾ فيه أربعة تأويلات:

أحدها: أن «ران»: طبع على قلوبهم، قاله الكلبي.

الثاني: غلب على قلوبهم، قاله ابن زيد، ومنه قول الشاعر[٣٠٠]:

---

(٢٩٨) رواه ابن جرير (٣٠/٩٦) وسنده ضعيف قال الحافظ ابن كثير (٤/٤٨٥) وهو حديث غريب منكر لا يصح.

(٢٩٩) هو تميم بن مقبل وصدر البيت «ورفقة يضربون البيض ضاحية» والبيت في القرطبي (١٩/٢٥٨) وفتح القدير (٥/٣٩٩).

(٣٠٠) القرطبي (١٩/٢٦٠).

وكم ران من ذنْب على قلب فاجر ... فتاب من الذنب الذي ران وانجلى

الثالث: ورود الذنب على الذنب[٣٠١] حتى يعمى القلب، قاله الحسن.

الرابع: أنه كالصدإ يغشى القلب كالغيم الرقيق، وهذا قول الزجاج.

﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡأَبۡرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ۝١٨ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ۝١٩ كِتَٰبٞ مَّرۡقُومٞ ۝٢٠ يَشۡهَدُهُ ٱلۡمُقَرَّبُونَ ۝٢١ إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ۝٢٢ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ۝٢٣ تَعۡرِفُ فِي وُجُوهِهِمۡ نَضۡرَةَ ٱلنَّعِيمِ ۝٢٤ يُسۡقَوۡنَ مِن رَّحِيقٖ مَّخۡتُومٍ ۝٢٥ خِتَٰمُهُۥ مِسۡكٞۚ وَفِي ذَٰلِكَ فَلۡيَتَنَافَسِ ٱلۡمُتَنَٰفِسُونَ ۝٢٦ وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسۡنِيمٍ ۝٢٧ عَيۡنٗا يَشۡرَبُ بِهَا ٱلۡمُقَرَّبُونَ ۝٢٨﴾

﴿كلّا إنّ كتابَ الأَبْرارِ لفِي علّيِّينَ﴾ فيه خمسة أقاويل:

أحدها: أن عليين الجنة، قاله ابن عباس.

الثاني: السماء السابعة، قاله ابن زيد، قال قتادة: وفيها أرواح المؤمنين.

الثالث: قائمة العرش اليمنى، قاله كعب.

الرابع: يعني في علو وصعود إلى اللَّه تعالى، قاله الحسن.

الخامس: سدرة المنتهى، قاله الضحاك.

ويحتمل سادساً: أن يصفه بذلك لأنه يحل من القبول محلاً عالياً.

﴿تَعْرِفُ في وُجوههم نَضْرَةَ النّعيم﴾ فيها ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنها الطراوة والغضارة، قاله ابن شجرة.

الثاني: أنها البياض، قاله الضحاك.

الثالث: أنها عين في الجنة يتوضؤون منها ويغتسلون فتجري عليهم نضرة النعيم، قاله عليّ.

(٣٠١) وهو الصواب وقد ورد فيه حديث مرفوع من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ولفظه «إن العبد إذا أذنب كانت نكتة سوداء في قلبه فإن تاب منها صقل قلبه وإن زادزادت» فذلك قول الله تعالى ﴿كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون﴾ ورواه الترمذي (٣٣٣١) وقال: حسن صحيح وصححه غير واحد من أهل العلم.

ويحتمل رابعاً: أنها استمرار البشرى بدوام النعمة.

﴿يُسْقَوْنَ مِن رَحِيقٍ مَخْتُومٍ﴾ وفي الرحيق ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنه عين في الجنة مشوب بمسك، قاله الحسن.

الثاني: أنه شراب أبيض يختمون به شرابهم، قاله ابن أبي الدرداء.

الثالث: أنه الخمر في قول الجمهور، ومنه قول حسان(٣٠٢):

يسقون من ورد البريص عليهم ... بَرَدَى يُصَفِّق بالرحيق السَّلْسَلِ

لكن اختلفوا أي الخمر هي على أربعة أقاويل:

أحدها: أنها الصافية، حكاه ابن عيسى.

الثاني: أنها أصفى الخمر وأجوده، قاله الخليل.

الثالث: أنها الخالصة من غش، حكاه الأخفش.

الرابع: أنها العتيقة.

وفي «مختوم» ثلاثة أقاويل:

أحدها: ممزوج، قاله ابن مسعود.

الثاني: مختوم في الإناء بالختم، وهو الظاهر.

الثالث: ما روى أُبيّ بن كعب(٣٠٣) قال: قيل يا رسول الله ما الرحيق المختوم؟ قال: غُدران الخمر.

﴿خِتامُه مِسْكٌ﴾ فيه أربعة تأويلات:

أحدها: مزاجه مسك، قاله مجاهد.

الثاني: عاقبته مسك، ويكون ختامه آخره، كما قال الشاعر:

صرف ترقرق في الحانوت باطنه ... بالفلفل الجون والرمان مختوما

قال قتادة: يمزج لهم بالكافور ويختم بالمسك.

الثالث: أن طعمه وريحه مسك، رواه ابن أبي نجيح.

الرابع: أن ختمه الذي ختم به إناؤه مِسْك، قاله ابن عباس.

---

(٣٠٢) تقدم تخريجه في سورة الانسان.

(٣٠٣) لم نعثر على تخريجه.

﴿وفي ذلك فلْيَتنافَسِ المُتنافِسونَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: فليعمل العاملون، قاله مجاهد.

الثاني: فليبادر المبادرون، قاله أبو بكر بن عياش والكلبي.

وفيما أخذ منه التنافس والمنافسة وجهان:

أحدهما: أنه مأخوذ من الشيء النفيس، قاله ابن جرير(٣٠٤).

الثاني: أنه مأخوذ من الرغبة فيما تميل النفوس إليه، قاله المفضل.

﴿ومِزاجُهُ مِن تَسْنيمٍ﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: أن التسنيم الماء، قاله الضحاك.

الثاني: أنها عين في الجنة، فيشربها المقربون صرفاً، وتمزج لأصحاب اليمين، قاله ابن مسعود.

وقال حذيفة بن اليمان: تسنيم عين في عدْن، وعدْن دار الرحمن وأهل عدْن جيرانه.

الثالث: أنها خفايا أخفاها اللّه لأهل الجنة، ليس لها شبه في الدنيا ولا يعرف مثلها(٣٠٥).

وأصل التسنيم في اللغة أنها عين ماء تجري من علو إلى سفل، ومنه سنام البعير لعلوه من بدنه، وكذلك تسنيم القبور.

ويحتمل تأويلاً رابعاً: أن يكون المراد به لذة شربها في الآخرة أكثر من لذته في الدنيا، لأن مزاج الخمر يلذ طعمها، فصار مزاجها في الآخرة يفضل لذة مزاجها من تسنيم لعلو الآخرة على الدنيا.

إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُواْ فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَآ أُرْسِلُواْ عَلَيْهِمْ حَٰفِظِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلْكُفَّارِ

---

(٣٠٤) جامع البيان (١٠٨/٣٠).

(٣٠٥) كيف لا تعرف العرب هذه اللفظة وقد وقعت في كلامهم.

يَضۡحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلۡ ثُوِّبَ ٱلۡكُفَّارُ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴿٣٦﴾

﴿وإذا انقلَبوا إلى أهْلِهم انقلَبوا فَكِهينَ﴾ قرأ عاصم في رواية حفص فكهين بغير ألف وقرأ غيره بألف(٣٠٦)، وفي القراءتين أربعة تأويلات:

أحدها: فرحين، قاله السدي.

الثاني: معجبين، قاله ابن عباس، ومنه قول الشاعر:

ولقد فكهت من الدنيا فقاتلوا يوم الخميس بِلا سلاح ظاهر

الثالث: لاهين.

الرابع: ناعمين، حكى هذين التأويلين عليّ بن عيسى.

وروى عوف عن الحسن قال: قال رسول اللَّه ﷺ قال ربكم عز وجل:(٣٠٧) وعزتي لا أجمع على عبدي خوفين، ولا أجمع له أمنين، فإذا خافني في الدنيا أمنته يوم القيامة، وإذا أمني في الدنيا أخفته يوم القيامة.

﴿هل ثوِّب الكفارُ ما كانوا يَفْعَلونَ﴾ هذا سؤال المؤمنين في الجنة عن الكفار حين فارقوهم، وفيه تأويلان:

أحدهما: معناه هل أثيب الكفار ما كانوا يعملون في الكفر، قاله قتادة.

الثاني: هل جوزي الكفار على ما كانوا يفعلون، قاله مجاهد.

فيكون «ثُوِّب» مأخوذاً من إعطاء الثواب.

ويحتمل تأويلاً ثالثاً: أن يكون معناه هل رجع الكفار في الآخرة عن تكذيبهم في الدنيا على وجه التوبيخ، ويكون مأخوذاً من المثاب الذي هو الرجوع، لا من الثواب الذي هو الجزاء، كما قال تعالى: **﴿وإذ جعَلْنا البيتَ مثابةً للناس﴾** أي مرجعاً.

ويحتمل تأويلاً رابعاً: هل رجع من عذاب الكفار على ما كانوا يفعلون، لأنهم قد علموا أنهم عذبوا، وجاز أن يظنوا في كرم اللَّه أنهم قد رحموا.

---

(٣٠٦) السبعة لابن مجاهد ٦٧٦ زاد المسير (٩/٦١).

(٣٠٧) هذا الحديث من مرسل الحسن والمرسل من قسم الضعيف كما هو معلوم ولم أعثر على تخريج الحديث والله أعلم.



مكية في قول الجميع

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ﴿١﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ ﴿٣﴾ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ﴿٤﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ ﴿٦﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فِىٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿١٣﴾ إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ﴿١٤﴾ بَلَىٰٓ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا ﴿١٥﴾

قوله عز وجل: ﴿**إذا السماءُ انشَقّتْ**﴾ وهذا من أشراط الساعة، قال عليّ رضي الله عنه: تنشقّ السماء من المجرة، وفيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أنه محذوف الجواب وتقديره: إذا السماء انشقت رأى الإنسان ما قدّم من خير وشر.

الثاني: أن جوابه ﴿**كادح إلى ربك كدْحاً**﴾.

الثالث: معناه أذكر إذا السماء انشقت.

﴿**وأَذِنَتْ لِربّها وحُقّتْ**﴾ معنى أذنت لربها أي سمعت لربها، ومنه قول

النبي ﷺ[٣٠٨] ما أذن اللّه لشيء كإذنه لنبي يتغنى بالقرآن أي ما استمع اللّه لشيء، وقال الشاعر[٣٠٩]:

صُمٌّ إذا سَمِعوا خيراً ذُكِرتُ به وإنْ ذُكِرْتُ بسُوءٍ عندهم أَذِنوا.

أي سمعوا.

﴿وحُقَّتْ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أطاعت، قاله الضحاك.

الثاني: معناه حق لها أن تفعل ذلك، قاله قتادة، ومنه قول كثيّر[٣١٠]:

فإن تكُنِ العُتْبى فأهْلاً ومرحبا وحُقّتْ لها العُتبى لدينا وَقلَّت.

ويحتمل وجهاً ثالثاً: أنها جمعت، مأخوذ من اجتماع الحق على نافيه وحكى ابن الأنباري أن ﴿أذنت لربها وحقت﴾ جواب القسم، والواو زائدة.

﴿وإذا الأرضُ مُدَّتْ﴾ فيها قولان:

أحدهما: أن البيت كان قبل الأرض بألفي عام، فمدت الأرض من تحته، قاله ابن عمر.

الثاني: أنها أرض القيامة، قاله مجاهد، وهو أشبه بسياق الكلام.

وفي ﴿مُدَّتْ﴾ وجهان:

أحدهما: سويت، فدكّت الجبال ويبست البحار، قاله السدي.

الثاني: بسطت، قاله الضحاك، وروى عليّ بن الحسين أن النبي ﷺ[٣١١] قال:

---

(٣٠٨) رواه البخاري (١٣/٤١٨) والبغوي (٤/٤٨٥) من حديث ابي هريرة.
ورواه أبو داود (١٤٦٩) وأحمد (١٤٧٦) من حديث سعد بن أبي وقاص وصححه الأرناؤوط في تخريج شرح السنة للبغوي.

(٣٠٩) هو قعنب بن أم صاحب والبيت في اللسان أذن، فتح القدير (٥/٤٠٦) روح المعاني (٣٠/٧٨) الطبري (٣٠/١١٢) مجاز القرآن (١/١٧٧) القرطبي (١٩/٢٦٧) والاقتضاب ٢٩٢، شواهد الكشاف ١٤٣ زاد المسير (٩/٦٢).

(٣١٠) القرطبي (١٩/٢٦٩) فتح القدير (٥/٢٠٦).

(٣١١) الطبري (٣٠/١١٣) الحاكم (٤/٥٧٦) هكذا مرسلاً بل معضلاً وقد اقتصر المؤلف على جزء منه وقد رواه الحاكم (٤/٥٧٠) بسند جيد كما قال السيوطي في الدر (٨/٤٥٦) عن جابر مرفوعاً. لكن في رواية الحاكم عن علي بن الحسين عن رجل من أهل العلم ولم يسمه.

إذا كان يوم القيامة مد اللّه الأرض مدّ الأديم حتى لا يكون لبشر من الناس إلا موضع قدمه.

﴿و أَلْقَتْ ما فيها وتَخلّتْ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: ألقت ما في بطنها من الموتى، وتخلت عمن على ظهرها من الأحياء، قاله ابن جبير.

الثاني: ألقت ما في بطنها من كنوزها ومعادنها وتخلت مما على ظهرها من جبالها وبحارها، وهو معنى قول قتادة.

ويحتمل ثالثاً: هو أعم، أنها ألقت ما استودعت، وتخلت مما استحفظت لأن اللّه استودعها عباده أحياء وأمواتاً، واستحفظها بلاده مزارع وأقواتاً.

﴿يا أيها الإنسانُ إنك كادحُ إلى ربك كدْحاً فملاقيه﴾ فيه قولان:

أحدهما: إنك ساعٍ إلى ربك سعياً حتى تلاقي ربك، قاله يحيى بن سلام، ومنه قول الشاعر(٣١٢):

ومَضَتْ بشاشَةُ كلِّ عَيْشٍ صالحٍ وبَقيتُ أكْدَحُ للحياةِ وأَنْصَبُ

أي أعمل للحياة.

ويحتمل قولاً ثالثاً: أن الكادح هو الذي يكدح نفسه في الطلب إن تيسّر أو تعسّر.

﴿فأمّا مَنْ أُوتي كِتابَه بيمينه﴾ روي أن النبي ﷺ قال(٣١٣):

«يعرض الناس ثلاث عرضات، فأما عرضتان فجدال ومعاذير، وفي الثالثة تطير الكتب من الأيدي، فبين آخذٍ كتابه بيمينه، وبين آخذٍ كتابه بشماله».

﴿فسوف يُحاسَبُ حِساباً يَسيراً﴾ وفي الحساب ثلاثة أقاويل:

أحدها: يجازى على الحسنات ويتجاوز له عن السيئات، قاله الحسن.

الثاني: ما رواه صفوان بن سليم عن عائشة قالت(٣١٤): سئل رسول اللّه عن

(٣١٢) القرطبي (١٩/ ٢٧١) روح المعاني (٣٠/ ٧٩).

(٣١٣) رواه الترمذي (٢٤٢٧) وابن ماجه (٤٢٧٧) وأحمد (٤/ ٤١٤) وقال الترمذي: لا يصح هذا الحديث من قبل أن الحسن لم يسمع من أبي موسى.

(٣١٤) رواه ابن جرير (٣٠/ ١١٥) والحاكم (٤/ ٥٨٠) وصححه وأحمد (٦/ ٤٧) وزاد السيوطي في الدر (٨/ ٤٥٦) نسبته لابن مردويه.

الذي يحاسب حساباً يسيراً، فقال: يعرف عمله ثم يتجاوز عنه، ولكن من نوقش الحساب فذلك هو الهالك.

الثالث: أنه العرض، روى ابن أبي مليكة عن عائشة[٣١٥] رضي اللّٰه عنها: أنها سألت رسول اللّٰه ﷺ عن قوله: ﴿**فسوف يحاسب حساباً يسيراً**﴾ فقال: ذلك العرض يا عائشة، من نوقش في الحساب يهلك.

﴿**وَيَنقَلِبُ إلى أهْلِه مَسْروراً**﴾ قال قتادة: إلى أهله الذين قد أعدهم اللّٰه له في الجنة.

ويحتمل وجهاً ثانياً: أن يريد أهله الذين كانوا له في الدنيا ليخبرهم بخلاصه وسلامته.

﴿**إنَّه ظَنَّ أن لن يَحُورَ**﴾ أي لن يرجع حياً مبعوثاً فيحاسب ثم يثاب أو يعاقب، يقال: حار يحور، إذا رجع، ومنه الحديث: أعوذ[٣١٦] باللّٰه من الحْور بعد الكوْر، يعني من الرجوع إلى النقصان بعد الزيادة، وروي: «بعد الكوْن»، ومعناه انتشار الأمر بعد تمامه.

وسئل معمر عن الحور بعد الكوْن فقال: الرجل يكون صالحاً ثم يتحول امرء سوء.

وقال ابن الأعرابي: **الكُنْتّي**: هو الذي يقول: كنت شاباً وكنت شجاعاً، والكاني: هو الذي يقول: كان لي مال وكنت أهب وكان لي خيل وكنت أركب، وأصل الحور الرجوع، قال لبيد[٣١٧]:

وما المرءُ إلا كالشهاب وضوئه يَحُورُ رماداً بَعْد إذ هو ساطعُ.

وقال عكرمة وداود بن أبي هند: يحور كلمة بالحبشية، ومعناها يرجع وقيل

---

(٣١٥) رواه ابن جرير (١١٦/٣٠) واللفظ له والبخاري (١٧٦/١) و(٥٣٥/٨) (٣٤٧/١١) ومسلم (٢٢٤/٤) والترمذي (٦٩٢) وقال: حسن صحيح وزاد السيوطي في الدر (٤٥٦/٨) نسبته لأحمد وعبد بن حميد وابن المنذر وابن مردويه.

(٣١٦) لم أهتد إلى تخريجه وإن كنت قد قرأت تأويله في كتاب شأن الدعاء للإمام الخطابي.

الحور: الضلالة وتقلب الحال.

الكور: الإيمان والهداية والله أعلم.

(٣١٧) ديوانه: ١٦٩ روح المعاني (٨١/٣٠) زاد المسير (٦٥/٩) القرطبي (٢٧٣/١٩).

للقصار حواري لأن الثياب ترجع بعمله إلى البياض .

﴿بلى إنّ ربّه كان به بَصيراً﴾ يحتمل وجهين :

أحدهما : مشاهداً لما كان عليه .

الثاني : خبيراً بما يصير إليه .

﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلشَّفَقِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ﴿١٧﴾ وَٱلْقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ﴿١٨﴾ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴿١٩﴾ فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ ٱلْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ ۩ ﴿٢١﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُكَذِّبُونَ ﴿٢٢﴾ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴿٢٣﴾ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٤﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍۭ ﴿٢٥﴾﴾

﴿فلا أُقْسِمُ بالشّفَقِ﴾ فيه أربعة أقاويل :

أحدها : أنه شفق الليل وهو الحمرة ، قاله ابن عباس .

الثاني : أنه بقية ضوء الشمس ، . قاله مجاهد .

الثالث : أنه ما بقي من النهار ، قاله عكرمة .

الرابع : أنه النهار ، رواه ابن أبي نجيح .

﴿والليلِ وما وسَقَ﴾ فيه أربعة تأويلات :

أحدها : وما جمع ، قاله مجاهد ، قال الراجز(٣١٨) :

إن لنا قلائصاً حقائقا ... مستوسقات أو يجدن سائقا

الثاني : وما جَنّ وستر ، قاله ابن عباس .

الثالث : وما ساق ، لأن ظلمة الليل تسوق كل شيء إلى مأواه ، قاله عكرمة .

الرابع : وما عمل فيه ، قاله ابن جبير ، وقال الشاعر(٣١٩) :

ويوماً ترانا صالحين وتارةً ... تقوم بنا كالواسق المتَلَبّبِ

أي كالعامل .

(٣١٨) هو العجاج والبيت في اللسان «وسق» وملحق ديوانه : ٨٤ مجاز القرآن ٢ / ٢٩١ والطبري (٣٠ / ١٢٠) والقرطبي (١٩ / ٢٧٥) روح المعاني (٣٠ / ٨١) .

(٣١٩) القرطبي (١٩ / ٢٧٧) وروح المعاني (٣٠ / ٨٢) وفيه :

فيوما . . . . . .

﴿والقَمَرِ إذا اتّسَق﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: إذا استوى، قاله ابن عباس، وقولهم اتسق الأمر إذا انتظم واستوى.

قال الضحاك: ليلة أربع عشرة هي ليلة السواء.

الثاني: والقمر إذا استدار، قاله عكرمة.

الثالث: إذا اجتمع، قاله مجاهد، ومعانيها متقاربة.

ويحتمل رابعاً: إذا طلع مضيئاً.

﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقاً عَنْ طَبَقٍ﴾ فيه سبعة تأويلات:

أحدها: سماء بعد سماء، قاله ابن مسعود والشعبي.

الثاني: حالاً بعد حال، فطيماً بعد رضيع وشيخاً بعد شاب، قاله عكرمة، ومنه قول الشاعر(٣٢٠):

كـذلـك المـرءُ إن يُنْسَأ لـه أجَـلُ يَـرْكـبْ على طَبَقٍ مِـن بَعْـده طَـبَقُ

الثالث: أمراً بعد أمر، رخاء بعد شدة، وشدة بعد رخاء، وغنى بعد فقر، وفقراً بعد غنى، وصحة بعد سقم، وسقماً بعد صحة، قاله الحسن.

الرابع: منزلة بعد منزلة، قوم كانوا في الدنيا متضعين فارتفعوا في الآخرة، وقوم كانوا مرتفعين في الدنيا فاتضعوا في الآخرة، قاله سعيد بن جبير.

الخامس: عملاً بعد عمل، يعمل الآخر عمل الأول، قاله السدي.

السادس: الآخرة بعد الأولى، قاله ابن زيد.

السابع: شدة بعد شدة، حياة ثم موت ثم بعث ثم جزاء، وفي كل حال من هذه شدة، وقد روى معناه جابر مرفوعاً(٣٢١).

﴿واللَّهُ أعْلَمُ بما يُوعُونَ﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: بما يُسِرون في قلوبهم، قاله ابن عباس.

---

(٣٢٠) القرطبي (١٩/ ٢٧٩).

(٣٢١) وقد أورده الحافظ ابن كثير (٤/ ٤٩٠) من رواية ابن أبي حاتم وقال: قال ابن أبي حاتم ذكر عن عبد الله بن زاهر حدثني أبي عن عمرو بن شمر عن جابر الجعفي عن محمد بن علي عن جابر بن عبد الله قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول إن ابن آدم. . فذكره قال الحافظ ابن كثير: هذا حديث منكر وإسناده فيه ضعفاء ولكن معناه صحيح والله سبحانه وتعالى أعلم.

الثاني : بما يكتمون من أفعالهم، قاله مجاهد.

الثالث: بما يجمعون من سيئاتهم، مأخوذ من الوعاء الذي يجمع ما فيه وهو معنى قول ابن زيد.

﴿**فلهم أَجْرٌ غيرُ ممنون**﴾ فيه أربعة تأويلات:

أحدها: غير محسوب، قاله مجاهد.

الثاني : غير منقوص، قاله السدي.

الثالث: غير مقطوع، قاله ابن عباس.

الرابع : غير مكدّر بالمن والأذى، وهو معنى قول الحسن.



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ﴿١﴾ وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ ﴿٢﴾ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴿٣﴾ قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ﴿٤﴾ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾ وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٨﴾ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٠﴾

قوله تعالى ﴿والسماءِ ذاتِ البُروجِ﴾ هذا قَسَمٌ، وفي البروج أربعة أقاويل:

أحدها: ذات النجوم، قاله الحسن ومجاهد وقتادة والضحاك.

الثاني: ذات القصور، قاله ابن عباس.

الثالث: ذات الخلْق الحسن، قاله المنهال بن عمرو.

الرابع: ذات المنازل، قاله يحيى بن سلام وهي اثنا عشر برجاً رصدتها العرب والعجم، وهي منازل الشمس والقمر.

﴿واليوم ِ الموْعُودِ﴾ روى أبو هريرة عن النبي ﷺ أنه[٣٢٢] يوم القيامة، وسمي بذلك لأنهم وعدوا فيه بالجزاء بعد البعث.

(٣٢٢) رواه ابن جرير (١٢٨/٣٠) والترمذي (٣٣٣٩) وابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير (٤٩٠/٤)

﴿وشاهدٍ ومَشْهودٍ﴾ فيه خمسة أقاويل:

أحدها: أن الشاهد يوم الجمعة، والمشهود يوم عرفة، روى ذلك أبو هريرة عن النبي ﷺ.

الثاني: أن الشاهد يوم النحر، والمشهود يوم عرفة، قاله إبراهيم.

الثالث: أن الشاهد الملائكة، والمشهود الإنسان، قاله سهل بن عبداللّه.

الرابع: أن الشاهد الجوارح، والمشهود النفس، وهو محتمل.

الخامس: أن المشهود يوم القيامة.

وفي الشاهد على هذا التأويل خمسة أقاويل:

أحدها: هو اللّه تعالى، حكاه ابن عيسى.

الثاني: هو آدم عليه السلام، قاله مجاهد.

الثالث: هو عيسى ابن مريم، رواه ابن أبي نجيح.

الرابع: هو محمد ﷺ، قاله الحسن بن علي وابن عمر وابن الزبير، لقوله تعالى: ﴿فكيفَ إذا جِئْنا من كلِّ أُمَّةٍ بشهيد وجِئْنَا بِكَ على هؤلاءِ شَهيداً﴾.

الخامس: هو الإنسان، قاله ابن عباس.

﴿قُتِل أصحابُ الأُخْدُودِ﴾ قال الفراء: هذا جواب القسم، وقال غيره: الجواب ﴿إنّ بَطْشَ ربِّكَ لَشديدٌ﴾ والأخدود: الشق العظيم في الأرض، وجمعه أخاديد، ومنه الخد لمجاري الدموع فيه، والمخدّة لأن الخد يوضع عليها. وهي حفائر شقت في الأرض وأوقدت ناراً وألقي فيها مؤمنون امتنعوا من الكفر.

واختلف فيهم، فقال عليّ: إنهم من الحبشة، وقال مجاهد: كانوا من أهل نجران، وقال عكرمة كانوا نبطاً، وقال ابن عباس: كانوا من بني إسرائيل، وقال عطية

وسنده ضعيف قال الترمذي: هذا حديث لا نعرفه إلا من حديث موسى بن عبيدة وموسى بن عبيدة يضعف في الحديث ضعفه يحيى بن سعيد وغيره من قبل حفظه قلت: وهو ضعيف كما في التقريب لابن حجر.

وقال الحافظ ابن كثير (٤/٤٩٠) وروى هذا الحديث ابن خزيمة من طرق عن موسى بن عبيد الربذي وهو ضعيف وقد ورد موقوفاً على أبي هريرة وهو أشبه. قلت: ورواه ابن جرير (١٢٨/٣٠).

قلت: وللمرفوع شاهد من حديث أبي مالك الأشعري رواه ابن جرير (١٢٨/٣٠) والطبراني كما في المجمع (١٣٥/٧) إلا أن في سنده، محمد بن إسماعيل بن عياش وهو ضعيف وبه أعله الهيثمي.

العوفي، هم دانيال وأصحابه، وقال الحسن: هم قوم من أهل اليمن[٣٢٣]، وقال عبد الرحمن بن الزبير: هم قوم من النصارى كانوا بالقسطنطينية زمان قسطنطين، وقال الضحاك: هم قوم من النصارى كانوا باليمن قبل مبعث رسول اللّه ﷺ بأربعين سنة، أخذهم يوسف بن شراحيل بن تُبَّع الحميري وكانوا نيفاً وثمانين رجلاً، وحفر لهم أخدوداً أحرقهم فيه، وقال السدي: الأخدود ثلاثة: واحد بالشام وواحد بالعراق، وواحد باليمن.

وفي قوله: ﴿**قُتِل أصحابُ الأُخْدُودِ**﴾ وجهان:

أحدهما: أُهلك المؤمنون.

الثاني: لُعن الكافرون الفاعلون، وقيل إن النار صعدت إليهم وهم شهود عليها فأحرقتهم، فلذلك قوله تعالى: ﴿**فلهُم عذابُ جهنَّمَ ولهُم عذابُ الحريق**﴾ يعني في الدنيا.

﴿**وهُمْ على ما يَفْعلونَ بالمؤمنينَ شُهودٌ**﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن أصحاب الأخدود هم على عذاب المؤمنين فيها شهود، وهو ظاهر من قول قتادة.

الثاني: أنهم شهود على المؤمنين بالضلال، قاله مقاتل.

إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ ﴿١١﴾ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ ﴿١٧﴾ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴿١٨﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى تَكْذِيبٍ ﴿١٩﴾ وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ ﴿٢٠﴾ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ ﴿٢٢﴾

﴿**إنه هو يُبْدِئ ويُعيدُ**﴾ فيه أربعة تأويلات:

(٣٢٣) انظر خبر أصحاب الأخدود وحديث صهيب الرومي رواه مسلم (٢٠٠٥) وأحمد (١٧/٦) والترمذي (٦٩/٢) والطبري (٣٣/٣٠) وزاد الحافظ في تخريج الكشاف ص ١٨٣ النسائي وابن حبان والطبراني وإسحاق وأبي يعلى والبزار.

أحدها: يحيي ويميت، قاله ابن زيد.

الثاني: يميت ثم يحيي، قاله السدي.

الثالث: يخلق ثم يبعث، قاله يحيى بن سلام.

الرابع: يبدىء العذاب ويعيده، قاله ابن عباس.

ويحتمل خامساً: يبدىء ما كلف من أوامره ونواهيه، ويعيد ما جزى عليه من ثواب وعقاب.

﴿وهو الغَفورُ الوَدُودُ﴾ في الغفور وجهان:

أحدهما: الساتر للعيوب.

الثاني: العافي عن الذنوب.

وفي الودود وجهان:

أحدهما: المحب[٣٢٤].

الثاني: الرحيم.

وفيه ثالث: حكاه المبرد عن إسماعيل بن إسحاق القاضي أن الودود هو الذي لا ولد له، وأنشد قول الشاعر[٣٢٥]:

وأرْكبُ في الرّوْع عُريانةً ... ذلول الجناح لِقاحاً وَدُوداً

أي لا ولد لها تحن إليه، ويكون معنى الآية أنه يغفر لعباده، وليس ولد يغفر لهم من أجله، ليكون بالمغفرة متفضلاً من غير جزاء.

﴿ذو العَرْشِ المجيدُ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: الكريم، قاله ابن عباس.

الثاني: العالي، ومنه المجد لعلوه وشرفه.

ثم فيه وجهان:

أحدهما: أنه من صفات الله تعالى، وهو قول من قرأ بالرفع.

---

(٣٢٤) وهو قول ابن عباس رواه الطبري (٣٠/١٣٨) من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس وذكره البخاري معلقاً في صحيحه (٨/٥٦٨) وجزم به فقال: قال ابن عباس وهذا يدل على صحة الأثر كما هو معروف من صنيع البخاري ولفظه في ابن جرير «الحبيب».

(٣٢٥) القرطبي (١٩/٢٦٩) فتح القدير (٥/٤١٣) روح المعاني (٣٠/٩٢).

الثاني : أنه من صفة العرش، وهو قول من قرأ بالكسر[٣٢٦] .

ويحتمل إن كان صفة للعرش وجهاً ثالثاً : أنه المحكم.

﴿بل هو قُرآنٌ مَجِيْدٌ في لَوْحٍ مَّحْفوظٍ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : أن اللوح هو المحفوظ عند اللّٰه تعالى، وهو تأويل من قرأ بالخفض.

الثاني : أن القرآن هو المحفوظ،وهو تأويل من قرأ بالرفع[٣٢٧] وفيما هو محفوظ منه وجهان :

أحدهما : من الشياطين.

الثاني : من التغيير والتبديل.

وقال بعض المفسرين : إن اللوح شيء يلوح للملائكة فيقرؤونه.

(٣٢٦) وهي قراءة حمزة والكسائي والمفضل عن عاصم زاد المسير (١٩/٧٨) السبعة لابن مجاهد (٦٧٨).

(٣٢٧) وهي قراءة أبي العالية وأبي الجوزاء وأبي عمران وابن السميفع كمافي زاد المسير (٩/٧٩) والسبعة لابن مجاهد (٦٧٨).



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ﴿٢﴾ النَّجْمُ الثَّاقِبُ ﴿٣﴾ إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴿٤﴾ فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴿٧﴾ إِنَّهُ عَلَىٰ رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ﴿٩﴾ فَمَا لَهُ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ﴿١٠﴾

قوله تعالى **﴿والسماءِ والطارقِ﴾** هما قسمان: «والسماءِ» قَسَمٌ، «والطارقِ» قَسَمٌ.

«**الطارق**» نجم، وقد بيّنه اللّه تعالى بقوله: **﴿وما أدْراكَ ما الطارقُ * النجْمُ الثّاقبُ﴾** ومنه قول هند بنت عتبة: (٣٢٨).

نحْنُ بناتُ طارِق نمْشي على النمارق

تقول: نحن بنات النجم افتخاراً بشرفها، وإنما سمي النجم طارقاً لاختصاصه بالليل، والعرب تسمي كل قاصد في الليل طارقاً، قال الشاعر:

ألا طَرَقَتْ بالليلِ ما هجَعوا هندُ وهندُ أتى مِن دُونها النأيُ والصَّدّ

وأصل الطرق الدق، ومنه سميت المطرقة، فسمي قاصد الليل طارقاً لاحتياجه في الوصول إلى الدق.

---

(٣٢٨) اللسان طرق ونسبه في موضع آخر إلى هند بن بياض بن رباح بن طارق الأغاني (١٣/٢٤٣) القرطبي (٢/٢٠) فتح القدير (٥/٤١٨).

وفي قوله «النجم الثاقب» ستة أوجه:

أحدها: المضيء، قاله ابن عباس.

الثاني: المتوهج[٣٢٩]، قاله مجاهد.

الثالث: المنقضّ، قاله عكرمة.

الرابع: أن الثاقب الذي قد ارتفع على النجوم كلها، قاله الفراء.

الخامس: الثاقب: الشياطين حين ترمى، قاله السدي.

السادس: الثاقب في مسيره ومجراه، قاله الضحاك.

وفي هذا النجم الثاقب قولان:

أحدهما: أنه زُحل، قاله عليّ.

الثاني: الثريّا، قاله ابن زيد.

﴿إن كلُّ نفْسٍ لّما عليها حافِظٌ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: «لّما» بمعنى[٣٣٠] إلاّ، وتقديره: إنْ كل نفس إلاّ عليها حافظ، قاله قتادة.

الثاني: أن «ما» التي بعد اللام صله زائدة، وتقديره: إن كل نفس لعليها حافظ، قاله الأخفش.

وفي الحافظ قولان:

أحدهما: حافظ من اللّه يحفظ عليه أجله ورزقه، قاله ابن جبير.

الثاني: من الملائكة يحفظون عليه عمله من خير أوشر، قاله قتادة.

ويحتمل ثالثاً: أن يكون الحافظ الذي عليه عقله، لأنه يرشده إلى مصالحه، ويكفّه عن مضاره.

﴿يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ والتّرائِبِ﴾ فيه قولان:

أحدهما: من بين صلب الرجل وترائبه، قاله الحسن[٣٣١] وقتادة.

---

(٣٢٩) ذكره البخاري معلقاً (٥٦٨/٨٠) وجزم به قال الحافظ وصله الفريابي والطبري من طريق مجاهد به.

(٣٣٠) وقد ورد ذلك عن ابن عباس مثل قول قتادة وقد صححه ابن حجر وذكره البخاري معلقاً (٥٦٩/٨) ورواه ابن أبي حاتم وقد أنكر أبو عبيد هذا وقال لم نسمع لقول «لما» بمعنى «إلا» شاهداً في كلام العرب.

(٣٣١) والمشهور أن الترائب للمرأة وهذا هو المشهور وكل التفاسير المنقولة عن الحسن وقتادة على هذا.

الثاني: بمعنى أصلاب الرجال وترائب النساء.

وفي الترائب ستة أقاويل:

أحدها: أنه الصدر، قاله ابن عياض، ومنه قول دريد بن الصمة.

فإنْ تُدْبروا نأخذكمُ في ظهوركم وإنْ تُقْبِلوا نأخذكمُ في الترائب.

الثاني: ما بين المنكبين إلى الصدر، قاله مجاهد.

الثالث: موضع القلادة، قاله ابن عباس، قال الشاعر[٣٣٢]:

والزعفران على ترائبها شرق به اللّبّاتُ والنحْرُ

الرابع: أنها أربعة أضلاع من الجانب الأسفل، قاله ابن جبير، وحكى الزجاج أن الترائب أربعة أضلاع من يمنة الصدر وأربعة أضلاع من يسرة الصدر.

الخامس: أنها بين اليدين والرجلين والعينين، قاله الضحاك.

السادس: هي عصارة القلب، قاله معمر بن أبي حبيبة.

﴿إنّه على رَجْعِهِ لقادرٌ﴾ فيه خمسة أوجه:

أحدها: على أن يرد المني في الإحليل، قاله مجاهد.

الثاني: على أن يرد الماء في الصلب، قاله عكرمة.

الثالث: على أن يرد الإنسان من الكبر إلى الشباب، ومن الشباب إلى الصبا، ومن الصبا إلى النطفة، قاله الضحاك.

الرابع: على أن يعيده حيّاً بعد موته، قاله الحسن وعكرمة وقتادة.

الخامس: على أن يحبس الماء فلا يخرج.

ويحتمل سادساً: على أن يعيده إلى الدنيا بعد بعثه في الآخرة لأن الكفار يسألون اللّه فيها الرجعة.

﴿يومَ تُبْلَى السّرائرُ﴾ أي تَظْهَر.

ويحتمل ثانياً: أن تبتلى بظهور السرائر في الآخرة بعد استتارها في الدنيا.

وفيها قولان:

---

(٣٣٢) هو المخبل السعدي والبيت في القرطبي (٢٠/٥) والطبري (٣٠/١٤٥) (٢٨/٥١).

أحدهما: كل ما استسر به الإنسان من خير وشر، وأضمره من إيمان أو كفر، كما قال الأحوص(٣٣٣):

سَتُبلَى لكم في مُضْمَرِ السِّرِّ والحشَا ... سَرِيرةُ ودٍّ يومَ تُبلَى السرائرُ.

الثاني: هو ما رواه خالد عن زيد(٣٣٤) بن أسلم قال: قال رسول اللّٰه ﷺ: الأمانة ثلاث: الصلاة والصوم والجنابة، استأمن اللّٰه ابن آدم على الصلاة، فإن شاء قال: قد صليت ولم يُصلّ، استأمن اللّٰه ابن آدم على الصوم، فإن شاء قال: قد صمت ولم يصم، استأمن اللّٰه ابن آدم على الجنابة، فإن شاء قال: قد اغتسلت ولم يغتسل، اقرؤوا إن شئتم: «يوم تُبلى السّرائرُ».

﴿فما لَهُ مِن قُوَّةٍ ولا نَاصرٍ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أن القوة العشيرة، والناصر: الحليف، قاله سفيان.

الثاني: فما له من قوة في بدنه، ولا ناصر من غيره يمتنع به من اللّٰه، أو ينتصر به على اللّٰه، وهو معنى قول قتادة.

ويحتمل ثالثاً: فما له من قوة في الامتناع، ولا ناصر في الاحتجاج.

﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ ﴿١١﴾ وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ ﴿١٢﴾ إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ﴿١٣﴾ وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ ﴿١٤﴾ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾ فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا ﴿١٧﴾﴾

﴿والسماءِ ذاتِ الرّجْعِ﴾ فيه أربعة أقاويل:

أحدها: ذات المطر(٣٣٥)، لأنه يرجع في كل عام، قاله ابن عباس.

الثاني: ذات السحاب، لأنه يرجع بالمطر.

الثالث: ذات الرجوع إلى ما كانت، قاله عكرمة.

الرابع: ذات النجوم الراجعة، قاله ابن زيد.

ويحتمل خامساً: ذات الملائكة لرجوعهم إليها بأعمال العباد، وهذا قَسَمٌ.

---

(٣٣٣) شواهد الكشاف (٤/٣) ونسبه لمجنون ليلى خزانة الأدب (١/٣٢٢) القرطبي (٢٠/٨) وفيه سيبقى لها في مضمر وكذا هو في روح المعاني (٣٠/٩٩٩).

(٣٣٤) وهذا الحديث من مرسلات زيد وقد ذكره الثعلبي عن عطاء كما في القرطبي (٢٠/١٠).

(٣٣٥) رواه الحاكم (٢/٥٢٠) وصحح سنده الحافظ ابن حجر في الفتح (٨/٥٦٩).

﴿والأرضِ ذاتِ الصّدْعِ﴾ فيها أربعة أقاويل:

أحدها: ذات النبات لانصداع الأرض عنه، قاله ابن عباس.

الثاني: ذات الأودية، لأن الأرض قد انصدعت بها، قاله ابن جريج.

الثالث: ذات الطرق التي تصدعها المشاة، قاله مجاهد.

الرابع: ذات الحرث لأنه يصدعها.

ويحتمل خامساً: ذات الأموات، لانصداعها عنهم للنشور وهذان قسمان.

﴿إنّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ﴾ على هذا وقع القَسَمُ، وفي المراد بأنه قول فصل قولان:

أحدهما: ما قدّمه عن الوعيد من قوله تعالى: «**إنه على رجعه لقادر يوم تبلى السرائر**» الآية. تحقيقاً لوعيده، فعلى هذا في تأويل قوله «**فَصْل**» وجهان:

أحدهما: حد، قاله ابن جبير.

الثاني: عدل، قاله الضحاك.

القول الثاني: أن المراد بالفصل القرآن تصديقاً لكتابه، فعلى هذا في تأويل قوله «**فصل**» وجهان:

أحدهما: حق، قاله ابن عباس.

الثاني: ما رواه الحارث عن[٣٣٦] عليّ قال: سمعت رسول اللّهُ ﷺ يقول: «كتاب اللّهُ فيه خير ما قبلكم، وحكم ما بعدكم، هو الفصل ليس بالهزل، مَنْ تركه مِن جبّار قصمه اللّهُ، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله اللّهُ.»

﴿وما هو بالهزْلِ﴾ وهذا تمام ما وقع عليه القسم، وفيه ثلاثة أوجه:

أحدها: باللعب، قاله ابن عباس ومجاهد.

الثاني: بالباطل، قاله وكيع والضحاك.

الثالث: بالكذب، قاله السدي.

﴿إنّهم يَكِيدُونَ كيْداً﴾ يعني أهل مكة حين اجتمعوا في دار الندوة على المكر برسول اللّهُ ﷺ، كما قال تعالى: ﴿وإذ يمْكَرُ بك الذين كَفَروا لِيُثْبِتوكَ أو يَقْتلوكَ أو يُخْرِجوكَ﴾ فقال هاهنا: «**إنهم يكيدون كيداً**» أي يمكرون مكراً.

---

(٣٣٦) تقدم تخريجه في سورة الفاتحة وهو حديث ضعيف مرفوعاً لضعف الحارث الأعور الراوي عن علي بن أبي طالب.

﴿وأكيدُ كيْداً﴾ يعني بالانتقام في الآخرة بالنار، وفي الدنيا بالسيف.

﴿فمهّلِ الكافرين أَمْهِلْهم رُوَيْداً﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: قريباً، قاله ابن عباس.

الثاني: انتظاراً، ومنه قول الشاعر:

رُويْدك حتى تنطوي ثم تنجلي   عمايةُ هذا العارضِ المتألّقِ

الثالث: قليلاً، قاله قتادة.

قال الضحاك: فقتلوا يوم بدر.

وفي «مهّل» «وأمْهل» وجهان:

أحدهما: أنهما لغتان معناهما واحد.

الثاني: معناهما مختلف، فمهّل الكف عنهم، وأمْهِل انتظار العذاب لهم.



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ ﴿٥﴾ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ﴿٦﴾ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ ﴿٧﴾ وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٨﴾ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٩﴾ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ﴿١٠﴾ وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى ﴿١١﴾ ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿١٢﴾ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿١٣﴾

قوله تعالى ﴿سَبِّح اسمَ رَبِّكَ الأَعْلَى﴾ فيه أربعة أقاويل:

أحدها: عظّم ربك الأعلى، قاله ابن عباس والسدي، والاسم صلة قصد بها تعظيم المسّمى، كما قال لبيد[٣٣٧]:

إلى الحْولِ ثم اسم السلام عليكما ... ومَنْ يَبْكِ حَوْلاً كاملاً فقد اعتذر

الثاني: نزّه اسم ربك عن أن يسمى به أحد سواه، ذكره الطبري[٣٣٨].

الثالث: معناه ارفع صوتك بذكر ربك، قال جرير[٣٣٩]:

قَبحَ الإلهُ وَجوه تَغْلبَ كلّما ... سَبحَ الحجيجُ وكبّروا تكبيرا.

(٣٣٧) سبق تخريج هذا البيت.

(٣٣٨) جامع البيان (١٥١/٣٠).

(٣٣٩) القرطبي (١٥/٢٠) فتح القدير (٤٢٣/٥).

الرابع: صلّ لربك، فعلى هذا في قوله «**اسم ربك**» ثلاثة أوجه:

أحدها: بأمر ربك.

الثاني: بذكر ربك أن تفتتح به الصلاة.

الثالث: أن تكون ذاكراً لربك بقلبك في نيتك للصلاة.

وروي أن علياً وابن عباس وابن عمر كانوا إذا افتتحوا قراءة هذه السورة قالوا: «**سبحان ربي الأعلى**» امتثالاً لأمره تعالى في ابتدائها، فصار الاقتداء بهم في قراءتها، وقيل إنها في قراءة أُبيّ: «**سبحان ربي الأعلى**» وكان ابن عمر يقرؤها كذلك.

﴿**الذي خَلَقَ فَسَوَّى**﴾ يحتمل ثلاثة أوجه:

أحدها: يعني أنشأ خلقهم ثم سوّاهم فأكملهم.

الثاني: خلقهم خلقاً كاملاً وسوّى لكل جارحة مثلاً.

الثالث: خلقهم بإنعامه وسوّى بينهم في أحكامه، قال الضحاك: خلق آدم فَسوّى خلقه.

ويحتمل رابعاً: خلق في أصلاب الرجال، وسوّى في أرحام الأمهات.

ويحتمل خامساً: خلق الأجساد فسوّى الأفهام.

﴿**والذي قَدَّرَ فَهَدَى**﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: قدّر الشقاوة والسعادة، وهداه للرشد والضلالة، قاله مجاهد.

الثاني: قدر أرزاقهم وأقواتهم، وهداهم لمعاشهم إن كانوا إنساً، ولمراعيهم إن كانوا وحشاً.

الثالث: قدرهم ذكوراً وإناثاً، وهدى الذكر كيف يأتي الأنثى، قاله السدي.

ويحتمل رابعاً: قدر خلقهم في الأرحام، وهداهم الخروج للتمام.

ويحتمل خامساً: خلقهم للجزاء، وهداهم للعمل.

﴿**والذي أَخْرَجَ المْرعى**﴾ يعني النبات، لأن البهائم ترعاه، قال الشاعر[٣٤٠]:

وقد يَنْبُتُ المرعى على دِمَنِ الثّرَى ... وتَبْقَى حَزازاتُ النفوسِ كما هِيا

﴿**فَجَعَلَهُ غُثاءً أَحْوَى**﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أن الغثاء ما يبس من النبات حتى صار هشيماً تذروه الرياح.

(٣٤٠) هو زفر بن الحارث والبيت في القرطبي (٢٠/١٦).

والأحوى: الأسود، قال ذي الرمة[٣٤١]:

لميـاءُ في شَفَتَيْهـا حُـوَّةٌ لَعَسٌ ... وفي اللّثـاتِ وفي أنْيـابهـا شَنَبُ

وهذا معنى قول مجاهد.

الثاني: أن الغثاء ما احتمل السيل من النبات، والأحوى: المتغير، وهذا معنى قول السدي.

الثالث: أن في الكلام تقديماً وتأخيراً، ومعناه أحوى فصار غثاء، والأحوى: ألوان النبات الحي من أخضر وأحمر وأصفر وأبيض، ويعبر عن جميعه بالسواد كما سمي به سواد العراق، وقال امرؤ القيس:

وغيـثٍ دائـمِ الـتـهْـتـا ... نِ حـاوي الـنـبـتِ أدْهـم

والغثاء: الميت اليابس، قال قتادة: وهو مثل ضربه اللّه تعالى للكفار لذهاب الدنيا بعد نضارتها.

﴿سنُقْرئك فلا تَنسَى﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن معنى قوله: فلا تنسى، أي فلا تترك العمل إلا ما شاء اللّه أن يترخص لك فيه، فعلى هذا التأويل يكون هذا نهياً عن الشرك.

والوجه الثاني: أنه إخبار من اللّه تعالى أنه لا ينسى ما يقرئه من القرآن، حكى ابن عباس أن النبي ﷺ كان إذا نزل عليه جبريل بالوحي يقرؤه خيفة أن ينساه، فأنزل اللّه تعالى:

«سنقرئك فلا تنسى» يعني القرآن.

﴿إلا ما شاءَ اللّهُ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: إلا ما شاء اللّه أن ينسخه فتنساه، قاله الحسن وقتادة.

الثاني: إلا ما شاء اللّه أن يؤخر إنزاله عليك فلا تقرؤه، حكاه ابن عيسى.

﴿إنهُ يَعْلَمُ الجهْرَ وما يَخْفَى﴾ فيه أربعة تأويلات

أحدها: أن الجهر ما حفظته من القرآن في صدرك، وما يخفى هو ما نسخ من حفظك.

الثاني: أن الجهر ما علمه، وما يخفى ما سيتعلمه من بعد، قاله ابن عباس.

---

(٣٤١) ديوانه: . . . ونسبه القرطبي (٢٠/٧) للأعشى فأخطأ. واللسان (شنب).

الثالث: أن الجهر ما قد أظهره، وما يخفى ما تركه من الطاعات.

﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: نيسرك لأن تعمل خيراً، قاله ابن عباس.

الثاني: للجنة، قاله ابن مسعود.

الثالث: للدين اليسر وليس بالعسر، قاله الضحاك.

﴿فذكّرْ إن نَّفَعَتِ الذِّكْرَى﴾ وفيما يذكر به وجهان:

أحدهما: بالقرآن، قاله مجاهد.

الثاني: باللَّه رغبة ورهبة، قاله ابن شجرة.

وفي قوله: ﴿إنْ نَفَعَتِ الذّكْرى﴾ وجهان:

أحدهما: يعني إن قبلت الذكرى وهو معنى قول يحيى بن سلام.

الثاني: يعني ما نفعت الذكرى، فتكون «إنْ» بمعنى ما الشرط، لأن الذكرى نافعة بكل حال، قاله ابن شجرة.

﴿سَيَذَّكَرُ مَن يَخْشى﴾ يعني يخشى اللَّه، وقد يتذكر من يرجوه، إلا أن تذكرة الخاشي أبلغ من تذكرة الراجي فلذلك علقها بالخشية دون الرجاء، وإن تعلقت بالخشية والرجاء.

﴿ويَتَجَنَّبُها الأَشْقَى﴾ يعني يتجنب التذكرة الكافر الذي قد صار بكفره شقياً.

﴿الذي يَصْلَى النّارَ الكُبْرىَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: هي نار جهنم، والصغرى نار الدنيا، قاله يحيى بن سلام.

الثاني: الكبرى نار الكفار في الطبقة السفلى من جهنم، والصغرى نار المذنبين في الطبقة العليا من جهنم، وهو معنى قول الفراء.

﴿ثم لا يَموتُ فيها ولا يَحْيَا﴾ فيه وجهان:

أحدهما: لا يموت ولا يجد روح الحياة، ذكره ابن عيسى.

الثاني: أنه يعذب لا يستريح ولا ينتفع بالحياة، كما قال الشاعر[٣٤٢]:

ألا ما لنفسٍ لا تموتُ فَيَنْقَضِي ... عَناها ولا تحْيا حياةً لها طَعمُ

---

(٣٤٢) القرطبي (٢٠/٢١) فتح القدير (٥/٤٢٥).

قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾ بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٧﴾ إِنَّ هَٰذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾

﴿قد أفْلَحَ من تَزَكّى﴾ فيه أربعة تأويلات:

أحدها: من تطهّر من الشرك بالإيمان، قاله ابن عباس.

الثاني: من كان صالح عمله زكياً نامياً، قاله الحسن والربيع(٣٤٣).

لم يذكر الثالث راجع التعليق ص. ٤٤.

الرابع: أنه عنى زكاة الأموال كلها، قاله أبو الأحوص.

ويحتمل خامساً: أنه من ازداد خيراً و صلاحاً.

﴿وذكَرَ اسمَ ربِّه فصَلّى﴾ فيه ستة أوجه:

أحدها: أن يوحد اللّه، قاله ابن عباس.

الثاني: أن يدعوه ويرغب إليه.

الثالث: أن يستغفره ويتوب إليه.

الرابع: أن يذكره بقلبه عند صلاته فيخاف عقابه ويرجو ثوابه، ليكون استيفاؤه لها وخشوعه فيها بحسب خوفه ورجائه.

الخامس: أن يذكر اسم ربه بلسانه عند إحرامه بصلاته، لأنها لا تنعقد إلا بذكره.

السادس: أن يفتتح كل سورة ببسم اللّه الرحمن الرحيم.

وفي قوله «فصلّى» ثلاثة أقاويل:

أحدها: الصلوات الخمس، قاله ابن عباس.

الثاني: صلاة العيد، قاله أبو سعيد الخدري(٣٤٤).

الثالث: هو أن يتطوع بصلاة بعد زكاة، قاله أبو الأحوص.

وذكر الضحاك أنها نزلت في أبي بكر الصديق رضي اللّه عنه.

﴿بل تُؤْثِرون الحياةَ الدُّنْيا﴾ فيه وجهان:

(٣٤٣) لاحظ أنه لم يذكر القول الثالث ويحتمل أن يكون «من أعطى صدقة الفطر كما قاله أبو سعيد الخدري وعطاء وقتادة أو تكثر بتقوى الله قاله الزجاج راجع زاد المسير (٩/ ٩١).

(٣٤٤) قال الشوكاني في فتح القدير (٥/ ٤٢٥) «ولا يخفى بعد هذا القول فإن السورة مكية ولم تفرض زكاة الفطر وصلاة العيد إلا بالمدينة» وبنحوه قال القرطبي (٢٠/ ٢٢).

أحدهما: أن المراد بها الكفار، فيكون تأويلها: بل تؤثرون الحياة الدنيا على الآخِرة.

الثاني: أن المراد بها المسلمون، فيكون تأويلها: يؤثرون الاستكثار من الدنيا للاستكثار من الثواب.

﴿والآخِرةُ خَيْرٌ وأَبْقَى﴾ فيه وجهان:

أحدهما: خير للمؤمن من الدنيا، وأبقى للجزاء.

الثاني: ما قاله قتادة خير في الخير وأبقى في البقاء.

ويحتمل به وجهاً ثالثاً: يتحرر به الوجهان، والآخرة خير لأهل الطاعة وأبقى على أهل الجنة.

﴿إنّ هذا لَفِي الصُّحُفِ الأُولَى﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: يعني أن الآخرة خير وأبقى في الصحف الأولى، قاله قتادة.

الثاني: أن ما قصَّهُ اللّهُ في هذه السورة هو من الصحف الأولى.

الثالث: هي كتب اللّه كلها، وحكى وهب بن منبه في المبتدإ أن جميع الكتب التي أنزلها اللّه على أنبيائه مائة صحيفة وخمس صحف وأربعة كتب، منها خمسة وثلاثون صحيفة أنزلها على شيث بن آدم وخمسون صحيفة أنزلها على إدريس، وعشرون صحيفة أنزلها على إبراهيم، وأنزل التوراة عل موسى، والزبور على داود، والإنجيل على عيسى، والفرقان على محمد عليهم السلام.



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ (١) وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ (٢) عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ (٣) تَصْلَى نَارًا حَامِيَةً (٤) تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ (٥) لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ (٦) لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ (٧)﴾

قوله تعالى ﴿**هلْ أَتاكَ حديثُ الغاشِيةِ**﴾ فيها قولان:

أحدهما: أنها القيامة تغشى الناس بالأهوال، قاله ابن عباس والضحاك.

الثاني: أنها النار تغشى وجوه الكفار، قاله ابن جبير.

ويحتمل ثالثاً: أنها في هذا الموضع النفخة الثانية للبعث لأنها تغشى جميع الخلق.

و «**هل**» فيها وجهان:

أحدهما: أنها في موضع قد، وتقدير الكلام قد أتاك حديث الغاشية، قاله قطرب.

الثاني: أنها خرجت مخرج الاستفهام لرسوله، ومعناه ألم يكن قد أتاك حديث الغاشية، فقد أتاك، وهو معنى قول الكلبي.

﴿**وُجوهٌ يومئذٍ خاشِعَةٌ**﴾ في الوجوه ها هنا قولان:

أحدهما: عنى وجوه الكفار كلهم، قاله يحيى بن سلام.

الثاني: أنها وجوه اليهود والنصارى، قاله ابن عباس.

وفي قوله «**يومئذٍ**» وجهان:

أحدهما: يعني يوم القيامة، قاله سعيد بن جبير.

الثاني: في النار، قاله قتادة.

«**خاشعة**» فيه وجهان:

أحدهما: يعني ذليلة بمعاصيها، قاله قتادة.

الثاني: أنها تخشع بعد ذل من عذاب اللّه فلا تتنعم، قاله سعيد بن جبير.

ويحتمل وجهاً ثالثاً: أن تكون خاشعة لتظاهرها بطاعته بعد اعترافها بمعصيته.

﴿**عامِلةٌ نّاصِبَةٌ**﴾ في «**عاملة**» وجهان:

أحدهما: في الدنيا عاملة بالمعاصي، قاله عكرمة:

الثاني: أنها تكبرت في الدنيا عن طاعة اللّه تعالى، فأعملها في النار بالانتقال من عذاب إلى عذاب، قاله قتادة.

ويحتمل وجهاً ثالثاً: أي باذلة للعمل بطاعته إن ردّت.

وفي قوله «**ناصبة**» وجهان:

أحدهما: ناصبة في أفعال المعاصي(٣٤٥).

الثاني: ناصبة في النار، قاله قتادة.

ويحتمل وجهاً ثالثاً: أي ناصبة بين يديه تعالى مستجيرة بعفوه.

﴿**تَصْلَى ناراً حامِيةً**﴾ فإن قيل فما معنى صفتها بالحماء وهي لا تكون إلا حامية وهو أقل أحوالها، فما وجه المبالغة بهذه الصفة الناقصة؟ قيل قد اختلف في المراد بالحامية هاهنا على أربعة أوجه:

أحدها: أن المراد بذلك أنها دائمة الحمى وليست كنار الدنيا التي ينقطع حميها بانطفائها.

الثاني: أن المراد بالحامية أنها حمى يمنع من ارتكاب المحظورات وانتهاك

---

(٣٤٥) أي تعبة وقال ابن عباس: هم الذين أنصبوا أنفسهم في الدنيا على معصية الله عز وجل وعلى الكفر مثل عبدة الأوثان وكفار أهل الكتاب مثل الرهبان وغيرهم.

المحارم، كما قال النبي ﷺ[٣٤٦]: «وإن لكل ملك حمى، وإن حمى اللّٰه محارمه، ومن يرتع حول الحمى يوشك أن يقع فيه».

الثالث: معناه أنها تحمي نفسها عن أن تطاق ملامستها أو ترام مماستها كما يحمي الأسد عرينه، ومثله قول النابغة[٣٤٧]:

تعدو الذئاب على من لا كلاب له وتتقي صولة المستأسد الحامي.

الرابع: أنها حامية مما غيظ وغضب، مبالغة في شدة الانتقام، وقد بيّن اللّٰه ذلك بقوله ﴿**تكاد تميّز من الغيظ**﴾.

﴿**تُسْقَى مِن عَيْنٍ آنِيَةٍ**﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: قاله ابن زيد.

الثاني: حاضرة.

الثالث: قد بلغت إناها(*) وحان شربها، قاله مجاهد.

الرابع: يعني قد أنى حرها فانتهى واشتد، قاله ابن عباس.

﴿**ليس لَهُمْ طعامٌ إلاّ مِن ضَريعٍ**﴾ فيه ستة أقاويل:

أحدها: أنها شجرة تسميها قريش الشبرق، كثيرة الشوك، قاله ابن عباس، قال قتادة وإذا يبس في الصيف فهو ضريع، قال الشاعر[٣٤٨].

رعى الشبرق الريان حتى إذا ذوى وعاد ضريعاً نازعته النحائص

الثاني: السّلم(*)، قال أبو الجوزاء: كيف يسمن من يأكل الشوك.

الثالث: أنها الحجارة، قاله ابن جبير.

---

(٣٤٦) جزء من حديث «إن الحلال بين والحرام بيّن» من حديث النعمان بن بشير مرفوعاً رواه البخاري (١/١١٦، ١١٩) ومسلم (١٥٩٩).

وهذا الحديث من الأحاديث العظيمة التي تدور عليها مدار الشريعة وقد مدحه العلماء وشرحوه ومن أجمل من شرحه الحافظ ابن رجب في جامع العلوم والحكم فراجعه.

(٣٤٧) ديوانه: ٢٤٥ وفيه .... القرطبي (٢٠/٢٩).

(*)حرها: أي متناهية في الحرارة.

(٣٤٨) وهو أبو ذؤيب والبيت في القرطبي (٢٠/) وروح المعاني (٣٠/١١٣) فتح القدير (٥/٤٢٩) وفي روح المعاني صار بدلاً من عاد. وفي كل هذه المصادر بان عنه بدلاً من نارغته.

(*) وهو شجر له شوك ينمو في الصحراء.

الرابع: أنه النوى المحرق، حكاه يوسف بن يعقوب عن بعض الأعراب.

الخامس: أنه شجر من نار، قاله ابن زيد.

السادس: أن الضريع بمعنى المضروع، أي الذي يضرعون عنده طلباً للخلاص منه، قاله ابن بحر[٣٤٩].

وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ﴿٨﴾ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ﴿٩﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿١٠﴾ لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً ﴿١١﴾ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴿١٢﴾ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ﴿١٦﴾

﴿في جَنّةٍ عاليةٍ﴾ فيها وجهان:

أحدهما: أن الجنة أعلى من النار فسميت لذلك عالية، قاله الضحاك.

الثاني: أعالي الجنة وغرفها، لأنها منازل العلو والارتفاع.

فعلى هذا في ارتفاعهم فيها وجهان:

أحدهما: ليلتذوا بالعلو والارتفاع.

الثاني: ليشاهدوا ما أعد اللّه لهم فيها من نعيم.

﴿لا تسْمَعُ فيها لاغيةً﴾ قال الفراء والأخفش: أي لا تسمع فيها كلمة لغو وفي المراد بها سبعة أقاويل:

أحدها: يعني كذباً، قاله ابن عباس.

الثاني: الإثم، قاله قتادة.

الثالث: أنه الشتم، قاله مجاهد.

الرابع: الباطل، قاله يحيى بن سلام.

الخامس: المعصية، قاله الحسن.

السادس: الحلف فلا تسمع في الجنة حالف يمين برة ولا فاجرة، قاله الكلبي.

---

(٣٤٩) فائدة: قال العلامة ابن الجوزي في زاد المسير (٩٧/٩) فإن قيل إنه قد أخبر في هذه الآية ليس لهم طعام إلا من ضريع وفي مكان آخر «ولا طعام إلا من غسلين» الحاقة: ٣٦ فكيف الجمع بينهما فالجواب أن النار دركات وعلى قدر الذنوب تقع العقوبات فمنهم من طعامه الزقوم ومنهم من طعامه غسلين ومنهم من شرابه الحميم ومنهم من شرابه الصديد قاله ابن قتيبة.

السابع: لا يسمع في كلامهم كلمة تلغى، لأن أهل الجنة لا يتكلمون إلا بالحكمة وحمد اللّٰه على ما رزقهم، قاله الفراء.

﴿فيها سُرُرٌ مرفوعةٌ﴾ والسرر جمع سرير، وهو مشتق من السرور وفي وصفها بأنها مرفوعة ثلاثة أوجه:

أحدها: لأن بعضها مرفوع فوق بعض.

الثاني: مرفوعة في أنفسهم لجلالتها وحبهم لها، قاله الفراء.

الثالث: أنها مرفوعة المكان لارتفاعها وعلوها.

فعلى هذا في وصفها بالعلو والارتفاع وجهان:

أحدهما: ليلتذ أهلها بارتفاعها، قاله ابن شجرة.

الثاني: ليشاهدوا بارتفاعهم عليها ما أُعطوه من مُلك وأُوتوه من نعيم، قاله ابن عيسى.

فأما قوله ﴿وأكوابٌ موضوعةٌ﴾ فالأكواب: الأواني، وقد مضى القول في تفسيرها.

وفي قوله «موضوعة» وجهان:

أحدهما: في أيديهم للاستمتاع بالنظر إليها لأنها من ذهب وفضة.

الثاني: يعني أنها مستعملة على الدوام، لاستدامة شربهم منها، قاله المفضل.

﴿ونمارقُ مَصْفوفَةٌ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: الوسائد، واحدها نمرقة، قاله قتادة.

الثاني: المرافق، قاله ابن أبي طلحة، قال الشاعر:

وريم أحمّ المقلتين محبّب   زرابيُّه مبثوثةٌ ونمارِقُه.

﴿وزرابيُّ مبْثوثةٌ﴾ فيها وجهان:

أحدهما: هي البسط الفاخرة، قاله ابن عيسى.

الثاني: هي الطنافس المخملة، قاله الكلبي والفراء.

وفي «المبثوثة» أربعة أوجه:

أحدها: مبسوطة، قاله قتادة.

الثاني: بعضها فوق بعض، قاله عكرمة.

الثالث: الكثيرة، قاله الفراء.

الرابع: المتفرقة، قاله ابن قتيبة.

﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾﴾

﴿**أفلا يَنظُرونَ إلى الإبلِ كيف خُلِقت**﴾ الآيات، وفي ذكره لهذه ثلاثة أوجه:

أحدها: ليستدلوا بما فيها من العبر على قدرة اللَّه تعالى ووحدانيته.

الثاني: ليعلموا بقدرته على هذه الأمور أنه قادر على بعثهم يوم القيامة، قاله يحيى بن سلام.

الثالث: أن اللَّه تعالى لما نعت لهم ما في الجنة عجب منه أهل الضلالة، فذكر لهم ذلك مع ما فيه من العجاب ليزول تعجبهم، قاله قتادة.

وفي «**الإبل**» هاهنا وجهان:

أحدهما: وهو أظهرهما وأشهرهما: أنها الإبل من النَعَم.

الثاني: أنها السحاب، فإن كان المراد بها السحاب فلما فيها من الآيات الدالة على قدرة اللَّه والمنافع العامة لجميع خلقه[٣٥٠].

وإن كان المراد بها من النَعَم فإن الإبل أجمع للمنافع من سائر الحيوانات، لأن ضروبه أربعة:

حلوبة، وركوبة، وأكولة، وحمولة والإبل تجمع هذه الخلال الأربع، فكانت النعمة بها أعم، وظهور القدرة فيها أتم.

ثم قال تعالى بعد ذلك: ﴿**فَذَكِّرْ إنّما أنت مُذكِّر**﴾ فيه وجهان:

أحدهما: إنما أنت واعظ.

الثاني: ذكّرهم النعم ليخافوا النقم.

(٣٥٠) وهو قول أبي العباس المبرد كما في روح المعاني (٣٠/١١٦).

﴿لَسْتَ عليهم بِمُسَيْطِرٍ﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: لست عليهم بمسلط، قاله الضحاك.

الثاني: بجبار، قاله ابن عباس.

الثالث: برب، قاله الحسن، ومعنى الكلام لست عليهم بمسيطر أن تكرههم على الإيمان.

ثم قال: **﴿إلاّ مَن تَولّى وكَفَر﴾** فلست له بمذكر، لأنه لا يقبل تذكيرك، قاله السدي.

الثاني: إلا من تولى وكفر فكِلْه إلى اللَّهُ تعالى، وهذا قبل القتال، ثم أمر بقتالهم، قاله الحسن.

وفي «**تولَّى وكفر**» وجهان:

أحدهما: تولى عن الحق وكفر بالنعمة.

الثاني: تولى عن الرسول وكفر باللَّهُ تعالى، قاله الضحاك.

﴿فيُعذِّبُه اللَّه العذابَ الأكْبَر﴾ يعني جهنم.

ويحتمل أن يريد الخلود فيها، لأنه يصير بالاستدامة أكبر من المنقطع.

﴿إنّ إليْنا إيابَهُمْ﴾ أي مرجعهم.

﴿ثم إنّ علينا حِسابَهم﴾ يعني جزاءهم على أعمالهم، فيكون ذلك جامعاً بين الوعد والوعيد ثواباً على الطاعات وعقاباً على المعاصي.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالْفَجْرِ ﴿١﴾ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴿٢﴾ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ﴿٣﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ﴿٤﴾ هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ ﴿٥﴾ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴿٧﴾ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ﴿٨﴾ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ﴿٩﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾

قوله تعالى ﴿والفَجْر﴾ قسم أقسم اللّهُ تعالى به، وهو انفجار الصبح من أفق المشرق، وهما فجران[٣٥١]: فالأول منهما مستطيل كذنب السرحان يبدو كعمود نور لا عرض له، ثم يغيب لظلام يتخلله، ويسمى هذا الفجر المبشر للصبح، وبعضهم يسميه الكاذب لأنه كذب بالصبح.

وهو من جملة الليل لا تأثير له في صلاة ولا صوم.

وأما الثاني فهومستطيل النورمنتشر في الأفق ويسمى الفجر الصادق لأنه صدقك عن الصبح، قال الشاعر:

(٣٥١) وذلك لأن النبي ﷺ يقول فيمارواه ابن خزيمة (٣/٢١٠) وهو صحيح من حديث ابن عباس مرفوعاً، الفجر فجران فأما الأول فإنه لا يحرم الطعام ولا يحل الصلاة وأما الثاني فإنه يحرم الطعام ويحل الصلاة.

شعب الكـلاب الضـاريـات فـزاده نـاراً بـذي الصبـح المصـدق يخفق

وبه يتعلق حكم الصلاة والصوم، وقد ذكرنا ذلك من قبل.

وفي قسم اللّه بالفجر أربعة أقاويل:

أحدها: أنه عنى به النهار وعبر عنه بالفجر لأنه أوله، قاله ابن عباس.

الثاني: أن الفجر الصبح الذي يبدأ به النهار من كل يوم، قاله علّي رضي اللّه عنه.

الثالث: أنه عنى به صلاة الصبح، وهو مروي عن ابن عباس أيضاً.

الرابع: أنه أراد به فجر يوم النحر خاصة، قاله مجاهد.

وفي ﴿وليالٍ عشْرٍ﴾ ـ وهي قسم ثان ـ أربعة أقاويل:

أحدها: هي عشر ذي الحجة، قاله ابن عباس، وقد روى أبو الزبير عن جابر أن رسول اللّه ﷺ قال[٣٥٢]: «والفجر وليال عشر»، قال: عشر الأضحى.

الثاني: هي عشر من أول المحرم، حكاه الطبري[٣٥٣].

الثالث: هي العشر الأواخر من شهر، رمضان، وهذا مروي عن ابن عباس.

الرابع: هي عشر موسى عليه السلام التي أتمها اللّه سبحانه له، قاله مجاهد.

﴿والشّفْعِ والوَتْرِ﴾ وهذا قسم ثالث، وفيهما تسعة أقاويل:

أحـدها: أنهـا الصلاة، فيهـا شفع وفيهـا وتر، رواه عمـران بن حصيـن عن النبي ﷺ[٣٥٤].

---

(٣٥٢) رواه الطبري (٣٠/١٦٩) وقال الحافظ ابن كثير (٤/٥٠٥) ورواه النسائي عن محمد بن رافع وعبدة بن عبد الله وكل منهما عن زيد بن الحباب به ورواه ابن جرير وابن أبي حاتم من حديث زيد بن الحباب به وهذا إسناد رجاله لا بأس بهم وعندي أن المسند في رفعه نكارة والله أعلم أ هـ وزاد السيوطي نسبته في الدر (٨/٥٠٠) لأحمد والبزار وابن المنذر وابن مردويه والحاكم وصححه والبيهقي في الشعب.

وقال الهيثمي في المجمع (٧/١٣٧) رواه البزار وأحمد ورجالهما رجال الصحيح غير عياش بن عقبة وهو ثقة أ هـ وهذا القول اختاره الطبري.

(٣٥٣) جامع البيان (٣٠/١٦٩) وحكاه عن ابن عباس ولكن الإسناد إليه مسلسل بالضعفاء.

(٣٥٤) رواه الطبري (٣٠/١٧٢) وأحمد (٤/٤٤٢) والترمذي (٢/١٧٠) والحاكم (٢/٥٢٢) وصححه ووافقه الذهبي وفيه نظر فإن الراوي عن عمران شيخ من أهل البصرة مجهول ولم يوثقه إلا ابن حبان.

وزاد السيوطي نسبته في الدر (٨/٥٠٢) لعبد بن حميد وابن أبي حاتم وابن مردويه وقال الحافظ ابن كثير

الثاني: هي صلاة المغرب، الشفع منها ركعتان، والوتر الثالثة، قاله الربيع بن أنس وأبو العالية.

الثالث: أن الشفع يوم النحر، والوتر يوم عرفة، رواه أبو الزبير عن جابر عن النبي ﷺ[٣٥٥].

الرابع: أن الشفع يوما منى الحادي عشر والثاني عشر من ذي الحجة، والوتر الثالث بعدهما، قاله ابن الزبير.

الخامس: أن الشفع عشر ذي الحجة، والوتر أيام منى الثلاثة، قاله الضحاك.

السادس: أن الشفع الخلق من كل شيء، والوتر هو آدم وحواء، لأن آدم كان فرداً فشفع بزوجته حواء فصار شفعاً بعد وتر، رواه ابن نجيح.

التاسع: أنه العدد لأن جميعه شفع ووتر، قاله الحسن.

ويحتمل عاشراً: أن الشفع الحيوان، لأنه ذكر وأنثى، والوتر الجماد.

ويحتمل حادي عشر: أن الشفع ما يَنْمى، والوتر مالا يَنْمى[٣٥٦].

﴿والليْلِ إذا يَسْرِ﴾ وهذا قسم رابع، وفيه ثلاثة أوجه:

أحدها: هي ليلة القدر لسراية الرحمة فيها واختصاصها بزيادة الثواب فيها.

الثاني: هي ليلة المزدلفة خاصة لاختصاصها باجتماع الناس فيها لطاعة اللّه، وسئل محمد بن كعب عن قوله تعالى﴿والليل إذا يَسْرِ﴾فقال اسْرِ يا ساري، ولا تبيتنّ إلا بجمع، يعني بمزدلفة.

الثالث: أنه أراد عموم الليل كله.

وفي قوله ﴿إذا يسرِ﴾ ثلاثة أوجه:

أحدها: إذا أظلم، قاله ابن عباس.

(٥٠٦/٤) «وعندي أن وقفه على عمــران أشبه» قلت: ومما يؤيد قول ابن كثير أن الإمام ابن جرير رواه موقوفاً عليه (١٧١/٣٠) وزاد السيوطي في الدر (٥٠٢/٨) نسبة الموقوف لعبد الرزاق وعبد بن حميد.

(٣٥٥) رواه ابن جرير (١٧٢/٣٠).

(*) لاحظ أنه لم يذكر القول الثامن.

(٣٥٦) قال الإمام الشوكاني في فتح القدير (٤٣٣/٥) بعد سرد الأقوال: «ولا يخفاك ما في غالب هذه الأقوال من السقوط البين والضعف الظاهر والاتكال في التعيين على مجرد الرأي الزائف والخاطر الخاطىء والذي ينبغي التعويل عليه ويتعين المصير إليه ما يدل عليه معنى الشفع والوتر في كلام العرب وهما معروفان» أ هـ.

الثاني: إذا سار، لأن الليل يسيربمسير الشمس والفلك فينتقل من أفق إلى أفق، ومنه قولهم جاء الليل وذهب النهار.

الثالث: إذا سار فيه أهله، لأن السرى سير الليل.

﴿هل في ذلك قَسَمٌ لذي حِجْرٍ﴾ وفي ذي الحجر لأهل التأويل خمسة أقاويل:

أحدها: لذي عقل، قاله ابن عباس.

الثاني: لذي حلم، قاله الحسن.

الثالث: لذين دين، قاله محمد بن كعب.

الرابع: لذي ستر، قاله أبو مالك.

الخامس: لذي علم، قاله أبو رجاء.

والحجر: المنع، ومنه اشتق اسم الحجر لامتناعه بصلابته، ولذلك سميت الحجرة لامتناع ما فيها بها، ومنه سمي حجر المَوَلَّى عليه لما فيه من منعه عن التصرف، فجاز أن يحمل معناه على كل واحد من هذه التأويلات لما يضمنه من المنع.

وقال مقاتل: «هل» هاهنا في موضع إنّ، وتقدير الكلام: إن في ذلك قسماً لذِي حِجْر.

﴿ألم تَرَ كيف فَعَل ربُّك بعادٍ * إرَمَ﴾ فيه سبعة أقاويل:

أحدها: أن إرم هي الأرض، قاله قتادة.

الثاني: دمشق[٣٥٧]، قاله عكرمة.

الثالث: الإسكندرية، قاله محمد بن كعب.

الرابع: أن إرم أُمة من الأمم، قاله مجاهد، قال الشاعر:

كما سخرت به إرم فأضحوا ... مثل أحلام النيام[٣٥٨]

الخامس: أنه اسم قبيلة من عاد، قاله قتادة.

---

(٣٥٧) قال الحافظ ابن كثير (٤/٥٠٧، ٥٠٨) ومن زعم أن المراد بقوله إرم ذات العماد مدينة دمشق كما روي عن سعيد بن المسيب وعكرمة أو اسكندرية كما روي عن القرطبي أو غيرهما ففيه نظر . . . إلى أن قال وإنما نبهت على ذلك لئلا يغتر بكثير مما ذكره جماعة من المفسرين عند هذه الآية. . . الخ.

فراجعه فإن كلامه رصين.

(٣٥٨) قال محقق المطبوعة هكذا ورد في الأصل وهو غير موزون.

السادس: أن إرم اسم جد عاد، قاله محمد بن إسحاق، وحكى عنه أنه أبوه، وأنه عاد بن إرم بن عوض بن سام بن نوح.

السابع: أن معنى إرم القديمة، رواه ابن أبي نجيح.

الثامن: أنه الهلاك، يقال: أرم بنو فلان، أي هلكوا، قاله الضحاك.

التاسع: أن اللَّه تعالى رمّهم رمّاً فجعلهم رميماً، فلذلك سماهم، قاله السدي.

﴿ذاتِ العمادِ﴾ فيه أربعة أقاويل:

أحدها: ذات الطُّول، قال ابن عباس مأخوذ من قولهم رجل معمّد، إذا كان طويلاً، وزعم قتادة. أنه كان طول الرجل منهم اثني عشر ذراعاً.

الثاني: ذات العماد لأنهم كانوا أهل خيام وأعمدة، ينتجعون الغيوث[٣٥٩]، قاله مجاهد.

الثالث: ذات القوة والشدة، مأخوذ من قوة الأعمدة، قاله الضحاك، وحكى ثور بن يزيد أنه قال[٣٦٠]: أنا شداد بن عاد، وأنا الذي رفعت العماد، وأنا الذي شددت بذراعي بطن السواد[٣٦١]، وأنا الذي كنزت كنزاً على سبعة أذرع لا تخرجه إلا أمة محمد.

الرابع: ذات العماد المحكم بالعماد، قاله ابن زيد.

﴿التي لم يُخْلَقْ مِثْلُها في البلادِ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: لم يخلق مثل مدينتهم ذات العماد في البلاد، قاله عكرمة.

الثاني: لم يخلق مثل قوم عاد في البلاد، لطولهم وشدتهم، قاله الحسن.

﴿وثمودَ الذين جابُوا الصّخْرَ بالوادِ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: يعني قطعوا الصخر ونقبوه ونحتوه حتى جعلوه بيوتاً، كما قال تعالى:

---

(٣٥٩) يعني أنهم كانوا ينتقلون حيث يكون المطر يطلبون الكلأ حيث كان فلا يقيمون في موضع.

(٣٦٠) وهذا الاثر رواه ابن أبي حاتم كما في الفتح (٥٧٢/٨) من طريق وهب بن منبه عن عبد الله بن قلابة وفيه ألفاظ منكرة وعبد الله بن قلابة لا يعرف وفيها أيضاً عبد الله بن لهيعة وهو ضعيف إلا في روايته عن العبادلة. راجع أيضاً تفسير ابن كثير (٥٠٨/٤) فتح القدير (٤٣٥/٥).

(٣٦١) هكذا وقع في المطبوعة وهو خطأ والصواب الواد والتصويب من الفتح لابن حجر (٥٧٢/٨) والقرطبي (٤٧/٢٠).

﴿وتنحتون من الجبال بيوتاً فارهين﴾ قال الشاعر[٣٦٢]:

ألا كـلُّ شيءٍ مـا خـلا اللَّه بـاطِـلُ وكـلُّ نـعـيـمٍ لا مَـحـالـةَ زائـلُ

وقال آخر[٣٦٣]:

وهم ضـربـوا في كـل صمـاءَ صعـدة بـأيـدٍ شـديـد من شـداد السـواعـد.

الثاني: معناه طافوا لأخذ الصخر بالوادي، كما قال الشاعر[٣٦٤]:

ولا رأَيْـت قـاوصـاً قـبْـلهـا حَـمَـلَتْ ستيـن وسقـاً ولا جـابَـتْ بـه بَلَدا.

وأما «الواد» فقد زعم محمد بن إسحاق أنه وادي القرى، وروى أبو الأشهب عن أبي نضرة قال[٣٦٥]: أتى رسول اللَّهُ ﷺ في غزاة تبوك على وادي ثمود، وهو على فرس أشقر، فقال: أسرعوا السير فإنكم في وادي ملعون.

﴿وفرعونَ ذِي الأَوْتادِ﴾ فيه أربعة أقاويل:

أحدها: أن الأوتاد الجنود، فلذلك سمي بذي الأوتاد لكثرة جنوده، قاله ابن عباس.

الثاني: لأنه كان يعذب الناس بالأوتاد يشدها في أيديهم، قاله الحسن، ومجاهد، قال الكلبي: بمثل ذلك عذب فرعون زوجته آسية بنت مزاحم عندما آمنت حتى ماتت.

الثالث: أن الأوتاد البنيان فسمي بذي الأوتاد لكثرة بنائه، قاله الضحاك.

الرابع: لأنه كانت له فطال وملاعب على أوتاد وحبال يلعب له تحتها، قاله قتادة.

ويحتمل خامساً: أنه ذو الأوتاد لكثرة نخله وشجره، لأنها كالأوتاد في الأرض.

﴿فَصَبَّ عليهم ربُّك سَوْطَ عذابٍ﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: قسط عذاب كالعذاب بالسوط، قاله ابن عيسى.

---

(٣٦٢) هو لبيد بن ربيعة وقد تقدم هذا البيت.

(٣٦٣) الطبري (٣٠/١٧٩).

(٣٦٤) هو الزبير حينما نزل الكوفة راجع القرطبي (٢٠/٤٨).

(٣٦٥) وثبت من حديث ابن عمر في البخاري (٨/٨٨) ومسلم (٢٩٨٠) أن رسول الله ﷺ قال: «لا تدخلوا على هؤلاء القوم المعذبين إلا أن تكونوا باكين فإن لم تكونوا باكين فلا تدخلوا عليهم لا يصيبكم مثل ما أصابهم».

الثاني: خلط عذاب، لأنه أنواع ومنه قول الشاعر[٣٦٦]:

أحارثُ إنّا لو تُساطُ دماؤنا ... تَزَيَّلْنَ حتى لا يَمسَّ دَمٌ دَمَا

الثالث: أنه وجع من العذاب، قاله السدي.

الرابع: أنه كل شيء عذب اللّٰه به فهو سوط عذاب، قاله قتادة.

وقال قتادة: كان سوط عذاب هو الغرق.

﴿إنّ ربك لبالمرصاد﴾ فيه وجهان:

أحدهما: بالطريق.

الثاني: بالانتظار، كما قال طرفة:

أعاذلُ إنّ الجهْلَ من لَذةِ الفتى ... وإنّ المنايا للرجال بمرصَد.

فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّا ۖ بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿١٨﴾ وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ﴿١٩﴾ وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾

﴿وتأكُلون التُراث أكْلاً لمّاً﴾ والتراث: الميراث، وفي قوله «لمّاً» أربعة تأويلات:

أحدها: يعني شديداً، قاله السدي.

الثاني: يعني جمعاً، من قولهم لممت الطعام لَمّاً، إذا أكلته جمعاً، قاله الحسن.

الثالث: معناه سفه سفاً، قاله مجاهد.

الرابع: هو أنه إذا أكل مال نفسه ألمّ بمال غيره فأكله، ولا يتفكر فيما أكل من خبيث وطيب، قاله ابن زيد.

ويحتمل خامساً: أنه ألمّ بما حرم عليه ومنع منه.

---

(٣٦٦) هو الملتمس اللسان مادة «سيط» وفي رواية البيت نشاط دماؤنا فتح القدير (٥/٤٣٦) روح المعاني (١٢٥/٣٠).

﴿وتُحِبُّونَ المالَ حُبّاً جَمّاً﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : يعني كثيراً، قاله ابن عباس، والجمّ الكثير، قال الشاعر[٣٦٧] :

إنْ تَغْفِر اللهم تغْفِرْ جَمّا وأيُّ عبدٍ لك لا أَلَمّا

الثاني : فاحشاً تجمعون حلاله إلى حرامه، قاله الحسن.

ويحتمل ثالثاً : أنه يحب المال حب إجمام له واستبقاء فلا ينتفع به في دين ولا دنيا وهو أسوأ أحوال ذي المال.

كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ ۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى ﴿٢٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٥﴾ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٦﴾ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾

﴿يومئذٍ يَتذكّرُ الإنسانُ وأنّى له الذِّكْرَى﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : يتوب وكيف له بالتوبة، لأن التوبة بالقيامة لا تنفع، قاله الضحاك.

الثاني : يتذكر ما عمل في دنياه وما قدم لآخرته، وأنى له الذكرى في الآخرة، وإنما ينتفع في الدنيا، قاله ابن شجرة.

﴿يقولُ يا ليتني قَدَّمْتُ لحياتي﴾ فيه وجهان :

أحدهما : قدمت من دنياي لحياتي في الآخرة، قاله الضحاك.

الثاني : قدمت من حياتي لمعادي في الآخرة ذكره ابن عباس.

﴿فيومئذٍ لا يُعذِّب عذابَه أَحَدٌ * ولا يُوثِقُ وثاقَه أَحَدٌ﴾ قرأ الكسائي[٣٦٨] لا يعذَّب ولا يوثق بفتح الذال والثاء وتأويلها على قراءته لا يعذَّب عذاب الكافر الذي يقول «يا ليتني قدمت لحياتي» أحدٌ، وقرأ الباقون بكسر الذال والثاء وتأويلها أنه لا يعذِّب عذابَ اللَّه أحدٌ غَفَر اللَّه له، قاله ابن عباس والحسن، فيكون تأويله على

---

(٣٦٧) تقدم تخريج هذا البيت في سورة النجم.

(٣٦٨) زاد المسير (٩/١٢٢) السبعة لابن مجاهد (ص ٦٨٥) الحجة في القراءات ٧٦٣.

القراءة الأولى محمولاً على الآخرة، وعلى القراءة الثانية محمولاً على الدنيا.

﴿يا أيّتُها النّفْسُ المطْمئِنّةُ﴾ فيه سبعة تأويلات:

أحدها: يعني المؤمنة، قاله ابن عباس.

الثاني: المجيبة، قاله مجاهد.

الثالث: المؤمنة بما وعد اللّه، قاله قتادة.

الرابع: الآمنة، وهو في حرف أُبيّ بن كعب يا أيتها النفس الآمنة المطمئنة.

الخامس: الراضية، قاله مقاتل.

السادس: ما قاله بعض أصحاب الخواطر: المطمئنة إلى الدنيا، ارجعي إلى ربك في تركها.

السابع: ما قاله الحسن أن اللّه تعالى إذا أراد أن يقبض روح عبده المؤمن اطمأنت النفس إلى اللّه عز وجل، واطمأن اللّه إليها.

﴿ارْجِعي إلى ربِّكِ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: إلى جسدك عند البعث في القيامة، قاله ابن عباس.

الثاني: إلى ربك عند الموت في الدنيا، قاله أبو صالح.

ويحتمل تأويلاً ثالثاً: إلى ثواب ربك في الآخرة.

﴿راضيةً مَرْضِيّةً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: رضيت عن اللّه ورضي عنها، قاله الحسن.

الثاني: رضيت بثواب اللّه ورضي بعملها، قاله ابن عباس.

﴿فادْخُلي في عِبادي﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: في عبدي، وهو في حرف أُبيّ بن كعب: فادخلي في عبدي.

الثاني: في طاعتي، قاله الضحاك.

الثالث: معناه فادخلي مع عبادي، قاله السدي.

﴿وادْخُلي جَنّتي﴾ فيه قولان:

أحدهما: في رحمتي، قاله الضحاك.

الثاني: الجنة التي(٣٦٩) هي دار الخلود ومسكن الأبرار، وهو قول الجمهور.

(٣٦٩) ولا يختلف هذا القول عن قول الضحاك فإن الجنة من رحمة الله تعالى لعباده وفي الحديث القدسي

وقال أسامة بن زيد: بشرت النفس المطمئنة بالجنة عند الموت، وعند البعث وفي الجنة.

واختلف فيمن نزلت فيه هذه الآية على أربعة أقاويل:

أحدها: أنها نزلت في أبي بكر[٣٧٠]، فروى ابن عباس أنها نزلت وأبو بكر جالس فقال: يا رسول اللّه ما أحسن هذا، فقال ﷺ: «أما أنه سيقال لك هذا».

الثاني: أنها نزلت في عثمان حين وقف بئر رومة[٣٧١]، قاله الضحاك.

الثالث: أنها نزلت في حمزة، قاله بريدة الأسلمي.

الرابع: أنها عامة في كل المؤمنين، رواه عكرمة والفراء.

الصحيح «اختصمت الجنة والنار. . . الحديث وفيه فقال الله تعالى للجنة: أنت رحمتي أرحم بك من أشاء. . . الحديث.

(٣٧٠) ورد هذا من مرسل ابن جبير رواه ابن جرير (١٩١/٣٠) وقال ابن كثير (٥١٢/٤) هو مرسل حسن.

(٣٧١) والطريق إلى الضحاك ضعيفة لأن فيها جويبر وهو متروك. وقد روى هذا الأثر ابن أبي حاتم كما في الدر (٥١٣/٨).



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ﴿١﴾ وَأَنتَ حِلٌّۢ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ﴿٢﴾ وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ﴿٣﴾ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ﴿٤﴾ أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ﴿٥﴾ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا ﴿٦﴾ أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٧﴾ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾﴾

قوله تعالى ﴿**لا أُقْسِمُ بهذا البَلَدِ**﴾ ومعناه على أصح الوجوه:

أُقْسِم بهذا البلد، وفي «**البلد**» قولان:

أحدهما: مكة، قاله ابن عباس.

الثاني: الحرم كله، قاله مجاهد.

﴿**وأنتَ حلٌّ بهذا البَلَدِ**﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: حل لك ما صنعته في هذا البلد من قتال أو غيره، قاله ابن عباس ومجاهد.

الثاني: أنت مُحِل في هذا البلد غير مُحْرِم في دخولك عام الفتح، قاله الحسن وعطاء.

الثالث: أن يستحل المشركون فيه حرمتك وحرمة من اتبعك توبيخاً للمشركين.

ويحتمل رابعاً: وأنت حالٌّ أي نازل في هذا البلد، لأنها نزلت عليه وهو بمكة

لم يفرض عليه الإحرام ولم يؤذن له في القتال، وكانت حرمة مكة فيها أعظم، والقسم بها أفخم.

﴿ووالدٍ وما وَلَدَ﴾ فيه أربعة أوجه.

أحدها: آدم وما ولد(٣٧٢)، قاله مجاهد وقتادة والحسن والضحاك.

الثاني: أن الوالد إبراهيم وما ولد، قاله أبو عمران الجوني.

الثالث: أن الوالد هو الذي يلد، وما ولد هو العاقر الذي لا يلد، قاله ابن عباس.

الرابع: أن الوالد العاقر(٣٧٣)، وما ولد التي تلد، قاله عكرمة.

ويحتمل خامساً: أن الوالد النبي ﷺ، لتقدم ذكره، وما ولد أُمّته، لقوله عليه السلام(١٤٥) إنما أنا لكم مثل الوالد أُعلّمكم، فأقسم به وبأمّته بعد أن أقسم ببلده مبالغة في تشريفه.

﴿لقد خَلقنا الإنسانَ في كَبَدٍ﴾ إلى هاهنا انتهى القسم وهذا جوابه وفي قوله «في كَبَد» سبعة أقاويل:

أحدها: في انتصاب في بطن أُمّه وبعد ولادته(٣٧٤)، خص الإنسان بذلك تشريفاً، ولم يخلق غيره من الحيوان منتصباً، قاله ابن عباس وعكرمة.

---

(٣٧٢) واختار الطبري القول بالعموم (٣٠/١٦٩).

(٣٧٣) وهذا القول بعيد جداً فإن هناك تضاد بين العاقر والوالد فكيف يفسر الوالد بالعاقر.

(*) جزء من حديث رواه ابو داود (رقم ٨) والنسائي (١/٣) وابن ماجه (٣١٣) من حديث أبي هريرة مرفوعاً.

(٣٧٤) قال القرطبي (٢٠/٦٢، ٦٣) قال علماؤنا أول ما يكابد قطع سرته ثم إذا أقمط قماطاً وشدّ رباطاً يكابد الضيق والتعب ثم يكابد الارتضاع ولو فاته لضاع ثم يكابد نبت أسنانه وتحرك لسانه ثم يكابد الفطام الذي هو أشد من اللطام ثم يكابد الختان والأوجاع والأحزان ثم يكابد المعلّم وصولته والموت وسياسته والأستاذ وهيبته ثم يكابد شغل التزويج والتعجيل فيه ثم يكابد شغل الأولاد والخدمة والأجناد ثم يكابد شغل الدور وبناء القصور ثم الكبر والهرم وضعف الركبة والقدم في مصائب يكثر تعدادها ونوائب يطول إيرادها من صداع الرأس ووجع الأضراس ورمد العين وغم الدين، ووجع السن وألم الأذن ويكابد مختنا في المال والنفس مثل الضرب والحبس ولا يمضي عليه يوم إلا ويقاسي فيه شدة ولا يكابد إلا مشقة ثم الموت بعد ذلك كله ثم مساءلة الملك وضغطة القبر وظلمته ثم البعث والعرض على الله إلى أن يستقرّ به القرار إما في الجنة وإما في النار قال الله تعالى «لقد خلقنا الإنسان في كبد» فلو كان الأمر إليه لما اختار هذه الشدائد ودل هذا على أن له خالقاً دبره وقضى عليه بهذه الأحوال فليمتثل أمره.

الثاني: في اعتدال، لما بيّنه بعد من قوله ﴿ألم نَجْعَلْ له عَيْنَين﴾ الآيات، حكاه ابن شجرة.

الثالث: يعني من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة، يتكبد في الخلق مأخوذ من تكبد الدم وهو غلظه، ومنه أخذ أسم الكبد لأنه دم قد غلظ، وهو معنى قول مجاهد.

الرابع: في شدة لأنها حملته كرهاً ووضعته كرهاً، مأخوذ من المكابدة، ومنه قول لبيد(٣٧٥):

يا عين هلاّ بكيْتِ أرْبَدَ إذ قُمْنا وقامَ الخصومُ في كَبَدِ.

رواه ابن أبي نجيح.

الخامس: لأنه يكابد مصائب الدنيا وشدائد الآخرة، قاله الحسن.

السادس: لأنه خلق آدم في كبد السماء، قاله ابن زيد.

السابع: لأنه يكابد الشكر على السّراء والصبر على الضرّاء، لأنه لا يخلو من أحدهما، رواه ابن عمر.

ويحتمل ثامناً: يريد به أنه ذو نفور وحميّة، مأخوذ من قولهم لفلان كبَد، إذا كان شديد النفور والحمية.

وفيمن أريد بالإنسان هاهنا قولان:

أحدهما: جميع الناس.

الثاني: الكافر يكابد شبهات.

﴿أيَحْسَب أنْ لَنْ يَقْدِر عليه أحَدٌ﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: أيحسب الإنسان أن لن يقدر عليه اللَّه أن يبعثه بعد الموت، قاله السدي.

الثاني: أيحسب الإنسان أن لن يسأل عن هذا المال من أين اكتسبه وأين أنفقه، اله قتادة.

الثالث: أيحسب أن لن يقدر عليه أحد بأخذ ماله، قاله الحسن.

ويحتمل رابعاً: أيحسب أن لن يذله أحد، لأن القدرة عليه ذل له.

﴿يقولُ أهْلَكْتُ مالاً لُبداً﴾ فيه وجهان:

(٣٧٥) اللسان كبد، الطبري (١٩٨/٣٠) روح المعاني (١٣٥/٣٠).

أحدهما: يعني كثيراً.

الثاني: مجتمعاً بعضه على بعض، ومنه سمي اللِّبْد لاجتماعه وتلبيد بعضه على بعض.

ويحتمل ثالثاً: يعني مالاً قديماً، لاشتقاقه من الأبد، أو للمبالغة في قدمه من عهد لَبِد[٣٧٦]، لأن العرب تضرب المثل في القدم بلبد، وذكر قدمه لطول بقائه وشدة ضَنِّه به.

وقيل إن هذا القائل أبو الأشد الجمحي، أنفق مالا كثيراً في عداوة رسول الله ﷺ والصد عن سبيل الله، وقيل بل هو النضر بن الحارث.

وهذا القول يحتمل وجهين:

أحدهما: أن يكون استطالة بما أنفق فيكون طغياناً منه.

الثاني: أن يكون أسفاً عليه، فيكون ندماً منه.

﴿أيحْسَبُ أن لم يَرَهُ أَحَدٌ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن لم يره الله، قاله مجاهد.

الثاني: أن لم يره أحد من الناس فيما أنفقه، قاله ابن شجرة.

ويحتمل وجهاً ثالثاً: أيحسب أن لم يظهر ما فعله أن لا يؤاخذ به، على وجه التهديد، كما يقول الإنسان لمن ينكر عليه فعله، قد رأيت ما صنعت، تهديداً له، فيكون الكلام على هذا الوجه وعيداً، وعلى ما تقدم تكذيباً.

﴿وهَدَيْناه النَّجْدَيْنِ﴾ فيهما أربعة تأويلات:

أحدها: سبيل الخير والشر[٣٧٧]، قاله علي رضي الله عنه والحسن.

الثاني: سبيل الهدى والضلالة، قاله ابن عباس.

الثالث: سبيل الشقاء والسعادة، قاله مجاهد.

الرابع: الثديين ليتغذى بهما[٣٧٨]، قاله قتادة والربيع بن خثيم.

---

(٣٧٦) هو اسم نسر معروف عند العرب عمّر طويلاً.

(٣٧٧) رواه الطبراني بسند حسن عن ابن مسعود وصححه الحاكم كما في الفتح (٨/٥٧٤) وقال الهيثمي في المجمع (٧/١٣٨) رواه الطبراني بإسناد فيه عاصم بن أبي النجود وهو ثقة وفيه ضعف وبقية رجاله رجال الصحيح.

(٣٧٨) وقد تعقب ابن جرير هذا القول (٣٠/٢٠١) ورجح القول الأول هنا.

قال قطرب: والنجد هو الطريق المرتفع، فأرض نجد هي المرتفعة، وأرض تهامة هي المنخفضة.

ويحتمل على هذا الاشتقاق خامساً: أنهما الجنة والنار، لارتفاعهما عن الأرض.

﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾ ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴿١٨﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ﴿١٩﴾ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤْصَدَةٌ ﴿٢٠﴾﴾

﴿فلا اقْتَحَمَ العَقَبَةَ﴾ فيها خمسة أقاويل:

أحدها: أنها طريق النجاة، قاله ابن زيد.

الثاني: أنها جبل في جهنم، قاله ابن عمر.

الثالث: أنها نار دون الحشر، قاله قتادة.

الرابع: أنها الصراط يضرب على جهنم كحد السيف، قاله الضحاك، قال الكلبي: صعوداً وهبوطاً.

الخامس: أن يحاسب نفسه وهواه وعدوّه الشيطان، قاله الحسن.

قال الحسن: عقبة والله شديدة.

ويحتمل سادساً: اقتحام العقبة خالصة من الغرض(٣٧٩).

وفي معنى الكلام وجهان:

أحدهما: اقتحام العقبة فك رقبة، قاله الزجاج.

الثاني: معناه فلم يقتحم العقبة إلا مَنْ فكَّ رقبة أو أطعم، قاله الأخفش.

ثم قال: ﴿وما أدْراكَ ما العَقَبَةُ﴾ وهذا خطاب للنبي ﷺ ليعلمه اقتحام العقبة، ثم بين تعالى ما تقتحم به العقبة.

فقال: ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ﴾ فيه وجهان:

---

(٣٧٩) قال محقق المطبوعة هكذا في الأصل وربما كان الصواب خلاصه من تبعة الفرض أي الفريضة.

أحدهما: إخلاصها من الأسر.

الثاني: عتقها من الرق، وسمي المرقوق رقبة لأنه بالرق كالأسير المربوط من رقبته، وسمي عتقاً فكها لأنه كفك الأسير من الأسر، قال حسان بن ثابت:

كم مِن أسيرٍ فككناه بلا ثَمنٍ وجَزّ ناصية كُنّا مَواليها

وروى عقبة بن عامر الجهني أن النبي عليه السلام قال(*): من أعتق رقبة مؤمنة فهي فداؤه من النار.

ويحتمل ثالثاً: أنه أراد فك رقبته وخلاص نفسه باجتناب المعاصي وفعل الطاعات، ولا يمنع الخبر من هذا التأويل، وهو أشبه بالصواب.

ثم قال تعالى: ﴿أو إطعامٌ في يومٍ ذي مَسْغَبَةٍ﴾ أي مجاعة، لقحط أو غلاء.

﴿يتيماً ذا مَقْرَبةٍ﴾ ويحتمل أن يريد ذا جوار.

﴿أو مِسْكِيناً ذا مَتْرَبَةٍ﴾ فيه سبعة أوجه:

أحدها: أن ذا المتربة هو المطروح على الطريق لا بيت له، قاله ابن عباس،

الثاني: هو الذي لا يقيه من التراب لباس ولا غيره، قاله مجاهد.

الثالث: أنه ذو العيال، قاله قتادة.

الرابع: أنه المديون، قاله عكرمة.

الخامس: أنه ذو زمانة، قاله أبو سنان.

السادس: أنه الذي ليس له أحد، قاله ابن جبير.

السابع: أن ذا المتربة: البعيد التربة، يعني الغريب البعيد عن وطنه، رواه عكرمة عن ابن عباس.

﴿ثُمَّ كانَ مِنَ الذين آمَنوا وَتَوَاصَوْا بالصَّبْرِ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: بالصبر على طاعة اللَّه، قاله الحسن.

الثاني: بالصبر على ما افترض اللَّه عليه، قاله هشام بن حسان.

الثالث: بالصبر على ما أصابهم، قاله سفيان.

(*) أخرجه الحاكم (٢/٢١١) من طريق الطيالسي وهو فيه (١٠٠٠) وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه وله شاهد عن أبي موسى الأشعري وواثلة بن الاسقع أ هـ ووافقه الذهبي على التصحيح.

قلت: وفي سنده الحسن البصري وقد عنعنه.

ورواية الطيالسي سقط منها الحسن بن قتادة بن قيس الجذامي والله أعلم».

ويحتمل رابعاً: بالصبر على الدنيا وعن شهواتها.

﴿وتَواصَوْا بالمَرْحَمَةِ﴾ أي بالتراحم فيما بينهم، فرحموا الناس كلهم ويحتمل ثانياً: وتواصوا بالآخرة لأنها دار الرحمة، فيتواصوا بترك الدنيا وطلب الآخرة.

﴿أولئك أصحابُ المَيْمَنَةِ﴾ يعني الجنة، وفي تسميتهم أصحاب الميمنة أربعة أوجه:

أحدها: لأنهم أُخذوا من شق آدم الأيمن، قاله زيد بن أسلم.

الثاني: لأنهم أوتوا كتابهم بأيمانهم، قاله محمد بن كعب.

الثالث: لأنهم ميامين على أنفسهم، قاله يحيى بن سلام.

الرابع: لأن منزلهم عن اليمين، قاله ميمون.

﴿والّذِين كَفَروا بآياتِنا﴾ فيه وجهان:

أحدهما: بالقرآن، قاله ابن جبير.

الثاني: هي جميع دلائل اللَّه وحُججه، قاله ابن كامل.

﴿هُمْ أصحابُ المشْأَمةِ﴾ يعني جهنم، وفي تسميتهم بذلك أربعة أوجه:

أحدها: لأنهم أُخذوا من شق آدم الأيسر، قاله زيد بن أسلم.

الثاني: لأنهم أُوتوا كتابهم بشمالهم، قاله محمد بن كعب.

الثالث: لأنهم مشائيم على أنفسهم، قاله يحيى بن سلام.

الرابع: لأن منزلهم عن اليسار، وهو مقتضى قول ميمون.

﴿عليهم نارٌ مُؤْصَدَةٌ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: المؤصدة المطبقة، قاله ابن عباس وأبو هريرة وقتادة.

الثاني: مسدودة، قاله مجاهد.

الثالث: لها حائط لا باب له، قاله الضحاك.



مكية عند جميعهم

بسم الله الرحمن الرحيم

وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا ﴿١﴾ وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ﴿٢﴾ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ﴿٣﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰهَا ﴿٤﴾ وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ﴿٥﴾ وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَحَىٰهَا ﴿٦﴾ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾

قوله تعالى ﴿والشَّمْسِ وضُحاها﴾ هذان قسمان:

قَسَمٌ بالشمس، وقَسَم بضحاها، وفي ضحاها أربعة أوجه:

أحدها: هو إشراقها، قاله مجاهد.

الثاني: انبساطها، قاله اليزيدي.

الثالث: حرها، قاله السدي.

الرابع: هذا النهار، قاله قتادة.

ويحتمل خامساً: أنه ما ظهر بها من كل مخلوق، فيكون القسم بها وبالمخلوقات كلها.

﴿والقَمَرِ إذا تَلاها﴾ ففيه وجهان:

أحدهما: إذا ساواها، قاله مجاهد.

الثاني: إذا تبعها، قاله ابن عباس.

وفي اتباعه لها ثلاثة أوجه:

أحدها: أول ليلة من الشهر إذا سقطت الشمس يرى القمر عند سقوطها، قاله قتادة.

الثاني: الخامس عشر من الشهر يطلع القمر مع غروب الشمس، قاله الطبري[٣٨٠].

الثالث: في الشهر كله فهو في النصف الأول يتلوها، وتكون أمامه وهو وراءها، وإذا كان في النصف الأخير كان هو أمامها وهي وراءه، قاله ابن زيد.

ويحتمل رابعاً: أنه خلفها في الليل، فكان له مثل ما لها في النهار لأن تأثير كل واحد منهما في زمانه، فللشمس النهار. وللقمر الليل.

﴿والنّهارِ إذا جَلّاها﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أضاءها، يعني الشمس لأن ضوءها بالنهار يجلي ظلمة الليل، قاله مجاهد.

الثاني: أظهرها، لأن ظهور الشمس بالنهار، ومنه قول قيس بن الخطيم[٣٨١]:

تجلت لنا كالشمس بين غمامةٍ بدا حاجبٌ منها وضنّتْ بحاجب

ويحتمل ثالثاً: أن النهار جلّى ما في الأرض من حيوانها حتى ضهر لاستتاره ليلاً وانتشاره نهاراً.

﴿والليل إذا يَغْشاها﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أظلمها، يعني الشمس، وهو مقتضى قول مجاهد.

الثاني: يسترها، ومنه قول الخنساء[٣٨٢]:

أرْعَى النجومَ وما كُلِّفْتُ رِعْيَتَها وتارةً أتغشى فَضْلَ أطْماري

﴿والسّماءِ وما بَناها﴾ فيه وجهان:

أحدهما: والسماء وبنائها، قاله قتادة.

الثاني: معناه ومن بناها وهو اللّه تعالى، قاله مجاهد والحسن.

ويحتمل ثالثاً: والسماء وما في بنائها، يعني من الملائكة والنجوم، فيكون هذا

---

(٣٨٠) جامع البيان (٣٠/٢٠٨)

(٣٨١) القرطبي (٢٠/٧٤) فتح القدير (٥/٤٤٨).

(٣٨٢) اللسان رعى.

قَسَماً بما فِي السماءِ، ويكون ما تقدمه قسَماً بما في الأرض.

﴿والأَرْضِ وما طَحَاهَا﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: معناه بسَطها، قاله سفيان وأبو صالح.

الثاني: معناه قسَمها، قاله ابن عباس.

الثالث: يعني ما خلق فيها، قاله عطية العوفي، ويكون طحاها بمعنى خلقها، قال الشاعر(٣٨٣):

وما تَدْري جذيمةُ مَنْ طحاها ولا من ساكنُ العَرْشِ الرّفيع

ويحتمل رابعاً: أنه ما خرج منها من نبات وعيون وكنوز، لأنه حياة لما خلق عليها.

﴿ونَفْسٍ وما سَوَّاها﴾ في النفس قولان:

أحدهما: آدم، ومن سواها: اللّه تعالى، قاله الحسن.

الثاني: أنها كل نفس.

وفي معنى سواها على هذا القول وجهان:

أحدهما: سوى بينهم في الصحة، وسوى بينهم في العذاب جميعاً، قاله ابن جريج.

الثاني: سوى خلقها وعدل خلقها، قاله مجاهد.

ويحتمل ثالثاً: سوّاها بالعقل الذي فضّلها به على جميع الحيوانات.

﴿فألْهَمَهَا فجُورَها وتَقْواها﴾ في «ألهمها» تأويلان:

أحدهما: أعلمها، قاله مجاهد.

الثاني: ألزمها(٣٨٤)، قاله ابن جبير.

وفي «فجورها وتقواها» ثلاثة تأويلات:

أحدها: الشقاء والسعادة، قاله مجاهد.

الثاني: الشر والخير، قاله ابن عباس.

الثالث: الطاعة والمعصية، قاله الضحاك.

---

(٣٨٣) فتح القدير (٥/٤٤٩) القرطبي (٢٠/٧٥).

(٣٨٤) يعني أن الله تعالى خلق في المؤمن التقوى وفي الكافر الفجور فالخلق لله والإنسان له القدرة على الاختيار وسلوك أي الطريقين.

ويحتمل رابعاً: الرهبة والرغبة لأنهما داعيا الفجور والتقوى.

وروى جويبر عن الضحاك عن ابن عباس[٣٨٥] أن النبي عليه السلام كان إذا قرأ هذه الآية «**فألهمها فجورها وتقواها**» رفع صوته: اللهم آتِ نفسي تقواها، أنت وليها ومولاها، وأنت خير من زكّاها.

﴿**قد أفْلَحَ مَن زكّاها**﴾ على هذا وقع القسم، قال ابن عباس: فيها أحد عشر قسماً.

وفيه وجهان: أحدهما: قد أفلح من زكّى اللّه نفسه بطاعة اللّه وصالح الأعمال.

الثاني: قد أفلح من زكى نفسه بطاعة اللّه وصالح الأعمال.

وفي زكاها وجهان:

أحدهما: طهّرها، وهو قول مجاهد.

الثاني: أصلحها، وهو قول سعيد بن جبير.

﴿**وقد خابَ من دَسّاها**﴾ فيه وجهان:

أحدهما: على ما قضى وقد خاب من دسّى اللّه نفسه.

الثاني: من دسّى نفسه.

وفي «**دسّاها**» سبعة تأويلات:

أحدها: أغواها وأضلها، قاله مجاهد وسعيد بن جبير، لأنه دسّى نفسه في المعاصي، ومنه قول الشاعر[٣٨٦]:

وأنت الذي دَسّيْت عَمْراً فأصْبَحَتْ حلائلهم فيهم أراملَ ضُيّعاً

الثاني: إثمها وفجورها، قاله قتادة.

الثالث: خسرها، قاله عكرمة.

---

(٣٨٥) وهذه رواية ابن أبي حاتم ونقلها ابن كثير (٤١٦/٤) وهذا سند ضعيف لأن فيها جويبر وهو متروك والضحاك لم يلق ابن عباس كما قال ابن كثير قلت: وله طريق أخرى عن ابن عباس فيها ابن لهيعة رواها الطبراني وقال الهيثمي في المجمع (١٣٨/٧) إسناده حسن وزاد السيوطي في الدر (٥٢٩/٨) نسبته لابن المنذر وابن مردويه.

ولحديث ابن عباس شاهد من حديث أبي هريرة رواه ابن أبي حاتم وابن مردويه كما في الدر (٥١٦/٨) وله شاهد أيضاً من حديث عائشة وزيد بن أرقم راجع الدر (٥٢٩/٨).

(٣٨٦) القرطبي (٧٧/٢٠) روح المعاني (١٤٣/٢٠) فتح القدير (٤٤٩/٥) اللسان «دسا» وفيه:

أنت الذي دسيت عمراً فأصبحت نساؤهم فيهم أرامل ضيع

الرابع: كذبها، قاله ابن عباس.

الخامس: أشقاها، قاله ابن سلام.

السادس: جبنها في الخير، وهذا قول الضحاك.

السابع: أخفاها وأخملها بالبخل، حكاه ابن عيسى.

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ ۝١١ إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا ۝١٢ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَٰهَا ۝١٣ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا ۝١٤ وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا ۝١٥﴾

﴿كَذَّبَتْ ثمودُ بِطَغْواها﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: بطغيانها ومعصيتها، قاله مجاهد وقتادة.

الثاني: بأجمعها، قاله محمد بن كعب.

الثالث: بعذابها، قاله ابن عباس.

قالوا كان اسم العذاب الذي جاءها الطّغوى.

﴿فدمْـدم عليهم ربهم بذَنْبِهم﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: معناه فغضب عليهم.

الثاني: معناه فأطبق عليهم.

الثالث: معناه فدمّر عليهم، وهو مثل دمدم، كلمة بالحبشية نطقت بها العرب.

﴿فسوّاها﴾ فيه وجهان:

أحدهما: فسوى بينهم في الهلاك، قاله السدي ويحيى بن سلام.

الثاني: فسوّى بهم الأرض، ذكره ابن شجرة.

ويحتمل ثالثاً: فسوّى مَن بعدهم مِنَ الأمم.

﴿ولا يخافُ عُقباها﴾ فيه وجهان:

أحدهما: ولا يخاف اللَّه عقبى ما صنع بهم من الهلاك، قاله ابن عباس.

الثاني: لا يخاف الذي عقرها عقبى ما صنع من عقرها، قاله الحسن.

ويحتمل ثالثاً: ولا يخاف صالح عقبي عقرها، لأنه قد أنذرهم ونجاه اللَّه تعالى حين أهلكهم.



بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ﴿١﴾ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ﴿٢﴾ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنَّ سَعۡيَكُمۡ لَشَتَّىٰ ﴿٤﴾ فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسۡتَغۡنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡعُسۡرَىٰ ﴿١٠﴾ وَمَا يُغۡنِي عَنۡهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ ﴿١١﴾

قوله تعالى **﴿والليلِ إذا يَغْشَى﴾** فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: إذا أظلم، قاله مجاهد.

الثاني: غطى وستر، قاله ابن جبير.

الثالث: إذا غشي الخلائق فعّمهم وملأهم، قاله قتادة، وهذا قَسَم.

﴿والنّهارِ إذا تَجَلّى﴾ فيه وجهان:

أحدهما: إذا أضاء، قاله مجاهد.

الثاني: إذا ظهر، وهو مقتضى قول ابن جبير.

ويحتمل ثالثاً: إذا أظهر ما فيه من الخلق، وهذا قسم ثانٍ.

﴿وما خلَق الذّكَرَ والأُنثى﴾ قال الحسن: معناه والذي خلق الذكر والأنثى[٣٨٧] فيكون هذا قسماً بنفسه تعالى.

ويحتمل ثانياً: وهو أشبه من قول الحسن أن يكون معناه وما خلق من الذكر

---

(٣٨٧) وإلى هذا القول ذهب الشوكاني (٥/٤٥٢).

والأنثى، فتكون «من» مضمرة المعنى محذوفة اللفظ، وميزهم بخلقهم من ذكر وأنثى عن الملائكة الذين لم يخلقوا من ذكر وأنثى، ويكون القسم بأهل طاعته من أوليائه وأنبيائه، ويكون قسمه بهم تكرمة لهم وتشريفاً.

وفي المراد بالذكر والأنثى قولان:

أحدهما: آدم وحواء، حكاه ابن عيسى.

الثاني: من كل ذكر وأنثى.

فإن حمل على قول الحسن فكل ذكر وأنثى من آدمي وبهيمة، لأن اللّه خلق جميعهم.

وإن حمل على التخريج الذي ذكرت أنه أظهر، فكل ذكر وأنثى من الآدميين دون البهائم لاختصاصهم بولاية اللّه وطاعته، وهذا قسم ثالث:

﴿إنّ سَعْيَكم لشَتّىَ﴾ أي مختلف، وفيه وجهان:

أحدهما: لمختلف الجزاء، فمنكم مثاب بالجنة، ومنكم معاقب بالنار.

الثاني: لمختلف الأفعال، منكم مؤمن وكافر، وبر وفاجر، ومطيع وعاص.

ويحتمل ثالثاً: لمختلف الأخلاق، فمنكم راحم وقاس، وحليم وطائش، وجواد وبخيل، وعلى هذا وقع القسم.

وروى ابن مسعود[٣٨٨] أن هذه الآية نزلت في أبي بكر رضي اللّهُ عنه، وفي أمية وأبّي ابني خلف حين عذّبا بلالاً على إسلامه، فاشتراه أبو بكر. ووفى ثمنه بردةً وعشر أواقٍ، وأعتقه للّه تعالى، فنزل ذلك فيه.

﴿فأمّا من أَعْطَى واتّقَى﴾ قال ابن مسعود يعني أبا بكر.

وفي قوله «أعطى» ثلاثة أوجه:

أحدها: من بذل ماله، قاله ابن عباس.

الثاني: اتقى محارم اللّه التي نهى عنها، قاله قتادة.

الثالث: اتقى البخل، قاله مجاهد.

﴿وصَدَّق بالحُسْنَى﴾ فيه سبعة تأويلات:

أحدها: بتوحيد اللّه، وهو قول لا إله إلا اللّهُ، قاله الضحاك.

---

(٣٨٨) رواه ابن أبي حاتم وأبو الشيخ وابن عساكر عن ابن مسعود كما في الدر (٨/ ٥٣٤).

الثاني : بموعود اللّه، قاله قتادة.

الثالث: بالجنة، قاله مجاهد.

الرابع : بالثواب، قاله خصيف.

الخامس: بالصلاة والزكاة والصوم، قاله زيد بن أسلم.

السادس: بما أنعم اللّه عليه، قاله عطاء.

السابع : بالخلف من عطائه، قاله الحسن، ومعاني أكثرها متقاربة.

﴿فَسَنُيَسِّرُهُ لليُسْرىَ﴾ فيه تأويلان:

أحدهما: للخير، قاله ابن عباس.

الثاني : للجنة، قاله زيد بن أسلم.

ويحتمل ثالثاً: فسنيسر[٣٨٩] له أسباب الخير والصلاح حتى يسهل عليه فعلها.

﴿وأمّا مَنْ بَخِلَ واسْتَغنى﴾ قال ابن مسعود: يعني بذلك أُمية وأبيّاً ابني خلف.

وفي قوله «بخل» وجهان:

أحدهما: بخل بماله الذي لايبقى، قاله ابن عباس والحسن.

الثاني : بخل بحق اللّه تعالى، قاله قتادة.

«واستغنى» فيه وجهان:

أحدهما: بماله، قاله الحسن.

الثاني : عن ربه، قاله ابن عباس.

﴿وكَذَّبَ بالحُسْنَى﴾ فيه التأويلات السبعة[٣٩٠].

﴿فَسنُيَسِّرُهُ للعُسْرَى﴾ فيه وجهان:

أحدهما: للشر من اللّه تعالى، قاله ابن عباس.

الثاني : للنار، قاله ابن مسعود.

ويحتمل ثالثاً: فسنعسر عليه أسباب الخير والصلاح حتى يصعب عليه فعلها فعند نزول هاتين الآيتين يروي قتادة عن خليد عن أبي الدرداء أن[٣٩١] رسول اللّهُ ﷺ

---

(٣٨٩) وهذا يدل على أن للإنسان مشيئة واختيار وإراده وأن العمل لا ينافي القدر السابق.

(٣٩٠) يعني المتقدم ذكرها في قوله «وصدق بالحسنى».

(٣٩١) رواه البخاري (٣/٢٤١) ومسلم (١٠١٠) وأحمد (٥/١٩٧) من حديث أبي هريرة وأما حديث أبي الدرداء فقد رواه الطبري (٣٠/٢٢١).

قال: «ما من يوم طلعت فيه شمسه إلا و ملكان يناديان: اللهم أعـط منفقاً خلفاً وأعط ممسكاً تلفاً، ثم قرأ ﴿فأما من أعطى واتقى﴾.

الآية والتي بعدها.

﴿وما يُغْنِي عنه ماله إذا تَرَدَّى﴾ فيه وجهان:

أحدهما: إذا تردّى في النار، قاله أبو صالح وزيد بن أسلم.

الثاني: إذا مات فتردى في قبره، قاله مجاهد وقتادة.

ويحتمل ثالثاً: إذا تردى في ضلاله وهوى في معاصيه.

إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ (١٢) وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ (١٣) فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ (١٤) لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى (١٥) الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ (١٦) وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى (١٧) الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ (١٨) وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰ (١٩) إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ (٢٠) وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ (٢١)

﴿إنّ علينا لَلْهُدَى﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن نبيّن سبل الهدى والضلالة، قاله يحيى بن سلام.

الثاني: بيان الحلال والحرام، قاله قتادة.

ويحتمل ثالثاً: علينا ثواب هداه الذي هدينا.

﴿وإنَّ لنا لَلآخِرةَ والأولى﴾ فيه وجهان:

أحدهما: ثواب الدنيا والآخرة، قاله الكلبي والفراء.

الثاني: ملك الدنيا وملك الآخرة، قاله مقاتل.

ويحتمل ثالثاً: اللّه المُجازي في الدنيا والآخرة.

﴿فأنذَرْتُكم ناراً تَلَظَّى﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: معناه تتغيظ، قاله الكلبي.

الثاني: تشتعل، قاله مقاتل.

الثالث: تتوهج[٣٩٢]، قاله مجاهد، وأنشد لعلّي رضي اللّه عنه:

---

(٣٩٢) ذكره البخاري معلقاً كما في الفتح (٨/٥٧٧) وجزم به ووصله الفريابي كما ذكر الحافظ.

كـأن الـمـلح خـالـطه إذا مـا تـلظّى كـالـعـقـيـقـة في الـظلال

﴿لا يَصْلاها إلا الأشْقى﴾ أي الشقّي.

﴿الذي كذّب وتولّى﴾ فيه وجهان:

أحدهما: كذّب بكتاب اللّه وتولّى عن طاعة اللّه، قاله قتادة.

الثاني: كذّب الرسولَ وتولّى عن طاعته.

﴿وما لأَحَدٍ عِنِدَهُ مِنْ نِعْمةٍ تُجْزَى * إلا ابتغاءَ وجهِ ربِّه الأَعْلَى﴾ فيه وجهان:

أحدهما: وما لأحد عند اللّه تعالى من نعمة يجازيه بها إلا أن يفعلها ابتغاء وجه ربه فيستحق عليها الجزاء والثواب، قاله قتادة.

الثاني: وما لبلال عند أبي بكر حين اشتراه فأعتقه من الرق وخلّصه من العذاب نعمةٌ سلفت جازاه عليها بذلك إلا ابتغاء وجه ربه وعتقه، قاله ابن عباس وابن مسعود.

﴿ولَسوفَ يَرْضَى﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: يرضى بما أعطيه لسعته.

الثاني: يرضى بما أعطيه لقناعته، لأن من قنع بغير عطاء كان أطوع للـه.



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَالضُّحَى (١) وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى (٢) مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى (٣) وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى (٤) وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى (٥) أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى (٦) وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى (٧) وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى (٨) فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ (٩) وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ (١٠) وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ (١١)﴾

قوله تعالى ﴿والضُّحى﴾ هو قَسَمٌ، وفيه أربعة أوجه:

أحدها: أنه أول ساعة من النهار إذا ترحلت الشمس، قاله السدي.

الثاني: أنه صدر النهار، قاله قتادة.

الثالث: هو طلوع الشمس، قاله قطرب.

الرابع: هو ضوء النهار في اليوم كله، مأخوذ من قولهم ضحى فلان الشمس، إذا ظهر لها، قاله مجاهد، والاشتقاق لعلي بن عيسى.

﴿والليلِ إذا سَجى﴾ وهو قَسَم ثان، وفيه خمسة تأويلات:

أحدها: إذا أقبل، قاله سعيد بن جبير.

الثاني: إذا أظلم، قاله ابن عباس.

الثالث: إذا استوى، قاله مجاهد.

الرابع: إذا ذهب، قاله ابن حنظلة عن ابن عباس.

الخامس: إذا سكن الخلق فيه، قاله عكرمة وعطاء وابن زيد، مأخوذ من قولهم سجى البحر إذا سكن، وقال الراجز[٣٩٣]:

يا حبذا القمراءُ والليلِ الساج وطُرُقٌ مِثْلُ ملاءِ النسّاج

﴿ما ودَّعَكَ ربُّكَ وما قَلَى﴾ اختلف في سبب نزولها، فروى الأسود بن قيس[٣٩٤] عن جندب أن رسول اللّه ﷺ رُمي بحجر في إصبعه فدميت، فقال:

هل أنت إلّا أصبعٌ دَميتِ وفي سبيل اللّه ما لَقِيتِ

قال فمكث ليلتين أو ثلاثاً لا يقوم، فقالت له امرأة يا محمد ما أرى شيطانك إلا قد تركك، فنزل عليه: ﴿ما ودعك ربك وما قلى﴾. وروى هشام عن عروة[٣٩٥] عن أبيه قال[٣٩٦]: أبطأ جبريل عن النبي ﷺ فجزع لذلك جزعاً شديداً، قالت عائشة: فقال كفار قريش: إنا نرى ربك قد قلاك، مما رأوا من جزعه، فنزلت: ﴿ما ودعك ربك وما قلى﴾، وروى ابن جريج[٣٩٧] أن جبريل لبث عن النبي ﷺ اثني عشرة ليلة فقال المشركون: لقد ودع محمداً ربُّه، فنزلت: ﴿ما ودعك ربك وما قلى﴾.

وفي «وَدَّعَك» قراءتان:

أحدهما: قراءة الجمهور ودّعك بالتشديد، ومعناها: ما اقتطع الوحي عنك توديعاً لك.

والثانية: بالتخفيف[٣٩٨]، ومعناها: ما تركك إعراضاً عنك.

«وما قلى» أي ما أبغضك، قال الأخطل:

---

(٣٩٣) رواه الطبري (٣٠/٢٣٠) ونسبهما الزجاج للحارث، الكامل(١/١٦) والقرطبي (٢٠/٩١) اللسان سجى.

(٣٩٤) رواه الترمذي (٣٣٤٥): وصححه والطبري (٣٠/٢٣١)بنحوهمختصراً وابن أبي حاتم واللفظ له كما في الدر (٨/٥٤٠).

وقال الحافظ ابن كثير (٤/٥٢٢) بعد أن أورده من رواية ابن أبي حاتم«وحق له هذاالكلام الذي اتفق أنه موزون ثابت في الصحيحين ولكن الغريب ههنا جعله سبباً لتركه القيام ونزول هذه السورة.

(٣٩٥) كذا هنا وفي المطبوعة وهو خطأ والصواب هشام بن عروة عن أبيه والتصويب من الطبري (٣٠/٢٣٢) وابن كثير (٤/٥٢٢).

(٣٩٦) رواه الطبري (٣٠/٢٣٢).

(٣٩٧) وهذا من مراسيل ابن جريج.

(٣٩٨) وهي قراءة عمر بن الخطاب وأنس وعروة وأبي العالية وابن يعمر وابن أبي عبلة وأبي حاتم عن يعقوب زاد المسير (٩/١٥٧).

المهْديات لمن هوين نسيئةً والمحْسِنات لمن قَلَيْنَ مقيلاً

﴿وَلَلآخرةُ خيرٌ لك مِنَ الأُولى﴾ روى ابن عباس قال[٣٩٩]: عرض على رسول اللَّه ﷺ ما هو مفتوح على أمته من بعده، فسُرَّ بذلك، فأنزل اللَّه تعالى: «**وللآخرة خير لك من الأُولى**» الآية.

وفي قوله **﴿وللآخرة خير لك من الأولى﴾** وجهان:

أحدهما: وللآخرة خير لك مما أعجبك في الدنيا، قاله يحيى بن سلام.

الثاني: أن مآلك في مرجعك إلى اللَّه تعالى أعظم مما أعطاك من كرامة الدنيا، قاله ابن شجرة.

﴿ولسوف يُعْطيك ربُّك فَتَرْضَى﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: يعطيك من النصر في الدنيا، وما يرضيك من إظهار الدين.

الثاني: يعطيك المنزلة في الآخرة، وما يرضيك من الكرامة.

﴿ألَمْ يَجِدْكَ يتيماً فآوَى﴾ واليتيم بموت الأب، وقد كان رسول اللَّه ﷺ فقد أبويه وهو صغير، فكفله جده عبد المطلب، ثم مات فكفله عمه أبو طالب، وفيه وجهان:

أحدهما: أنه أراد يتم الأبوة بموت من فقده من أبويه، فعلى هذا في قوله تعالى «فآوى» وجهان:

أحدهما: أي جعل لك مأوى لتربيتك، وقيّماً يحنو عليك ويكفلك وهو أبو طالب بعد موت عبد اللَّه وعبد المطلب، قاله مقاتل.

الثاني: أي جعل لك مأوى نفسك، وأغناك عن كفالة أبي طالب، قاله الكلبي.

والوجه الثاني: أنه أراد باليتيم الذي لا مثيل له ولا نظير، من قولهم درة يتيمة، إذا لم يكن لها مثيل، فعلى هذا في قوله «**فآوى**» وجهان:

أحدهما: فآواك إلى نفسه واختصك برسالته.

---

(٣٩٩) رواه الطبراني في الأوسط وفي الكبير وفي إسناد الأوسط معاوية بن أبي العباس قال الهيثمي لم أعرفه المجمع (٧/١٣٩) وأما إسناد الكبير فحسنه ورواه الطبري بنحوه (٣٠/٢٣٢) والحاكم (٢/٥٢٦) وصحح سنده ابن كثير (٤/٥٢٢).

الثاني : أن جعلك مأوى الأيتام بعد أن كنت يتيماً، وكفيل الأنام بعد أن كنت مكفولاً، تذكيراً بنعمه عليه، وهو محتمل.

﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ﴾ فيه تسعة تأويلات :

أحدها: وجدك لا تعرف الحق فهداك إليه، قاله ابن عيسى.

الثاني : ووجدك ضالاً عن النبوة فهداك إليها، قاله الطبري[٤٠٠].

الثالث: ووجد قومك في ضلال فهداك إلى إرشادهم، وهذا معنى قول السدي.

الرابع : ووجدك ضالاً عن الهجرة فهداك إليها.

الخامس : ووجدك ناسياً فأذكرك، كما قال تعالى :**﴿أن تَضِل إحداهما﴾**.

السادس: ووجدك طالباً القبلة فهداك إليها، ويكون الضلال بمعنى الطلب، لأن الضال طالب.

السابع : ووجدك متحيراً في بيان ما نزل عليك فهداك إليه، فيكون الضلال بمعنى التحير، لأن الضال متحير.

الثامن : ووجدك ضائعاً في قومك فهداك إليه، ويكون الضلال بمعنى الضياع، لأن الضال ضائع.

التاسع : ووجدك محباً للهداية فهداك إليها، ويكون الضلال بمعنى المحبة، ومنه قوله تعالى : **﴿قالوا تاللّه إنك لفي ضلالك القديم﴾** أي في محبتك، قال الشاعر:

هذا الضلال أشاب مِنّي المفرقا والعارِضَيْن ولم أكنْ مُتحقّقاً
عَجَباً لِعَزّةَ في اختيارِ قطيعتي بعد الضّلالِ فحبْلُها قد أخْلقاً

وقرأ الحسن: ووجدَك ضالٌ فهُدِي، أي وجَدَك الضالُّ فاهتدى بك،

﴿ووجَدَك عائلاً فأغْنَى﴾ فيه أربعة أوجه :

أحدها: وجدك ذا عيال فكفاك، قاله الأخفش، ومنه قول جرير[٤٠١] :

اللّه أنْزَلَ في الكتابِ فَرِيضةً لابن السبيل وللفقير العائلِ

الثاني : فقيراً فيسَّر لك، قاله الفراء، قال الشاعر[٤٠٢] :

---

(٤٠٠) جامع البيان (٣٠/٢٣٢).

(٤٠١) القرطبي (٢٠/٩٩) فتح القدير (٥/٤٥٨) روح المعاني (٣٠/١٦٣).

(٤٠٢) وهو أحيحة بن الجلاح الأوسي والبيت في معاني القرآن للفراء (١/٢٥٥) الطبري

وما يَـدْري الـفـقـيـرُ متى غـنـاه　　وما يَـدْري الـغـنـيُّ مـتـى يَـعـيـلُ

أي متى يفتقر.

الثالث: أي وجدك فقيراً من الحُجج والبراهين، فأغناك بها.

الرابع: ووجدك العائلُ الفقير فأغناه اللَّهُ بك، روي أن النبي[٤٠٣] ﷺ قال بصوته الأعلى ثلاث مرات: «يَمُنّ ربي عليّ وهو أهلُ المَنّ».

﴿فأمّا اليتيمَ فلا تَقْهَرْ﴾ فيه خمسة أوجه:

أحدها: فلا تحقر، قاله مجاهد.

الثاني: فلا تظلم، رواه سفيان.

الثالث: فلا تستذل، حكاه ابن سلام.

الرابع: فلا تمنعه حقه الذي في يدك، قاله الفراء.

الخامس: ما قاله قتادة: كن لليتيم كالأب الرحيم، وهي في قراءة ابن مسعود: فلا تكْهَر، قاله أبو الحجاج: الكهر الزجر.

روى أبو عمران الجوني عن أبي هريره أن رجلاً[٤٠٤]شكا إلى النبي ﷺ قسوة قلبه، فقال: «إن أردت أن يلين قلبك فامسح رأس اليتيم وأطْعِم المسكينَ».

﴿وأمّا السائلَ فلا تَنْهَر﴾ في رده إن منعته، ورُدّه برحمة ولين، قاله قتادة.

الثاني: السائل عن الدين فلا تنهره بالغلظة والجفوة، وأجِبْهُ برفق ولين، قاله سفيان.

﴿وأمّا بِنَعْمةِ ربِّكَ فحدِّثْ﴾ في هذه النعمة ثلاثة تأويلات:

أحدها: النبوة، قاله ابن شجرة، ويكون تأويل قوله فحدث أي ادعُ قومك.

الثاني: أنه القرآن، قاله مجاهد، ويكون قوله: فحدث أي فبلّغ أمتك.

الثالث: ما أصاب من خير أو شر، قاله الحسن.

«فحدث» فيه على هذا وجهان:

أحدهما: فحدّث به الثقة من إخوانك، قاله الحسن.

الثاني: فحدِّث به نفسك، وندب إلى ذلك ليكون ذِكرها شكراً.

(٥٤٩/٧)(٢٣٣/٣٠) والقرطبي (٩٩/٢٠) مجاز القرآن (٣٠٢/٢) اللسان (عيل) فتح القدير (٤٥٨/٥).

(٤٠٣) رواه ابن مردويه والديلمي عن ابن عباس مرفوعاً كما في الدر (٥٤٤/٨).

(٤٠٤) رواه أحمد (٢٦٣/٢).



مكية بالإجماع

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ① وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ② الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ ③ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ④ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ⑤ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ⑥ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ⑦ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب ⑧﴾

قوله تعالى **﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لك صَدْرَكَ﴾** وهذا تقرير من اللّه تعالى لرسوله ﷺ عند انشراح صدره لما حمله من نبوّته.

وفي «**نشرح**» وجهان:

أحدهما: أي أزال همك منك حتى تخلو لما أُمِرت به.

الثاني: أي نفتح لك صدرك ليتسع لما حملته عنه فلا يضيق، ومنه تشريح اللحم لأنه فتحه لتقديده.

وفيما شرح صدره ثلاثة أقاويل:

أحدها: الإسلام، قاله ابن عباس.

الثاني: بأن ملىء حكمة وعلماً، قاله الحسن.

الثالث: بما منّ عليه من الصبر والاحتمال، قاله عطاء.

ويحتمل رابعاً: بحفظ القرآن وحقوق النبوّة.

﴿ووَضَعْنا عنك وِزْرَكَ﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: وغفرنا لك ذنبك، قاله مجاهد، وقال قتادة: كان للنبي ذنوب أثقلته فغفرها اللّٰه تعالى له.

الثاني: وحططنا عنك ثقلك، قاله السدي. وهي في قراءة ابن مسعود: وحللنا عنك وِقرك.

الثالث: وحفظناك قبل النبوة في الأربعين من الأدناس حتى نزل عليك الوحيُ وأنت مطهر من الأدناس.

ويحتمل رابعاً: أي أسقطنا عنك تكليف ما لم تُطِقْه، لأن الأنبياء وإن حملوا من أثقال النبوة ما يعجز عنه غيرهم من الأمة فقد أعطوا من فضل القوة ما يستعينون به على ثقل النبوة، فصار ما عجز عنه غيرهم ليس بمطاق.

﴿الذي أنقَضَ ظَهْرَكَ﴾ أي أثقل ظهرك، قاله ابن زيد كما ينقض البعير من الحمل الثقيل حتى يصير نِقْضاً.

وفيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أثقل ظهره بالذنوب حتى غفرها.

الثاني: أثقل ظهره بالرسالة حتى بلّغها.

الثالث: أثقل ظهره بالنعم حتى شكرها.

﴿ورَفَعْنا لك ذِكْرَكَ﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: ورفعنا لك ذكرك بالنبوة، قاله يحيى بن سلام.

الثاني: ورفعنا لك ذكرك في الآخرة كما رفعناه في الدنيا.

الثالث: أن تذكر معي إذا ذكرت، روى أبو سعيد الخدري[٤٠٥] عن النبي ﷺ أنه قال: أتاني جبريل عليه السلام فقال: إن اللّٰه تعالى يقول أتدري كيف رفعْت ذكرك؟ فقال: اللّٰه أعلم، فقال: إذا ذُكرتُ ذكِرْتَ، قاله قتادة: رفع اللّٰه ذكره في الدنيا والآخرة، فليس خطيب يخطب ولا يتشهد، ولا صاحب صلاة إلا ينادي: أشهد أن لا إله إلا اللّٰه وأشهد أن محمداً رسول اللّٰه.

﴿فإنَّ مَعَ العُسْرِ يُسْراً﴾ فيه وجهان:

---

(٤٠٥) رواه ابن جرير (٣٠/٢٣٥) وسنده ضعيف.
وزاد السيوطي في الدر (٨/٤٥٩) نسبته لابن مردويه وابن المنذر وأبي نعيم في الدلائل وأبي يعلى.

أحدهما: إن مع اجتهاد الدنيا خير الآخرة.

الثاني: إن مع العسر الشدة رخاء، ومع الصبر سعة، ومع الشقاوة سعادة، ومع الحزونة سهولة.

ويحتمل ثلاثة أوجه:

أحدها: أن مع العسر يسراً عند اللّه ليفعل منهما ما شاء.

الثاني: إن مع العسر في الدنيا يسراً في الآخرة.

الثالث: إن مع العسر لمن بُلي يسراً لمن صبر واحتسب بما يوفق له من القناعة أو بما يعطى من السعة.

قال ابن مسعود[٤٠٦]: والذي نفسي بيده لو كان العسر في حَجَرٍ لطلبه اليسر حتى يدخل عليه «ولن يغلب عسْرٌ يُسْرَين».

وإنما كان العسر في الموضعين واحداً، واليسر اثنين، لدخول الألف واللام على العسر، وحذفها من اليسر.

وفي تكرار «مع العسر يسرا» وجهان:

أحدهما: ما ذكرنا من إفراد العسر وتثنية اليسر، ليكون أقوى للأمل وأبعث على الصبر، قاله ثعلب.

الثاني: للإطناب والمبالغة، كما قالوا في تكرار الجواب فيقال بلى بلى، لا لا، قاله الفراء وقال الشاعر[٤٠٧]:

همممتُ بِنَفسيَ بَعْضَ الهُموم فأَوْلَى لنفْسِيَ أولى لها.

﴿فإذا فَرَغتَ فانْصَبْ﴾ فيه أربعة تأويلات:

أحدها: فإذا فرغت من الفرائض فانصب من قيام الليل، قاله ابن مسعود.

الثاني: فإذا فرغت من صلاتك فانصب في دعائك، قاله الضحاك.

---

(٤٠٦) ورد هذا الحديث موصولاً ومرسلاً.

ورواية المؤلف هنا أخرجها عبد بن حميد وسندها جيد كما قال الحافظ في الفتح (٥٨٣/٨) وزاد السيوطي في الدر (٥٥١/٨) نسبته لعبد الرزاق وسعيد بن منصور وابن أبي الدنيا في الصبر وابن المنذر والبيهقي في شعب الإيمان.

(٤٠٧) هي الخنساء وتقدم تخريج هذا البيت في سورة القيامة.

الثالث: فإذا فرغت من جهاد عدوك فانصب لعبادة ربك، قاله الحسن وقتادة.

الرابع: فإذا فرغت من أمر دنياك فانصب في عمل آخرتك، قاله مجاهد.

ويحتمل تأويلاً خامساً: فإذا فرغت من إبلاغ الرسالة فانصب لجهاد عدّوك.

﴿وإلى ربِّكَ فارْغَبْ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: فارغب إليه في دعائك، قاله ابن مسعود.

الثاني: في معونتك.

الثالث: في إخلاص نيتك، قاله مجاهد.

ويحتمل رابعاً: فارغب إليه في نصرك على أعدائك.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ﴿١﴾ وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾ وَهَٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ﴿٣﴾ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ ﴿٧﴾ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ ﴿٨﴾

مكية في قول الحسن وعكرمة وعطاء وجابر، وقال ابن عباس وقتادة: هي مدنية.

قوله تعالى ﴿والتِّينِ والزَّيْتُونِ﴾ هما قَسَمان، وفيهما ثمانية تأويلات:

أحدها: أنهما التين والزيتون المأكولان، قاله الحسن وعكرمة ومجاهد.

الثاني: أن التين دمشق، والزيتون بيت المقدس، قاله كعب الأحبار وابن زيد[٤٠٨].

الرابع: أن التين مسجد دمشق، والزيتون مسجد بيت المقدس، قاله الحارث وابن زيد.

الخامس: الجبل الذي عليه التين، والجبل الذي عليه الزيتون، قاله ابن قتيبة، وهما جبلان بالشام يقال لأحدهما طور زيتا، وللآخر طور تيناً، وهو تأويل الربيع.

---

(٤٠٨) لاحظ أن التأويل الثالث لم يذكر.

والأولى تفسير الآية على ظاهرها لأنه لا دليل على صرفها عن ظاهرها واختار ابن جرير (٣٠/٢٣٨) القول الأول وهو الصواب.

وحكى ابن الأنباري أنهما جبلان بين حلوان وهمدان، وهو بعيد.

السادس: أن التين مسجد أصحاب الكهف، والزيتون مسجد ايليا، قاله محمد بن كعب.

السابع: أن التين مسجد نوح عليه السلام الذي بني على الجودي، والزيتون مسجد بيت المقدس، قاله ابن عباس.

الثامن: أنه أراد بهما نعم اللّٰه تعالى على عباده التي منها التين والزيتون، لأن التين طعام، والزيتون إدام.

﴿وطورِ سِينينَ﴾ وهو قَسَم ثالث وفيه قولان:

أحدهما: أنه جبل بالشام، قاله قتادة.

الثاني: أنه الجبل الذي كلم اللّٰه تعالى عليه موسى عليه السلام، قاله كعب الأحبار.

وفي قوله «سينين» أربعة أوجه:

أحدها: أنه الحسن بلغة الحبشة، ونطقت به العرب، قاله الحسن وعكرمة.

الثاني: أنه المبارك، قاله قتادة.

الثالث: أنه اسم البحر(٤٠٩)، حكاه ابن شجرة.

الرابع: أنه اسم للشجر الذي حوله، قاله عطية.

﴿وهذا البلدِ الأمينِ﴾ يعني بالبلد مكة وحرمها، وفي الأمين وجهان:

أحدهما: الآمن أهله من سبي أو قتل، لأن العرب كانت تكف عنه في الجاهلية أن تسبي فيه أحداً أو تسفك فيه دماً.

الثاني: يعني المأمون على ما أودعه اللّٰه تعالى فيه من معالم الدين، وهذا قَسَم رابع.

﴿لقد خَلَقْنا الإنسانَ﴾ وفي المراد بالإنسان هاهنا قولان:

أحدهما: أنه أراد عموم الناس، وذكر الإنسان على وجه التكثير لأنه وصفه بما يعم لجميع الناس.

الثاني: أنه أراد إنساناً بعينه عناه بهذه الصفة، وإن كان صفة الناس.

(٤٠٩) هكذا في الأصل ولعل الصواب الجبل.

واختلف فيمن أراده اللّٰه تعالى، على خمسة أوجه:

أحدها: أنه عنى كلدة بن أسيد، قاله ابن عباس.

الثاني: أبا جهل، قاله مقاتل[*].

الخامس: أنه عنى رسول اللّٰه ﷺ.

وفي قوله ﴿في أَحْسَنِ تقْويمٍ﴾ أربعة أقاويل:

أحدها: في أعدل خلق[٤١٠]، قاله ابن عباس.

الثاني: في أحسن صورة، قاله أبو العالية.

الثالث: في شباب وقوة، قاله عكرمة.

الرابع: منتصب القامة، لأن سائر الحيوان مُنْكَبٌّ غير الإنسان، فإنه منتصب، وهو مروي عن ابن عباس.

ويحتمل خامساً: أي في أكمل عقل، لأن تقويم الإنسان بعقله، وعلى هذا وقع القَسَم.

﴿ثم ردَدْناهُ أسْفَلَ سافِلينَ﴾ فيه قولان:

أحدهما: إلى الهرم بعد الشباب، والضعف بعد القوة، قاله الضحاك والكلبي، ويكون أسفل بمعنى بعد التمام.

الثاني: بعد الكفر، قاله مجاهد وأبو العالية، ويكون أسفل السافلين محمولاً على الدرك الأسفل من النار.

ويحتمل ثالثاً: إلى ضعف التمييز بعد قوّته.

﴿فلهم أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنونٍ﴾ فيه ستة أوجه:

أحدها: غير منقوص، قاله ابن عباس، وقال الشاعر:

يا عين جودي بدمع غير ممنون ... ...

الثاني: غير محسوب، قاله مجاهد.

الثالث: غير مكدر بالمنّ والأذى، قاله الحسن.

الرابع: غير مقطوع، قاله ابن عيسى.

(*) لاحظ أن الوجهين الثالث والرابع غير مذكورين فلقد سقطا من الأصل.

(٤١٠) رواه ابن المنذر عنه بسند حسن كما قال الحافظ في الفتح (٨/٥٨٤).

الخامس: أجر بغير عمل، قاله الضحاك.

وحكي أن من بلغ الهرم كتب له أجر ما عجز عنه من العمل الصالح.

السادس: أن لا يضر كل أحد منهم ما عمله في كبره، قاله ابن مسعود.

﴿فما يُكذِّبُكَ بَعْدُ بالدِّينِ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: حكم اللَّه تعالى، قاله ابن عباس.

الثاني: الجزاء، ومنه قول الشاعر[٤١١]:

دِنّـا تـميمـاً كمـا كـانـت أوائلُنـا ... دانَـتْ أوائلَهـم في سـالـفِ الـزَّمَنِ

﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بأحْكَمِ الحاكِمينَ﴾ وهذا تقرير لمن اعترف من الكفار بصانع قديم، وفيه وجهان:

أحدهما: بأحكم الحاكمين صنعاً وتدبيراً، قاله ابن عيسى.

الثاني: أحكم الحاكمين قضاء بالحق وعدلاً بين الخلق وفيه مضمر محذوف، وتقديره: فلِمَ ينكرون مع هذه الحال البعث والجزاء.

وكان عليّ رضي اللَّه عنه إذا قرأ **﴿أليس اللَّه بأحكم الحاكمين﴾** قال: بلى وأنا على ذلك من الشاهدين، ونختار ذلك.

---

(٤١١) القرطبي (٢٠/١١٩) فتح القدير (٥/٤٦٦).



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾

قوله تعالى ﴿اقرأ باسْمِ ربِّك الذي خَلَقَ﴾ روي عن عبيد بن عمير(٤١٢) قال: جاء جبريل إلى النبي ﷺ أول ما أتاه بنمط فغطه فقال: اقرأ، فقال: واللّٰه ما أنا بقارىء، فغطّه ثم قال: اقرأ، فقال: واللّٰه ما أنا بقارىء، فغطه غطاً شديداً ثم قال: ﴿اقرأ باسم ربك الذي خَلَقَ﴾ أي استفتح قراءتك باسم ربك الذي خلق وإنما قال الذي خلق لأن قريشاً كانت تعبد آلهة ليس فيهم خالق غيره تعالى، فميّز نفسه بذلك ليزول عنه الالتباس.

روت عائشة(٤١٣) رضي اللّٰه عنها أنها أول سورة نزلت على رسول اللّٰه ﷺ ثم بعدها «نون والقلم»، ثم بعدها «يا أيها المدثر» ثم بعدها «والضحى».

﴿خَلَقَ الإنسان مِنْ عَلَقٍ﴾ يريد بالإنسان جنس الناس كلهم، خلقوا من علق بعد النطفة، والعلق جمع علقة، والعلقة قطعة من دم رطب سميت بذلك لأنها تعلق

---

(٤١٢) وهذا السياق رواه ابن إسحق في السيرة (١/٢٥٣).
ورواه البخاري (٨/٥٨٥) والطبري (٣٠/٢٥١) وغيره من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

(٤١٣) رواه ابن الأنباري عنها في كتاب المصاحف كما في الدر (٨/٥٦٢).

لرطوبتها بما تمر عليه، فإذا جفت لم تكن علقة، قال الشاعر[٤١٤]:

تركناه يخرُّ على يديْه   يَمُجُّ عليهما عَلَقَ الوتين

ويحتمل مراده بذلك وجهين:

أحدهما: أن يبين قدر نعمته على الإنسان بأن خلقه من علقة مهيئة حتى صار بشراً سوياً وعاقلاً متميزاً.

الثاني: أنه كما نقل الإنسان من حال إلى حال حتى استكمل، كذلك نقلك من الجهالة إلى النبوة حتى تستكمل محلها.

﴿اقْرَأْ وربُّكَ الأكْرَمُ﴾ أي الكريم.

ويحتمل ثانياً: اقرأ بأن ربك هو الأكرم، لأنه لما ذكر ما تقدم من نعمه دل بها على نعمة كرمه. قال إبراهيم بن عيسى اليشكري: من كرمه أن يرزق عبده وهو يعبد غيره.

﴿الذي علّمَ بالقَلَمِ﴾ أي عَلّم الكاتب أن يكتب بالقلم، وسمي قلماً لأنى يقلم أي يقطع، ومنه تقليم الظفر.

وروى مجاهد عن ابن عمر قال: خلق اللّه تعالى أربعة أشياء بيده ثم قال لسائر الخلق: كن، فكان، القلم والعرش وجنة عدن وآدم.

وفيمن علمه بالقلم ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنه أراد آدم عليه السلام، لأنه أول من كتب، قاله كعب الأحبار.

الثاني: إدريس وهو أول من كتب، قاله الضحاك.

الثالث: أنه أراد كل من كتب بالقلم، لأنه ما علم إلا بتعليم اللّه له، وجمع بذلك بين نعمته تعالى عليه في خلقه وبين نعمته تعالى عليه في تعليمه استكمالاً للنعمة عليه.

﴿علّمَ الإنسانَ مالم يَعْلَمْ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: الخط بالقلم، قاله قتادة وابن زيد.

الثاني: علمه كل صنعة علمها فتعلم، قاله ابن شجرة.

ويحتمل ثالثاً: علمه من حاله في ابتداء خلقه ما يستدل به على خلقه وأن ينقله من بعد على إرادته.

(٤١٤) القرطبي (٢٠/١١٩).

كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ ﴿٧﴾ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجۡعَىٰٓ ﴿٨﴾ أَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي يَنۡهَىٰ ﴿٩﴾ عَبۡدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ﴿١٠﴾ أَرَءَيۡتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلۡهُدَىٰٓ ﴿١١﴾ أَوۡ أَمَرَ بِٱلتَّقۡوَىٰٓ ﴿١٢﴾ أَرَءَيۡتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١٣﴾ أَلَمۡ يَعۡلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾ كَلَّا لَئِن لَّمۡ يَنتَهِ لَنَسۡفَعَۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٖ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٖ ﴿١٦﴾ فَلۡيَدۡعُ نَادِيَهُۥ ﴿١٧﴾ سَنَدۡعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾ كَلَّا لَا تُطِعۡهُ وَٱسۡجُدۡۤ وَٱقۡتَرِب۩ ﴿١٩﴾

﴿كلا إنّ الإنسانَ لَيَطْغَى﴾ في «**كلا**» هاهنا وجهان:

أحدهما: أنه ردّ وتكذيب، قاله الفراء.

الثاني: أنه بمعنى إلا، وكذلك **﴿كلا سوف يعلمون﴾**، قاله أبو حاتم السجستاني.

وفي قوله «**ليطغى**» أربعة أوجه:

أحدها: معناه ليعصي، قاله مجاهد.

الثاني: ليبطر، قاله الكلبي.

الثالث: ليرتفع من منزلة إلى منزلة، قاله السدي.

الرابع: ليتجاوز قدره، ومنه قوله تعالى **﴿إنّا لما طَغَى الماءُ﴾**. قاله ابن شجرة.

﴿أنْ رآه اسْتَغْنَى﴾ أي عن ربه، قاله ابن عباس.

ويحتمل ثانياً: استغنى بماله وثروته، وقال الكلبي: نزلت في أبي جهل.

﴿إنّ إلى ربِّك الرُّجْعَى﴾ فيه وجهان:

أحدهما: المنتهى، قاله الضحاك.

الثاني: المرجع في القيامة.

ويحتمل ثالثاً: يرجعه الله إلى النقصان بعد الكمال، والى الموت بعد الحياة.

﴿أرَأيْتَ الذي يَنْهَى عَبْداً إذا صَلَّى﴾ نزلت في أبي جهل، روى أبو هريرة(٤١٥) أن أبا جهل قال: واللات والعزى لئن رأيت محمداً يصلّي بين أظهركم لأطأن رقبته ولأعفرن وجهه في التراب، ثم أتى رسول الله ﷺ وهو يصلي ليطأ رقبته، فما فجأه منه

---

(٤١٥) رواه مسلم (٤/٢٥١٤) وابن جرير (٣٠/٢٥٦) والسياق له وزاد السيوطي نسبته في الدر (٨/٥٦٥) للنسائي وابن أبي حاتم وابن المنذر وابن مردويه والبيهقي وأبي نعيم.

وبنحوه رواه البخاري (٨/١٥٧) عن ابن عباس.

إلا وهو ينكص، أي يرجع على عقبيه، فقيل له: ما لك؟ فقال: إن بيني وبينه خندقاً من نار وهواء وأجنحة، فقال رسول الله ﷺ: «لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضواً عضواً».

وروى الحسن[٤١٦] أن النبي ﷺ قال: «إنّ لكل أمة فرعون، وفرعون هذه الأمة أبو جهل».

وكانت الصلاة التي قصد فيها أبو جهل رسول الله صلاة الظهر. وحكى جعفر بن[٤١٧] محمد أن أول صلاة جماعة جمعت في الإسلام، يوشك أن تكون التي أنكرها أبو جهل، صلاها رسول الله ﷺ ومعه عليّ رضي الله عنه فمرّ به أبو طالب ومعه ابنه جعفر فقال: صل جناح ابن عمك، وانصرف مسروراً يقول:

إنَّ عليّاً وجعفرا ثقتي ... عند مُلِمِّ الزمان والكُرَبِ

والله لا أخذل النبيّ ولا ... يخذله من كان ذا حَسَبِ

لا تخذلا وانصرا ابن عمكما ... أخي لأمي من بنيهم وأبي

فسمع رسول الله ﷺ بذلك.

﴿أرأيْتَ إن كان على الهُدَى أو أمَرَ بالتّقْوَى﴾ فيه قولان:

أحدهما: يعني أبا جهل، ويكون فيه إضمار، وتقديره: ألم يكن خيراً له.

الثاني: هو النبي ﷺ كان على الهدى في نفسه، وأمر بالتقوى في طاعة ربه.

وفي قوله «أرأيْتَ» احتمال الوجهين:

أحدهما: أنه خطاب للنبي ﷺ.

الثاني: خطاب عام له ولأمته، والمراد به على الوجهين هدايته، ويكون في الكلام محذوف، وتقديره: هكذا كان يفعل به.

﴿أرأيْتَ إن كَذَّبَ وَتَوَلّى﴾ يعني أبا جهل، وفيه وجهان:

أحدهما: كذب بالله وتولى عن طاعته.

الثاني: كذب بالقرآن وتولى عن الإيمان.

ويحتمل ثالثاً: كذب بالرسول وتولى عن القبول.

(٤١٦) هذا من مراسيل الحسن وهي شبه الريح عندهم.

(٤١٧) هذا الأثر معضل.

﴿أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللهَ يَرَى﴾ يعني أبا جهل، وفيه وجهان:

أحدهما: ألم تعلم يا محمد أن الله يرى أبا جهل؟

الثاني: ألم تعلم يا أبا جهل أن الله يراك؟

وفيه وجهان:

أحدهما: يرى عمله ويسمع قوله.

الثاني: يراك في صلاتك حين نهاك أبو جهل عنها.

ويحتمل ثالثاً: يرى ما همّ به أبو جهل فلا يمكنه من رسوله.

﴿كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعاً بِالنَّاصِيَةِ﴾ يعني أبا جهل، وفيه وجهان:

أحدهما: يعني لنأخذن بناصيته، قاله ابن عباس، وهو عند العرب أبلغ في الاستذلال والهوان، ومنه قول الخنساء:

جززنا نواصي فرسانهم وكانوا يظنّون أنْ لن تُجَزَّا

الثاني: معناه تسويد الوجوه وتشويه الخلقة بالسفعة السوداء، مأخوذ من قولهم قد سفعته النار أو الشمس إذا غيرت وجهه إلى حالة تشويه، وقال الشاعر:(٤١٨)

أثافيَّ سُفْعاً مُعَرَّس مِرجلٍ ونُؤْياً كجِذم الحوضِ لم يَتَثَلَّمِ

والناصية شعر مقدم الرأس، وقد يعبّر بها عن جملة الإنسان، كما يقال هذه ناصية مباركة إشارة الى جميع الإنسان.

ثم قال: ﴿نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾ يعني ناصية أبي جهل كاذبة في قولها، خاطئة في فعلها.

﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ﴾ يعني أبا جهل، والنادي مجلس أهل الندى والجود ومعنى «فليدع نادية» أي فليدع أهل ناديه من عشيرة أو نصير.

﴿سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ﴾ والزبانية هم الملائكة من خزنة جهنم، وهم أعظم الملائكة خلقاً وأشدهم بطشاً، والعرب تطلق هذا الإسم على من اشتد بطشه، قال الشاعر(٤١٩):

---

(٤١٨) هو زهير بن أبي سلمى والبيت في القرطبي (٢٠/١٢٥) فتح القدير (٥/٤٧٠) واقتصر على الشطر الأول.

(٤١٩) القرطبي (٢٠/١٢٦) فتح القدير (٥/٤٧٠) روح المعاني (٣٠/١٨٨).

مَطاعيمُ في القُصْوى مَطاعينُ في الوَغى   زبانيةٌ غُلْبٌ عِظَامٌ حُلومها

﴿كلا لا تُطِعْهُ﴾ قال أبو هريرة: كلا لا تطع أبا جهل في أمره.

ويحتمل نهيه عن طاعته وجهين:

أحدهما: لا تقبل قوله إن داراك ولا رأيه إن قاربك.

الثاني: لا تجبه عن قوله، ولا تقابله على فعله، ومنه ما روي عن النبي[٤٢٠] ﷺ أنه قال: «اللهم لا تطع فينا مسافراً» أي لا تجب دعاءه لأن المسافر يدعو بانقطاع المطر فلو أجيبت دعوته لهلك الناس.

﴿واسْجُدْ واقْتَرِبْ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: اسجد أنت يا محمد مصلياً، واقترب أنت يا أبا جهل من النار، قاله زيد بن أسلم.

الثاني: اسجد أنت يا محمد في صلاتك لتقرب من ربك، فإن أقرب ما يكون العبد إلى الله تعالى إذا سجد له.

وروى جويبر عن الضحاك[٤٢١] عن ابن عباس قال: أنزل في أبي جهل أربع وثمانون آية، وأنزل في الوليد بن المغيرة مائة وأربع آيات، وأنزل في النضر بن الحارث اثنتان وثلاثون آية.

وإذا كانت هذه أول سورة نزلت على رسول الله ﷺ في قول الأكثرين فقد روي في ترتيب السور بمكة والمدينة أحاديث، أوفاها ما رواه آدم ابن أبي أناس عن أبي شيبة شعيب بن زريق[٤٢٢] عن عطاء الخراساني قال: بلغنا أن هذا ما نزل من القرآن بمكة والمدينة الأول فالأول، فكان أول ما نزل فيما بلغنا: «اقرأ باسم ربك» ثم «ن والقلم، المزمل، المدثر، تبّت، إذا الشمس كورت، سبّح اسم ربك، الليل، الفجر، الضحى، ألم نشرح، العصر، العاديات، الكوثر، ألهاكم، أرأيت، الكافرون، الفيل، الفلق، الإخلاص، النجم، عبس، القدر، والشمس، البروج، التين، لإيلاف،

---

(٤٢٠) لم أعثر عليه ولكنه ورد في حديث رواه ابو داود (١٥٣٦) وابن ماجه (٣٨٦٢) والبخاري في الأدب (٣٢) وغيرهم من حديث أبي هريرة مرفوعاً ثلاث دعوات مستجابات لهن لا شك في ذلك دعوة المظلوم ودعوة الوالد على ولده ودعوة المسافر.

(٤٢١) وهذا الأثر لا يصح فجويبر متروك.

(٤٢٢) راجع الإتقان في علوم القرآن للسيوطي

القارعة، القيامة، الهُمزة، المرسلات، ق، البلد، الطارق، القمر، ص، الأعراف، قل أوحى، يس، الفرقان، الملائكة، مريم، طه، الواقعة، الشعراء، النمل، القصص، بنو إسرائيل، يونس، هود، يوسف، الحجر، الأنعام، الصافات، لقمان، سبأ، الزمر، المؤمن، حم السجدة، عسق، الزخرف، الدخان، الجاثية، الأحقاف، الذاريات، الغاشية، الكهف، النحل، نوح، إبراهيم، الأنبياء، قد أفلح، السجدة، الطور، الملك، الحاقة، سأل سائل، النبأ، النازعات، الانفطار، الانشقاق، الروم، العنكبوت، المطففين.

فهذه خمس وثمانون سورة نزلت بمكة.

وكان فيما نزل بالمدينة البقرة، ثم الأنفال، آل عمران، الأحزاب، الممتحنة، النساء، الزلزلة، الحديد، سورة محمد، الرعد، الرحمن، هل أتى، الطلاق، لم يكن، الحشر، النصر، النور، الحج، المنافقون، المجادلة، الحجرات، التحريم[٤٢٣]، الجمعة، الصف، الفتح، المائدة، براءة.

فهذه سبع وعشرون سورة نزلت بالمدينة.

ولم تكن الفاتحة والله أعلم ضمن ما ذكره، وقد اختلف الناس في نزول السور اختلافاً كثيراً، لكن وجدت هذا الحديث أوفى وأشفى فذكرته.

(٤٢٣) لاحظ أنه لم يذكر سورة التغابن وهي مدنية نزلت بعد التحريم.



مكية في قول الأكثرين، ومدنية في قول الضحاك، وذكر الواقدي أنها أول سورة نزلت بالمدينة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ﴿٥﴾

قوله تعالى ﴿إنا أنزلناه في ليلة القدر﴾ فيه وجهان:

أحدهما: يعني جبريل، أنزله الله في ليلة القدر بما نزل به من الوحي.

الثاني: يعني القرآن؛ وفيه قولان:

أحدهما: ما روى ابن عباس قال: نزل القرآن في رمضان وفي ليلة القدر في ليلة مباركة جملة واحدة من عند الله تعالى في اللوح المحفوظ الى السفرة الكرام الكاتبين في السماء الدنيا، فنجمته(٤٢٤) السفرة على جبريل في عشرين ليلة، ونجمه جبريل على النبي ﷺ في عشرين سنة، وكان ينزل على مواقع النجوم أرسالاً في الشهور والأيام.

(٤٢٤) هذا القول لا يصح فقد قال ابن العربي وهذا باطل ليس بين جبريل وبين الله واسطة.

القول الثاني:[٤٢٥] أن الله تعالى ابتدأ بإنزاله في ليلة القدر، قاله الشعبي.

واختلف في ليلة القدر[٤٢٦] مع اتفاقهم أنها في العشر الأواخر من رمضان، وأنها في وتر العشر أوجد، إلا ابن عمر فإنه زعم أنها في الشهر كله.

فذهب الشافعي رحمه الله إلى أنها في إحدى وعشرين أو ثلاث وعشرين لحديث أبي سعيد الخدري، وذهب أبيّ بن كعب وابن عباس إلى أنها في ليلة سبع وعشرين.

واختلف في الدليل، فاستدل أبيّ بأن النبي ﷺ قال:[٤٢٧] من علامتها أن تصبح الشمس لا شعاع لها، قال: وقد رأيت ذلك في صبيحة سبع وعشرين، واستدل ابن عباس بأن رسول الله ﷺ قال:[٤٢٨] سورة القدر ثلاثون كلمة فهي في قوله «سلام» و «هي» الكلمة السابعة والعشرون، فدل أنها فيها.

وقال آخرون: هي في ليلة أربع وعشرين للخبر المروي في تنزيل الصحف، وقال آخرون: إن الله تعالى ينقلها في كل عام من ليلة إلى أخرى ليكون الناس في جميع العشر مجتهدين، ولرؤيتها متوقعين.

وفي تسميتها ليلة القدر أربعة أوجه:

أحدها: لأن الله تعالى قدر فيها إنزال القرآن.

الثاني: لأن الله تعالى يقدر فيها أمور السنة، أي يقضيها، وهو معنى قول مجاهد.

الثالث: لعظم قدرها وجلالة خطرها، من قولهم رجل له قدر، ذكره ابن عيسى.

الرابع: لأن للطاعات فيها قدراً عظيماً وثواباً جزيلاً.

﴿وما أدْراكَ ما لَيْلَةُ القَدْرِ﴾ تنبيهاً لرسول الله ﷺ على فضلها، وحثّاً له على العمل فيها، قال الشعبي: وليلتها كيومها، ويومها كليلتها.

---

(٤٢٥) وهو الصواب.

(٤٢٦) وقد وصل اختلافهم فيها الى ما يربو على العشرين قولاً اطلبها من مظانها كالفتح ونيل الأوطار.

(٤٢٧) رواه البخاري (٤/٢٣٦، ٢٤٣، ٢٤٤) ومسلم (٢/٨٢٤، ٨٢٦) من حديث عبد الله بنحوه.

(٤٢٨) لم أهتد إلى تخريجه والله أعلم.

قال الفراء: كل ما في القرآن من قوله تعالى: «**وما أدراك**» فقد أدراه، وما كان من قوله «**وما يدريك**» فلم يدره.

قال الضحاك: لا يقدر الله في ليلة القدر إلا السعادة والنعم، ويقدر في غيرها البلايا والنقم، وقال عكرمة: كان ابن عباس يسمي ليلة القدر ليلة التعظيم، وليلة النصف من شعبان ليلة البراءة، وليلتي العيدين ليلة الجائزة.

﴿**ليلةُ القدْرِ خيرٌ من أَلْفِ شَهْرٍ**﴾ فيه ستة أقاويل:

أحدها: ليلة القدر خير من عمر ألف شهر، قاله الربيع.

الثاني: أن العمل في ليلة القدر خير من العمل في غيرها ألف شهر، قاله مجاهد.

الثالث: أن ليلة القدر خير من ألف شهر ليس فيها ليلة القدر، قاله قتادة.

الرابع: أنه كان رجل في بني إسرائيل يقوم الليل حتى يصبح ثم يجاهد العدوّ حتى يمسي، ففعل ذلك ألف شهر، فأخبر الله تعالى أن قيام ليلة القدر خير من عمل ذلك الرجل ألف شهر، رواه ابن أبي نجيح ومجاهد.

الخامس: أن ملك سليمان كان خمسمائة شهر، وملك ذي القرنين كان خمسمائة شهر، فصار ملكهما ألف شهر، فجعل العمل في ليلة القدر خيراً من زمان ملكهما[٤٢٩].

﴿**تَنَزَّلُ الملائكةُ والرُّوحُ فيها**﴾ قال أبو هريرة: الملائكة في ليلة القدر في الأرض أكثر من عدد الحصى.

وفي «**الروح**» ها هنا أربعة أقاويل:

أحدها: جبريل عليه السلام، قاله سعيد بن جبير.

الثاني: حفظة الملائكة، قاله ابن أبي نجيح.

الثالث: أنهم أشرف الملائكة وأقربهم من الله، قاله مقاتل.

الرابع: أنهم جند من جند الله من غير الملائكة، رواه مجاهد عن ابن عباس مرفوعاً[٤٣٠].

---

(٤٢٩) لاحظ أنه لم يذكر القول السادس.

(٤٣٠) رواه ابن أبي حاتم وأبو الشيخ في العظمة وابن مردويه عن ابن عباس موقوفاً كما في الدر (٨/ ٣٩٩).

ويحتمل إن لم يثبت فيه نص قولاً خامساً: أن الروح الرحمة تنزل بها الملائكة على أهلها، دليله قوله تعالى: **﴿ينزّل الملائكة بالرُّوح من أمْره على من يشَاءُ من عباده﴾** أي بالرحمة.

﴿بإذْن ربِّهم﴾ يعني بأمر ربهم.

﴿مِن كل أمْرٍ﴾ يعني يُقضى في تلك الليلة من رزق وأجل إلى مثلها من العام القابل.

وقرأ ابن عباس: من كل امرىء، فتأولها الكلبي على أن جبريل ينزل فيها مع الملائكة فيسلمون على كل امرىء مسلم.

﴿سلامٌ هي حتى مطلع الفَجْر﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: أن ليلة القدر هي ليلة سالمة من كل شـر، لا يحدث فيها حدث ولا يرسل فيها شيطان، قاله مجاهد.

الثاني: أن ليلة القدر هي سلام وخير وبركة، قاله قتادة.

الثالث: أن الملائكة تسلم على المؤمنين في ليلة القدر إلى مطلع الفجر، قاله الكلبي.



مكية في قول يحيى بن سلام، وعند الجمهور مدنية وهو الصواب.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿١﴾ رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُوا۟ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴿٢﴾ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ﴿٣﴾ وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿٤﴾ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾﴾

قوله تعالى ﴿لم يَكُنِ الّذينَ كفروا مِنْ أهْلِ الكِتابِ والمُشْرِكين مُنفكِّينَ﴾ معناه لم يكن الذين كفروا من اليهود والنصارى الذين هم أهل الكتاب، ولم يكن المشركون الذين هم عبدة الأوثان من العرب، وغيرهم الذين ليس لهم كتاب..

«منفكين» فيه أربعة تأويلات:

أحدها: لم يكونوا منتهين عن الشرك ﴿حتى تأتيهم البيِّنَةُ﴾ حتى يتبين لهم الحق.

وهذا قول ثان: لم يزالوا مقيمين على الشرك والريبة حتى تأتيهم البينة، يعني الرسل، قاله الربيع.

الثالث: لم يفترقوا ولم يختلفوا أن الله سيبعث إليهم رسولاً حتى بعث الله محمداً ﷺ فاختلفوا وتفرقوا، فمنهم من آمن بربه، ومنهم من كفر، قاله ابن عيسى.

الرابع: لم يكونوا ليتركوا منفكين من حجج الله تعالى، حتى تأتيهم البينة التي تقوم بها عليهم الحجة، قال امرؤ القيس:

إذا قُلْتُ أَنْفَكَّ مِن حُبِّها أبى عالقُ الحُبِّ إلا لُزوما

وفي «البيّنة» ها هنا ثلاثة أوجه:

أحدها: القرآن، قاله قتادة.

الثاني: الرسول الذي بانت فيه دلائل النبوة.

الثالث: بيان الحق وظهور الحجج.

وفي قراءة أبيّ بن كعب: ما كان الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين، وفي قراءة ابن مسعود: لم يكن المشركون وأهل الكتاب منفكين.

﴿رسولٌ مِن الله﴾ يعني محمداً.

﴿يَتْلُواْ صُحُفاً مُطَهَّرَةً﴾ يعني القرآن.

ويحتمل ثانياً: يتعقب بنبوته نزول الصحف المطهرة على الأنبياء قبله.

وفي ﴿مطهرة﴾ وجهان:

أحدهما: من الشرك، قاله عكرمة.

الثاني: مطهرة الحكم بحسن الذكر والثناء، قاله قتادة.

ويحتمل ثالثاً: لنزولها من عند الله.

﴿فيها كُتُبٌ قَيِّمةٌ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: يعني كتب الله المستقيمة التي جاء القرآن بذكرها، وثبت فيه صدقها، حكاه ابن عيسى.

الثاني: يعني فروض الله العادلة، قاله السدي.

﴿وما تَفرَّقَ الّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ﴾ يعني اليهود والنصارى.

﴿إلاّ مِن بَعْدِ ما جاءَتْهم ٱلْبَيِّنَةُ﴾ فيه قولان:

أحدهما: القرآن، قاله أبو العالية.

الثاني: محمد ﷺ، قاله ابن شجرة.

ويحتمل ثالثاً: البينة ما في كتبهم من صحة نبوته.

﴿وما أُمِروا إلاّ ليَعْبُدوا الله مُخْلِصينَ له الدِّينَ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: مُقِرِّين له بالعبادة.

الثاني: ناوين بقلوبهم وجه الله تعالى في عبادتهم.

الثالث: إذا قال لا إله إلا الله أن يقول على أثرها «الحمد لله»، قاله ابن جرير.[431]

(٤٣١) جامع البيان (٣٠/٢٦٣) ولكن ليس فيه كما قال المؤلف هنا وهاك عبارة ابن جرير «يقول تعالى ذكره

ويحتمل رابعاً: إلا ليخلصوا دينهم في الإقرار بنبوته.

﴿حُنفاءَ﴾ فيه ستة أوجه:

أحدها: متبعين.

الثاني: مستقيمين، قاله محمد بن كعب.

الثالث: مخلصين، قاله خصيف.

الرابع: مسلمين، قاله الضحاك، وقال الشاعر: (٤٣٢)

أَخليفة الرحمنِ إنا مَعْشرٌ حُنفاءُ نسجُدُ بُكرةً وأَصيلاً

الخامس: يعني حجّاجاً، قاله ابن عباس؛ وقال عطية العوفي: إذا اجتمع الحنيف والمسلم كان معنى الحنيف الحاج وإذا انفرد الحنيف كان معناه المسلم، وقال سعيد بن جبير: لا تسمي العرب الحنيف(٤٣٣) إلا لمن حج واختتن.

السادس: أنهم المؤمنون بالرسل كلهم، قاله أبو قلابة.

﴿ويُقيموا الصّلاةَ ويُؤْتُوا الزّكاةَ وذلكَ دينُ القيِّمةِ﴾ وفيه ثلاثة أوجه:

أحدها: معناه وذلك دين الأمة المستقيمة.

الثاني: وذلك دين القضاء القيم، قاله ابن عباس.

الثالث: وذلك الحساب المبين، قاله مقاتل.

ويحتمل رابعاً: وذلك دين من قام لله بحقه

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾﴾

«وما أمر الله هؤلاء اليهود، والنصارى الذين هم أهل الكتاب إلا أن يعبدوا الله مخلصين له الدين يقول مفردين له الطاعة لا يخلطون طاعتهم لربهم بشرك فأشركت اليهود بقولهم إن عزيراً ابن الله والنصارى بقولهم في المسيح مثل ذلك وجحودهم نبوة محمد ﷺ.

(٤٣٢) هو الراعي النميري وسيأتي البيت في سورة الماعون: القرطبي (١٤/٢٠).

(٤٣٣) يعني أن يكون على ملة إبراهيم عليه الصلاة والسلام ومن ملته الختان والحج وهما من الكلمات التي ابتلاه الله بها.



مدنية في قول ابن عباس وقتادة وجابر.

بسم الله الرحمن الرحيم

إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴿٢﴾ وَقَالَ ٱلْإِنسَـٰنُ مَا لَهَا ﴿٣﴾ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴿٥﴾ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَـٰلَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾

قوله تعالى **﴿إذا زُلزِلت الأرض زِلزالها﴾** أي حركت الأرض حركتها، والزلزلة شدة الحركة، فيكون من زل يزل(٤٣٤).

وفي قوله **﴿زِلزالها﴾** وجهان:

أحدهما: لأنها غاية زلازلها المتوقعة.

الثاني: لأنها عامة في جميع الأرض، بخلاف الزلازل المعهودة في بعض الأرض.

وهذا الخطاب لمن لا يؤمن بالبعث وعيد وتهديد، ولمن يؤمن به إنذار وتحذير، واختلف في هذه الزلزلة على قولين: أحدهما: أنها في الدنيا من أشراط الساعة، وهو قول الأكثرين.

(٤٣٤) هكذا في الأصل ولعل الصواب فيكون من زلزل.

الثاني: أنها الزلزلة يوم القيامة، قاله خارجة بن زيد وطائفة.

﴿وأَخْرَجَتِ الأرضُ أَثْقَالَها﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها:

الثاني: ما عليها من جميع الأثقال، وهذا قول عكرمة.

ويحتمل قول الفريقين[٤٣٥].

ويحتمل رابعاً: أخرجت أسرارها التي استودعتها، قال أبو عبيدة: إذا كان الثقل في بطن الأرض فهو ثقل لها، وإذا كان فوقها فهو ثقل عليها.

﴿وقالَ الإنسانُ ما لَها﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: ما لها زلزلت زلزالها.

الثاني: ما لها أخرجت أثقالها.

وفي المراد بهذا «الإنسان» قولان:

أحدهما: أن المراد جميع الناس من مؤمن وكافر، وهذا قول من جعله في الدنيا من أشراط الساعة لأنهم لا يعلمون جميعاً أنها من أشراط الساعة في ابتداء أمرها حتى يتحققوا عمومها، فلذلك سأل بعضهم بعضاً عنها.

الثاني: أنهم الكفار خاصة، وهذا قول من جعلها زلزلة القيامة، لأن المؤمن يعترف بها فهو لا يسأل عنها، والكافر جاحد لها فلذلك يسأل عنها.

﴿يومئذٍ تُحَدِّثُ أخْبارَها﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: تحدث أخبارها بأعمال العباد على ظهرها، قاله أبو هريرة ورواه مرفوعاً[٤٣٦]، وهذا قول من زعم أنها زلزلة القيامة.

الثالث: تحدث بقيام الساعة إذا قال الإنسان ما لها، قال ابن مسعود: فتخبر بأن أمر الدنيا قد انقضى، وأن أمر الآخرة قد أتى، فيكون ذلك منها جواباً عند سؤالهم، وعيداً للكافر وإنذاراً للمؤمن.

وفي حديثها بأخبارها ثلاثة أقاويل:

---

(٤٣٥) لاحظ أنه لم يذكر القول الثالث هنا فيحتمل قوله ويحتمل قول الفريقين هو القول الثالث.

(٤٣٦) رواه الترمذي (١٧١/٤) وقال حسن صحيح غريب والحاكم (٥٣٣/٢) وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه وزاد السيوطي نسبته في الدر (٥٩٢/٨) لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن مردويه والبيهقي في الشعب.

أحدها: أن اللَّه تعالى يقلبها حيواناً ناطقاً فتتكلم بذلك[٤٣٧].

الثاني: أن اللَّه تعالى يُحدث الكلام فيها.

الثالث: يكون الكلام منها بياناً يقوم مقام الكلام.

﴿بأنَّ ربّك أوْحَى لَهَا﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: معناه أوحى إليها بأن ألهمها فأطاعت، كما قال العجاج:[٤٣٨]

أَوْحى لهـا القَـرارَ فـاسْتَقَرَّتِ وشَـدَّهـا بـالـراسِيـاتِ الثُّبَّتِ

الثاني: يعني قال لها، قاله السدي.

الثالث: أمرها، قاله مجاهد.

وفيما أوحى لها وجهان:

أحدهما: أوحى لها بأن تحدث أخبارها.

الثاني: بأن تخرج أثقالها.

ويحتمل ثالثاً: أوحى لها بأن تزلـزل زلزالها.

﴿يومئذٍ يَصْدُرُ الناسُ أَشْتاتاً﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنه يوم القيامة يصدرون من بين يدي اللَّه تعالى فرقاً مختلفين في قدرهم وأعمالهم، فبعضهم إلى الجنة وهم أصحاب الحسنات، وبعضهم إلى النار وهم أصحاب السيئات، قاله يحيـى بن سلام.

الثاني: أنهم في الدنيا عند غلبـة الأهواء يصـدرون فرقـاً، فبعضهم مؤمن، وبعضهم كـافـر، وبعضهم محسن، وبعضهم مسيء، وبعضهم محق، وبعضهم مبطل.

﴿لِيُرَوْا أَعْمالَهم﴾ يعني ثواب أعمالهم يوم القيامة.

ويحتمل ثالثاً: أنهم عند النشور يصدرون أشتاتاً من القبور على اختلافهم في الأمم والمعتقد بحسب ما كانوا عليه في الدنيا من اتفاق أو اختلاف ليروا أعمالهم في

---

(٤٣٧) لعل الصواب أنها تتكلم بكلام لا ندري كيفيته كما أخبرنا ربنا بذلك ولا أفضل من الوقوف عند هذا.

(٤٣٨) مجاز القرآن (٢/٣٠٦) القرطبي (٢٠/١٤٩) البحر المحيط (٨/٥٠١) روح المعاني (٣٠/١٠) اللسان وحى.

موقف العرض من خير أو شر فيجازون عليها بثواب أو عقاب، والشتات: التفرق والاختلاف، قال لبيد:

إنْ كُنْتِ تهْوينَ الفِراقَ ففارقي لا خيرَ في أمْرِ الشتات

﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَه﴾ في هذه الآية ثلاثة أقاويل:

أحدها: أن معنى يَرَه أي يعرفْهُ.

الثاني: أنه يرى صحيفة عمله.

الثالث: أن يرى خير عمله ويلقاه.

وفي ذلك قولان:

أحدهما: أنه يلقى ذلك في الآخرة، مؤمناً كان أو كافراً، لأن الآخرة هي دار الجزاء.

الثاني: أنه إن كان مؤمناً رأى جزاء سيئاته في الدنيا، وجزاء حسناته في الآخرة حتى يصير إليها وليس عليه سيئة.

وإن كان كافراً رأى جزاء حسناته في الدنيا، وجزاء سيئاته في الآخرة حتى يصير إليها وليس له حسنة، قاله طاووس.

ويحتمل ثالثاً: أنه جزاء ما يستحقه من ثواب وعقاب عند المعاينة في الدنيا ليوفاه في الآخرة.

ويحتمل المراد بهذه الآية وجهين:

أحدهما: إعلامهم أنه لا يخفى عليه صغير ولا كبير.

الثاني: إعلامهم أنه يجازي بكل قليل وكثير.

وحكى مقاتل بن سليمان أنها نزلت في ناس بالمدينة كانوا لا يتورعون من الذنب الصغير من نظرة أو غمزة أو غيبة أو لمسة، ويقولون إنما وعد اللّه على الكبائر، وفي ناس يستقلون الكسرة والجوزة والثمرة ولا يعطونها، ويقولون إنما نجزى على ما نعطيه ونحن نحبه، فنزل هذا فيهم.

وروي أن صعصعة بن ناجية جد الفرزدق أتى النبي[٤٣٩] ﷺ يستقرئه، فقرأ

(٤٣٩) رواه ابن المبارك في الزهد (ص٣٧) وأحمد (١١٣/٣) وزاد السيوطي في الدر (٥٩٥/٨) نسبته

عليه هذه الآية، فقال صعصعة: حسبي حسبي إن عملت مثقال ذرة خيراً رأيته، وإن عملت مثقال ذرة شراً رأيته.

وروى أبو أيوب الأنصاري[٤٤٠]: قال كان رسول اللّٰه ﷺ وأبو بكر رضي اللّٰه عنه يتغديان إذ نزلت هذه السورة، فقاما وأمسكا.

لعبد بن حميد والنسائي والطبراني وابن مردويه وقال الهيثمي في المجمع (١٤١/٧) رواه أحمد والطبراني مرسلاً ومتصلاً ورجال الجميع رجال الصحيح. قلت: رواه النسائي في التفسير كما في الإصابة (١٨٦/٢).

(٤٤٠) رواه ابن مردويه كما في الدر (٥٩٤/٨).



مكية في قول ابن مسعود وجابر والحسن وعكرمة وعطاء، ومدنية في قول ابن عباس وأنس بن مالك وقتادة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا ﴿١﴾ فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا ﴿٢﴾ فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ﴿٣﴾ فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ﴿٤﴾ فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ﴿٥﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ﴿٦﴾ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ﴿٧﴾ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴿٨﴾ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٩﴾ وَحُصِّلَ مَا فِى ٱلصُّدُورِ ﴿١٠﴾ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌۢ ﴿١١﴾

قوله تعالى: ﴿والعادِياتِ ضَبْحاً﴾ في العاديات قولان:

أحدهما: أنها الخيل في الجهاد، قاله ابن عباس وأنس والحسن، ومنه قول الشاعر[٤٤١]:

وطعنـةٍ ذاتِ رشـاشٍ واهيـهْ طعنْتُهـا عند صـدور العـاديـهْ

يعني الخيل.

الثاني: أنها الإبل في الحج، قاله عليٌّ رضي اللّٰه عنه وابن مسعود[٤٤٢] ومنه قول صفية بنت عبد المطلب:

فـلا والعـاديـاتِ غَـداة جَمْـعٍ بـأيـديهـا إذا صـدع الغبـار

(٤٤١) القرطبي (٢٠/١٥٤).

(٤٤٢) رواه سعيد بن منصور عنه بإسناد حسن كما في الفتح (٨/٥٩٩).

يعني الإبل، وسميت العاديات لاشتقاقها من العدو، وهو تباعد الرجل في سرعة المشي؛ وفي قوله «ضبحاً» وجهان:

أحدهما: أن الضبح حمحمة الخيل عند العدو، قاله من زعم أن العاديات الخيل.

الثاني: أنه شدة النّفس عند سرعة السير، قاله من زعم أنها الإبل، وقيل إنه لا يضبح بالحمحمة[٤٤٣] في عدوه إلا الفرس والكلب، وأما الإبل فضبحها بالنفَس؛ وقال ابن عباس: ضبحها: قول سائقها أج أج؛ وهذا قَسَمٌ،

﴿فالموريات قَدْحاً﴾ فيه ستة أقاويل:

أحدها: أنها الخيل توري النار بحوافرها إذا جرت من شدة الوقع، قاله عطاء.

الثاني: أنها نيران الحجيج بمزدلفة، قاله محمد بن كعب.

الثالث: أنها نيران المجاهدين إذا اشتعلت فكثرت نيرانها إرهاباً، قاله ابن عباس.

الرابع: أنها تهيج الحرب بينهم وبين عدوهم، قاله قتادة.

الخامس: أنه مكر الرجال، قاله مجاهد؛ يعني في الحروب.

السادس: أنها الألسنة إذا ظهرت بها الحجج وأقيمت بها الدلائل وأوضح بها الحق وفضح بها الباطل، قاله عكرمة، وهو قَسَمٌ ثانٍ.

﴿فالمغيرات صُبْحاً﴾ فيها قولان:

أحدهما: أنها الخيل تغير على العدو صبحاً، أي علانية، تشبيهاً بظهور الصبح، قاله ابن عباس.

الثاني: أنها الإبل حين تعدو صبحاً من مزدلفة إلى منى، قاله عليّ رضي اللَّه عنه.

﴿فأثَرْنَ به نَقْعاً﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: فأثرن به غباراً، والنقع الغبار، قاله قتادة، وقال عبداللَّه بن رواحة: [٤٤٤]:

---

(٤٤٣) وهو قول ابن عباس رواه سعيد بن منصور بإسناد حسن عنه كمال قال في الفتح.

(٤٤٤) والبيت لحسان في ديوانه: ١٩ وروح المعاني (٢١٦/٣٠).

عـدمت بُنَيّتي إن لم تَروْها ... تثير النقْعَ من كنفي كَداءِ

الثاني: النقع ما بين مزدلفة إلى منى، قاله محمد بن كعب.

الثالث: أنه بطن الوادي، فلعله يرجع إلى الغبار المثار من هذا الموضع.

﴿فَوَسَطْنَ به جَمْعاً﴾ فيه قولان:

أحدهما: جمع العدو حتى يلتقي الزحف، قاله ابن عباس والحسن.

الثاني: أنها مزدلفة تسمى جمعاً لاجتماع الحاج بها وإثارة النقع في الدفع إلى منى، قاله مكحول.

﴿إنّ الإنسانَ لِربِّه لَكَنُودٌ﴾ فيه سبعة أقاويل:

أحدها: لكفور، قاله قتادة، والضحاك، وابن جبير، ومنه قول الأعشى(٤٤٥):

أَحْدِثْ لها تحدث لوصْلك إنها ... كُنُدٌ لوصْلِ الزائرِ المُعْتادِ

وقيل: إن الكنود هو الذي يكفر اليسير ولا يشكر الكثير.

الثاني: أنه اللوام لربه، يذكر المصائب وينسى النعم، قاله الحسن، وهو قريب من المعنى الأول.

الثالث: أن الكنود الجاحد للحق، وقيل إنما سميت كندة لأنها جحدت أباها، وقال إبراهيم بن زهير الشاعر(٤٤٦):

دع البخلاءَ إن شمخوا وصَدُّوا ... وذكْرى بُخْلِ غانيةٍ كَنُودِ

الرابع: أن الكنود العاصي بلسان كندة وحضرموت، ذكره يحيى بن سلام.

الخامس: أنه البخيل بلسان مالك بن كنانة، وقال الكلبي: الكنود بلسان كندة وحضرموت: العاصي، وبلسان مضر وربيعة: الكفور، وبلسان مالك بن كنانة: البخيل

السادس: أنه ينفق نعم اللّه في معاصي اللّه.

السابع: ما رواه القاسم عن أبي أمامة قال(٤٤٧): قال رسول اللّه ﷺ: الكنود

القرطبي (٢٠/١٥٨) فتح القدير (٥/١٨٢).
وفي المصادر السابقة منسوب لعبد الله بن رواحة.

(٤٤٥) ديوانه: ٥٦ القرطبي (٢٠/١٦١).

(٤٤٦) القرطبي (٢٠/١٦١) ونسبة لإبراهيم بن هرمة.

(٤٤٧) رواه ابن جرير (٣٠/٢٧٨) وسنده ضعيف لأن فيه جعفر بن الزبير وهو متروك وقال الهيثمي في المجمع (٦/١٤٢) رواه الطبراني بإسنادين في أحدهما جعفر بن الزبير وهو ضعيف وفي الآخر من لم

الذي يضرب عبده ويأكل وحده ويمنع رفده، وقال الضحاك: نـزلت في الوليد بن المغيرة، وعلى هذا وقع القسم بجميع ما تقدم من السورة.

﴿وإنَّه على ذلك لَشهيدٌ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أن اللّٰه تعالى على كفر الإنسان لشهيد، قاله ابن جريج.

الثاني: أن الإنسان شاهد على نفسه، لأنه كنود، قاله ابن عباس.

﴿وإنه لِحُبِّ الخيرِ لشديدٌ﴾ يعني الإنسان، وفي الخير ها هنا وجهان:

أحدهما: المال، قاله ابن عباس، ومجاهد وقتادة.

الثاني: الدنيا، قاله ابن زيد.

ويحتمل ثالثاً: أن الخير ها هنا الاختيار، ويكون معناه: وإنه لحب اختيـاره لنفسه لشديد.

وفي قوله ﴿لشديد﴾ وجهان:

أحدهما: لشديد الحب للخير، وشدة الحب قوته وتزايده.

الثاني: لشحيح بالمال يمنع حق اللّٰه منه، قاله الحسن، من قولهم فلان شديد أي شحيح.

﴿أفَلاَ يَعْلَمُ إذا بُعْثِرَ ما في القُبورِ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: من فيها من الأموات.

الثاني: معناه مات.

الثالث: بحث، قاله الضحاك، وهي في قراءة ابن مسعود: بُحْثِرَ ما في القبور.

﴿وحُصِّلَ ما في الصُّدُورِ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: ميز ما فيها، قاله الكلبي.

الثاني: استخرج ما فيها.

الثالث: كشف ما فيها.

﴿إنَّ ربَّهم بهم يومئذٍ لَخبيرٌ﴾ أي عالم، ويحتمل وجهين:

أحدهما: لخبير بما في نفوسهم.

الثاني: لخبير، بما تؤول إليه أمورهم.

أعرفه قلت: وضعفه السيوطي في الدر (٦٠٣/٨) وزاد نسبته لابن عساكر والبيهقي وابن مردويه وقد روي الحديث موقوفاً على أبي أمامة من طريق آخر رواه الطبري (٢٧٨/٣٠).



مكية في قولهم جميعاً

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

ٱلْقَارِعَةُ ﴿١﴾ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴿٢﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴿٣﴾ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ﴿٤﴾ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ﴿٥﴾ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ﴿١١﴾

قوله تعالى: **﴿القارِعَةُ * ما القارِعَةُ﴾** فيه وجهان:

أحدهما: أنها العذاب، لأنها تقرع قلوب الناس بهولها.

ويحتمل ثالثاً:(٤٤٨) أنها الصيحة لقيام الساعة، لأنها تقرع بشدائدها.

وقد تسمى بالقارعة كل داهية، كما قال تعالى: **﴿ولا يزالُ الذين كفروا تُصيبُهم بما صَنَعوا قارعةٌ﴾** [الرعد: ٣١] قال الشاعر:(٤٤٩)

متى تُقْرَعْ بمرْوَتكمْ نَسُؤْكم ... ولم تُوقَدْ لنا في القِدْرِ نارُ

﴿ما القارعة﴾ تعظيماً لها، كما قال تعالى: **﴿الحاقّة ما الحاقّة﴾**.

---

(٤٤٨) لاحظ أنه لم يذكر القول الثاني.

(٤٤٩) القرطبي (٢٠/١٦٤).

﴿يومَ يكونُ النّاسُ كالفَراشِ المبْثُوثِ﴾ وفي الفراش قولان:

أحدهما: أنه الهمج الطائر من بعوض وغيره، ومنه الجراد، قاله الفراء،

الثاني: أنه طير يتساقط في النار ليس ببعوض ولا ذباب، قاله أبو عبيدة وقتادة.

وفي ﴿المبثوث﴾ ثلاثة أوجه:

أحدها: أنه المبسوط، قاله الحسن.

الثاني: المتفرق، قاله أبو عبيدة.

الثالث: أنه الذي يحول بعضه في بعض، قاله الكلبي.

وإنما شبه الناس الكفار يوم القيامة بالفراش المبثوث لأنهم يتهافتون في النار كتهافت الفراش.

﴿وتكونُ الجِبالُ كالعِهْنِ المنْفُوشِ﴾ والعِهن: الصوف ذو الألوان في قول أبي عبيدة، وقرأ ابن مسعود «كالصوف».

وقال﴿كالْعِهْنِ المَنْفُوشِ﴾لخفته، وضعفه، فشبه به الجبال لخفتها، وذهابها بعد شدَّتها وثباتها.

ويحتمل أن يريد جبال النار تكون كالعهن لحمرتها وشدة لهبها، لأن جبال الأرض تسير ثم تنسف حتى يدكَ بها الأرض دكًا.

﴿فأمّامَنْ ثَقُلَتْ مَوازِينُه﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنه ميزان ذو كفتين توزن به[٤٥٠] الحسنات والسيئات، قاله الحسن، قال أبو بكر رضي اللّهٰ عنه:[٤٥١] وحق لميزان لا يوضع فيهٰ إلا الحق أن يكون ثقيلاً.

الثاني: الميزان هو الحساب، قاله مجاهد، ولذلك قيل: اللسان وزن الإنسان، وقال الشاعر:[٤٥٢]

قد كنت قبل لقائكم ذا مِرّةٍ ... عندي لكل مُخاصِمٍ مِيزانُه

أي كلام أعارضه به.

(٤٥٠) وهو الصواب للأحاديث الكثيرة الثابتة عن رسول الله ﷺ.

(٤٥١) جزء من حديث موقوف أوصى فيه أبو بكر عمر رضي الله عنه رواه الطبري وغيره.

(٤٥٢) الطبري (٣٠/٢٨٢)، القرطبي (٢٠/١٦٦) فتح القدير (٥/١٨٦) اللسان وزن.

الثالث: أن الموازين الحجج والدلائل، قاله عبد العزيز بن يحيى، واستشهد فيه بالشعر المتقدم.

وفي الموازين وجهان:

أحدهما: جمع ميزان.

الثاني: أنه جمع موزون.

﴿فهو في عِيشةٍ راضِيةٍ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: يعني في عيشة مرضية، قال قتادة: وهي الجنة.

الثاني: في نعيم دائم، قاله الضحاك، فيكون على الوجه الأول من المعاش، وعلى الوجه الثاني من العيش.

﴿وأمّا مَنْ خَفّتْ مَوازِينُه * فأمُّهُ هاويةٌ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن الهاوية جهنم، سماها أُمًّا له لأنه يأوي إليها كما يأوي إلى أُمّه، قاله ابن زيد، ومنه قول أمية بن أبي الصلت(٤٥٣).

فالأرضُ مَعْقِلُنا وكانتْ أُمّنا   فيها مقابِرُنا وفيها نُولَدُ

وسميت النار هاوية لأنه يهوي فيها مع بعد قعرها.

الثاني: أنه أراد أُمّ رأسه يهوي عليها في نار جهنم، قاله عكرمة.

وقال الشاعر: (٤٥٤)

يا عَمروُ لو نالَتْك أرْحامُنا   كُنْتَ كَمن تَهْوِي به الهاوِيَة

---

(٤٥٣) فتح القدير (١٨٧/٥) القرطبي (١٦٧/٢٠).

(٤٥٤) القرطبي (١٦٧/٢٠) فتح القدير (١٨٧/٥).



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ﴿١﴾ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ﴿٢﴾ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ﴿٥﴾ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ﴿٦﴾ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ﴿٧﴾ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾

قوله تعالى: ﴿أَلْهاكُم التّكاثُرُ﴾ في ﴿ألهاكم﴾ وجهان:

أحدهما: أشغلكم.

الثاني: أنساكم، ومعناه ألهاكم عن طاعة ربكم وشغلكم عن عبادة خالقكم.

وفي ﴿التكاثر﴾ ثلاثة أقاويل:

أحدها: التكاثر بالمال والأولاد، قاله الحسن.

الثاني: التفاخر بالعشائر والقبائل، قاله قتادة.

الثالث: التشاغل بالمعاش والتجارة، قاله الضحاك[٤٥٥].

﴿حتى زُرْتُم المقابِرَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: حتى أتاكم الموت فصرتم في المقابر[٤٥٦] زوّاراً ترجعون منها كرجوع الزائر إلى منزله من جنة أو نار.

(٤٥٥) الأولى تفسير التكاثر بكل ما يشغل ويلهي عن طاعة الله.

(٤٥٦) قال العلامة القرطبي (٢٠/١٧١) قال العلماء ينبغي لمن أراد علاج قلبه وانقياده بسلاسل القهر الى

الثاني: ما حكاه الكلبي وقتادة: أن حيّين من قريش، بني عبد مناف وبني سهم، كان بينهما ملاحاة فتعادّوا بالسادة والأشراف أيهم أكثر، فقال بنو عبد مناف: نحن أكثر سيّداً وعزاً وعزيزاً وأعظم نفراً، وقال بنو سهم مثل ذلك، فكثرهم بنو عبد مناف، فقال بنو سهم إن البغي أهلكنا في الجاهلية فعُدّوا الأحياء والأموات، فعدّوهم فكثرتهم بنو سهم، فأنزل اللّهُ تعالى ﴿ألهاكم التكاثر﴾ يعني بالعدد ﴿حتى زرتم المقابر﴾ أي حتى ذكرتم الأموات في المقابر.

﴿كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمونَ * ثم كلاّ سَوْفَ تَعلَمونَ﴾ هذا وعيد وتهديد، ويحتمل أن يكون تكراره على وجه التأكيد والتغليظ.

ويحتمل أن يعدل به عن التأكيد فيكون فيه وجهان:

أحدهما: كلا سوف تعلمون عند المعاينة أن ما دعوتكم إليه حق، ثم كلا سوف تعلمون عند البعث أن ما وعدتكم صدق.

الثاني: كلا سوف تعلمون عند النشور أنكم مبعوثون، ثم كلا سوف تعلمون في القيامة أنكم معذَّبون.

﴿كلاّ لو تَعْلَمون عِلْمَ اليَقِين﴾ معناه لو تعلمون في الحياة قبل الموت من البعث والجزاء ما تعلمونه بعد الموت منه.

﴿عِلْمَ اليقين﴾ فيه وجهان:

أحدهما: علم الموت الذي هو يقيني لا يعتريه شك، قاله قتادة.

الثاني: ما تعلمونه يقيناً بعد الموت من البعث والجزاء، قاله ابن جريج.

وفي ﴿كَلاَّ﴾ في هذه المواضع الثلاثة وجهان:

أحدهما: أنها بمعنى «إلا»، قاله أبو حاتم.

الثاني: أنها بمعنى حقاً، قاله الفراء.

﴿لَتَرَوُنَّ الجَحيمَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن هذا خطاب للكفار الذين وجبت لهم النار.

الثاني: أنه عام، فالكافر هي له دار والمؤمن يمر على صراطها.

طاعة ربه أن يكثر من ذكر هادم اللذات ومفرق الجماعات ومؤتم البنين والبنات ويواظب على مشاهدة المحتضرين وزيارة قبور أموات المسلمين فهذه ثلاث أمور ينبغي لمن قسا قلبه ولزمه ذنبه أن يستعين بها على دواء دائه . . . . . الخ.

روى زيد بن أسلم عن أبيه قال:[٤٥٧] قال رسول اللّٰه ﷺ: يرفع الصراط وسط جهنم، فناجٍ مسلّم، ومكدوس في نار جهنم.

﴿ثم لَتَرَوُنَّها عَيْنَ اليَقين﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن عين اليقين المشاهدة والعيان.

الثاني: أنه بمعنى الحق اليقين، قاله السدي.

ويحتمل تكرار رؤيتها وجهين:

أحدهما: أن الأول عند ورودها.

والثاني: عند دخولها.

﴿ثم لَتُسْأَلُنَّ يومَئذٍ عن النَّعيمِ﴾ فيهْ سبعة أقاويل:

أحدها: الأمن والصحة، قاله ابن مسعود؛ وقال سعيد بن جبير: الصحة والفراغ[٤٥٨]، للحديث.

الثاني: الإدراك بحواس السمع والبصر، قاله ابن عباس.

الثالث: ملاذّ المأكول والمشروب، قاله جابر بن عبداللّٰه الأنصاري.

الرابع: أنه الغداء والعشاء، قاله الحسن.

الخامس: هو ما أنعم اللّٰه عليكم بمحمد ﷺ، قاله محمد بن كعب.

السادس: عن تخفيف الشرائع وتيسير القرآن، قاله الحسن أيضاً والمفضل.

السابع: ما رواه زيد بن أسلم عن أبيه[٤٥٩] قال: قال رسول اللّٰه ﷺ: «ثم لتسألن يومئذٍ عن النَعيم» عن شبع البطون وبارد الماء وظلال المساكن واعتدال الخلق ولذة النوم، وهذا السؤال يعم المؤمن والكافر، إلا أن سؤال المؤمن تبشير بأن جمع له بين نعيم الدنيا ونعيم الآخرة، وسؤال الكافر تقريع لأنه قابل نعيم الدنيا بالكفر والمعصية. ويحتمل أن يكون ذلك تذكيراً بما أوتوه، ليكون جزاء على ما قدموه.

---

(٤٥٧) رواه ابن أبي حاتم وابن مردويه كما في الدر (٨/٦١١).

(٤٥٨) يعني ما رواه الترمذي (٢٤١٩) عن أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ «لا تزول قدما عبد حتى يسأل عن عمره فيما أفناه وعن علمه فيم فعل فيه وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه وعن جسمه فيما أبلاه» ورواه الترمذي من حديث ابن مسعود وهو حسن بشواهده وحسنه الأرناؤوط في تخريج جامع الأصول (١٠/٤٣٦).

(٤٥٩) جزء من الحديث المتقدم.



مكية، وفي إحدى الروايتين عن ابن عباس وقتادة أنها مدنية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ (٣)

قوله تعالى ﴿والعَصْرِ﴾ وهذا قَسَمٌ، فيه قولان:

أحدهما: أن العصر الدهر، قاله ابن عباس وزيد بن أسلم.

الثاني: أنه العشي ما بين زال الشمس وغروبها، قاله الحسن وقتادة، ومنه قول الشاعر(٤٦٠):

تَـرَوَّحْ بنا يا عمرُو قـد قصر العَصْـرُ ... وفي الـرَّوْحـةِ الأُولى الغنيمــةُ والأَجْـرُ

وخصه بالقسم لأن فيه خواتيم الأعمال.

ويحتمل ثالثاً: أن يريد عصر الرسول ﷺ لفضله بتجديد النبوة فيه.

وفيه رابع: أنه أراد صلاة العصر، وهي الصلاة الوسطى، لأنها أفضل الصلوات، قاله مقاتل.

﴿إنّ الإنسانَ لَفي خُسْر﴾ يعني بالإنسان جنس الناس.

وفي الخسر أربعة أوجه:

---

(٤٦٠) القرطبي (٢٠ / ١٧٩) فتح القدير (٥/ ٤٩١).

أحدها: لفي هلاك، قاله السدي.

الثاني: لفي شر، قاله زيد بن أسلم.

الثالث: لفي نقص، قاله ابن شجرة.

الرابع: لفي عقوبة، ومنه قوله تعالى: ﴿وكان عاقبة أمْرِها خُسْراً﴾ وكان عليّ رضي اللّٰه عنه يقرؤها(٤٦١): والعصر ونوائب الدهر إنّ الإنسان لفي خُسْرٍ وإنه فيه إلى آخر الدهر.

﴿إلا الذين آمنوا وعَمِلوا الصّالحاتِ وتَواصَوْا بالحَقِّ﴾ في الحق ثلاثة تأويلات:

أحدها: أنه التوحيد، قاله يحيى بن سلام.

الثاني: أنه القرآن، قاله قتادة.

الثالث: أنه اللّٰه، قاله السدي.

ويحتمل رابعاً: أن يوصي مُخَلِّفيه عند حضور المنية ألا يمُوتنَّ إلا وهم مسلمون.

﴿وتَوَاصوا بالصَّبْر﴾ فيه وجهان:

أحدهما: على طاعة اللّٰه، قاله قتادة.

الثاني: على ما افترض اللّٰه، قاله هشام بن حسان.

ويحتمل تأويلاً ثالثاً: بالصبر عن المحارم واتباع الشهوات(٤٦٢).

---

(٤٦١) يحتمل أن تكون هذه القراءة على سبيل التفسير والله أعلم والأثر الوارد عن علي رضي الله عنه رواه ابن جرير (٣٠/ ٢٩٠) وزاد السيوطي في الدر (٨/ ٦٢١) للفريابي وعبد بن حميد وابن المنذر وابن الأنباري في المصاحف والحاكم.

(٤٦٢) وقال الإمام الشافعي رحمه الله: «لو قدر الناس هذه السورة لكفتهم» وذلك لما فيها من مراتب يحصل للشخص بها غاية الكمال أحدها معرفة الحق والثانية العمل به والثالث تعليمه وبذله لمن هو له أهل والرابع صبره على تعلمه.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴿١﴾ الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ ﴿٢﴾ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ ﴿٣﴾ كَلَّا لَيُنبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ ﴿٤﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ ﴿٥﴾ نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ ﴿٦﴾ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ ﴿٧﴾ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ﴿٨﴾ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ﴿٩﴾

قوله تعالى ﴿وَيْلٌ لكلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ﴾ فيه أربعة تأويلات:

أحدها: أن الهمزة المغتاب، واللمزة العيّاب، قاله ابن عباس، ومنه قول زياد الأعجم(٤٦٣):

تُدْلي بوُدّي إذا لاقيتني كَذِباً ... وإن أُغَيَّبْ فأنْتَ الهامزُ اللُّمَزة.

الثاني: أن الهمزة الذي يهمز الناس، واللمزة الذي يلمزهم بلسانه، قاله ابن زيد.

الثالث: أن الهمزة الذي يهمز في وجهه إذا أقبل، واللمزة الذي يلمزه من خلفه إذا أدبر، قاله أبو العالية، ومنه قول حسان(٤٦٤):

(٤٦٣) روح المعاني (٣٠/٢٢٩) وفيه.

إذا لقيتك عن سخط تكاشرلي وكذا في القرطبي (٢٠/١٨٢) والطبري (٢٠/٢٩١) وقد تقدم تخريج هذا البيت في سورة القلم.

(٤٦٤) ديوانه: ١٤٨ والبيت فيه.

مجلله شنارا ... مضرمة تأجج كالشواظ

كهمزة ضيغم يحمي عريناً ... شديد مغارز الأضلاع غاظى

والقرطبي (٢٠/١٨١).

همــزتــك فــاخْتَضَعْتَ بــذُلِّ نَفْسٍ بــقــافــيــةٍ تــأجــج كــالــشُّــواظِ

الرابع: أن الهمزة الذي يعيب جهراً بيد أو لسان، واللمزة الذي يعيبهم سراً بعين أو حاجب، قاله عبد الملك بن هشام.

قال رؤبة:

في ظل عَصْرَيْ باطِلي وَلَمزِي ....

واختلفوا فيمن نزلت فيه على خمسة أقاويل:

أحدها: في أُبي بن خلف، قاله عمار.

الثاني: في جميل بن عامر الجمحي، قاله مجاهد.

الثالث: في الأخنس بن شريق الثقفي، قاله السدي.

الرابع: في الوليد بن المغيرة، قاله ابن جريج.

الخامس: أنها مرسلة على العموم من غير تخصيص، وهو قول الأكثرين.

﴿الذي جَمَعَ مَالاً وعَدَّدَه﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: يعني أحصى عدده، قاله السدي.

الثاني: عددّ أنواع ماله، قاله مجاهد.

الثالث: لما يكفيه من الشين، قاله عكرمة.

الرابع: اتخذ ماله لمن يرثه من أولاده.

ويحتمل خامساً: أنه فاخر بعدده وكثرته.

﴿يَحْسَبُ أنّ ماله أَخْلَدَهُ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: يزيد في عمره، قاله عكرمة.

الثاني: يمنعه من الموت، قاله السدي.

ويحتمل ثالثاً: ينفعه بعد موته.

﴿كَلَّا لَيُنبَذَنَّ في الحُطَمَةِ﴾ وفيها ثلاثة أوجه:

أحدها: أنه اسم باب من أبواب جهنم، قاله ابن واقد، وقال الكلبي هو الباب السادس.

الثاني: أنه اسم درك من أدراك جهنم، وهو الدرك الرابع، قاله الضحاك.

الثالث: أنه اسم من أسماء جهنم، قاله ابن زيد.

وفي تسميتها بذلك وجهان:

أحدهما:(٤٦٥) لأنها تحطم ما أُلقي فيها، أي تكسره وتهده، ومنه قول الراجز:

إنا حَطْمنا بالقضيب مُصْعَبا يومَ كَسَرنا أَنْفَه ليَغْضَبا

﴿التي تَطّلِعُ على الأَفئدةِ﴾ روى خالد بن أبي عمران(٤٦٦) عن النبي ﷺ أن النار تأكل أهلها حتى إذا اطلعت على أفئدتهم انتهت، ثم إذا صدروا تعود، فذلك قوله ﴿نار اللّهُ الموقدة، التي تطلع على الأفئدة﴾. ويحتمل اطلاعها على الأفئدة وجهين:

أحدهما: لتحس بألم العذاب مع بقاء الحياة ببقائها.

الثاني: استدل بما في قلوبهم من آثار المعاصي وعقاب على قدر استحقاقهم لألم العذاب، وذلك بما استبقاه اللّهُ تعالى من الإمارات الدالة عليه.

﴿إنَّها عليهم مُؤْصَدَةٌ﴾ فيهٰ ثلاثة أوجه:

أحدها: مطبقة، قاله الحسن والضحاك.

الثاني: مغلقة بلغة قريش، يقولون آصد الباب إذا أغلقه، قاله مجاهد ومنه قول عبيداللّهُ بن قيس الرقيات(٤٦٧):

إن في القَصْر لو دَخَلْنَا غَزالاً مُصْفقاً مُوصَداً عليه الحجابُ

الثالث: مسدودة الجوانب لا ينفتح منها جانب، قاله سعيد بن المسيب، وقال مقاتل بن سليمان: لا يدخلها روْح ولا يخرج منها غم.

﴿في عَمَدٍ مُمَدَّدةٍ﴾ فيه خمسة أوجه:

أحدها: أنها موصدة بعمد ممددة، قاله ابن مسعود، وهي في قراءته «بعَمَدٍ ممدّدة».

الثاني: أنهم معذبون فيها بعمُد محددة، قاله قتادة.

الثالث: أن العُمد الممدة الأغلال في أعناقهم، قاله ابن عباس.

الرابع: أنها قيود في أرجلهم، قاله أبو صالح.

الخامس: معناه في دهر ممدود، قاله أبو فاطمة.

---

(٤٦٥) لاحظ أنه لم يذكر القول الثاني.

(٤٦٦) القرطبي (٢٠/١٨٤) روح المعاني (٣٠/٢٣١).

(٤٦٧) لم أعثر عليه ولكن ورد مثله في قول محمد بن كعب رواه عبد بن حميد وابن أبي حاتم.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴿٥﴾

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كيفَ فَعَلَ ربُّكَ بأصْحابِ الفِيلِ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: ألم تخبر فتعلم كيف فعل ربك بأصحاب الفيل.

الثاني: ألم ترَ آثار ما فعل ربك بأصحاب الفيل، لأن النبي ﷺ لم ير أصحاب الفيل.

واختلف في مولده عليه السلام من عام الفيل على ثلاثة أقاويل:

أحدها: أن مولده بعد أربعين سنة من عام الفيل، قاله مقاتل.

الثاني: بعد ثلاث وعشرين سنة منه، قاله الكلبي وعبيد بن عمير.

الثالث: أنه عام الفيل(٤٦٨)، روي ذلك عن النبي ﷺ وروي عنه أنه قال: ولدت يوم الفيل(٤٦٩).

واختلف في سبب الفيل على قولين:

(٤٦٨) القرطبي (٢٠/١٨٥) وفتح القدير (٥/٤٩٤).

(٤٦٩) وهو أشهر الأقوال كما قال ابن كثير (٤/٥٤٩) ولا خلاف بين الجمهور في هذا راجع البداية والنهاية (١/٢٦٠، ٢٦١، ٢٦٢).

أحدهما: ما حكاه ابن عباس: أن أبرهة بن الصباح بنى بيعة بيضاء[٤٧٠] يقال لها القليس، وكتب إلى النجاشي إني لست منتهياً حتى أصرف إليها حج العرب، فسمع ذلك رجل من كنانة، فخرج إلى القليس ودخلها ليلاً فأحدث فيها، فبلغ ذلك أبرهة فحلف بالله ليسيرن إلى الكعبة فيهدمها، فجمع الأحابيش وجنّد الأجناد، وسار، ودليله أبو رغال، حتى نزل بالمغمّس، وجعل على مقدمته الأسود بن مقصود حتى سبى سرح مكة وفيه مائتا بعير لعبد المطلب قد قلّد بعضها، وفيه يقول عكرمة بن عامر بن هاشم بن عبد مناف:

لاهمّ أخْزِ الأسود بن مقصودِ ... الآخذ الهجمة فيها التقليدْ.
بين حراء، وثبير فالبيد ... يحبسها وهي أُولات التطريدْ.
فضمّها إلى طماطم سُودْ ... قد أجْمعوا ألا يكون معبودْ.
ويهْدموا البيت الحرام المعمود ... والمروتين والمشاعر السودْ
اخْفِرْه يا ربِّ وأنت محمودْ

وتوجه عبد المطلب وكان وسيماً جسيماً لا تأخذه العين إلى أبرهة، وسأله في إبله التي أخذت، فقال أبرهة: لقد كنت أعجبتني حين رأيتك وقد زهدت الآن فيك، قال: ولم؟ قال: جئت لأهدم بيتاً هو دينك ودين آبائك فلم تكلمني فيه، وكلمتني في مائتي بعير لك، فقال عبد المطلب: الإبل أنا ربها، وللبيت رب سيمنعه، فقال أبرهة: ما كان ليمنعه مني، فقال عبد المطلب: لقد طلبته تبّع وسيف بن ذي يزن وكسرى فلم يقدروا عليه، وأنت ذاك فرد عليه إبله، وخرج عبد المطلب وعاد إلى مكة، فأخبر قريشاً بالتحرز في الجبال، وأتى البيت وأخذ بحلقة الباب وجعل يقول:

لاهـمّ إنّ العَبْدَ يَمْـ ... ـنَعُ رحْلَهُ فامْنَع حَلالَكْ.
لا يَغْلبنّ صَليبُهم ... ومحالُهم غَدْواً مِحالكْ.
إنْ كنتَ تاركَهم وقبْـ ... ـلَتَنا فأمْرٌ ما بدا لَكَ.

المحال: القوة.

---

(٤٧٠) لم أهتد إلى تخريجه مرفوعاً وإنما وقفت عليه موقوفاً من حديث ابن عباس وجابر أنهما قالا ولد رسول الله ﷺ عام الفيل رواه ابن أبي شيبة عنهما ورواه البيهقي كما قال ابن كثير في البداية والنهاية (١/٢٦١) عن ابن عباس موقوفاً. قلت: ورواه ابن: إسحاق في السيرة وسنده حسن عن قيس بن مخرمة قال ولدت انا ورسول الله [ﷺ] عام الفيل كنا لدتين» ورواه الترمذي (٣٦٢٣).

الثاني: ما حكاه الكلبي ومقاتل يزيد أحدهما وينقص أن فتية من قريش خرجوا إلى أرض الحبشة تجاراً، فنزلوا على ساحل البحر على بيعة النصارى في حقف من أحقافها، قال الكلبي تسمى البيعة ماسرجيان، وقال مقاتل: تسمى الهيكل، فأوقدوا ناراً لطعامهم وتركوها وارتحلوا فهبت ريح عاصف فاضطرمت البيعة ناراً فاحترقت، فأتى الصريخ إلى النجاشي فأخبره، فاستشاط غضباً، وأتاه أبرهة بن الصبّاح وحجر بن شراحبيل وأبو يكسوم الكِنْديون، وضمنوا له إحراق الكعبة وسبي مكة، وكان النجاشي هو الملك، وأبرهة صاحب الجيش، وأبو يكسوم نديم الملك وقيل وزيره، وحجر بن شراحبيل من قواده، وقال مجاهد: أبو يكسوم هو أبرهة بن الصبّاح، فساروا بالجيش ومعهم الفيل، قال الأكثرون: هو فيل واحد، وقال الضحاك: كانت ثمانية فيلة، ونزلوا بذي المجاز، واستاقوا سرح مكة، وفيها إبل عبد المطلب، وأتى الراعي نذيراً فصعد الصفا وصاح: واصباحاه! ثم أخبر الناس بمجيء الجيش والفيل، فخرج عبد المطلب وتوجه إلى أبرهة وسأله في إبله، فردّها مستهزئاً ليعود لأخذها إذا دخل مكة.

واختلف في النجاشي هل كان معهم أم لا، فقال قوم: كان معهم، وقال الآخرون: لم يكن معهم.

وتوجه الجيش إلى مكة لإحراق الكعبة، فلما ولى عبد المطلب بإبله احترزها في جبال مكة، وتوجه إلى مكة من طريق منى، وكان الفيل إذا بعث إلى الحرم أحجم، وإذا عدل به عنه أقدم، قال محمد بن إسحاق: كان اسم الفيل محمود[٤٧١]، وقالت عائشة: رأيت قائد الفيل وسائقه أعميين مقعدين يستطعمان أهل مكة.

ووقفوا بالمغمّس فقال عبد الله بن مخزوم:[٤٧٢]

أنت الجليل ربنا لم تدنس ... أنت حبست الفيل بالمغمّس

حبسته في هيئة المكركس ... وما لهم من فرجٍ ومنفسِ.

المكركس: المطروح المنكوس.

---

(٤٧١) راجع هذا الخبر بطوله في سيرة ابن هشام (١/٥٣).

(٤٧٢) وهذا لا يصح نسبته إلى أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بل لعلها لم تولد وقد نسبت هذا الكلام لعتاب بن أسيد.

وبصر أهل مكة بالطير قد أقبلت من ناحية البحر، فقال عبد المطلب: إن هذه لطير غريبة بأرضنا، ما هي بنجدية ولا تهامية ولا حجازية، وإنها أشباه اليعاسيب، وكان في مناقيرها وأرجلها حجارة، فلما أطلت على القوم ألقتها عليهم حتى هلكوا، قال عطاء بن أبي رباح: جاءت الطير عشية فباتت، ثم صبحتهم بالغداة فرمتهم، وقال عطية العوفي: سألت عنها أبا سعيد الخدري: فقال: حمام مكة منها.

وأفلت من القوم أبرهة ورجع إلى اليمن فهلك في الطريق.

وقال الواقدي: أبرهة هو جد النجاشي الذي كان في زمان رسول اللّه ﷺ فلما أيقنوا بهلاك القوم، قال الشاعر[٤٧٣]:

أيـن الـمـفـر والإلـه الـطـالـبْ والأشـرمُ المغلوبُ ليس الغـالبْ.

يعني بالأشرم أبرهة، سمي بذلك لأن أرياط ضربه بحربة فشرم أنفه وجبينه، أي وقع بعضه على بعض.

وقال أبو الصلت بن مسعود[٤٧٤]، وقيل بل قاله عبد المطلب:

إنّ آيـاتِ ربِّـنـا نـاطِـقـاتٌ لايُـمـاري بـهـنّ إلا الـكَـفُـور.
حَبَسَ الـفـيـلَ بـالـمـغَـمس حتى مَـرَّ يـعْـوي كـأنـه مَـعْـقـورُ.

﴿أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهم في تَضْليل﴾ لأنهم أرادوا كيد قريش بالقتل والسبي، وكيد البيت بالتخريب والهدم.

يحكى عن عبد المطلب بعد ما حكيناه عنه أنه أخذ بحلقة الباب وقال:

يـا رب لا نـرجـو لـهـم سـواكـا يـا رب فـامـنـع منهم حـمـاكـا.
إن عـدو الـبـيـت مـن عـاداكـا امـنـعـهـم أن يـخـربـوا قـراكـا.

ثم إن عبد المطلب بعث ابنه عبد اللّه على فرس له سريع، ينظر ما لقوا فإذا القوم مشدخون، فرجع يركض كاشفاً عن فخده، فلما رأى ذلك أبوه قال: إن ابني أفرس العرب وما كشف عن فخذه إلا بشيراً أو نذيراً. فلما دنا من ناديهم بحيث يُسمعهم قالوا: ما وراءك؟ قال: هلكوا جميعاً، فخرج عبد المطلب وأصحابه فأخذوا أموالهم، فكانت أموال بني عبد المطلب، وبها كانت رياسة عبد المطلب لأنه احتمل

(٤٧٣) هو نفيل بن حبيب كما في السيرة لابن هشام.
(٤٧٤) وقال ابن هشام (١/٦٢) وهي تروى لأمية بن أبي الصلت.

ما شاء من صفراء وبيضاء، ثم خرج أهل مكة بعده فنهبوا، فقال عبد المطلب:

أنتَ مَنعْتَ الحُبْشَ والأَفْيالا وقد رَعَوا بمكةَ الأَجيالا .
وقد خَشِينا منهم القتالا وكُلَّ أمرٍ لهمن مِعضالا .
وشكراً وحْمداً لك ذا الجلالا .

ويحتمل تضليل كيدهم وجهين:

أحدهما: أن كيدهم أضلهم حتى هلكوا.

الثاني: أن هلاكهم أَضل كيدهم حتى بطل.

﴿وأَرْسَلَ عليهم طَيْراً أبابِيلَ﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنها من طير السماء، قال سعيد بن جبير: لم ير قبلها ولا بعدها مثلها ويروي جويبر عن الضحاك عن ابن عباس، قال[٤٧٥]: سمعت رسول اللّه ﷺ يقول: إنها طير بين السماء والأرض تعشش وتفرخ.

القول الثاني: أنها العنقاء المغرب التي تضرب بها الأمثال، قاله عكرمة.

الثالث: أنها من طير الأرض، أرسلها اللّه تعالى من ناحية البحر، مع كل طائر ثلاثة أحجار، حجران في رجليه، وحجر في منقاره، قاله الكلبي. وكانت سوداً، خضر المناقير طوال الأعناق، وقيل: بل كانت أشباه الوطاويط، وقالت عائشة: كن أشباه الخطاطيف.

واختلف في «أبابيل» على خمسة أقاويل:

أحدها: أنها الكثيرة، قاله الحسن وطاوس.

الثاني: المتتابعة التي يتبع بعضها بعضاً، قاله ابن عباس ومجاهد.

الثالث: أنها المتفرقة من ها هنا وها هنا، قاله ابن مسعود والأخفش، ومنه قول الشاعر:

إن سلولاً عداك الموت عارفة لولا سلول مشينا أبابيلا.

أي متفرقين.

الرابع: أن الأبابيل المختلفة الألوان، قاله زيد بن أسلم.

الخامس: أن تكون جمعاً بعد جمع، قاله أبو صالح وعطاء، ومنه قول الشاعر:

---

(٤٧٥) وهذا الطريق ضعيف لأن جويبر متروك الحديث.

وأبابيل من خيول عليها ... كأسود الأداء تحت العوالي.

وقال إسحاق بن عبدالله بن الحارث: الأبابيل مأخوذ من الإبل المؤبلة، وهي الأقاطيع.

واختلف النحويون هل للأبابيل واحد من جنسه، فذهب أبو عبيدة والفراء وثعلب إلى أنه لا واحد له كالعباديد والسماطيط، وذهب آخرون إلى أن له واحد، واختلفوا في واحده، فذهب أبو جعفر الرؤاسي إلى أن واحده إبّالة مشددة، وقال الكسائي: واحدها إبول، وقال ابن كيسان واحده إبيّل.

﴿تَرْميهم بحجارةٍ مِن سِجّيلٍ﴾ فيه أربعة أقاويل:

أحدها: أن السجيل كلمة فارسية هي سنك وكل، أولها حجر، وآخرها: طين، قاله ابن عباس.

الثاني: أن السجيل هو الشديد، قاله أبو عبيدة، ومنه قول ابن مقبل(٤٧٦):

ورجْلةٍ يضْرِبون البَيْضَ عن عَرَضٍ ... ضَرْباً تواصى به الأبطالُ سِجّيلاً

الثالث: أن السجيل اسم السماء الدنيا، فنسبت الحجارة إليها لنزولها منها، قاله ابن زيد.

الرابع: أنه اسم بحر من الهواء، منه جاءت الحجارة فنسبت إليه، قاله عكرمة وفي مقدار الحجر قولان:

أحدهما: أنه حصى الخذف، قاله مقاتل.

الثاني: كان الحجر فوق العدسة ودون الحمصة، قاله أبو صالح: رأيت في دار أم هانىء نحو قفيز من الحجارة التي رمي بها أصحاب الفيل مخططة بحمرة كأنها الجزع، وقال ابن مسعود: ولما رمت الطير بالحجارة بعث اللّه ريحها فزادتها شدة، وكانت لا تقع على أحد إلا هلك ولم يسلم منهم إلا رجل من كندة، فقال:

فإنكِ لو رأيْتِ ولم تريهِ ... لدى جَنْبِ المغَمَّسِ ما لَقينا

خَشيتُ اللّه إذ قَدْ بَثَّ طَيْراً ... وظِلَّ سَحابةٍ مرَّتْ علينا

وباتت كلُّها تدْعو بحقٍّ ... كأنَّ لها على الحُبْشانِ دَيْنا

﴿فجعَلَهم كعَصْفٍ مأكولٍ﴾ فيه خمسة أقاويل:

(٤٧٦) تقدم تخريجه في سورة المطففين.

أحدها: أن العصف ورق الزَّرع، والمأكول الذي قد أكله الدود، قاله ابن عباس.

الثاني: أن العصف المأكول هو الطعام، وهذا قول حسين بن ثابت.

الثالث: أنه قشر الحنطة إذا أكل ما فيه، رواه عطاء بن السائب.

الرابع: أنه ورق البقل إذا أكلته البهائم فراثته، قاله ابن زيد.

الخامس: أن العصف التين والمأكول القصيل للدواب، قاله سعيد بن جبير والحسن، واختلف فيما فعله اللّٰه بهم، فقال قوم: كان ذلك معجزة لنبيّ كان في ذلك الزمان، وقيل إنه كان خالد بن سنان[٤٧٧].

وقال آخرون: بل كان تمهيداً وتوطيداً لنبوة[٤٧٨] محمد ﷺ لأنه ولد في عامه وقيل في يومه.

(٤٧٧) لم يصح الحديث في ذلك.

(٤٧٨) وهذه الأشياء تسمى بالإرهاصات بين يدي النبوة.



مكية في قول الأكثرين، ومدينة في قول الضحاك.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ﴿١﴾ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ﴿٢﴾ فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ﴿٣﴾ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ﴿٤﴾

قوله تعالى ﴿لإيلافِ قُريْشٍ﴾ الإيلاف مأخوذ من أَلِف يألَف، وهي العادة المألوفة، ومنه قولهم ائتلف القوم.

وفي قوله ﴿لإيلاف قريش﴾ أربعة أقاويل:

أحدها: نعمتي على قريش، لأن نعمة اللَّه عليهم أن ألفه لهم، قاله ابن عباس ومجاهد.

الثاني: لإيلاف اللَّه لهم لأنه آلفهم إيلافاً، قاله الخليل بن أحمد.

الثالث: لإيلاف قريش حَرَمي وقيامهم ببيتي، وهذا معنى قول الحسن.

الرابع: لإيلاف ما ذكره من رحلة الشتاء والصيف في معايشهم، قاله مكحول.

وفي اللام التي في «لإيلاف قريش» قولان:

أحدهما: أنه صلة يرجع إلى السورة المتقدمة من قولهم﴿ألم تر كيف﴾ إلى أن قال: ﴿فجعلهم كعصْف مأكولٍ﴾ لإيلاف قريش، فصار معناه أن ما فعله بأصحاب الفيل لأجل[٤٧٩] إيلاف قريش، قاله ثعلب، وكان عمر وأبيّ بن كعب لا يفصلان بين

(٤٧٩) وهذا هو سر ترتيب سورة قريش بعد الفيل كما قال السيوطي في تناسق السور في تناسب السور.

السورتين ويقرآنهما كالسورة الواحدة، ويريان أنهما سورة واحدة، أي: ألم تر لإيلاف قريش.

الثاني: أن اللام صلة ترجع إلى ما بعدها من قوله ﴿فَلْيَعْبُدوا رب هذا البَيْتِ﴾ ويكون معناه لنعمتي على قريش فَلْيَعْبُدوا رَبَّ هذا البيت، قاله أهل البصرة، وقرأ عكرمة، ليألف قريش، وكان يعيب على من يقرأ «لإيلاف قريش».

وقرأ بعض أهل مكة: إلاف قريش، واستشهد بقول أبي طالب يوصي أخاه أبا لهب برسول اللّٰه ﷺ:

فلا تَتْركَنْهُ ما حَييتَ لمعظمٍ   وكن رجلاً ذا نَجدةٍ وعفافِ
تَذودُ العِدا عن عُصْبةٍ هاشميةٍ   ألا فُهُمُ في الناس خيرُ إلافِ

وأما قريش تلده فهم بنو النضر بن كنانة، وقيل بنو فهر بن مالك بن النضر بن كنانة، ومن لم تلده فهر فليس من قريش، وعلى المشهور أن بني النضر بن كنانة ومن تلده: من قريش، وإن لم يكونوا من بني فهر، وقد كانوا متفرقين في غير الحرم فجمعهم قصي بن كلاب في الحرم حتى اتخذوه مسكناً، قال الشاعر[٤٨٠]:

أبونا قصيٌّ كان يُدْعى مجمّعاً   به جمع اللّٰه القبائلَ مِن فهر

واختلفوا في تسميتهم قريشاً على أربعة أقاويل:

أحدها: لتجمعهم بعد التفرق، والتقريش التجميع، ومنه قول الشاعر[٤٨١]:

إخوةٌ قرَّشوا الذنوب علينا   في حَديثٍ مِن دَهْرِهم وقَديمِ

الثاني: لأنهم كانوا تجاراً يأكلون من مكاسبهم، والتقريش التكسب.

الثالث: أنهم كانوا يفتشون الحاج عن ذي الخلة فيسدون خلته، والقرش: التفتيش، قال الشاعر:

أيها الشامتُ المقِّرشُ عَنّا   عند عَمرو فهل له إبْقاءُ

الرابع: أن قريشاً اسم دابة في البحر، من أقوى دوابه، سميت قريشاً لقوتها وأنها تأكل ولا تؤكل، وتعلو ولا تعلى، قاله ابن عباس واستشهد بقول الشاعر[٤٨٢]:

---

(٤٨٠) روح المعاني (٣٠/٢٣٩) القرطبي (٢٠/٢٠٢).
(٤٨١) هو أبو جلدة اليشكري والبيت في روح المعاني (٣/٢٣٩) والقرطبي (٢٠/٢٠٣).
(٤٨٢) هو الحارث بن حلزة اليشكري والبيت في القرطبي (٢٠/٢٠٣) وروح المعاني (٣٠/٢٣٩).

هكذا في العباد حيُّ قريش يأكلون البلادَ أكْلاً كشيشاً.
ولهم آخرَ الزمان نبيٌّ يَكثر القتل فيهمُ والخموشا.
يملأُ الأرضَ خيلةً ورجالاً يحشُرون المطيَّ حشْراً كميشاً.
تأكل الغثَّ والسَّمينَ ولا تتـ ـرُكُ يوماً في جناحين ريشاً.
وقريش هي التي تسكن البحـ ـر بها سميت قريش قريشاً.
سلّطت بالعلو في لجج البحر على سائر البحور جيوشاً.

﴿إيلافِهم رِحْلَة الشتاءِ والصَّيْفِ﴾ كانت لقريش في كل عام رحلتان والرحلة السفرة، لما يعانى فيها من الرحيل والنزول، رحلة في الصيف ورحلة في الشتاء طلباً للتجارة والكسب.

واختلف في رحلتي الشتاء والصيف على قولين:

أحدهما: أن كلتا الرحلتين إلى فلسطين، لكن رحلة الشتاء في البحر، طلباً للدفء، ورحلة الصيف على بصرى وأذرعات، طلباً للهواء، قاله عكرمة.

الثاني: أن رحلة الشتاء إلى اليمن لأنها بلاد حامية، ورحلة الصيف إلى الشام لأنها بلاد باردة، قاله ابن زيد.

فإن قيل فما المعنى في تذكيرهم رحلة الشتاء والصيف؟ ففيه جوابان:

أحدهما: أنهم كانوا في سفرهم آمنين من العرب لأنهم أهل الحرم، فذكرهم ذلك ليعلموا نعمته عليهم في أمنهم مع خوف غيرهم.

الثاني: لأنهم كانوا يكسبون فيتوسعون ويطعمون ويصلون، كما قال الشاعر فيهم(٤٨٣):

يا أيها الرجلُ المحوِّل رَحْلَه هَلاَّ نَزَلْتَ بآلِ عبدِ مَنافِ.
الآخذون العهدَ من آفاقِها والراحلون لرحلة الإيلافِ.
والرائشون وليس يُوجد رائشٌ والقائلون هَلُمَّ للأضْيافِ.
والخالطون غنيَّهم بفقيرهم حتى يصير فقيرُهم كالكافي.
عمرو العلا هشم الثريد لقومه ورجال مكة مسنتون عجافِ.

فذكرهم اللّٰه تعالى هذه النعمة.

(٤٨٣) هو تبع والأبيات في القرطبي (٢٠/٢٠٣) وفيها اختلاف يسير.

ولابن عباس في رحلة الشتاء والصيف قول ثالث: أنهم كـانوا يشتـون بمكة لدفئها، ويصيفون بالطائف لهوائها، كما قال الشاعر[٤٨٤]:

تَـشْـتـي بِـمـكـة نـعـمـةً ... ومَـصـيـفُـهـا بـالـطـائِـف

وهذه من جلائل النعم أن يكون للقوم ناحية حر تدفع عنهم برد الشتاء وناحية برد تدفع عنهم حر الصيف، فذكرهم اللّه تعالى هذه النعمة.

﴿فَلْيَعْبدُوا ربَّ هذا البَيْتِ﴾ أمرهم اللّه تعالى بعبادته، وفي تعريف نفسه لهم بأنه رب هذا البيت وجهان:

أحدهما: لأنه كانت لهم أوثان، فميز نفسه عنها.

الثاني: أنهم بالبيت شرفـوا على سائر العرب، فذكر لهم ذلك تذكيراً بنعمته.

وفي معنى هذا الأمر والضمير في دخول الفاء على قوله «فليعبدوا» أربعة أوجه:

أحدها: فليعبدوا رب هذا البيت بأنه أنعم عليهم برحلة الشتاء والصيف.

الثاني: فليألفوا عبادة رب هذا البيت كما ألفوا رحلة الشتاء والصيف.

الثالث: فليعبدوا رب هذا البيت لأنه أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف.

الرابع: فليتركوا رحلة الشتاء والصيف بعبادة رب هذا البيت، فإنه يطعمهم من جوع ويؤمنهم من خوف ليتوفروا بالمقام على نصرة رسوله والذب عن دينه.

﴿الذي أَطْعَمَهم من جُوعٍ﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: أطعمهم من جوع بما أعطاهم من الأموال وساق إليهم من الأرزاق، قاله ابن عيسى.

الثاني: أطعمهم من جوع بما استجاب فيهم دعوة إبراهيم عليه السلام. حين قال: ﴿وارْزُقهم من الثمرات﴾، قاله ابن عباس.

الثالث: أن جوعـاً أصابهم في الجـاهلية، فـألقى اللّه في قلوب الحبشة أن يحملوا إليهم طعاماً، فحملوه، فخـافت قريش منهم وظنـوا أنهم قدمـوا لحـربهم، فخرجوا إليهم متحرزين، فإذا هم قد جلبوا إليهم الطعام وأعانوهم بالأقوات، فهو معنى قوله ﴿الذي أطعمهم من جوع﴾.

---

(٤٨٤) روح المعاني (٣٠/٢٤٠).

﴿وآمَنَهُم مِنْ خوْفٍ﴾ فيه أربعة أقاويل:

أحدها: آمنهم من خوف العرب أن يسبوهم أو يقاتلوهم تعظيماً لحرمة الحرم، لما سبقت لهم من دعوة إبراهيم عليه السلام حيث قال:

﴿ربِّ اجْعَلْ هذا بلداً آمِناً﴾، قاله ابن عباس.

الثاني: من خوف الحبشة مع الفيل، قاله الأعمش.

الثالث: آمنهم من خوف الجذام، قاله الضحاك والسدي وسفيان الثوري.

الرابع: يعني آمن قريشاً ألا تكون الخلافة إلا فيهم، قاله علّي رضي اللّهُ عنه.



مكية في قول عطاء وجابر، ومدينة في قول ابن عباس وقتادة.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ﴿١﴾ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ﴿٢﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣﴾ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ﴿٧﴾

قوله تعالى ﴿أرأيْتَ الذي يُكَذِّبُ بالدِّينِ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: يعني بالحساب، قاله عكرمة ومجاهد.

الثاني: بحكم اللّه تعالى، قاله ابن عباس.

الثالث: بالجزاء الثواب والعقاب.

واختلف فيمن نزل هذا فيه على خمسة أوجه:

أحدها: أنها نزلت في العاص بن وائل السهمي، قاله الكلبي ومقاتل.

الثاني: في الوليد بن المغيرة، قاله السدي.

الثالث: في أبي جهل.

الرابع: في عمرو بن عائذ، قاله الضحاك.

الخامس: في أبي سفيان وقد نحر جزوراً، فأتاه يتيم، فسأله منها، فقرعه بعصا، قاله ابن جريج.

﴿فذلك الذي يَدُعُّ اليتيمَ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: بمعنى يحقر اليتيم، قاله مجاهد.

الثاني: يظلم اليتيم، قاله السدي.

الثالث: يدفع اليتيم دفعاً شديداً، ومنه قوله تعالى: ﴿يوم يُدَعُّونَ إلى نارِ جهنَّمَ دعّاً﴾ أي يُدفعون إليها دفعاً.

وفي دفعه اليتيم وجهان:

أحدهما: يدفعه عن حقه ويمنعه من ماله ظلماً له وطمعاً فيه، قاله الضحاك.

الثاني: يدفعه إبعاداً له وزجراً. وقد قرىء «يَدَعُ اليَتيم»[٤٨٥] مخففة، وتأويله على هذه القراءة يترك اليتيم فلا يراعيه اطراحاً له وإعراضاً عنه.

ويحتمل على هذه القراءة تأويلاً ثالثاً: يدع اليتيم لاستخدامه وامتهانه قهراً واستطالة.

﴿ولا يَحُضُّ على طعامِ المِسْكِينِ﴾ أي لا يفعله ولا يأمر به، وليس الذم عاماً حتى يتناول من تركه عجزاً، ولكنهم كانوا يبخلون ويعتذرون لأنفسهم يقولون ﴿أنطعم من لو يشاءُ اللَّه أطْعَمَهُ﴾ فنزلت هذه الآية فيهم، ويكون معنى الكلام لا يفعلونه إن قدروا، ولا يحثون عليه إن عجزوا.

﴿فَوَيْلٌ للمُصَلِّينَ﴾ الآية، وفي إطلاق هذا الذم إضمار، وفيه وجهان:

أحدهما: أنه المنافق، إن صلاها لوقتها لم يرج ثوابها، وإن صلاها لغير وقتها لم يخش عقابها، قاله الحسن.

الثاني: أن إضماره ظاهر متصل به، وهو قوله تعالى: ﴿الذين هم﴾ الآية. وإتمام الآية في قوله: ﴿فويل للمصلين﴾ ما بعدها من قوله: ﴿الذين هم عن صلاتهم ساهون﴾ إضماراً فيها وإن كان نطقاً ظاهراً.

وليس السهو الذي يطرأ عليه في صلاته ولا يقدر على دفعه عن نفسه هو الذي ذم به، لأنه عفو.

وفي تأويل ما استحق به هذا الذم ستة أوجه:

أحدها: أن معنى ساهون أي لاهـون[٤٨٦]، قاله مجاهد.

---

(٤٨٥) وهي قراءة الحسن وأبي رجاء ونقل عن علي كما في الفتح (٦٠٢/٨).

(٤٨٦) قال الحافظ ابن كثير (٤/) قوله «فويل للمصلين الذين هو عن صلاتهم ساهون» أما عن فعلها بالكلية كما قال ابن عباس وأما عن فعلها في الوقت المقدر لها شرعاً فيخرجها عن وقتها بالكلية كما قال

الثاني: غـافلون، قاله قتادة.

الثالث: أن لا يصلّيهاسراً ويصليها علانية رياء للمؤمنين، قاله الحسن.

الرابع: هو الذي يلتفت يمنة ويسرة هواناً بصلاته، قاله أبو العالية.

الخامس: هو ألا يقرأ ولا يذكر اللّه، قاله قطرب.

السادس: هو ما روى مصعب بن سعد بن أبي وقاص(٤٨٧) عن أبيه قال: سألت رسول اللّهْ ﷺ عن «**الذين هم عن صلاتهم ساهون**» فقال: هم الذين يؤخرون الصلاة عن مواقيتها.

﴿**الذين هم يُراءونَ**﴾ فيه وجهان:

أحدهما: المنافقون الذين يراءون بصلاتهم، يصلّونها مع الناس إذا حضروا، ولا يُصلّونها إذا غابوا، قاله علي وابن عباس.

الثاني: أنه عامّ في ذم كل من راءى لعمله ولم يقصد به إخلاصاً لوجه ربه. روي عن النبي ﷺ أنه قال(٤٨٨): «يقول اللّهْ تعالى: مَن عَمِل عملا لغيري فقد أشرك بي وأنا أغنى الشركاء عن الشرك».

﴿**ويَمْنَعُونَ الماعونَ**﴾ فيه ثمانية تأويلات:

أحدها: أن الماعون الزكاة، قاله علي وابن عمر والحسن وعكرمة وقتادة، قال الراعي(٤٨٩):

مسروق وأبو الضحى وأما عن وقتها الأول فيؤخرونها إلى آخر دائماً أو غالباً وأما عن أدائها بأركانها وشروطها على الوجه المأمور وأما عن الخشوع فيها والتدبر لمعانيها فاللفظ يشمل ذلك كله ولكل من اتصف بشيء من ذلك قسط من هذه الآية..

(٤٨٧) رواه ابن جرير (٣١٣/٣٠) وزاد السيوطي في الدر (٦٤٢/٨) نسبته لأبي يعلى وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني في الأوسط وابن مردويه والبيهقي في سننه وقال الهيثمي في المجمع (١٤٣/٧) بعد روايته من طريق الطبراني «فيه عكرمة بن إبراهيم وهو ضعيف جداً ورواه ابن جرير (٣١١/٣٠) والفريابي وسعيد بن منصور وابن المنذر وابن مردويه والبيهقي في سننه موقوفاً على سعد ورجح الحاكم وقفه كذا البيهقي كما في الدر (٦٤٢/٨) ونسبه الحافظ في الفتح (٦٠٢/٨) لعبد الرزاق أيضاً.

(٤٨٨) رواه ابن ماجه (٤٢٠٢) ولفظه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال قال الله عز وجل: «أنا أغنى الشركاء عن الشرك فمن عمل لي عملاً اشرك فيه غيري فأنا منه بريء وهو للذي أشرك».

وقال المنذري في الترغيب والترهيب رواة ابن ماجه ثقات وزاد نسبته لابن خزيمة في صحيحه والبيهقي والحديث صححه الألباني الترغيب والترهيب (١٨/١).

(٤٨٩) تقدم تخريج هذه الأبيات.

أخليفة الرحمن إنا مَعْشَرٌ حُنَفَاءُ نسجُد بكرةً وأصيلا.
عَرَبٌ نرى لِلَّهُ في أمْوالِنا حقَّ الزكاة مُنزَّلا تنزيلا
قَوْمٌ على الإسلام لمّا يَمْنعوا ماعونَهم ويضيِّعوا التهْليلا

الثاني: أنه المعروف، قاله محمد بن كعب.

الثالث: أنه الطاعة، قاله ابن عباس.

الرابع: أنه المال بلسان قريش، قاله سعيد بن المسيب والزهري.

الخامس: أنه الماء إذا احتيج إليه ومنه الماء المعين وهو الجاري، قال الأعشى[٤٩٠]:

بأجود منا بماعونه إذا ما سماؤهم لم تغِم

السادس: أنه ما يتعاوره الناس بينهم، مثل الدلو والقدر والفاس، قاله ابن عباس[٤٩١]، وقد روي مأثوراً[٤٩٢].

السابع: أنه منع الحق، قاله عبدالله بن عمر.

الثامن: أنه المستغل من منافع الأموال، مأخوذ من المعنى وهو القليل، قاله الطبري[٤٩٣] وابن عيسى.

ويحتمل تاسعاً: أنه المعونة بما خف فعله وقل ثقله.

---

(٤٩٠) ديوانه: ١٧٠ القرطبي (٢٠/٢١٤) والطبري (٣٠/٣١٤) وفتح القدير (٥/٥٠٠).

(٤٩١) رواه الطبري (٣٠/٣١٨) والطبراني كما في المجمع (٧/١٤٣) وقال الهيثمي رجاله رجال الصحيح.

(٤٩٢) وهذا المأثور ورد موقوفاً له حكم الرفع من حديث ابن مسعود رضي الله عنه فرواه البزار والطبراني ولفظه كنا نعد الماعون على عهد رسول الله ﷺ الدلو والفأس والقدر قال الهيثمي في المجمع (٧/١٤٣). رجال الطبراني رجال الصحيح.

ورواه أبو داود (١٦٥٧) والنسائي كما في الفتح (٨/٦٠٣) ولفظه كنا نعد الماعون على عهد رسول الله ﷺ عارية الدلو والقدر وزاد السيوطي في الدر (٦/٤٠٠) نسبته لسعيد بن منصور وابن أبي شيبة والبزار وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني في الأوسط وابن مردويه والبيهقي.

(٤٩٣) جامع البيان (٣٠/٣١٣).



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴿٢﴾ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴿٣﴾

قوله تعالى ﴿إنّا أعطيْناك الكوْثر﴾ فيه تسعة تأويلات:

أحدها: أن الكوثر النبوة، قاله عكرمة.

الثاني: القرآن، قاله الحسن.

الثالث: الإسلام، حكاه المغيرة.

الرابع: أنه نهر في الجنة، رواه ابن[٤٩٤] عمر وأنس[٤٩٥] مرفوعاً.

الخامس: أنه حوض النبي[٤٩٦] ﷺ الذي يكثر الناس عليه يوم القيامة، قاله عطاء.

---

(٤٩٤) رواه الترمذي (٣٣٥٨) وابن ماجه (٤٣٣٤) وأحمد (٢/ ١١٢) وإسناده صحيح كما قال الأرناؤوط في تخريج جامع الأصول (٢/ ٤٣٩) وزاد السيوطي في الدر (٦/ ٤٠٣) نسبته لابن أبي شيبة وابن المنذر وابن مردويه وابن أبي حاتم.

(٤٩٥) رواه مسلم (١/ ٣٠٠) وابن جرير (٣٠/ ٣٢٤، ٣٢٥) وأبو داود (٤٧٤٧، ٤٧٤٨) والنسائي (٣/ ١٣٣، ١٣٤) وزاد السيوطي في الدر (٨/ ٦٤٧) نسبته للبيهقي في سننه وابن مردويه وابن أبي شيبة وأحمد.

(٤٩٦) ولا ينافي هذا القول القول الذي قبله فإن النبي ﷺ له نهر في الجنة يصب في حوض أمام باب الجنة يشرب منه الناس في أرض المحشر قبل دخول الجنة.

السادس: أنه الخير الكثير، قاله ابن عباس.

السابع: أنه كثرة أمته، قاله أبو بكر بن عياش.

الثامن: أنه الإيثار، قاله ابن كيسان.

التاسع: أنه رفعة الذكر، وهو فوعل من الكثرة.

﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وانحَرْ﴾فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: الصلاة المكتوبة، وهي صلاة الصبح بمزدلفة، قاله مجاهد.

الثاني: صلاة العيد، قاله عطاء.

الثالث: معناه اشكر ربك، قاله عكرمة.

﴿وانحَرْ﴾فيه خمسة تأويلات:

أحدها: وانحر هديك أو أضحيتك، قاله ابن جبير وعكرمة ومجاهد وقتادة.

الثاني: وانحر أي وسل، قاله الضحاك.

الثالث: معناه أن يضع اليمين على الشمال عند نحره في الصلاة، قاله عليّ[٤٩٧] وابن عباس رضي الله عنهما.

الرابع: أن يرفع يديه في التكبير، رواه عليّ[٤٩٨].

الخامس: أنه أراد واستقبل القبلة في الصلاة بنحرك، قاله أبو الأحوص ومنه قول الشاعر[٤٩٩]:

---

(٤٩٧) رواه ابن جرير (٣٠/٣٢٥) والبخاري في تاريخه (٦/٤٣٧) والحاكم (٢/٥٣٧) وزاد السيوطي في الدر (٨/٦٥٠) نسبته لابن أبي شيبة وابن أبي حاتم والدارقطني في الأفراد وأبي الشيخ وابن مردويه والبيهقي في سننه ولكن قال الحافظ ابن كثير (٤/ ٥٥٨). ولا يصح وعند الشعبي مثله.

(٤٩٨) رواه ابن أبي حاتم وابن شاهين في السنة وابن مردويه والبيهقي ولا شك أن القول الأول الذي ذكره المصنف هو الصواب وهو قول الجمهور ولهذا قال العلامة ابن كثير (٤/٥٥٩) والصحيح القول الأول أن المراد بالنحر ذبح المناسك ولهذا كان رسول الله ﷺ يصلي العيد ثم ينحر نسكه.. الخ.

(٤٩٩) وقد رواه علي مرفوعاً ولم يصح هذا الحديث فقد أخرجه الحاكم (٢/٥٣٨) وزاد السيوطي في الدر (٨/٦٥٠) نسبته لابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في سننه قال العلامة الألوسي (٣٠/٤٤٧) نقلاً عن السيوطي «وحديث عليّ كرم الله وجهه أخرجه ابن أبي حاتم والحاكم بسند ضعيف.

وقال الحافظ ابن كثير (٤/٥٥٩) حديث منكر جداً بل أخرجه ابن الجوزي في الموضوعات قلت: لأن في سنده إسرائيل بن حاتم وهو صاحب عجائب لا تعتمد عليه وأصبغ شيعي متروك عند النسائي. أفاده الذهبي في تهذيب المستدرك (٢/٥٣٨).

أبـا حَكَمٍ هَــلْ أَنْتَ عَمُّ مُجـالـدٍ   وسيـدُ أهْلِ الأبْـطحِ المتنـاحـرِ.

أي المتقابل.

﴿إِنَّ شانِئَكَ هو الأَبْتَرُ﴾ في شانئك وجهان:

أحدهما: مبغضك، قاله ابن شجرة.

الثاني: عدوّك، قاله ابن عباس.

وفي «الأبتر» خمسة تأويلات:

أحدها: أنه الحقير الذليل، قاله قتادة.

الثاني: معناه الفرد الوحيد، قاله عكرمة.

الثالث: أنه الذي لا خير فيه حتى صار مثل الأبتر، وهذا قول مأثور[٥٠٠].

الرابع: أن قريشاً كانوا يقولون لمن مات ذكور ولده، قد بتر فلان فلما مات لرسول اللّه ﷺ ابنه القاسم بمكة، وابراهيم بالمدينة، قالوا بتر محمد فليس له من يقوم بأمره من بعده، فنزلت الآية، قاله السدي وابن زيد.

الخامس: أن اللّه تعالى لما أوحى إلى رسول اللّه ﷺ ودعا قريش إلى الإيمان، قالوا ابتتر منا محمد، أي خالفنا وانقطع عنا، فأخبر اللّه تعالى رسوله أنهم هم المبتورون، قاله عكرمة[٥٠١] وشهر بن حوشب.

واختلف في المراد من قريش بقوله ﴿إِنَّ شانئك هو الأبتر﴾ على ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنه أبو لهب، قاله عطاء.

الثاني: أبو جهل، قاله ابن عباس.

الثالث: أنه العاص بن وائل، قاله عكرمة[٥٠٢]. واللّه أعلم.

---

(٥٠٠) روح المعاني (٢٤٧/٣٠) فتح القدير (٥٠٢/٥) القرطبي (٢١٩/٢٠).

(٥٠١) وروى البزار بسند صححه ابن كثير (٥٥٩/٤) عن ابن عباس رضي الله عنه قال قدم كعب بن الأشرف مكة فقالت له قريش أنت سيدهم ألا ترى إلى هذا (الصابي) المنبتر من قومه يزعم أنه جاء ونحن أهل الحجيج وأهل السقاية فقال أنتم خير منه فنزلت «إن شانئك هو الأبتر».

(٥٠٢) وقيل هو كعب بن الأشرف كما سبق في التعليق الذي قبله.



مكية في قول ابن مسعود والحسن وعكرمة، ومدنية في أحد قولي ابن عباس وقتادة والضحاك.

بسم الله الرحمن الرحيم

قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿١﴾ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَـٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴿٤﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَـٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ﴿٦﴾

﴿قُل يا أيُّها الكافِرونَ﴾ الآيات، ذكر محمد بن إسحاق أن سبب نزولها أن الوليد بن المغيرة، والعاص بن وائل والأسود بن عبد المطلب وأمية بن خلف لقوا رسول الله ﷺ فقالوا: يا محمد هلم فلتعبد ما نعبد. ونعبد ما تعبد، ونشترك نحن وأنت في أمرنا كله، فإن كان الذي جئت به خيراً مما بأيدينا كنا قد شركناك فيه وأخذنا بحظنا منه، وإن كان الذي بأيدينا خيراً مما بيديك كنت قد شركتنا في أمرنا وأخذت بحظك منه، فأنزل اللّه تعالى ﴿قل يا أيها الكافرون﴾ فصار حرف الأمر في هذه السورة وسورة الإخلاص والمعوذتين متلوّاً، لأنها نزلت جواباً، عنى بالكافرين قوماً معينين، لا جميع الكافرين، لأن منهم من آمن، فعبد الله، ومنهم من مات أو قتل على كفره، وهم المخاطبون بهذا القول فمنهم المذكورون.

﴿لا أعْبُدُ ما تَعْبُدونَ﴾ يعني من الأوثان.

﴿**ولا أنتم عابدون ما أَعْبُدُ**﴾ يعني اللَّه تعالى وحده، الآيات.

فإن قيل: ما فائدة هذا التكرار؟

قيل: فيه وجهان: أحدهما: أن قوله في الأول«**لا أعبد**» و «**لا تعبدون**» يعني في الحال، وقوله الثاني: يعني في المستقبل، قاله الأخفش.

الثاني: أن الأول في قوله «**لا أعبد**» و«**لا أنتم**» الآية يعني في المستقبل(٥٠٣)، والثاني: إخبار عنه وعنهم في الماضي، فلم يكن ذلك تكراراً لاختلاف المقصود فيهما.

فإن قيل: فلم قال«**ما أَعْبُدُ**» ولم يقل«**من أَعبُدُ**»؟

قيل: لأنه مقابل لقوله: ﴿**ولا أنا عابد ماعَبَدْتُم**﴾ وهي أصنام وأوثان، ولا يصلح فيها إلا «**ما**» دون«**من**» فحمل الثاني على الأول ليتقابل الكلام ولا يتنافى.

﴿**لكم دِينكم ولي دينِ**﴾ فيه وجهان:

أحدهما: لكم دينكم الذي تعتقدونه من الكفر، ولي ديني الذي أعتقده من الإسلام، قاله يحيى بن سلام.

الثاني: لكم جزاء عملكم، ولي جزاء عملي.

وهذا تهديد منه لهم، ومعناه وكفى بجزاء عملي ثواباً، قاله ابن عيسى.

قال ابن عباس: ليس في القرآن سورة أشد لغيظ إبليس من هذه السورة، لأنها توحيد وبراءة من الشرك(٥٠٤).

---

(٥٠٣) في هذه الآيات تأكيد واضح لاستقلالية الإيمان وأن العقيدة الإسلامية لا تقبل أنصاف الحلول مطلقاً إذ أن أركان الإيمان وحدة متكاملة لا تقبل التجزئة على الإطلاق فمن اعتراه ريب أو شك في عقيدته فقد ضل ضلالاً بعيداً ومجرد النطق بكلام الكفر يخرج الشخص عن الإسلام ويحبط عمله الصالح قال تعالى: ﴿ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله﴾ ولو أن شخصاً نوى بقلبه أن يكفر بعد حين فقد ارتد عن الإسلام بمجرد هذه النية ولا يعود إلى الإسلام إلا بعد التبرؤ من كفره ثم الإتيان بالشهادتين ولا ينفعه الإستغفار قبل الشهادتين.

(٥٠٤) كيف لا وقد اشتملت هذه السورة على نوعي التوحيد القولي والعملي ولهذا كان رسول الله ﷺ يقرأ بها في مناسبات خاصة.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴿٣﴾

قوله تعالى ﴿إذا جاءَ نَصْرُ اللَّهِ والفتحُ﴾ أما النصر فهو المعونة مأخوذ من قولهم قد نصر الغيث الأرض إذا أعان على نباتها ومنع من قحطها، قال الشاعر(٥٠٥):

إذا انسلَخَ الشهرُ الحرامُ فَودِّعي بلادَ تميمٍ وانْصُري أرضَ عامِرِ.

وفي المعنيّ بهذا النصر قولان:

أحدهما: نصر الرسول على قريش، قاله الطبري.

الثاني: نصره على كل من قاتله من أعدائه، فإن عاقبة النصر كانت له.

وقيل: إذا جاء نصره بإظهاره إياك على أعدائك، والفتح: فتحه مكة وقيل المراد حين نصر اللَّه المؤمنين وفتح مكة وسائر البلاد عليهم. وإنما عبر عن الحصول بالمجيء تجوزاً للإشعار بأن المقدرات متوجهة(٥٠٦) حين إلى أوقاتها المعينة لها، فتعرف منها شيئاً فشيئاً، وقد قرب النصر من وقته فكن مترقباً لوروده مستعداً لشكره.

---

(٥٠٥) هو الراعي النميري والبيت في اللسان نصر والقرطبي (٢٠/ ٢٣٠) وفتح القدير (٥/ ٥٠٩) وفيه إذا انصرف الشهر الحرام. . .

(٥٠٦) يعني أن الأشياء كانت سابقة في القدر معلومة ومكتوبة وتظهر الى عالم الوجود في أوقاتها التي قدرها الله لها.

وفي هذا الفتح قولان:

أحدهما: فتح مكة، قاله الحسن ومجاهد.

الثاني: فتح المدائن والقصور، قاله ابن عباس وابن جبير، وقيل ما فتحه عليه من العلوم.

﴿ورأيْتَ الناسَ يَدْخُلون في دِيْنِ اللَّهِ أَفْواجاً﴾ فيهم قولان:

أحدهما: أنهم أهل اليمن، وروى عن ابن عباس أن النبي[٥٠٧] ﷺ قال: «الدين يمانٍ والفقه يمانٍ والحكمة يمانية» وروي عنه[٥٠٨] عليه السلام أنه قال: إني لأجد نَفَس ربكم مِن قِبل اليمن» وفيه تأويلان:

أحدهما: أنه الفرج لتتابع إسلامهم أفواجاً.

الثاني: معناه أن اللَّه تعالى نفس الكرب عن نبيه بأهل اليمن، وهم الأنصار.

القول الثاني: أنهم سائر الأمم الذين دخلوا في الإسلام، قاله محمد بن كعب.

وقال الحسن: لما فتح اللَّه على رسوله مكة، قالت العرب بعضهم لبعض: أيها القوم ليس لكم به ولا بالقوم يد، فجعلوا يدخلون في دين اللَّه أفواجاً أمة أمة.

قال الضحاك: والأمة أربعون رجلاً، وقال ابن عباس: الأفواج «الزمر»، وقال الكلبي: الأفواج القبائل.

وروى جابر بن عبد اللَّه[٥٠٩] قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «إنّ الناس دخلوا في دين اللَّه أفواجاً وسيخرجون أفواجاً».

---

(٥٠٧) رواه ابن جرير (٣٣٢/٣٠) ولفظه عن ابن عباس «قال بينا رسول الله ﷺ بالمدينة إذ قال: «الله أكبر الله أكبر جاء نصر الله والفتح جاء أهل اليمن» قيل يا رسول الله وما أهل اليمن؟ قال قوم رقيقة قلوبهم لينة طباعهم الإيمان يمان والفقه يمان والحكمة يمانية».

(٥٠٨) قال الحافظ في تخريج الكشاف ص ١٨٩ رواه الطبراني في الأوسط ومسند الشاميين من طريق حريز بن عثمان عن شبيب بن روح عن أبي هريرة به في حديث أوله الإيمان يمان ولا باس بإسناده وله شاهد من حديث سلمة بن نفيل السكوني في مسند البزار والطبراني في الكبير والبيهقي في الأسماء والصفات ص ٤٦٢ وفي إسناده إبراهيم بن سليمان الأفطس قال البزار إنه غير مشهور والراوي عنه عبد الله بن سالم الحمصي وكان أبو داود يذمه.

(٥٠٩) رواه أحمد (٣٤٣/٣) وزاد السيوطي في الدر (٦٦٤/٨) نسبته لابن مردويه.

«أفواجاً» جماعات كثيفة كأهل مكة والطائف واليمن وهوازن وقبائل سائر العرب.

«يدخلون» حال، على أن «رأيت»بمعنى أبصرت، أو مفعول ثان على أن رأيت بمعنى علمت.

﴿فسبّحْ بحْمد ربِّك واسْتَغْفِره إنه كان توّاباً﴾ في أمره بهذا التسبيح والاستغفار وجهان: أحدهما: أنه أراد بالتسبيح الصلاة، قاله ابن عباس، وبالاستغفار مداومة الذكر.

الثاني: أنه أراد صريح التسبيح، الذي هو التنزيه والاستغفار من الذنوب.

روت عائشة قالت[٥١٠]: كان رسول اللّه ﷺ بعد نزول هذه الآية يكثر أن يقول: سبحانك اللهم وبحمدك، أستغفرك وأتوب إليك، فقلت: يا رسول اللّه ما هذه الكلمات التي أراك أحدثتها؟ فقال: «جعلت لي علامة في أمتي إذا رأيتها قلتها».

وفي قوله ﴿إنه كان توّاباً﴾ وجهان:

أحدهما: قابل التوبة.

والثاني: متجاوز عن الصغائر.

وفي أمره بهذا بعد النصر والفتح وجهان:

أحدهما: ليكون ذلك منه شكراً للّه تعالى على نعمه، لأن تجديد النعم يوجب تجديد الشكر.

الثاني: أنه نعى إليه نفسه، ليجد في عمله.

قال ابن عباس: وداعٌ من اللّه، ووداعٌ من الدنيا، فلم يعش بعدها إلا سنتين مستديماً التسبيح والاستغفار كما أُمِرَ، وكان قد لبث أربعين سنة لم يوح إليه، ورأى رؤيا النبوة سنتين، ومات في شهر ربيع الأول وفيه هاجر.

وقال مقاتل[٥١١]: نزلت هذه السورة بعد فتح الطائف، والفتح فتح مكة،

---

(٥١٠) رواه ابن جرير (٣٣٣،٣٣٢/٣٠) واللفظ له والبخاري مختصراً (٥٦٤/٨) وزاد السيوطي في الدر (٦٦٣/٨) نسبته لابن أبي شيبة وابن المنذر وابن مردويه وله ألفاظ كثيرة متقاربة فراجعها في الدر (٦٦٤،٦٦٣/٨).

(٥١١) قال الحافظ في تخريج الكشاف ص ١٨٩ ذكره الثعلبي عن مقاتل وأسنده إليه دون الكتاب.

والناس أهل اليمن، وهي آية موت النبي ﷺ فلما نزلت قرأها على أبي بكر وعمر ففرحا بالنصر وبدخول الناس أفواجاً في دين اللّٰه عز وجل، وسمعها العباس فبكى، فقال النبي ﷺ : «ما يبكيك يا عم؟» فقال: نعيت إليك نفسك، قال: إنه لكما تقول.».

وهذه السورة تسمى التوديع، عاش النبي بعدها حولاً على قول مقاتل، وحولين(٥١٢) على قول ابن عباس، ثم حج رسول اللّٰه ﷺ من قابل، فنزل: ﴿**اليوم أكملت لكم دينكم**﴾ الآية، فعاش بعدها ثمانين يوماً، ثم نزلت «**لقد جاءكم رسول**» فعاش بعدها خمسة وثلاثين يوماً، ثم نزلت﴿**واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى اللّٰه**﴾فعاش بعدها واحداً وعشرين يوماً.

وقال مقاتل: عاش بعدها(٥١٣) سبعة أيام، واللّٰه أعلم وصلوات اللّٰه عليه متتابعة لا تنقطع على مر الأزمان وكر الأوان، وعلى جميع الأنبياء والمرسلين.

(٥١٢) وهذه الأقوال كلها فيها نظر فإن هذه السورة نزلت في حجة الوداع وانتقل رسول الله ﷺ إلى جوار ربه في ربيع الأول من السنة الثالثة.

(٥١٣) أي بعد نزول هذه الآية وهي قوله﴿واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله﴾.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿٣﴾ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ﴿٤﴾ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴿٥﴾

قوله تعالى: **﴿تبّتْ يدا أبي لهب﴾** اختلف في سبب نزولها في أبي لهب على ثلاثة أقاويل:

أحدها: ما حكاه عبد الرحمن بن زيد أن أبا لهب[٥١٤] أتى النبي ﷺ فقال: ماذا أُعطَى إن آمنتُ بك يا محمد؟ قال: ما يعطَى المسلمون، قال: ما عليهم فضل؟ قال: وأي شيء تبتغي؟ قال: تبًّا لهذا من دين أن أكون أنا وهؤلاء سواء، فأنزل اللَّه فيه: **﴿تبت يدا أبي لهب﴾**.

الثاني: ما رواه ابن عباس أنه لما نزل[٥١٥] **﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾** أتى رسول اللَّه ﷺ الصفا فصعد عليها، ثم نادى يا صباحاه! فاجتمع الناس إليه، فقال: أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلاً بسفح هذا الجبل تريد أن تغير عليكم، صدقتموني؟ قالوا:

---

(٥١٤) رواه الطبري (٣٠/٣٣٦).

(٥١٥) رواه البخاري (٨/٦٠٩) ومسلم (١/١٩٤) بمعناه والطبري (٣٠/٣٣٦) وزاد السيوطي في الدر (٨/٦٦٦) نسبته لسعيد بن منصور وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في الدلائل وأبي نعيم.

نعم، قال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد، فقال أبو لهب: تبًّا لك سائر اليوم أما دعوتنا إلا لهذا؟! فأنزل اللَّه تعالى هذه السورة.

الثالث: ما حكاه عبد الرحمن بن كيسان أنه كان[٥١٦] إذا وفد على النبي ﷺ وفْدٌ انطلق إليهم أبو لهب، فيسألونه عن رسول اللَّه ويقولون: أنت أعلم به، فيقول لهم أبو لهب: إنه كذاب ساحر، فيرجعون عنه ولا يلقونه، فأتاه وفد، ففعل معهم مثل ذلك، فقالوا: لا ننصرف حتى نراه ونسمع كلامه، فقال لهم أبو لهب: إنا لم نزل نعالجه من الجنون فتبًّا له وتعساً، فأخبر بذلك النبي ﷺ فاكتأب له، فأنزل اللَّه تعالى «تَبّتْ» السورة، وفي «تبّتْ» خمسة أوجه:

أحدها: خابت، قاله ابن عباس.

الثاني: ضلّت، وهو قول عطاء.

الثالث: هلكت، قاله ابن جبير.

الرابع: صفِرت من كل خير، قاله يمان بن رئاب.

حكى الأصمعي عن أبي عمرو بن العلاء أنه لما قتل عثمان بن عفان سمع الناس هاتفاً يقول[٥١٧]:

لقد خلّوْك وانصدعوا فما آبوا ولا رجعوا
ولم يوفوا بنذرِهمُ فيا تبًّا لما صَنعوا

والخامس: خسرت، قاله قتادة، ومنه قول الشاعر:

تواعَدَني قوْمي ليَسْعَوْا بمهجتي بجارية لهم تَبًّا لهم تبًّا.

وفي قوله ﴿يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾ وجهان:

أحدهما: يعني نفس أبي لهب، وقد يعبر عن النفس باليد كما قال تعالى ﴿**ذلك بما قدمت يداك**﴾ أي نفسك.

الثاني: أي عمل أبي لهب، وإنما نسب العمل إلى اليد لأنه في الأكثر يكون بها.

---

(٥١٦) ذكره القرطبي (٢٠/٢٣٥).

(٥١٧) وهو قول عبد الله بن كثير أخرجه عنه الفاكهي كما أفاده الحافظ في الفتح (٨/٦٠٩).

وقيل إنه كني أبا لهب لحُسنه[٥١٨] وتلهّب وجنته، وفي ذكر اللَّه له بكنيته دون اسمه ثلاثة أوجه:

أحدها: لأنه كان بكنيته أشهر منه باسمه.

الثاني: لأنه كان مسمى بعبد هشم، وقيل إنه عبد العزى فلذلك عدل عنه.

الثالث: لأن الاسم أشرف من الكنية، لأن الكنية إشارة إليه باسم غيره، ولذلك دعا اللَّه أنبياءه بأسمائهم.

وفي قوله ﴿وتَبَّ﴾ أربعة أوجه:

أحدها: أنه تأكيد للأول من قوله ﴿تبت يدا أبي لهب﴾ فقال بعده «وتب» تأكيداً.

الثاني: يعني تبت يدا أبي لهب بما منعه اللَّه تعالى من أذى لرسوله، وتب بما له عند اللَّه من أليم عقابه.

الثالث: يعني قد تبّ، قاله ابن عباس.

الرابع: يعني وتبّ ولد أبي لهب، قاله مجاهد.

وفي قراءة ابن مسعود: تبت يدا أبي لهبٍ وقد تب، جعله خبراً، وهي على قراءة غيره تكون دعاء كالأول.

وفيما تبت عنه يدا أبي لهب وجهان:

أحدهما: عن التوحيد، قاله ابن عباس.

الثاني: عن الخيرات، قاله مجاهد.

﴿ما أَغْنَى عَنْه مالُه وما كَسَب﴾ في قوله «ما أغنى عنه» وجهان:

أحدهما: ما دفع عنه.

الثاني: ما نفعه، قاله الضحاك.

وفي ﴿مالُه﴾ وجهان:

أحدهما: أنه أراد أغنامه، لأنه كان صاحب سائمة، قاله أبو العالية.

الثاني: أنه أراد تليده وطارفه، والتليد: الموروث، والطارف: المكتسب.

وفي قوله ﴿وما كَسَبَ﴾ وجهان:

---

(٥١٨) قال الحافظ في الفتح (٦٠٩/٨) ولا حجة فيه لمن قال بجواز تكنية المشرك على الإطلاق بل محل الجواز إذا لم يقتض ذلك التعظيم له أو دعت الحاجة إليه.

أحدهما: عمله الخبيث، قاله الضحاك.

الثاني: ولده، قاله ابن عباس.

وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «أولادكم من كسبكم[٥١٩]».

وكان ولده عتبة بن أبي لهب مبالغاً في عداوة النبي ﷺ كأبيه، فقال حين نزلت ﴿والنجم إذا هوى﴾ كفرت بالنجم إذا هوى، وبالذي دنا فتدلى، وتفل في وجه رسول اللَّه ﷺ إلى الشام، فقال رسول اللَّه ﷺ: «اللهم سلط عليه كلباً من كلابك» فأكله الأسد[٥٢٠].

وفيما لم يغن عنه ماله وما كسب وجهان:

أحدهما: في عداوته النبي ﷺ.

الثاني: في دفع النار عنه يوم القيامة.

﴿سَيَصْلَى ناراً ذاتَ لَهَبٍ﴾ في سين سيصلى وجهان:

أحدهما: أنه سين سوف.

الثاني: سين الوعيد، كقوله تعالى. ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ﴾ و ﴿سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا﴾.

وفي ﴿يَصْلَى﴾ وجهان:

أحدهما: صلي النار، أي حطباً ووقوداً، قاله ابن كيسان.

الثاني: يعني تُصليه النار، أي تنضجه، وهو معنى قول ابن عباس، فيكون على الوجه الأول صفة له في النار، وعلى الوجه الثاني صفة للنار.

وفي ﴿ناراً ذاتَ لَهَبٍ﴾ وجهان:

أحدهما: ذات ارتفاع وقوة واشتعال، فوصف ناره ذات اللهب بقوتها، لأن قوة النار تكون مع بقاء لهبها.

الثاني: ما في هذه الصفة من مضارعة كنيته التي كانت من نذره ووعيده.

وهذه الآية تشتمل على أمرين:

---

(٥١٩) جزء من حديث عائشة رضي الله عنها مرفوعاً أوله.. إن أطيب ما أكلتم من كسبكم وإن... الحديث.

رواه أبو داود ٣٥٢٨ والترمذي ١٣٥٨ والنسائي (٧/٢٤١) وصححه الشيخ الأرناؤوط في تخريج جامع الأصول (١٠/٥٧٠).

(٥٢٠) ورد هذا في السيرة بألفاظ متقاربة.

أحدهما: وعيد من اللّه حق عليه بكفره.

الثاني: إخبار منه تعالى بأنه سيموت على كفره، وكان خبره صدقاً، ووعيده حقاً.

﴿وامرأتُهُ حَمّالةَ الحَطَبِ﴾ وهي أم جميل بنت حرب بن أمية أخت أبي سفيان.

وفي **﴿حمالة الحطب﴾** أربعة أوجه:

أحدها: أنها كانت تحتطب الشوك فتلقيه في طريق النبي ﷺ ليلاً، قاله ابن عباس(٥٢١).

الثاني: أنها كانت تعيِّر رسول اللّه ﷺ بالفقر، فكان يحتطب فعيرت بأنها كانت تحتطب، قاله قتادة.

الثالث: أنها كانت تحتطب الكلام وتمشي بالنميمة، قاله الحسن والسدي فسمي الماشي بالنميمة حمال الحطب لأنه يشعل العداوة كما تشعل النار الحطب، قال الشاعر(٥٢٢):

إنّ بني الأدْرَمِ حَمّالو الحَطَبْ هم الوُشاةُ في الرِّضا وفي الغَضَبْ.
عليهمُ اللعْنةُ تَتْرى والحرَبْ.

وقال آخر(٥٢٣):

مِنَ البِيضِ لم تُصْطَدْ على ظهر لأمةٍ ولم تَمشِ بَيْن الحيّ بالحَطَب والرطْبِ.

الرابع: أنه أراد ما حملته من الآثام في عداوة رسول اللّه ﷺ لأنه كالحطب في مصيره إلى النار.

﴿في جِيدِها حَبْل مِنْ مَسَدِ﴾ جيدها: عنقها.

وفي **﴿حبل من مسد﴾** سبعة أقاويل:

أحدها: أنه سلسلة من حديد، قاله عروة بن الزبير، وهي التي قال اللّه تعالى فيها: **﴿ذرعها سبعون ذراعاً﴾** قال الحسن: سميت السلسلة مسداً لأنها ممسودة، أي مفتولة.

---

(٥٢١) رواه ابن جرير (٣٠/٣٣٨) وزاد السيوطي (٨/٦٦) نسبته للبيهقي في الدلائل وابن عساكر وسنده ضعيف.

(٥٢٢) القرطبي (٢٠/٢٣٩) فتح القدير (٥/٥١٢) روح المعاني (٣٠/٢٦٣).

(٥٢٣) القرطبي (٢٠/٢٣٩) فتح القدير (٥/٥١٢) روح المعاني (٣٠/٢٦٣).

الثاني: أنه حبل من ليف النخل، قاله الشعبي، ومنه قول الشاعر:

أعــوذ بــالـلَّه مِـن لَـيْـل يُـقــرِّبني　　إلى مُضاجعةٍ كـالـدُّلْكِ بـالمَسَـدِ.

الثالث: أنها قلادة من ودع، على وجه التعيير لها، قاله قتادة.

الرابع: أنه حبل ذو ألوان من أحمر وأصفر تتزين به في جيدها، قاله الحسن، ذكرت به على وجه التعيير أيضاً.

الخامس: أنها قلادة من جوهر فاخر، قالت لأنفقنها في عداوة محمد، ويكون ذلك عذاباً في جيدها يوم القيامة.

السادس: أنه إشارة إلى الخذلان، يعني أنها مربوطة عن الإيمان بما سبق لها من الشقاء كالمربوطة في جيدها بحبل من مسد.

السابع: أنه لما حملت أوزار كفرها صارت كالحاملة لحطب نارها التي تصلى بها.

روى الوليد بن كثير عن ابن تدرس عن أسماء بنت أبي بكر[٥٢٤] أنه لما نزلت «تبت يدا» في أبي لهب وامرأته أم جميل أقبلت ولها ولولة وفي يدها فهر وهي تقول:

مُـذَمَّـمـاً عَـصَـيْـنَـا　　وأَمْـرَهُ　　أَبَـيْـنـا

ودِينَه قَلَيْنا.

ورسول الله ﷺ في المسجد، ومعه أبو بكر، فلما رآها أبو بكر قال: يا رسول الله قد أقبلت وإني أخاف أن تراك، فقال: إنها لن تراني، وقرأ قرآناً اعتصم به، كما قال تعالى: ﴿**وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجاباً مستوراً**﴾ فأقبلت على أبي بكر، ولم تر رسول الله، فقالت: يا أبا بكر إني أخبرت أن صاحبك هجاني، فقال: لا ورب هذا البيت، ما هجاك، فولت فعثرت في مرطها، فقالت: تعس مذمم، وانصرفت.

---

(٥٢٤) رواه الحميدي (١/٣٢٣) واللفظ له وأبو يعلى وابن أبي حاتم كما في الفتح (٨/٦١٠) من حديث أسماء بنت أبي بكر ورواه الحاكم (٢/٣٦١) من حديثها مختصراً. قال الهيثمي بعدما ساقه رواه أبو يعلى وفيه تدرس جد أبي الزبير ولم أعرفه» أهـ قال العلامة الأعظمي في تخريجه على الحميدي (١/١٥٥) قلت وتدوس تصحيف والصواب تدرس ولا يطمئن القلب بأنه فيه تدرس جد أبي الزبير بل فيه ابن تدرس وهو أبو الزبير نفسه نسب إلى جده وقال الحافظ في الفتح (٧/١١٧) رواه أبو يعلى بإسناد حسن وتدرس ومسلم بن تدرس والد أبي الزبير لم أجدهما فيما عندي من كتب الرجال.



مكية في قول ابن مسعود والحسن وعطاء وعكرمة وجابر، ومدنية في أحد قولي ابن عباس وقتادة والضحاك والسدي.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ اختلف في سبب نزول هذه الآية على ثلاثة أقاويل:

أحدها: أن اليهود قالوا للنبي ﷺ هذا اللَّه خَلَق الخلْق، فمن خلَقَ اللَّه؟ فنزلت هذه السورة جواباً لهم، قاله قتادة.

الثاني(٥٢٥): أن مشركي قريش قالوا لرسول اللَّه ﷺ انسب لنا ربك، فأنزل اللَّه هذه السورة، وقال: يا محمد انسبني إلى هذا، وهذا قول أُبي بن كعب.

الثالث: ما رواه أبو روق عن الضحاك أن المشركين(٥٢٦) أرسلوا عامر بن

---

(٥٢٥) وهذا القول هو المشهور.

(٥٢٦) رواه أحمد (٥/١٣٣) والترمذي (٢/١٧٢) والطبري (٣٠/٣٤٢) من حديث ابن سعد الصغاني عن أبي جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبي بن كعب وفي سنده ضعف ورواه الحاكم (٣/٥٤٠) من حديث ابن سعد الصغاني به وصححه ووافقه الذهبي.

وأورده السيوطي في الدر (٨/) وزاد نسبته للبخاري في تاريخه وابن خزيمة وابن أبي حاتم في السنة

الطفيل إلى رسول اللّه ﷺ فقالوا: قل له شققت عصانا وسببت آلهتنا وخالفت دين آبائك، فإن كنت فقيراً أغنيناك وإن كنت مجنوناً داويناك، وإن هويت امرأة زوجناكها، فقال رسول اللّه ﷺ : لست بفقير ولا مجنون ولا هويت امرأة، أنا رسول اللّه إليكم، أدعوكم من عبادة الأصنام إلى عبادته، فأرسلوه ثانية وقالوا له: قل له بيّن لنا جنس معبودك، فأنزل اللّه هذه السورة، فأرسلوه ثالثة وقالوا: قل له لنا ثلاثمائة وستون صنماً لا تقوم بحوائجنا، فكيف يقوم إله واحِد بحوائج الخلق كلهم؟ فأنزل اللّه سورة الصافات إلى قوله ﴿إن إلهاكم لواحد﴾ يعني في جميع حوائجكم، فأرسلوه رابعة وقالوا: قل له بيّن لنا أفعال ربك، فأنزل اللّه تعالى: ﴿إن ربكم اللّه الذي خلق السموات والأرض﴾ الآية، وقوله ﴿الذي خلقكم ثم رزقكم﴾.

﴿قل هو اللّه أحد﴾ خرج مخرج جواب السائل عن اللّه تعالى، فقال لرسوله ﷺ ﴿قل هو اللّهُ أحَدٌ﴾ والأحد: هو المتفرد بصفاته الذي لا مِثل له ولا شبه.

فإن قيل: فلم قال «أحَدٌ» على وجه النكرة، ولم يقل الأَحَدُ؟ قيل عنه جوابان:

أحدهما: أنه حذف لام التعريف على نية إضمارها فصارت محذوفة في الظاهر، مثبتة في الباطن، ومعناه قل هو اللّه الأحد.

الثاني: أنه ليس بنكرة، وإنما هو بيان وترجمة، قاله المبرد.

فأما الأحد والواحد ففيهما وجهان:

أحدهما: أن الأحد لا يدخل العدد، والواحد يدخل في العدد، لأنك تجعل للواحد ثانياً، ولا تجعل للأحد ثانياً.

الثاني: أن الأحد يستوعب جنسه، والواحد لا يستوعب، لأنك لو قلت فلان لا

والبغوي في معجمه وابن المنذر وأبي الشيخ في العظمة والبيهقي في الأسماء والصفات عن أُبي بن كعب.

ورواه الترمذي (١٧٢/٢) عن عبد بن حميد عن عبيد الله بن موسى عن أبي جعفر عن الربيع بن أنس عن أبي العالية مرسلاً ولم يذكر فيه أُبيّ بن كعب وقال هذا أصح من حديث ابن سعد الصغاني ورواه الطبري (٣٤٣/٣) عن محمد بن عوف عن شريح عن إسماعيل بن مجالد عن مجالد عن الشعبي عن جابر، ومجالد ليس بالقوي وذكره ابن كثير (٥٦٥/٤) من رواية أبي يعلى من طريق مجالد عن الشعبي به وأورده الهيثمي في المجمع (١٤٦/٧) من رواية الطبراني في الأوسط وأبي يعلى وللحديث شواهد من حديث أبي هريرة مرفوعاً وابن مسعود راجع تفسير ابن كثير (٥٦٦/٤) وحديث جابر حسنه السيوطي في الدر (٦٦٩/٨).

يقاومه أحد، لم يجز أن يقاومه اثنان ولا أكثر، فصار الأحد أبلغ من الواحد.

وفي تسميتها بسورة الإخلاص ثلاثة أوجه:

أحدها: لأن في قراءتها خلاصاً من عذاب اللّه.

الثاني: لأن فيها إخلاص للّه من كل عيب ومن كل شريك وولد، قاله عبد اللّه ابن المبارك.

الثالث: لأنها خالصة للّه ليس فيها أمر ولا نهي.

﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ فيه عشرة تأويلات:

أحدها: أن الصمد المصمت الذي لا جوف له، قاله الحسن وعكرمة والضحاك وابن جبير، قال الشاعر:

شِهابُ حُروب لا تَزالُ جيادُه عوابسَ يعْلُكْنَ الشكيمَ المُصَمَّدا

الثاني: هو الذي لا يأكل ولا يشرب، قاله الشعبي.

الثالث: أنه الباقي الذي لا يفنى، قاله قتادة، وقال الحسن: إنه الدائم الذي لم يزل ولا يزال.

الرابع: هو الذي لم يلد ولم يولد، قاله محمد بن كعب.

الخامس: أنه الذي يصمد الناس إليه في حوائجهم، قاله ابن عباس، ومنه قول الشاعر(٥٢٧):

ألا بكّر الناعي بخيَريْ بني أسدْ بعمرِو بن مَسعودٍ وبالسيّد الصَّمَد.

السادس: أنه السيد الذي قد انتهى سؤدده(٥٢٨)، قاله أبو وائل وسفيان وقال الشاعر(٥٢٩):

عَلوْتُه بحُسامٍ ثم قلت له خُذْها حُذَيْفَ فأنت السيّد الصَّمَدُ.

السابع: أنه الكامل الذي لا عيب فيه، قاله مقاتل، ومنه قول الزبرقان:

ساروا جَميعاً بنصْفِ الليلِ واعْتَمدوا ألاّ رهينةَ إلا السيّدُ الصَمَدُ.

---

(٥٢٧) هو سبرة بن عمرو الأسدي والبيت في مجاز القرآن (٢/٣١٦) والسمط (٩٣٣) والطبري (٣٠/٣٤٧) والقرطبي (٢٠/٢٤٥) وفتح القدير (٥/٥١٦) واللسان (صمد) وروح المعاني (٣٠/٢٧٣) وفتح الباري (٨/٦١٢).

(٥٢٨) وقد ورد عن ابن عباس رواه الطبري (٣٠/٣٤٦).

(٥٢٩) اللسان «صمد» فتح القدير (٥/٥١٦) القرطبي (٢٠/٢٤٥) روح المعاني (٣٠/٢٧٣).

الثامن: أنه المقصود إليه في الرغائب، والمستغاث به في المصائب، قاله السدي.

التاسع: أنه المستغني عن كل أحد قاله أبو هريرة.

العاشر: أنه الذي يفعل ما يشاء ويحكم بما يريد، قاله الحسين بن فضيل.

﴿لم يَلِدْ ولم يُولَدْ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: لم يلد فيكون والداً، ولم يولد فيكون ولداً، قاله ابن عباس.

الثاني: لم يلد فيكون في العز مشاركاً، ولم يولد فيكون موروثاً هالكاً، قاله الحسين بن فضيل.

وإنما كان كذلك لأمرين:

أحدهما: أن هاتين صفتا نقص فانتفتا عنه.

الثاني: أنه لا مثل له، فلو وَلَد أو وُلِد لصار ذا مثل، واللّه تعالى منزه عن أن يكون له مثل.

﴿ولم يَكُن له كُفُواً أَحَدٌ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: لم يكن له مثل ولا عديل، قاله أبي بن كعب وعطاء.

الثاني: يعني لم تكن له صاحبة، فنفى عنه الولد والوالدة والصاحبة، قاله مجاهد.

الثالث: أنه لا يكافئه في خلقه أحد، قاله قتادة وفيه تقديم وتأخير، تقديره: ولم يكن له أحدٌ كُفواً، فقدم خبر كان على اسمها لتنساق أواخر الآي على نظم واحد.



مكية في قول الحسن وعكرمة وعطاء وجابر، ومدنية في أحد قولي ابن عباس وقتادة.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ (١) مِن شَرِّ مَا خَلَقَ (٢) وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ (٣) وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ (٤) وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ (٥)﴾

وهذه والناس معوذتا رسول اللّه ﷺ حين سحرته اليهود[٥٣٠]، وقيل إن المعوذتين كان يقال لهما «المقشقشتان» أي مبرئتان من النفاق، وزعم ابن مسعود أنهما[٥٣١] دعاء تعوذ به وليستا من القرآن، وهذا قول خالف به الإجماع من الصحابة وأهل البيت[٥٣٢].

﴿قُلْ أَعُوذُ بربِّ الفَلَقِ﴾ فيه ستة تأويلات:

---

(٥٣٠) وهو مشهور بحديث السحر وقد تقدم تخريجه في سورة البقرة والكلام عليه.

(٥٣١) رواه البزار كما في الفتح (٨/٦١٥) وقال البزار ولم يتابع ابن مسعود على ذلك أحد من الصحابة فقد صح عن النبي ﷺ أنه قرأهما في الصلاة ثم ذكر الحافظ رحمه الله ما يؤيد كلام البزار فراجعه فإنه مهم.

(٥٣٢) وقد أول بعض العلماء ما جاء عن ابن مسعود راجع الفتح (٨/٦١٥).

أحدها: أن الفلق سجن في جهنم، قاله ابن عباس.

الثاني: أنه اسم من أسماء جهنم، قاله أبو عبد الرحمن.

الثالث: أنه الخلق كله، قاله الضحاك.

الرابع: أنه فلق الصبح(٥٣٣)، قاله جابر بن عبد الله ومنه قول الشاعر(٥٣٤):

يا ليلةً لم أَنَمْها بِتُّ مُرْتفقا أرْعى النجومَ إلى أنْ نوَّرَ الفَلَقُ.

الخامس: أنها الجبال والصخور تنفلق بالمياه.

السادس: أنه كل ما انفلق عن جميع ما خلق من الحيوان والصبح والحب والنوى وكل شيء من نبات وغيره، قاله الحسن.

ولأصحاب الغوامض أنه فلق القلوب للأفهام حتى وصلت إليها ووصلت فيها، وأصل الفلق الشق الواسع، وقيل للصبح فلق لفلق الظلام عنه كما قيل له فجر لانفجار الضوء منه.

﴿مِن شَرِّ ما خَلَق﴾ فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أن شر ما خلق جهنم، قاله ثابت البناني.

الثاني: إبليس وذريته، قاله الحسن.

الثالث: من شر ما خلق في الدنيا والآخرة، قاله ابن شجرة.

وفي هذا الشر وجهان:

أحدهما: أنه محمول على عمومه في كل شر.

الثاني: أنه خاص في الشر الذي يستحق المصاب به الثواب.

﴿ومن شَرِّ غاسقٍ إذا وَقَبَ﴾ فيه أربعة تأويلات:

أحدها: يعني الشمس إذا غربت، قاله ابن شهاب.

الثاني: القمر إذا ولج أي دخل في الظلام.

روى أبو سلمة بن عبد الرحمن عن عائشة(٥٣٥) أنها قالت: أخذ رسول الله

---

(٥٣٣) وهو الصواب وقد اختاره الطبري (٣٠/٣٥١) والبخاري في صحيحه (٨/٦١٣) وابن كثير (٤/٧٣).

(٥٣٤) القرطبي (٢٠/٢٥٤) فتح القدير (٥/٥١٩).

(٥٣٥) رواه الترمذي (٢/١٧٢) وصححه وأحمد (٦/٦١) والطبري (٣٠/٣٥٢) والحاكم (٢/٥٤٧) وصححه ووافقه الذهبي وزاد السيوطي في الدر (٨/) نسبته لابن المنذر وأبي الشيخ في العظمة وابن مردويه وحسنه الحافظ في الفتح (٨/٦١٣) وهذا القول هو الصواب لأن الأثر يدل عليه.

ﷺ بيدي ثم نظر إلى القمر فقال: يا عائشة تعوذي بالله من شر غاسقٍ إذا وقب، وهذا الغاسق إذا وقب.

الثالث: أنه الثريا إذا سقطت، وكانت الأسقام والطواعين تكثر عند وقوعها، وترتفع عند طلوعها، قاله ابن زيد.

الرابع: أنه الليل، لأنه يخرج السباع من آجامها، والهوام من مكامنها ويبعث أهل الشر على العبث والفساد، قاله ابن عباس والضحاك وقتادة والسدي، قال الشاعر(٥٣٦):

يا طيْفَ هِنْدٍ لقد أبقيْتَ لي أرَقا إذ جئْتَنا طارِقاً والليلُ قد غَسَقا.

وأصل الغسق الجريان بالضرر، مأخوذ من قولهم غسقت القرحة إذا جرى صديدها، والغسّاق: صديد أهل النار، لجريانه بالعذاب وغسقت عينه إذا جرى دمعها بالضرر في الحلق.

فعلى تأويله أنه الليل في قوله «إذا وقب»أربعة تأويلات:

أحدها: إذا أظلم، قاله ابن عباس.

الثاني: إذا دخل، قاله الضحاك.

الثالث: إذا ذهب، قاله قتادة.

الرابع: إذا سكن، قاله اليمان بن رئاب.

﴿ومِن شَرِّ النَّفّاثاتِ في العُقَدِ﴾ قال أهل التأويل: من السواحر ينفثن في عقد الخيوط للسحر، قال الشاعر(٥٣٧):

أعوذ بربي من النافثا تِ في عِضَه العاضه المعْضِه.

وربما فعل قوم في الرقى مثل ذلك، طلباً للشفاء، كما قال متمم بن نويرة(٥٣٨):

نَفَثْت في الخيط شبيه الرُّقَى من خشيةِ الجِنّة والحاسِدِ.

وقد روى الحسن عن أبي هريرة عن النبي(٥٣٩) ﷺ أنه قال: من عقد عقدة ثم

---

(٥٣٦) القرطبي (٢٠/ ٢٥٦).

(٥٣٧) اللسان «عضه» القرطبي (٢٠/ ٢٥٧): .

(٥٣٨) القرطبي (٢٠/ ٢٥٧) فتح القدير (٥/ ٥٢٠).

(٥٣٩) رواه ابن مردويه كما في الدر (٨/ ٦٩٠) ولم يذكر القول الأخير ومن تعلقه.

نفث فيها فقد سحر، ومن سحر فقد أشرك، ومن تعلّق شيئاً وكل إليه، والنفث: النفخ في العقد بلا ريق، والتفل: النفخ فيها بريق، وفي ﴿شر النفاثات في العقد﴾ ثلاثة أوجه:

أحدها: أنه إيهام للأذى[٥٤٠] وتخيل للمرض من غير أن يكون له تأثير في الأذى والمرض، إلا استشعار ربما أحزن، أو طعام ضار ربما نفذ بحيلة خفية.

الثاني: أنه قد يؤذى بمرض لعارض ينفصل فيتصل بالمسحور فيؤثر فيه كتأثير العين، وكما ينفصل من فم المتثائب ما يحدث في المقابل له مثله.

الثالث: أنه قد يكون ذلك بمعونة من خدم الجن يمتحن اللّه بعض عباده.

فأما المروي من سحر النبي ﷺ فقد أثبته أكثرهم[٥٤١]، وأن قوماً من اليهود[٥٤٢] سحروه وألقوا عقدة سحره في بئر حتى أظهره اللّه عليها.

روى أبو صالح عن ابن عباس أن النبي[٥٤٣] ﷺ اشتكى شكوى شديدة، فبينا هو بين النائم واليقظان إذا ملكان أحدهما عند رأسه، والآخر عند رجليه، فقال أحدهما: ما شكواه؟ فقال الآخر: مطبوب، (أي مسحور، والطب: السحر) قال: ومن طبّه؟ قال: لبيد بن الأعصم اليهودي فطرحه في بئر ذروان تحت صخرة فيها، فبعث رسول اللّه ﷺ عمار بن ياسر فاستخرج السحر منها، ويروى أن فيه إحدى عشرة عقدة، فأمر بحل العقد، فكان كلما حل عقدة وجد راحة، حتى حلت العقد كلها، فكأنما أنشط من عقال، فنزلت عليه المعوذتان، وهما إحدى عشرة آية بعدد العقد، وأمر أن يتعوذ بهما.

وأنكره آخرون، ومنعوا منه في رسول اللّه ﷺ وإن صح في غيره، لما في استمراره عليه من خبل العقل، وأن اللّه تعالى قد أنكر على من قال في رسوله حيث يقول: ﴿إن تتبعون إلا رجلاً مسحوراً﴾.

﴿ومن شر حاسد إذا حسد﴾ أما الحسد فهو تمني زوال نعمة المحسود وإن لم يصر للحاسد مثلها، والمنافسة[٥٤٤] هي تمني مثلها وإن لم تزل، فالحسد شر

---

(٥٤٠) وهذا أشبه بقول المعتزلة الذين يقولون أن السحر تخيل لا حقيقة له وقد تكلمنا على ذلك في سورة البقرة فراجعه.

(٥٤١) لكن هذا لم يؤثر على عقل رسول الله ﷺ ولم يتعد الجسد الشريف.

(٥٤٢) والذي فعله من اليهود هو لبيد بن الأعصم وسيأتي ذكره في الحديث الآتي.

(٥٤٣) وهي رواية عن ابن عباس رواها ابن مردويه كما في الدر (٦٨٧/٨).

(٥٤٤) وهي ما تسمى بالغبطة.

مذموم، والمنافسة رغبة مباحة، وقد روي أن النبي ﷺ قال[٥٤٥]: المؤمن يغبط والمنافق يحسد.

وفي الاستعاذة من شر حاسد إذا حسد وجهان:

أحدهما: من شر نفسه وعينه، فإنه ربما أصاب بها فعان وضر، والمعيون المصاب بالعين، وقال الشاعر:

قد كان قومُك يَحْسبونك سيّدا   وإخال أنك سيدٌ مَعْيونُ.

الثاني: أن يحمله فرط الحسد على إيقاع الشر بالمحسود فإنه يتبع المساوىء ويطلب العثرات، وقد قيل إن الحسد[٥٤٦] أول ذنب عصي اللّه به في السماء والأرض فحسد إبليس آدم حتى أخرجه من الجنة، وأما في الأرض فحسد قابيل بن آدم لأخيه هابيل حتى قتله، نعوذ باللّه من شر ما استعاذنا منه.

وافتتح السورة بـ«قُلْ» لأن اللّه تعالى أمر نبيه أن يقولها، وهي من السورة لنزولها معها، وقد قال بعض فصحاء السلف: احفظ القلاقل، وفيه تأويلان:

أحدهما: قل «قل» في كل سورة ذكر في أوائلها لأنه منها.

والثاني: احفظ السورة التي في أولها «قل» لتأكيدها بالأمر بقراءتها.

---

(٥٤٥) لم أهتد إلى تخريجه والله أعلم.

(٥٤٦) وقد ورد نحوه من قول جنادة بن أبي أمية رواه أبو الشيخ في التوبيخ رقم ٦٩، ٨٣ وسنده صحيح.



بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ﴿٣﴾ مِن شَرِّ ٱلۡوَسۡوَاسِ ٱلۡخَنَّاسِ ﴿٤﴾ ٱلَّذِي يُوَسۡوِسُ فِي صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴿٦﴾

﴿قُلْ أعوذُ بِربِّ النّاسِ﴾ وإنما ذكر أنه رب الناس، وإن كان ربّاً لجميع الخلق لأمرين:

أحدهما: لأن الناس معظمون، فأعلم بذكرهم أنه رب لهم وإن عظموا.

الثاني: لأنه أمر بالاستعاذة من شرهم، فأعلم بذكرهم أنه هو الذي يُعيذ منهم.

﴿مَلِكِ النّاسِ * إلَهِ النّاسِ﴾ لأن في الناس ملوكاً، فذكر أنه ملكهم، وفي الناس من يعبد غيره فذكر أنه إلههم ومعبودهم.

﴿مِن شَرِّ الوَسْواسِ الخَنّاسِ﴾ الخّناس هو الشيطان، وفي تسميته بذلك وجهان: أحدهما: لأنه كثير الاختفاء، ومنه قوله تعالى:

﴿فلا أُقْسِمُ بالخُنَّس﴾ يعني النجوم لاختفائها بعد الظهور.

الثاني: لأنه يرجع عن ذكر اللَّه، والخنس الرجوع، قال الراجز(٥٤٧):

وصاحب يَمْتَعِسُ امْتِعاسا ... يزدادُ من خَنسِه خناسا.

(٥٤٧) القرطبي (٢٠/٢٦٢) وفيه يزداد من خنسه.

وأما «الوسواس» ها هنا ففيه وجهان:

أحدهما: أنه الشيطان لأنه يوسوس للإنسان، وقد روى ابن جبير عن ابن عباس[٥٤٨] في قوله«الوسواس الخناس» قال: الشيطان جاثم على قلب ابن آدم، فإذا سها وغفل وسوس، وإذا ذكر الله تعالى خنس، فعلى هذا يكون في تأويل الخناس وجهان:

أحدهما: الراجع بالوسوسة على الهوى.

الثاني: أنه الخارج بالوسوسة في اليقين.

الوجه الثاني: أنه وسواس الإنسان من نفسه، وهي الوسوسة التي يحدث بها نفسه.

وقد روي عن النبي[٥٤٩] ﷺ أنه قال: إنّ اللّه تعالى تجاوز لأمتي عما وسوست به أنفسها ما لم تعمل به أو تتكلم به.

﴿الذي يُوسْوِسُ في صُدورِ النّاسِ﴾ وسوسة الشيطان هي الدعاء إلى طاعته بما يصل إلى القلب من قول متخيل، أو يقع في النفس من أمر متوهم ومنه الموسوس إذا غلب عليه الوسوسة، لما يعتريه من المسرة، وأصله الصوت الخفي، قال الأعشى[٥٥٠]:

تسمع للحلْي وسواساً إذا انصرفت كما استعان بريح عشرق زجل.

﴿من الجِنّة والنّاسِ﴾ أما وسواس الجنة فهو وسواس الشيطان على ما قدمناه، وأما وسواس الناس ففيه وجهان:

أحدهما: أنها وسوسة الإنسان من نفسه، قاله ابن جريج.

الثاني: أنه إغواء من يغويه من الناس.

قال قتادة: إن من الإنس شياطين، وإن من الجن شياطين، فنعوذ باللّه من شياطين الإنس والجن.

---

(٥٤٨) رواه ابن جرير (٣٠/٣٥٥) وزاد في الدر (٨/٦٩٤) نسبته لابن أبي شيبة وابن مردويه.

(٥٤٩) رواه مسلم (١/١١٦) من حديث أبي هريرة مرفوعاً ولفظه إن الله تجاوز لأمتي ما حدثت به أنفسها ما لم يتكلموا أو يعملوا.

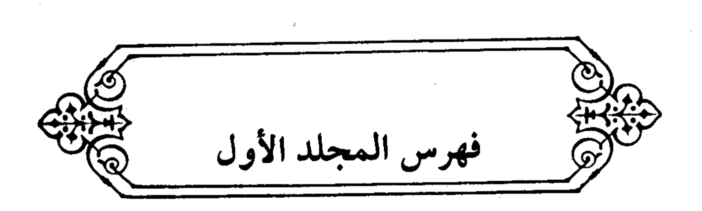
(٥٥٠) اللسان وسس ديوانه: ١٣١.

وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس[٥٥١] أن النبي ﷺ كان يعوّذ حسناً وحسيناً فيقول: أعيذكما بكلمات اللّه التامة من كل شيطان وهامّة، ومن كل عْينٍ لامّةٍ، ونحن نستعيذ باللّه مما عوذ ونستمده جميل ما عوّد.

وفقنا اللّه وقارئه لتدبر ما فيه وتفهم معانيه، فيه توفيقنا وعليه توكلنا، والحمد للّه وحده وكفى، وصلواته على رسوله محمد المصطفى، وعلى إخوانه من الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وأصحابه الطاهرين.

---

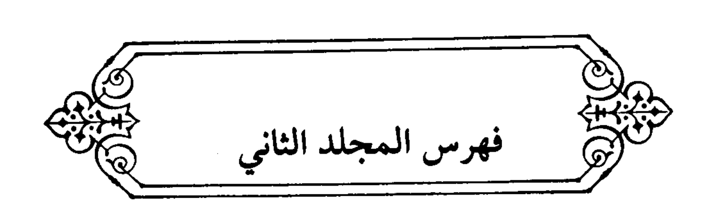
(٥٥١) رواه البخاري (٦/٢٩٣) والترمذي (٢٠٦١).
وأبو داود (٤٧٣٧) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.



فهرس المجلد الأول

سورة آل عمران

سورة النساء



فهرس المجلد الثاني

سورة المائدة

سورة الأنعام

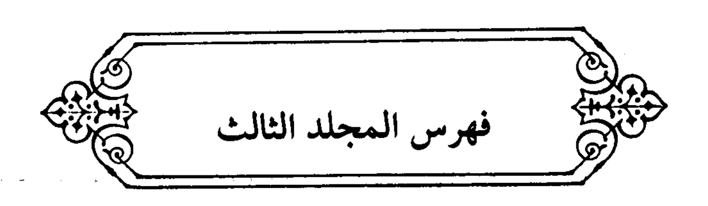
سورة الأعراف

سورة الأنفال

سورة التوبة

سورة يونس

سورة هود



فهرس المجلد الثالث

سورة يوسف

سورة الرعد

سورة إبراهيم

سورة الحجر

سورة النحل

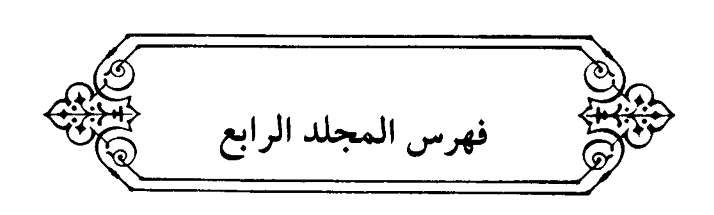
سورة الإسراء

سوف الكهف

سورة مريم

سورة طه

سورة الأنبياء



فهرس المجلد الرابع

سورة الحج

سورة المؤمنون

سورة النور

سورة الفرقان

سورة الشعراء

سورة النمل

سورة القصص

سورة العنكبوت

سورة الروم

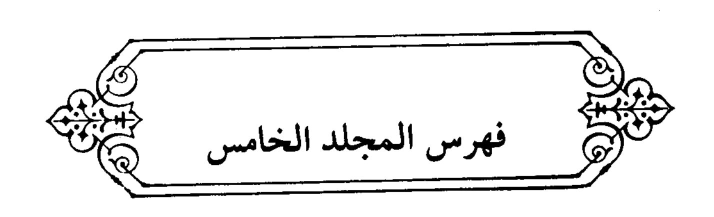
سورة لقمان

سورة السجدة

سورة الأحزاب

سورة سبأ

سورة فاطر



فهرس المجلد الخامس

سورة يسٓ

سورة الصافات

سورة صٓ

سورة الزمر

سورة غافر

سورة فصلت

سورة الشورى

سورة الزخرف

سورة الدخان

سورة الجاثية

سورة الأحقاف

سورة محمد

سورة الفتح

سورة الحجرات

سورة قٓ

سورة الذاريات

سورة الطور

سورة النجم

سورة القمر

سورة الرحمن

سورة الواقعة

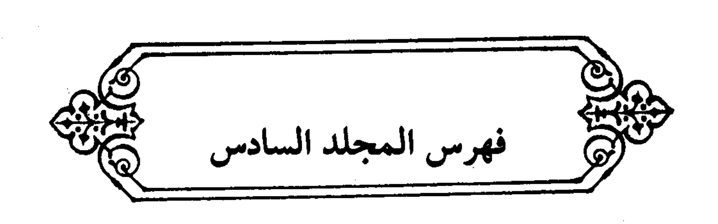
سورة الحديد

سورة المجادلة

سورة الحشر

سورة الممتحنة

سورة الصف



فهرس المجلد السادس

سورة الجمعة

سورة المنافقون

سورة التغابن

سورة الطلاق

سورة التحريم

سورة الملك

سورة القلم

سورة الحاقة

سورة المعارج

سورة نوح

سورة الجن

سورة المزمل

سورة المدثر

سورة القيامة

سورة الإنسان

سورة المرسلات

سورة النبأ

سورة النازعات

سورة عبس

سورة التكوير

سورة الانفطار

سورة المطففين

سورة الانشقاق

سورة البروج

سورة الطارق

سورة الأعلى

سورة الغاشية

سورة الفجر

سورة البلد

سورة الشمس

سورة الليل

سورة الضحى

سورة الشرح

سورة التين

سورة العلق

سورة القدر

سورة البينة

سورة الزلزلة

سورة العاديات

سورة القارعة

سورة التكاثر

سورة العصر

سورة الهمزة

سورة الفيل

سورة قريش

سورة الماعون

سورة الكوثر

سورة الكافرون

سورة النصر

سورة المسد

سورة الإخلاص

سورة الفلق

سورة الناس